عقود المرجان

في

تفسير القرآن

تأليف

السيد نعمة الله الجزائري

المتوفى سنة ١١١٢ هـ

تحقيق

مؤسسة شمس الضحى الثقافية

عقود المرجان

في

تفسير القرآن

تأليف

السيد نعمة الله الجزائري

المتوفى سنة ١١١٢ هـ

المجلد الخامس

شبكة الفكر
alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة
احياء الكتب الإسلاميه

ايران قم المقدسه ارم ٤ پلاك ١٣٥
٠٠٩٨٢٥١ ٢٩٣٦٣٥٢ - ٠٠٩٨٢٥١ ٧٧١٩٦٥٧

◆ عقود المرجان في تفسير القرآن ج ٥
◇ تأليف السيد نعمة الله الجزائري
◆ انتشارات نور وحى
◇ چاپخانه اميران
◆ چاپ اول ١٣٨٨ — ٢٠٠٠ عدد
◇ قيمت دوره — ٥٠٠٠٠ تومان
◆ شابك — ٩٧٨-٩٦٤-٢٥٩٢-٣٠-٢
◇ شابك دوره — ٩٧٨-٩٦٤-٢٥٩٢-٢٤-١

٥٥.
سورة الرحمن

من قرأ الرحمن، رحم الله ضعفه و أدّى شكر ما أنعم الله عليه.[١]

و عنه صلى الله عليه وآله: انّ لكلّ شيء عروساً. و عروس القرآن الرحمن.[٢]

و عن الصادق عليه السلام: من قرأها، بيّض الله وجهه.[٣]

الرحمن: يشرب للطحال و وجع الفؤاد. و يعلّق على الرمد و المصروع. و يكتب على حائط البيت يذهب هوامّه.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لاتدعوا قراءة سورة الرحمن و القيام بها. لأنّها لاتقرّ في قلوب المنافقين و يؤتى بها يوم القيامة في صورة آدميّ في أحسن صورة و أطيب ريح حتّى تقف من الله موقفاً لايكون أحد أقرب إلى الله منها، فيقول لها: من كان يقوم بك في الحياة الدنيا و يدمن قراءتك؟ فتقول: يا ربّ فلان و فلان. فتبيضّ وجوههم فيقول لهم: اشفعوا فيمن أحببتم. فيشفعون حتّى لايبقى لهم غاية و لا أحد يشفعون له. فيقول لهم: ادخلوا الجنّة و اسكنوا فيها حيث شئتم.[٥]

لمّا قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله الرحمن على الناس، سكتوا فلم يقولوا شيئاً. فقال رسول الله: الجنّ أحسن جواباً منكم. لمّا قرأت عليهم: «فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان» قالوا: لا بشيء من آلاء ربّنا نكذّب.[٦]

١ـ المصباح / ٥٩٣.
٢ـ المصباح / ٥٩٣.
٣ـ المصباح / ٥٩٣. و فيه: من أدمن قراءتها.
٤ـ المصباح / ٦١١.
٥ـ ثواب الأعمال / ١٤٣ ـ ١٤٤، ح ١.
٦ـ بحارالأنوار ١٨ / ٧٨.

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ».

لمّا كانت السورة مقصورة على تعداد النعم، صدّرها بالرحمن و قدّم ما هو أصل النعم الدينيّة و أجلّها و هو إنعامه بالقرآن و تنزيله و تعليمه. فإنّه أساس الدين.(١)

[٣ ـ ٤] «خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ».

عن الرضا عليه السلام في قوله: «خلق الإنسان» قال: ذاك أميرالمؤمنين. قلت: «علّم البيان»؟ قال: علّمه بيان كلّ شيء يحتاج إليه الناس.(٢)

قال الصادق عليه السلام: «البيان»: الاسم الأعظم الذي علم به كلّ شيء.(٣)

«علّمه البيان». إيماء بأنّه خلق البشر و ما تميّز به عن سائر الحيوان من البيان و هو التعبير عمّا في الضمير و إفهام الغير لما أدركه لتلقّي الوحي و تعرّف الحقّ و تعلّم الشرع. و إخلاء الجمل الثلاث التي هي أخبار للرحمن عن العاطف لمجيئها على وجه التعديد.(٤)

[٥] «الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ».

«بحسبان»: يجريان بحساب معلوم مقدّر في بروجهما و منازلهما و تتّسق بذلك أمور الكائنات السفليّة.(٥)

قلت: «الشمس و القمر بحسبان» ؟ قال: هما بعذاب الله. قلت: الشمس و القمر يعذّبان؟ قال: إنّهما آيتان من آيات الله مطيعان له، ضوؤهما من نور عرشه و حرّهما من جهنّم. فإذا كانت القيامة، عاد إلى العرش نورهما و عاد إلى النار حرّهما فلايكون شمس و لا قمر. و إنّما عناهما لعنهما الله. أو ليس قد روى الناس أنّ رسول الله قال: «إنّ الشمس و القمر نوران في النار»؟ قلت: بلى. قال: أما سمعت [قول الناس:] «فلان و فلان شمسا هذه الأمّة و نورها»؟

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥١.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٣.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٩٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥١.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥١.

فهما في النار. و الله ما عنى غيرهما.(١)

[٦] «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ».

قلت: «النجم و الشجر»؟ قال: النجم رسول الله. كما قال: «و علامات و بالنجم هم يهتدون».(٢) فالنجم رسول الله. و العلامات هم الأئمّة. و قوله: «يسجدان»؛ أي: يعبدان.(٣)

«و النجم»: النبات الذي ينجم؛ أي: يطلع من الأرض و لا ساق لها. «و الشجر»: الذي له ساق. «يسجدان»؛ أي: ينقادان لله فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد من المكلّفين طوعاً.(٤)

[٧] «وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ».

«رفعها»: خلقها مرتفعة محلّاً و رتبة. «و وضع الميزان»؛ أي: العدل بأن وفّر على كلّ مستعدّ مستحقّه و في كلّ ذي حقّ حقّه حتّى انتظم أمر العالم. كما قالعليه السلام: بالعدل قامت السموات و الأرض. أو: ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان و مكيال و نحوهما.(٥)

و قوله: «و السماء رفعها» قال: السماء رسول الله؛ رفعه الله إليه. و الميزان أميرالمؤمنين؛ نصبه لخلقه.(٦)

[٨ ـ ٩] «أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ».

«ألّاتطغوا»؛ أي: لأن لاتطغوا؛ أي: لاتعتدوا و لاتجاوزوا الإنصاف. «و لاتخسروا الميزان»؛ أي: لاتنقصوه. و تكريره مبالغة في التوصية به و زيادة حثّ على استعماله.(٧)

«ألّاتطغوا في الميزان». قال: لاتعصوا الإمام. «و أقيموا الوزن بالقسط». قال: أقيموا

١ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٣٤٣، عن الرضاعليه السلام.
٢ـ النحل (١٦) / ١٦.
٣ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٣٤٣، عن الرضاعليه السلام.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥١ ـ ٤٥٢.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٣، عن الرضاعليه السلام.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٢.

الإمام العدل و لاتبخسوا الإمام حقّه.(١)

[١٠ ـ ١١] «وَ الْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ».

«الأكمام»: كلّ ما يكمّ ـ أي: يغطّي ـ من ليفة و سعفة و كفرّاة و كلّه نتعع به كما ينتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره و جماره و جذوعه. و قيل الأكمام: أوعية التمر.(٢)

[١٢] «وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّيْحَانُ».

و «العصف»: ورق الزرع. و قيل: التبن. «و الريحان»: الرزق. و هو اللّبّ. أراد أنّ فيها الحبّ ذا العصف الذي هو علف الأنعام و الريحان الذي هو مطعم الناس.(٣)

«و الحبّ»: الحنطة و الشعير و الحبوب. «و العصف»: التبن.(٤) «و الريحان»: ما يؤكل.(٥)

ابن‌عامر: «و الحبّ ذا العصف و الريحانَ» بالنصب فيها جميعاً. أي: و خلق الحبّ و الريحان. و حمزة و الكسائيّ: «و الحبّ ذو العصف» بالرفع «و الريحان» بالجرّ. و الباقون بالرفع في الجميع.(٦)

[١٣] «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان». الخطاب للثقلين بدلالة الأنام عليهما و قوله: «سنفرغ لكم أيّها الثقلان».(٧)

«فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان». قال: في الظاهر مخاطبة الجنّ و الإنس. و في الباطن فلان و فلان. و عن أبي عبدالله عليه السلام؛ أي: فبأيّ النعمتين تكذّبان؟ بمحمّد أم بعليّ عليهما السلام ؟(٨)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٣، عن الرضا عليه السلام.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٤.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٤.

٤ـ في النسخة و المصدر: «التين». و لا وجه له.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٤.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٢، و مجمع البيان ٩ / ٢٩٧.

٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٥.

٨ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٤. و الحديث الأوّل آخر فقرة من رواية الإمام الرضا عليه السلام المذكورة متفرّقة ذيل الآيات السابقة.

فأمّا الوجه لتكرار «فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان» فإنّما هو التقرير بالنعم المعهودة و التأكيد في التذكير بها. فكلّما ذكر سبحانه نعمة قرّر عليها و وبّخ على التكذيب بها. كما يقول الرجل لغيره: أما أحسنت إليك حين أطلقت لك مالاً؟ أما أحسنت إليك حين ملّكتك عقاراً؟ أما أحسنت إليك حين بنيت لك داراً؟ فيحسن فيه التكرير.(١)

[١٤] «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ».

«صلصال»: هو الطين اليابس له صلصلة. و «الفخّار»: الطين المطبوخ بالنار، و هو الخزف. و قد خلقه من تراب جعله طيناً ثمّ حمأ مسنوناً ثمّ صلصالاً.(٢)

[١٥ ـ ١٦] «وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«و خلق الجانّ»: أبا الجنّ. قيل: هو إبليس. و المارج: اللّهب الصافي لا دخان فيه. و قيل: المختلط بسواد النار. و قوله: «من نار» بيان لمارج. كأنّه قيل: من صاف من نار أو مختلط من نار. أو أراد ناراً مخصوصة.(٣)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام و قد سئل عن اسم أبي الجنّ فقال: شومان. و هو الذي خلق من مارج من نار.(٤)

[١٧] «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«ربّ المشرقين». أراد مشرقي الصيف و الشتاء و مغربيهما.(٥)

«ربّ المشرقين و المغربين». إنّما كان نعمة لما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء و اختلاف الفصول و حدوث ما يناسب كلّ فصل فيه إلى غير ذلك.(٦)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «المشرقين» رسول الله و أميرالمؤمنين عليهما السلام. و «المغربين»

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٠١.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٥.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٥.
٤ـ عيون الأخبار الرضا ١ / ١٨٩، ح ١.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٢.

الحسن و الحسين.[١]

[١٩] «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ».

«مرج البحرين»؛ أي: أرسل البحر الملح و البحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بينهما في مرأى العين.[٢]

«البحرين»؛ أي: بحر فارس و الروم. «يلتقيان» في المحيط لأنّهما خليجان ينشعبان منه.[٣]

[٢٠ ـ ٢١] «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«برزخ»؛ أي: حاجز من الأرض لايبغي أحدهما على الأخر بالممازجة و إبطال الخاصيّة.[٤]

«بينهما برزخ»؛ أي: حاجز من قدرة الله. «لايبغيان»: لايتجاوزان حدّيهما و لايبغي أحدهما على الأخر بالممازجة.[٥]

[٢٢ ـ ٢٣] «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«اللّؤلؤ»: الدرّ. و «المرجان»: هذا الخرز الأحمر. و قيل: اللّؤلؤ كبار الدرّ، و المرجان صغاره. فإن قلت: لم قال: «منهما» و إنّما يخرجان من الملح؟ قلت: لمّا التقيا و صارا كالشيء الواحد، جاز أن يقال: يخرجان منهما. و قيل: لايخرجان إلّا من ملتقى الملح و العذب.[٦]

عن أميرالمؤمنين في قوله: «يخرج منهما اللّؤلؤ و المرجان» قال: من ماء السماء و من ماء البحر. فإذا مطرت، فتحت الأصداف أفواهها في البحر فيقع فيها من ماء المطر فتخلق

١ـ بحارالأنوار ٢٤ / ٩٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٣.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٥.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

اللّؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة و اللّؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة.[١]

و عن سلمان الفارسيّ و سعيد بن جبير و سفيان الثوريّ: انّ «البحرين» عليّ و فاطمة. «بينهما برزخ»: محمّد. «يخرج منهما اللّؤلؤ و المرجان»: الحسن و الحسين عليهما السلام. أهل البصرة و الكوفة: «يخرج» بفتح الراء و ضمّ الياء.[٢]

[٢٤ ـ ٢٥] «وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«الجوار»: السفن. «المنشآت»: المرفوعات الشرع. و قرئ بكسر الشين. أي: الرافعات الشرع، أو اللّاتي ينشئن الأمواج بجريهنّ. «كالأعلام»؛ أي: الجبال.[٣]

حمزة: «منشئات» بكسر الشين.[٤]

[٢٦ ـ ٢٨] «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«كلّ من عليها»؛ أي: على الأرض من المركّبات و الحيوانات أو الثقلين «فان». «و يبق وجه ربّك»؛ أي: ذاته. و لو استقرأت جهات الموجودات و تفحّصت وجوهها، وجدتها بأسرها فانية في حدّ ذاتها إلّا وجه الله؛ أي: الوجه الذي يلي جهته. «ذو الجلال و الإكرام»: ذو الاستغناء المطلق و الفضل العامّ. «فبأيّ آلاء ربّكما» من إبقاء ما لايحصى ممّا هو على صدر الفناء رحمة منه وفضلاً، أو ممّا ترتّب على إفناء الكلّ من الإعادة و الحياة الدائمة و النعيم المقيم.[٥]

«وجه ربّك»؛ أي: ذاته. و الوجه يعبّر به عن الجملة و الذات. «ذو الجلال». صفة الوجه. أي: الذي يجلّه الموحّدون عن التشبيه بخلقه و عن أفعالهم. أو: الذي يقال له: ما أجلّك و

١ـ قرب الإسناد / ٦٤.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٠٥ و ٣٠٣.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٦.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٠٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٣.

أكرمك! أو: من عنده الجلال و الإكرام للمخلصين من عباده. و هذه الصفة من عظيم صفات الله. فإن قلت: ما النعمة في ذلك؟ قلت: أعظم النعمة و هي مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك.[١]

عن الرضا عليه السلام: وجه الله أنبياؤه و حججه عليهم السلام الذين بهم يتوجّه إلى الله و إلى دينه و إلى معرفته.[٢]

عن عليّ عليه السلام: «إلّا وجهه»[٣]: إلّا دينه.[٤]

[٢٩] «يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«يسأله». المراد بالسؤال ما يدلّ على الحاجة إلى تحصيل شيء، نطقاً كان أم غيره. «في شأن»: يحدث أشخاصاً و يجدّد أحوالاً. «فبأيّ آلاء ربّكما»؛ أي: ما يسعف به سؤالكما و ما يخرج لكما من مكمن العدم شيئاً.[٥]

«يسأله من في السموات». يسأله أهل السموات ما يتعلّق بدينهم و أهل الأرض ما يتعلّق بدينهم و دنياهم. «هو في شأن». عنه صلى الله عليه و آله لمّا تلاها قيل له: و ما ذلك الشأن؟ فقال: من شأنه أن يغفر ذنباً و يفرّج كرباً و يرفع قوماً و يضع آخرين. و قيل: نزلت في اليهود حين قالوا: إنّ الله لايقضي يوم السبت شيئاً. و سأل عبد [الله] بن طاهر الحسين بن فضل عن هذه الآية و قال: قد صحّ أنّ القلم جفّ بما هو كائن إلى يوم القيامة. فقال الحسين: إنّها شؤون يبديها لا شؤون يبتدئها.[٦]

[٣١] «سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«سنفرغ». مستعار من قول الرجل لمن يتهدّده: سأفرغ لك. يريد: سأتجرّد للإيقاع بك

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

٢ـ عيون الأخبار ١ / ٩٤، ح ٣.

٣ـ القصص (٢٨) / ٨٨.

٤ـ الاحتجاج ١ / ٢٥٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٣.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٨.

من كلّ ما يشغلني عنك حتّى لايكون لي شغل سواه. و المراد التوفّر على الانتقام منه. و يجوز أن يريد: ستنتهي الدنيا و تنتهي عند ذلك شؤون الخلق الذي أرادها بقوله: «كلّ يوم هو في شأن» فلايبقى إلّا شأن واحد و هو جزاؤكم. فجعل ذلك فراغاً لهم على طريق المثل. «و الثقلان»: الإنس و الجنّ. سمّيا بذلك لأنّهما ثقلا الأرض.(١)

«أيّها الثقلان». قال: نحن و كتاب الله. و الدليل على ذلك قول رسول الله: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، و عترتي أهل بيتي.(٢)

أهل الكوفة غير عاصم: «سيفرغ» بالياء.(٣)

[٣٣] «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«يا معشر الجنّ و الإنس». كالترجمة لقوله: «أيّها الثقلان». «إن استطعتم» أن تهربوا من قضائي و تخرجوا من ملكوتي و من سمائي و أرضي، فافعلوا. ثمّ قال: لاتقدرون على النفوذ. «إلّا بسلطان»؛ يعني: بقوّة و قهر. و أنّى لكم ذلك؟ و روي أنّ الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق، فإذا رآهم الجنّ و الإنس هربوا، فلايأتون وجهاً إلّا رأوا الملائكة أحاطوا به.(٤)

«تنفذوا»؛ أي: تخرجوا من جوانب السموات و الأرض هاربين من الله. «إلّا بسلطان»؛ أي: بقوّة و قهر. أو: إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما في السموات و الأرض، فانفذوا لتعلموا لكن لاتنفذون و لاتعلمون إلّا ببيّنة نصبها الله فتعرجون عليها بأفكاركم. «فبأيّ آلاء ربّكما». أي من التنبيه و التحذير و المساهلة و العفو مع كمال القدرة، أو ما نصب من المصاعد العقليّة و المعارج النقليّة فتنفذون بها إلى ما فوق السموات العلى.(٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة، جمع الله العباد في صعيد واحد. و ذلك أنّه

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٨.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٥.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٠٧.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٨ ـ ٤٤٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٤.

يوحي إلى السماء الدنيا أن اهبطي بما فيك، فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجنّ و الإنس و الملائكة. [ثمّ يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرّتين.] فلايزالون كذلك حتّى يهبط أهل سبع سموات فيصير الجنّ و الإنس في سبع سرادقات من الملائكة ثمّ ينادي مناد: «يا معشر الجنّ و الإنس» [ـ الآية]. فينظرون، فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة. «أن تنفذوا من أقطار السموات»؛ أي: تخرجوا هاربين من الموت. و المعنى: حيث ما كنتم أدرككم الموت و لاتخرجون من سلطاني فأنا آخذكم بالموت.(١)

[٣٥ ـ ٣٦] «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«شواظ». و هو اللّهب الخالص. و النحاس: الدخان. و قيل: الصفر المذاب يصبّ على رؤوسهم. و عن ابن‌عبّاس: إذا خرجوا من قبورهم، ساقهم شواظ إلى المحشر. «فلاتنتصران»؛ أي: فلاتمتنعان.(٢)

«شواظ». قرأ ابن‌كثير بكسر الشين. ابن‌كثير و أهل البصره: «و نحاس» بالجرّ.(٣)

«فبأيّ آلاء ربّكما». فإنّ التهديد لطف و التمييز بين المطيع و العاصي بالجزاء و الانتقام من الكفّار في عداد الآلاء.(٤)

[٣٧ ـ ٣٨] «فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«كالدهان»: كدهن الزيت. و هو جمع دهن، أو اسم لما يدهن به. و قيل: الدهان: الأديم الأحمر.(٥)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣١١ و ٣١٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٩.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٠٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٤.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

«وردة كالدهان»: مذابة كالدهن.

[٣٩ ـ ٤٠] «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«و لا جانّ». أي بعضهم. أي لا يسألون لأنّهم يعرفون بسيما المجرمين و هي سواد الوجوه و زرقة العيون. فإن قلت: هذا خلاف قوله: «فوربّك لنسألنّهم أجمعين».[١] قلت: ذاك يوم طويل و فيه مواطن، فيسألون في موطن و لا يسألون في آخر. قال قتادة: قد كانت مسألة، ثمّ ختم على أفواه القوم فتكلّمت أيديهم و أرجلهم. و قيل: لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ.[٢]

«لا يسأل عن ذنبه». قال: منكم. يعني من الشيعة. «إنس و لا جانّ» قال: معناه: من توالى أميرالمؤمنين عليه السلام و تبرّأ من أعدائه و آمن بالله و أحلّ حلاله و حرّم حرامه، ثمّ دخل في الذنوب و لم يتب في الدنيا، عذّب بها في البرزخ و يخرج يوم القيامة و ليس له ذنب يسأل عنه يوم القيامة.[٣]

«فبأيّ آلاء ربّكما». أي ممّا أنعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم.[٤]

[٤١ ـ ٤٢] «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«فيؤخذ بالنواصي و الأقدام». عن الضحّاك: يجمع بين ناصيته و قدمه في سلسلة.[٥]

«بسيماهم». وهو ما يعلوهم من الكآبة و الحزن. «بالنواصي و الأقدام» مجموعاً بينهما. و قيل: يؤخذون بالنواصي تارة و بالأقدام أخرى.[٦]

عن معاوية الدهنيّ عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «يعرف المجرمون بسيماهم» قال:

١ـ الحجر (١٥) / ٩٢.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٠.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٥.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٤.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٥١.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٥.

يا معاوية، ما يقولون في هذا؟ قلت: يزعمون أنّ الله يعرف المجرمين بسيماهم في القيامة فيأمر بهم فيؤخذون بنواصيهم و أقدامهم فيلقون في النار. فقال لي: و كيف يحتاج تبارك و تعالى إلى معرفة [خلق] أنشأهم و هو خلقهم؟ فقلت: جعلت فداك؛ و ما ذلك؟ قال: لو قام قائمنا، أعطاه الله السيماء فيأمر بالكافرين فيؤخذ بنواصيهم و أقدامهم ثمّ يخبط بالسيف.(١)

[٤٣ ـ ٤٥] «هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

عن الرضا عليه السلام أنّه قيل له: إنّ قوماً يقولون: إنّ الجنّة و النار اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين. فقال عليه السلام: لا هم منّا و لا نحن منهم. من أنكر خلق الجنّة و النار، فقد كذّب النبيّ صلى الله عليه وآله و كذّبنا و ليس من ولايتنا في شيء و يخلّد في النار. قال الله: «هذه جهنّم التي» ـ الآية.(٢)

«حميم آن»: ماء حارّ قد انتهى حرّه و نضجه. أي: يعاقب عليهم بين التصلية بالنار و بين شرب الحميم. و قيل: إذا استغاثوا من النار، جعل غياثهم الحميم. و قيل: إنّ وادياً من أودية جهنّم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتّى تنخلع أوصالهم ثمّ يخرجون منها و قد أحدث الله لهم خلقاً جديداً.(٣)

«فبأيّ» ـ الآية. الوجه في ذلك أنّ التذكير بفعل العقاب و الإنذار به من أكبر النعم. [لأنّ] في ذلك زجراً عمّا يستحقّ به العذاب و بعثاً و حثّاً على فعل ما يستحقّ به الثواب.(٤)

[٤٦ ـ ٤٧] «وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«مقام ربّه»: توقّفه الذي يقف فيه. أو: مقامه بين يدي ربّه فترك المعصية و الشهوة. و قال الصادق عليه السلام: من علم أنّ الله يراه و يسمع ما يقول من خير و شرّ فيحجزه ذلك عن

١ـ بصائر الدرجات / ٣٧٦، ح ٨.
٢ـ عيون الأخبار ١ / ٩٤، ح ٣.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٥١.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣١٢.

القبيح من الأعمال، فله «جنّتان»[١]؛ أي: جنّة النعيم و جنّة عدن. [عن مقاتل]. و قيل: إحدى الجنّتين منزله و الأخرى منزل أزواجه و خدمه. و قيل: جنّة من فضّة و جنّة من ذهب.[٢]

«مقام ربّه»: موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة. من قوله: «يوم يقوم الناس لربّ العالمين».[٣] و يجوز أن يراد بمقام ربّه أنّ الله قائم عليه؛ أي: حافظ مهيمن ـ من قوله: «أفمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت»[٤] ـ فهو يراقب ذلك فلايجسر على معصيته. و قيل: هو مقحم. كما تقول: أخاف جانب فلان. فإن قلت: لم قال: «جنّتان»؟ قلت: الخطاب للثقلين. فكأنّه قيل: لكلّ خائفين منكما جنّتان، جنّة للخائف الإنسيّ و جنّة للخائف الجنّيّ. و يجوز أن يقال: جنّة لفعل الطاعات و جنّة لترك المعاصي، و أن يقال: جنّة يثاب بها، و جنّة على وجه التفضّل لقوله: «و زيادة»[٥].[٦]

[٤٨] «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

ثمّ وصف الجنّتين فقال: «ذواتا أفنان»؛ أي: ذواتا ألوان من النعيم و الفواكه. و قيل: ذواتا أغصان.[٧]

«ذواتا أفنان». خصّ الأفنان بالذكر، و هي الغصنة التي يتشعّب من فروع الشجرة، لأنّها هي التي تورق و تثمر فنها يمتدّ الظلال و منها يجتنى الثمار.[٨]

[٥٠ ـ ٥١] «فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

١ـ كذا في المصدر أيضاً. و الحديث مرويّ في الكافي ٢ / ٨٠، ح ١ أيضاً و في آخره: «... من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربّه و ...» و قد أدغم في المجمع بين كلامه عليه السلام و كلام مقاتل.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣١٤.

٣ـ المطفّفين (٨٣) / ٦.

٤ـ الرعد (١٣) / ٣٣.

٥ـ يونس (١٠) / ٢٦.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٥١ ـ ٤٥٢.

٧ـ مجمع البيان ٩ / ٣١٤.

٨ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٢.

«فيهما»؛ أي: في الجنّتين «عينان» من الماء «تجريان» بين أشجارهما. و قيل: عينان [إحداهما من ماء غير آسن و الأخرى] من خمر لذّة للشاربين.(١)

«عينان تجريان» بالماء الزلال إحداهما التسنيم و الأخرى السلسبيل.(٢)

[٥٢ ـ ٥٣] «فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«زوجان»: نوعان و ضربان يتشاكلان تشاكل الذكر و الأنثى. فلذلك سمّاهما زوجين. و ذلك كالرطب و اليابس من العنب و الزبيب و الرطب و اليابس من التين. و كذلك سائر الأنواع لايقصر يابسه عن رطبه في الفضل و الطيب.(٣)

«زوجان»: صنفان. قيل: صنف معروف و صنف غريب.(٤)

[٥٤ ـ ٥٥] «مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«متّكئين». حال ممّن ذكر في قوله: «لمن خاف مقام ربّه». أي: جالسين كالملوك «على فرش بطائنها من إستبرق»؛ أي: ديباج غليظ. و أمّا الظهائر فهي من سندس و هو الديباج الرقيق. «و جنى الجنّتين دان». الجنى: الثمر المجنيّ. أي تدنو الشجرة حتّى يجتنيها وليّ الله.(٥)

«بطائنها من إستبرق» و ظواهرها من نور.(٦)

[٥٦ - ٥٧] «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«قاصرات الطرف»: قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ لم يردن غيرهنّ. و الطرف: جفن العين. «لم يطمثهنّ»؛ أي: لم يفتضّهن. أي إنّهنّ أبكار. قرأ الكسائيّ وحده: «لم يطمثهنّ» بكسر

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣١٤.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٢.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣١٤.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٢.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٣١٤ ـ ٣١٥.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٢.

الميم في إحداهما و ضمّها في الأخرى، و الباقون بكسر الميم في الحرفين معاً.[١]

«فيهنّ»؛ أي: في هذه الآلاء المعروفة من الجنّتين و العينين و الفاكهة و الفرش. أو: في الجنّتين، لاشتمالهما على أماكن و قصور و مجالس. «قاصرات الطرف»؛ أي: نساء قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ.[٢]

«قاصرات الطرف». قال: الحورالعين يقصر الطرف عنها من ضوء نورها.[٣]

[٥٨ ـ ٥٩] «كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«الياقوت و المرجان» في الصفاء و البياض. و قال الحسن: المرجان أشدّ من اللّؤلؤ بياضاً. و في الحديث: انّ المرأة من أهل الجنّة يرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلّة من حرير.[٤]

«الياقوت و المرجان». أي في حمرة الوجه و بياض البشرة و صفائها.[٥]

[٦٠] «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«هل جزاء الإحسان» في العمل «إلّا الإحسان» في الثواب.[٦]

«هل جزاء الإحسان»؛ أي: ليس جزاء من أحسن في الدنيا إلّا أن يحسن إليه في الآخرة. و عنه صلى الله عليه و آله: يقول سبحانه: هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلّا الجنّة. و قيل: معناه: هل جزاء من أحسن إليكم بهذه النعم إلّا أن تحسنوا في شكره و عبادته. و عن أبي عبدالله عليه السلام: آية في كتاب الله مسجّلة. قول الله: «هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان». جرت في الكافر و المؤمن و البرّ و الفاجر. و من صنع إليه معروف، فعليه أن يكافئ به. و ليس المكافاة أن تصنع كما صنع حتّى يرضى.[٧] فإن صنعت كما صنع، كان له الفضل

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣١٥ و ٣١٣.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٣.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٦.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣١٥.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٦.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٣.

٧ـ المصدر: يربي.

بالابتداء.[۱]

عن الصادق عليه السلام: لعن الله قاطعي طريق المعروف. قيل: و ما قاطعي سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره.[۲]

[٦٢ـ٦٣] «وَ مِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«و من دونهما جنّتان»؛ أي: من دون تلك الجنّتين الموعودتين للمقرّبين جنّتان لمن دونهم من أصحاب اليمين.[۳]

«و من دونهما»؛ أي: من دون الجنّتين اللّتين ذكرناهما لمن خاف مقام ربّه، جنّتان أخراوان دون الأولبين. فإنّهما أقرب إلى قصره ليتضاعف له السرور بالنقل من جنّة إلى جنّة على ما هو معروف من طبع البشر. و معنى دون هنا مكان قريب من الشيء بالإضافة إلى غيره. و قيل: المعنى أنّهما دون الجنّتين في الفضل. فقد روي عنه صلى الله عليه و آله أنّه قال: جنّتان من فضّة آنيتهما و ما فيهما. و جنّتان من ذهب آنيتهما و ما فيهما. و عن العلاء بن سيابة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ الناس يتعجّبون منّا اذا قلنا يخرج قوم من النار فيدخلون الجنّة، فيقولون لنا: فيكونون مع أولياء الله في الجنّة! فقال: يا علاء، إنّ الله يقول: «و من دونهما جنّتان». لا و الله ما يكونون مع أولياء الله. قلت: كانوا كافرين؟ قال: لا. قلت: مؤمنين؟ قال: لا. لو كانوا كافرين، لايدخلون الجنّة. و لو كانوا مؤمنين، لايدخلون النار. ولكن بين ذلك. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إنّ المؤمنين يدخلان الجنّة فيكون أحدهما أرفع مكاناً من الآخر فيشتهي أن يلقى صاحبه. قال: من كان فوقه، فله أن يهبط. و من كان تحته، فلم يكن له أن يصعد. لأنّه لم يبلغ ذلك المكان. ولكنّهم إذا أحبّوا ذلك و اشتهوه، التقوا على الأسرّة.[٤]

«و من دونهما جنّتان». قال: جنّتان خضراوتان في الدنيا يأكل المؤمنون منهما حتّى

۱ـ مجمع البيان ۹ / ۳۱۵ ـ ۳۱٦.

۲ـ الفقيه ۲ / ۳۱، ح ۱۲۳.

۳ـ الكشّاف ٤ / ٤٥۳.

٤ـ مجمع البيان ۹ / ۳۱۸ ـ ۳۱۹.

يفرغ من الحساب.[١]

[٦٤ـ ٦٥] «مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«مدهامّتان»: قد ادهامّتا من شدّة الخضرة.[٢]

«مدهامّتان»: خضراوان تضربان إلى السواد من شدّة الخضرة. و فيه إشعار بأنّ الغالب على هاتين الجنّتين النبات و الرياحين المنبسط على وجه الأرض و على الأوليين الأشجار و الفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «مدهامّتان» قال: تتّصل ما بين مكّة و المدينة.[٤]

[٦٦] «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«نضّاختان». فوّارتان بالماء.[٥]

[٦٨ـ ٦٩] «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«و نخل و رمّان». و إنّما عطفهما على الفاكهة لأنّ النخل فاكهة و غذاء و رمّان فاكهة و دواء فلم يخلصا للتفكّه. ومنه قال أبوحنيفة: إذا حلف لايأكل فاكهة فأكل رمّاناً أو رطباً، لم يحنث. و خالفه صاحباه.[٦]

[٧٠ـ ٧١] «فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«خيرات»: خيّرات، فخفّف. و قرئ على الأصل. و المعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق.[٧]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٥، عن الصادق عليه السلام.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٦.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٦.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٣.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٣.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٤.

«خيرات حسان». قال: جوار نابتات على شطّ الكوثر كلّما أخذت واحدة نبتت مكانها أخرى.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «خيرات حسان» قال: هنّ صوالح المؤمنات العارفات.(٢)

و قال عليه السلام في قول الرجل للرجل: جزاك الله خيراً، قال: إنّ خيراً نهر في الجنّة مخرجه من الكوثر. و الكوثر مخرجه من ساق العرش. عليه منازل الأوصياء و شيعتهم. على حافتي ذلك النهر جوار نابتات كلّما قلعت واحدة نبتت أخرى. يسمّى(٣) بذلك النهر. و ذلك قوله: «فيهنّ خيرات حسان». فإذا قال الرجل للرجل: جزاك الله خيراً، فإنّما يعني بذلك المنازل التي أعدّها الله لصفوته و خيرته.(٤)

و قال الصادق عليه السلام: الخيرات الحسان نساء أهل الدنيا. و هنّ أجمل من الحور العين.(٥)

[٧٢ ـ ٧٣] «حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«مقصورات»: قصرن في خدورهنّ. يقال: امرأة مقصورة؛ أي: مخدّرة. و قيل: إنّ الخيمة من خيامهنّ درّة مجوّفة.(٦)

«مقصورات في الخيام». قال: لكلّ خيمة أربعة أبواب، على كلّ باب سبعون كاعباً حجّاباً لهنّ.(٧)

«مقصورات»: مقصورات الطرف على أزواجهنّ.(٨)

[٧٤ ـ ٧٥] «لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«قبلهم»؛ أي: قبل أصحاب الجنّتين. دلّ عليهم ذكر الجنّتين.(٩)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٦.
٢ـ الكافي ٨ / ١٥٦، ح ١٤٧.
٣ـ المصدر: سمّي. و في كنز الدقائق ١٢ / ٥٩١ : سمّين تلك الجواري باسم ذلك النهر.
٤ـ الكافي ٨ / ٢٣٠، ح ٢٩٨.
٥ـ الفقيه ٣ / ٢٩٩ ـ ٣٠٠، ح ١٤٣٢.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٤.
٧ـ الكافي ٨ / ١٥٦ ـ ١٥٧، ح ١٤٧، عن الصادق عليه السلام.
٨ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٦ ـ ٤٥٧.
٩ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٤.

[٧٦ ـ ٧٧] «مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

«متّكئين». نصب على الاختصاص. «على رفرف»: ضرب من البسط. و قيل: الوسائد. و قيل: كلّ ثوب عريض. «عبقريّ». منسوب إلى عبقر. تزعم العرب أنّه ـ أي العبقريّ ـ بلد الجنّ فينسبون إليه كلّ شيء عجيب. فإن قلت: كيف تقاصرت صفات هاتين الجنّتين عن الأوليين حتّى قيل: «و من دونهما»؟ قلت: مدهامّتان دون ذواتا أفنان. و نضّاختان دون تجريان. و فاكهة دون كلّ فاكهة. و كذلك صفة الحور و المتّكأ.[١]

«العبقريّ»: الزرابيّ. و قيل: الديباج. و قيل: هي البسط.[٢]

[٧٨] «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ».

«تبارك اسم ربّك»: تعالى اسمه من حيث إنّه مطلق على ذاته. فما ظنّك بذاته؟ و قيل: الاسم بمعنى الصفة أو مقحم. ابن‌عامر: «ذو الجلال» بالرفع صفة للاسم.[٣]

«تبارك اسم ربّك». عن أبي جعفر عليه السلام قال: نحن جلال الله و كرامته التي أكرم الله العباد بطاعتنا و محبّتنا.[٤]

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٤.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٢٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٧.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٦.

٥٦.
سورة الواقعة

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ في كلّ ليلة جمعة الواقعة، أحبّه الله و حبّبه إلى الناس، و لم ير في الدنيا بؤساً و لا فقراً أبداً و لا آفة من آفات الدنيا، و كان من رفقاء أميرالمؤمنين عليه السلام. و هذه السورة لأميرالمؤمنين وحده. و من اشتاق إلى الجنّة و إلى صفتها، فليقرأ الواقعة. و من أحبّ أن ينظر إلى صفة النار، فليقرأ سجدة لقمان.[١]

و عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ الواقعة قبل أن ينام كلّ ليلة، لقي الله و وجهه كالقمر ليلة البدر.[٢]

و عنه صلى الله عليه وآله ـ وقد قيل له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله ـ قال: شيّبني[٣] هود و المرسلات و الواقعة.[٤]

عن الرضا عليه السلام للثالول؛ قال: خذ لكلّ ثالول سبع شعيرات و اقرأ على كلّ شعيرة سبع مرّات: «إذا وقعت الواقعة» إلى قوله: «منبثّاً» و قوله: «يسألونك عن الجبال» إلى قوله: «عوجاً و لا أمتاً».[٥] ثمّ تأخذ الشعير شعيرة شعيرة فامسح بها على كلّ ثالول، ثمّ صيّرها في خرقة جديدة و اربط على الخرقة حجراً و ألقها في كنيف. وينبغي أن يفعل ذلك في محاق الشهر.[٦]

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٤، ح ١.

٢ـ ثواب الأعمال / ١٤٤، ح ٢.

٣ـ المصدر: شيّبتني.

٤ـ الخصال ١ / ١٩٩، ح ١٠.

٥ـ طه (٢٠) / ١٠٥ ـ ١٠٧.

٦ـ عيون الأخبار ٢ / ٥٠، ح ١٩٣.

الواقعة: تسهّل الولادة تعليقاً.[١]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ».

«إذا وقعت الواقعة»؛ أي: إذا حدثت القيامة. سمّاها واقعة لتحقّق وقوعها. و انتصاب إذا بمحذوف، أي اذكر أو كان كيت و كيت.[٢]

[٢] «لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ».

«ليس لوقعتها كاذبة»؛ أي: لاتكون حين تقع نفس تكذب على الله و تكذب في نفيها كما تكذب الآن. و اللّام مثلها في قوله: «قدّمت لحياتي».[٣] أو: ليس لأجل وقعتها كاذبة. فإنّ من أخبر عنها صدق. أو: ليس لها حينئذ نفس تحدّث صاحبها بإطاقة شدّتها و احتمالها و تغريه عليها. من قولهم: كذبت فلاناً نفسه في الخطب العظيمة، إذا شجّعته عليه و سوّلت له أنّه يطيقه.[٤]

[٣] «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ».

«خافضة رافعة»: ترفع أقواماً و تخفض آخرين. و هو تقرير لعظمتها ـ فإنّ الوقائع العظام كذلك ـ أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله و رفع أوليائه و إزالة الأجرام عن مقارّها بنثر الكواكب و تسيير الجبال في الجوّ.[٥]

[٤] «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً».

«إذا رجّت الأرض»؛ أي: حرّكت تحريكاً شديداً حتّى ينهدم كلّ شيء فوقها. و نصب «إذا» إمّا لأنّه بدل من إذا وقعت، أو بخافضة، لأنّه عند ذلك ينخفض ماهو مرتفع و يرتفع ما

١ـ المصباح / ٦١١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٨.
٣ـ الفجر (٨٩) / ٢٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٨.

هو منخفض.[١]

«إذا رجّت الأرض رجّاً». قال: يدقّ بعضها على بعض.[٢]

[٥] «وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً».

«و بسّت الجبال»؛ أي: فتّتت حتّى تعود كالسويق. أو: سيقت. من بسّ الغنم، إذا ساقها.[٣]

«و بسّت الجبال». قال: قلعت الجبال قلعاً.[٤]

[٦] «فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً».

«هباء». قال: الهباء الذي يدخل في الكوّة من شعاع الشمس.[٥]

«هباء»: غباراً.[٦]

«منبثّاً»: متفرّقاً.[٧]

[٧] «وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً».

«أزواجاً»؛ أي: أصنافاً.[٨]

«و كنتم أزواجاً ثلاثة». قال: يوم القيامة.[٩]

[٨ ـ ١٠] «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ * وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ».

«فأصحاب الميمنة». قال: هم المؤمنون من أصحاب التبعات موقوفون للحساب. «و

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٦.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٦.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٦.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٦.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٨، و مجمع البيان ٩ / ٣٢٤.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٦.
٨ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٦.
٩ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٦.

السابقون»: الذين سبقوا إلى الجنّة.[١]

«فأصحاب الميمنة»: الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم. «وأصحاب المشأمة» يؤتونها بشمائلهم. أو: أصحاب المنزلة السنيّة، و أصحاب المنزلة الدنيّة. من قولك: فلان منّي باليمين، و فلان منّي بالشمال. و قيل: أصحاب الميمنة أصحاب اليمن. و أصحاب المشأمة أصحاب الشؤم. لأنّ السعداء ميامين على أنفسهم بطاعاتهم و الأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم. و قيل: يؤخذ بأهل الجنّة ذات اليمين و بأهل النار ذات الشمال. «و السابقون»: المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه. و قيل: الناس ثلاثة. فرجل ابتكر الخير في حداثة سنّه و دام عليه حتّى خرج من الدنيا. فهذا السابق المقرّب. و رجل ابتكر عمره بالذنوب و طول الغفلة، ثمّ تراجع بتوبة. فهذا صاحب اليمين. و رجل ابتكر الشرّ في حداثة سنّه، ثمّ لم يزل عليه حتّى خرج من الدنيا. فهذا صاحب الشمال. «ما أصحاب الميمنة» و «ما أصحاب المشأمة» تعجيب من حال الفريقين في السعادة و الشقاوة. و المعنى: أيّ شيء هم؟ «و السابقون السابقون». يريد: و السابقون من عرفت حالهم و بلغك وصفهم. كقول أبي‌النجم: «و شعري شعري». [كأنّه] قال: و شعري ما انتهى إليك و سمعت بفصاحته و براعته.[٢]

عن ابن‌عبّاس: انّ سابق هذه الأمّة عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام.[٣]

و عنه صلّى الله عليه و آله في قوله: «السابقون السابقون» قال: هم عليّ و شيعته السابقون إلى الجنّة.[٤]

[١١] «أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

«المقرّبون في جنّات النعيم»: الذين قربت درجاتهم في الجنّة من العرش.[٥]

[١٣ ـ ١٤] «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٦ ـ ٤٥٨.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٤١، ح ١.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٤٣، ح ٦.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٨.

«ثلّة»؛ أي: هم ثلّة.[١]

«ثلّة من الأوّلين». الثلّة: الأمّة من الناس الكثيرة. من الثلّ و هو الكسر. كأنّها جماعة كسرت من الناس و قطعت منهم. و معناه أنّ السابقين كثير من الأوّلين و هم الأمم من لدن آدم إلى محمّد صلى الله عليه وآله. «و قليل من الآخرين». و هم أمّة محمّد. و قيل: «من الأوّلين» من متقدّمي هذه الأمّة. و «من الآخرين» من متأخّريها. و عنه صلى الله عليه وآله: الثلثان جميعاً من أمّتي. فإن قلت: كيف قال: «و قليل من الآخرين» ثمّ قال: «و ثلّة من الآخرين»؟[٢] قلت: هذا في السابقين و ذاك في أصحاب اليمين و معناه أنّهم يتكاثرون من الأوّلين و الآخرين جميعاً.[٣]

و عن جعفر بن محمّد عليه السلام في قوله: «ثلّة من الأوّلين»: ابن آدم الذي قتله أخوه، و مؤمن آل فرعون، و حبيب النجّار صاحب يس. «و قليل من الآخرين»: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «ثلّة من الأوّلين» قال: خربيل[٥] مؤمن آل فرعون. «و ثلّة من الآخرين». قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[٦]

[١٥] «عَلىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ».

«موضونة»؛ أي: منسوجة بالذهب مشبّكة بالدرّ و الياقوت دخل بعضها في بعض كما يوضن حلق الدرع. و قيل: متواصلة أدني بعضها من بعض.[٧]

[١٦] «مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ».

«متقابلين» لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض. وصفوا بحسن العشرة و الآداب.[٨]

[١٧] «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ».

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٩.
٢ـ الواقعة (٥٦) / ٤٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٨ ـ ٤٥٩.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٤٣، ح ٧.
٥ـ المصدر: حزقيل.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٨.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥٩.
٨ـ الكشّاف ٤ / ٤٥٩.

«مخلّدون»: مبقون أبداً على شكل الولدان. و قيل: المقرّطون. و الخلدة: القرط. و قيل: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها و لا سيّئات فيعاقبوا عليها. عن عليّ عليه السلام.[۱]

[۱۸] «بِأَكْوَابٍ وَ أَبَارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ».

«بأكواب» و هي الأواني بلا عرًى و خراطيم. و الأباريق: ذات الخراطيم. و المعين: الخمر.[۲]

[۱۹] «لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَ لَا يُنْزِفُونَ».

«لايصدّعون عنها»؛ أي: بسببها. و حقيقته: لايصدر صداعهم عنها. أو: لايفرّقون عنها. «و لاينزفون»: لاينزف عقولهم. أو: لاينفد شرابهم.[۳]

«و لاينزفون». من باب الإفعال عاصم. و حمزة و الباقون: «ينزفون» بفتح الزاء.[٤]

[۲۰ ـ ۲٤] «وَ فَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَ حُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«يتخيّرون»: يأخذون خيره و أفضله. «و حور عين»؛ أي: فيها حور عين. أو عطف على «ولدان». و قراءة حمزة [و الكسائيّ] بالجرّ للعطف على «جنّات» بتقدير مضاف. أي: هم في جنّات و مصاحبة حور.[٥] «المكنون»: المصون عمّا يضرّ به في الصفاء و النقاء.[٦]

[۲٥ ـ ۲٦] «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَ لَا تَأْثِيماً * إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً».

۱ـ الكشّاف ٤ / ٤٥۹.

۲ـ الكشّاف ٤ / ٤٥۹ ـ ٤٦۰، و تفسير البيضاويّ ۲ / ٤٥۹.

۳ـ الكشّاف ۲ / ٤٦۰، و تفسير البيضاويّ ۲ / ٤٥۹.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ۲۷ / ۹۹.

٥ـ في النسخة زيادة: حمزة و الكسائيّ: «و حور» بالجرّ.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٦۰، و تفسير البيضاويّ ۲ / ٤٦۰.

«لغواً»؛ أي: باطلاً. «و لا تأثيماً»؛ أي: ولا نسبة إلى الإثم. أي لا يقال لهم أثمتم.[١]

«سلاماً سلاماً». إمّا بدل من «قيلاً» بدليل قوله: «لا يسمعون فيها [لغواً إلّا سلاماً».[٢] و إمّا مفعول به لقيلاً بمعنى: لا يسمعون فيها] إلّا أن يقولوا سلاماً سلاماً، و المعنى أنّهم يفشون السلام بينهم فيسلّمون سلاماً بعد سلام.[٣]

[٢٧] «وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ».

[٢٨] «فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ».

«سدر مخضود». السدر»: شجرة النبق. و المخضود: الذي لا شوك له. كأنّما خضد شوكه. و قيل: المخضود: الذي يثني أغصانه كثرة حمله.[٤]

قال الضحّاك: نظر المسلمون إلى وجّ ـ و هو واد مخصب بالطائف ـ فأعجبهم سدره و قالوا: يا ليت لنا مثل هذا. فنزلت.[٥]

[٢٩] «وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ».

«و طلح». هو شجرة الموز. و قيل: شجر أمّ غيلان، و له نوار كثيرة طيّب الرائحة. و قيل: هو شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل. و عن عليّ عليه السلام أنّه قرأ: «و طلع». و ما شأن الطلح؟ و قرأ قوله: «لها طلع نضيد».[٦] فقيل له: أو نحوّلها؟ فقال: آي القرآن لا تهاج اليوم و لا تحوّل. و عن ابن عبّاس نحوه. و المنضود: الذي نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة.[٧]

و الطلح، قيل: هوشجر يكون باليمن و بالحجاز من أحسن الشجر منظراً. و إنّما ذكر

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٠.
٢ـ مريم (١٩) / ٦٢.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٠.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٦١.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٣٢٩.
٦ـ ق (٥٠) / ١٠.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٦١.

هاتين الشجرتين لأنّ العرب كانوا يعرفون ذلك. فإنّ عامّة أشجارهم أمّ غيلان ذات أنوار و رائحة طيّبة.[١]

[٣٠] «وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ».

«و ظلّ ممدود»: منبسط لايتقلّص كظلّ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.[٢]

[٣١] «وَ مَاءٍ مَسْكُوبٍ».

«و ماء مسكوب»: يسكب لهم أين شاؤوا و كيف شاؤوا لايتعنّون فيه. و قيل: دائم الجرية لاينقطع. و قيل: مصبوب يجري على الأرض في غير أخدود.[٣]

[٣٢ـ ٣٣] «وَ فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَ لَا مَمْنُوعَةٍ».

«لا مقطوعة» في بعض الأوقات كفواكه الدنيا. «و لا ممنوعة» عن متناولها بوجه و لايحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا.[٤]

[٣٤] «وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ».

«فرش»: جمع فراش. «مرفوعة»: نضدت حتّى ارتفعت. أو: مرفوعة على الأسرّة. و قيل: هي النساء ـ لأنّ المرأة يكنّى عنها بالفراش ـ مرفوعة على الأرائك. قال الله: ««هم و أزواجهم في ظلال على الأرائك متّكئون».[٥] و يدلّ عليه قوله: «إنّا أنشأناهنّ إنشاء». و على التفسير الأوّل، أضمر لهنّ لأنّ ذكر الفراش ـ و هي المضاجع ـ دلّ عليهنّ.[٦]

«فرش مرفوعة». قيل: معناه: نساء مرتفعات القدر في عقولهنّ و حسنهنّ. و لذلك عقبّه

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٢٩ـ ٣٣٠.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٦١.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٦١.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٦١.

٥ـ يس (٣٦) / ٥٦.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٦١.

بقوله: «إنّا أنشأناهنّ».(١)

[٣٥ ـ ٣٧] «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً».

«أنشأناهنّ»: ابتدأنا خلقهنّ ابتداء جديداً من غير ولادة. فإمّا أن يراد اللاّتي ابتدئ إنشاؤهنّ، أو اللاّتي أعيد إنشاؤهنّ. و عنه صلى الله عليه و آله لمّا سألته أمّ سلمة عنهنّ فقال: هنّ اللّواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاً رمصاً. جعلهنّ الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء. كلّما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكاراً. «عربا». جمع عروب، و هي المتحبّبة إلى زوجها الحسنة التبعّل. «أترابا»: مستويات في السنّ بنات ثلاث و ثلاثين سنة. و أزواجهنّ أيضاً كذلك.(٢)

«عرباً»: لا يتكلّمون إلّا بالعربيّة.(٣)

«عرباً أتراباً». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: العروبة الغنجة الرضيّة الشهيّة. لها سبعون ألف وصيف و سبعون ألف وصيفة عليهنّ تيجان اللّؤلؤ بأيديهم الأكواب و الأباريق.(٤)

[٣٨ ـ ٤٠] «لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ».

[«لأصحاب اليمين»: أصحاب أميرالمؤمنين.](٥) «ثلّة من الأوّلين». قال: من الطبقة التي كانت مع النبيّ صلى الله عليه و آله. «و ثلّة من الآخرين». قال: بعد النبيّ من هذه الأمّة.(٦)

[٤١] «وَ أَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ».

«و أصحاب الشمال». قال: أصحاب الشمال أعداء آل محمّد.(٧)

[٤٢] «فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٣٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٦١ ـ ٤٦٢.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٨.
٤ـ بحارالأنوار ٩٧ / ١٢.
٥ـ في النسخة: «و فيه» بدل ما بين المعقوفتين. ذكر المؤلّف رحمه الله هذه الفقرة بعد ما نقل عن القمّيّ في تفسير الآية ١٣ و ١٤.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٨ ـ ٣٤٩.
٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٩.

«في سموم و حميم». قال: السموم: اسم النار. و الحميم: ماء قد أحمي.[١]

«في سموم»: في حرّ نار ينفذ في المسامّ. «و حميم»: و ماء حارّ متناهي الحرارة.[٢]

[٤٣ ـ ٤٤] «وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَ لَا كَرِيمٍ».

«و ظلّ من يحموم». قال: ظلمة شديدة.[٣]

«من يحموم»؛ أي: دخان أسود شديدة السواد. و قيل: اليحموم جبل في جهنّم يستغيث أهل النار إلى ظلّه. ثمّ نعت ذلك الظلّ فقال: «لا بارد» المنزل «و لا كريم» المنظر.[٤]

«و ظلّ من يحموم»: من دخان أسود بهيم. «لا بارد و لا كريم». نفي لصفتي الظلّ [عنه]. يريد أنّه ظلّ لكن لا كسائر الظلال. سمّاه ظلّاً ثمّ نفى عنه برد الظلّ و روحه و نفعه من يأوي إليه من أذى الحرّ ـ و ذلك كرمه ـ ليمحق ما في مدلول الظلّ من الاسترواح إليه. و المعنى أنّه ظلّ حارّ ضارّ إلّا أنّ للنفي في نحو هذا شأناً ليس للإثبات. و فيه تهكّم بأصحاب المشأمة و أنّهم لا يستأهلون الظلّ البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنّة.[٥]

[٤٥ ـ ٤٦] «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُتْرَفِينَ * وَ كَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ».

«مترفين»؛ أي: منهمكين في الشهوات. و «الحنث العظيم» هو الشرك.[٦]

«على الحنث». و هو الذنب.[٧]

«على الحنث»؛ أي: الذنب.[٨]

[٤٧ ـ ٤٨] «وَ كَانُوا يَقُولُونَ أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَاباً وَ عِظَاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَ وَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٩.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٣٣.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٣.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦١.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٣.
٨ـ مجمع البيان ٩ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

«أ إنّا». كرّرت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقاً و خصوصاً في هذا الوقت. كما أدخلت على العاطفة في قوله: «أو آباؤنا» للدلالة على أنّ ذلك أشدّ إنكاراً في حقّهم لتقدّم زمانهم و للفصل بالهمزة حسن العطف على المستكنّ في «المبعوثون». نافع و ابن‌عامر: «أو آباؤنا» بسكون الواو.[١]

[٤٩ ـ ٥٠] «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ».

«ميقات يوم معلوم»: إلى ما وقّتت به الدنيا من يوم معلوم. و الإضافة بمعنى من كخاتم فضّة.[٢]

[٥١ ـ ٥٥] «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ».

«المكذّبون» بالبعث. و هم أهل مكّة و من في مثل حالهم. «من شجر من زقّوم». من الأولى لابتداء الغاية، و الثانية لبيان الشجر. و أنّث ضمير الشجر على المعنى و ذكّره على اللّفظ في قوله: «منها» و «عليه». «فشاربون شرب الهيم». و هي الإبل التي بها الهيام، و هو داء تشرب منه فلاتروى. فإن قلت: كيف عطف الشاربين على الشاربين؟ و هما لذوات متّفقة و صفتان متّفقتان فكان عطفاً للشيء على نفسه! قلت: ليستا بمتّفقتين من حيث إنّ كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة و قطع الأمعاء أمر عجيب و شربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضاً، فكانتا صفتين مختلفتين.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام في الرجل يشرب بنفس واحد قال: لا بأس.[٤] و في خبر آخر: و هل اللّذّة إلّا ذاك؟ قيل له: إنّهم يقولون إنّه شرب الهيم. فقال: كذبوا. إنّما شرب الهيم ما

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦١.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٣.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٣ ـ ٤٦٤.
٤ـ معاني الأخبار / ١٤٩، ح ١.

لم يذكر اسم الله عليه.[١] و روى المجلسيّ عنه عليه السلام قال: ثلاثة أنفاس في الشرب أفضل من نفس واحد في الشرب. قال: و كان يكره أن يشبه الهيم بنفس واحد. و الهيم: الابل.[٢]

أهل المدينة و عاصم و حمزة: «شرب الهيم» بضمّ الشين، و الباقون بالفتح.[٣]

[٥٦] «هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ».

«هذا نزلهم». النزل: الرزق الذي يعدّ للنازل تكرمة له. و فيه تهكّم؛ كما في قوله: «فبشّرهم بعذاب أليم».[٤][٥]

«هذا نزلهم يوم الدين»: هذا ثوابهم يوم الجازاة.[٦]

[٥٧] «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تُصَدِّقُونَ».

«فلولا تصدّقون». تحضيض على التصديق إمّا بالخلق، لأنّهم و إن كانوا مصدّقين به إلّا أنّه لمّا كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق، فكأنّهم مكذّبون به؛ و إمّا بالبعث، لأنّ من خلق أوّلاً لم يمتنع أن يخلق ثانياً.[٧]

[٥٨] «أَ فَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ».

«ما تمنون»: ما تمنونه؛ أي: تقذفونه في الأرحام من النطف.[٨]

[٥٩] «أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ».

[٦٠ ـ ٦١] «نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ❊ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ».

١ـ معاني الأخبار / ١٤٩، ح ٢.

٢ـ بحارالأنوار ٦٣ / ٤٧٣، و معاني الأخبار / ١٤٩، ح ٣.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٣٢.

٤ـ آل عمران (٣) / ٢١.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٤.

٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٩.

٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٥.

٨ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٥.

«قدّرنا بينكم الموت»: قسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف و تفاوت ـ كما تقتضيه مشيّتنا ـ فاختلف أعماركم من قصير و طويل و متوسّط. «بمسبوقين». سبقته على الشيء، إذا غلبته عليه. فمعنى قوله: «و ما نحن بمسبوقين على أن نبدّل أمثالكم»: انّا قادرون على ذلك لاتغلبوننا عليه. [و أمثالكم جمع مثل.] أي: على أن نبدّل منكم أشباهكم من الخلق. «و ننشئكم فيما لاتعلمون»: و على إنشائكم في خلقة لاتعلمونها و ما عهدتم بمثلها. يعني: انّا نقدر على الأمرين جميعاً؛ على خلق ما يماثلكم و ما لايماثلكم. فكيف نعجز عن إعادتكم؟ و يجوز أن يكون أمثالكم جمع مَثَل بالتحريك لا السكون. أي: على أن نغيّر و نبدّل طبقاتكم التي أنتم عليها في خلقكم و أخلاقكم و ننشئكم في صفات لاتعلمونها.(١)

ابن‌كثير: «قدّرنا» بالتخفيف. «بمسبوقين»: لايسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغيّر وقته. «على أن نبدّل». حال أو علّة لقدرنا. و على بمعنى اللّام. «و ما نحن بمسبوقين» اعتراض.(٢)

[٦٢] «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولىٰ فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ».

«فلولا تذكّرون» أنّ من قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الأخرى؟ فإنّها أقلّ صنعاً لحصول الموادّ و تخصيص الأجزاء و سبق المثال.(٣)

[٦٣] «أَ فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ».

«ما تحرثون»؛ أي: تحرثونه من الطعام؛ أي: تبذرون حبّه.(٤)

[٦٤] «أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ».

«تزرعونه»: تنبتونه نباتاً إلى أن يبلغ الغاية. و عن رسول الله ﷺ: لايقولنّ أحدكم:

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٥.

زرعت. وليقل: حرثت.[١]

«أم نحن الزارعون». يعني أنّ من قدر على إنبات الزرع من الحبّة الصغيرة و أن يجعلها حبوباً كثيرة، قدر على إعادة الخلق إلى ما كانوا عليه.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا أردت أن تزرع زرعاً، فخذ قبضة من البذر و استقبل القبلة و قل: «أفرأيتم» إلى: «الزارعون» ثلاث مرّات. ثمّ تقول: بل الله الزارع، ثلاث مرّات. ثمّ قل: اللّهمّ اجعله مباركاً. و ارزقنا فيه السلامة. ثمّ انثر القبضة التي في يدك في القراح.[٣]

مرّ أبوعبدالله عليه السلام بناس من الأنصار و هم يحرثون. فقال لهم: احرثوا. فإنّ رسول الله قال: ينبت الله بالريح كما ينبت بالمطر. قال: فحرثوا فجادت زروعهم.[٤]

و عنه عليه السلام: إذا غرست غرساً أو أنبتّ نباتاً، فاقرأ على كلّ عود أو حبّة: سبحان الباعث الوارث. فإنّه لايكاد يخطئ إن شاء الله.[٥]

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ بني إسرائيل سألوا موسى أن يسأل الله أن يمطر السماء عليهم إذا أرادوا و يحبسها إذا أرادوا. فقال الله: لهم ذلك. فحرثوا و لم يتركوا شيئاً إلّا زرعوه فاستنزلوا المطر على إرادتهم، فصارت زروعهم كأنّها الآجام. فحصدوا و داسوا فلم يجدوا شيئاً. فضجّوا إلى موسى عليه السلام و قالوا: إنّما سألناك أن تسأل الله أن يمطر السماء علينا إذا أردنا فأجابنا ثمّ صيّرها علينا ضرراً! فقال: يا ربّ إنّ بني إسرائيل ضجّوا ممّا صنعت بهم. فقال: يا موسى، أنا كنت المقدّر لبني إسرائيل فلم يرضوا بتقديري فأجبتهم إلى إرادتهم و كان ما رأيت.[٦] ثمّ أمرهم بزرع اليقطين. فلمّا كسروه فإذا فيه الحنطة.

[٦٥] «لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ».

«حطاماً». الحطام كالفتات، و هو ما صار هشيماً و تحطّم. «تفكّهون»: تعجّبون. و عن

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٥.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٣٧.
٣ـ الكافي ٥ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣، ح ١.
٤ـ الكافي ٥ / ٢٦٢، ح ١.
٥ـ الكافي ٥ / ٢٦٣، ح ٥.
٦ـ الكافي ٥ / ٢٦٢، ح ٢.

الحسن: تندمون على تعبكم فيه و إنفاقكم عليه، أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها.(١)

«حطاماً»؛ أي: هشيماً لاينتفع به في مطعم و لا في غذاء. و قيل: تبناً لا قمح فيه.(٢)

[٦٦ ـ ٦٧] «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ».

«إنّا لمغرمون»: لملزمون غرامة ما أنفقنا. أو: مهلكون لهلاك رزقنا. من الغرام و هو الهلاك. «محرومون»: لا حظّ [لنا] و لا بخت.(٣)

[٦٨ ـ ٦٩] «أَ فَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ».

«من المزن»؛ أي: السحاب، أو الأبيض منه خاصّة.(٤)

[٧٠] «لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ».

«أجاجاً»: ملحاً زعاقاً لايقدر على شربه. فإن قلت: لم أدخلت اللّام على جواب لو في قوله: «لو نشاء لجعلناه حطاماً» و نزعت منه هاهنا؟ قلت: إنّ لو لمّا كانت داخلة على جملتين معلّقة ثانيتهما بالأولى، تعلّق الجزاء بالشرط و لم تكن مخلصة للشرط كإن و لا عاملة مثلها. و إنّما سرى فيها معنى الشرط اتّفاقاً من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أنّ الثاني امتنع لامتناع الأوّل، افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علماً على هذا التعلّق، فزيدت هذه اللّام لتكون علماً على ذلك. فإذا حذفت بعد ما صارت علماً مشهوراً مكانه، فإنّ الشيء إذا علم و شهر موقعه و صار مألوفاً و مأنوساً، لم يبال بإسقاطه من اللّفظ استغناء بمعرفة السامع. فإذن حذفها اختصار لفظيّ و هي ثابتة في المعنى. فاستوى الموضوعان. على أنّ تقدّم ذكرها

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٦.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٣٧.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٦..

٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٦.

و المسافة قصيرة، مغن عن ذكرها ثانية و نائب عنه. و يجوز أن يقال: إنّ هذه اللّام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أنّ أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب و أنّ الوعيد بفقده أشدّ و أصعب من قبل أنّ المشروب إنّما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم. ألا ترى أنّك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه؟ و لهذا آية المطعوم مقدّم على آية المشروب.[1]

[٧١ ـ ٧٢] «اَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ».

«تورون»: تقدحونها و تستخرجونها من الزناد. و العرب تقدح بعودين تحكّ أحدهما على الآخر و يسمّون الأعلى الزند و الأسفل الزندة. شبّهوهما بالفحل و الطروقة. «شجرتها» التي منها الزناد.[2]

[٧٣] «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَ مَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ».

«تذكرة»: تذكيراً لنار جهنّم، حيث علّقنا به أسباب المعاش لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها و يذكرون ما أوعدوا به. أو: جعلناها تذكرة و أنموذجاً من جهنّم. «متاعاً»؛ أي: منفعة. «للمقوين»: الذين ينزلون القواء؛ أي: القفر. أو: للّذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام.[3]

«للمقوين»؛ أي: للمستمتعين بها في الظلمة و في الطبخ و الخبز. فيكون المقوي بها [الذي] صار ذا قوّة من المال و السعة[4]. و المقوي أيضاً: الذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض. فهي متاع لانتفاع الأغنياء و الفقراء.[5]

[٧٤] «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ».

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٧.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٧.
٤ـ المصدر: النعمة.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٨.

«فسبّح باسم ربّك»: فأحدث التسبيح بذكر ربّك. أو أراد بالاسم الذكر. أي: بذكر ربّك. «العظيم». صفة للمضاف إليه أو للمضاف. و المعنى أنّه لمّا ذكر ما دلّ على قدرته و إنعامه على عباده [قال:] فأحدث التسبيح ـ و هو أن تقول: سبحان الله ـ إمّا تنزيهاً له عمّا يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيّته، و إمّا تعجّباً من أمرهم في غمط آلائه و أياديه الظاهرة، و إمّا شكراً لله على النعم التي عدّها و نبّه عليها.(١)

[٧٥ ـ ٧٦] «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ».

«فلاأقسم». معناه: فأقسم. و لا مزيدة مؤكّدة. مثلها في قوله: «لئلّايعلم أهل الكتاب».(٢) «بمواقع النجوم»: بمساقطها و مغاربها. و لعلّ لله في آخر اللّيل إذا انحطّت النجوم إلى المغرب أفعالاً مخصوصة عظيمة، أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لأنّه وقت قيام المتهجّدين و نزول الرحمة و الرضوان عليهم، فاستعظمها بقوله: «و إنّه لقسم لوتعلمون عظيم». أو أراد بمواقعها منازلها و مسايرها و له في ذلك من الدليل على عظيم القدرة و الحكمة ما لايحيط به الوصف. و قيل: مواقع النجوم أوقات وقوع نجم القرآن؛ أي: أوقات نزولها.(٣)

«فلاأقسم». يجوز أن يكون لا ردّاً لما يقوله الكفّار في القرآن من أنّه سحر و شعر و كهانة ثمّ استأنف القسم. و قيل: إنّ المعنى: لاأقسم بهذه الأشياء. فإنّ أمرها أظهر و آكد من أن يحتاج فيه إلى اليمين. و «مواقع النجوم» قيل: هو انتشارها يوم القيامة. و عن أبي عبدالله عليه السلام: مواقع النجوم رجومها للشياطين. و كان المشركون يقسمون بها. أهل الكوفة غير عاصم: «بموقع النجوم».(٤)

«فلاأقسم». معناه: فأقسم.(٥)

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٨.
٢ـ الحديد (٥٧) / ٢٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٨ ـ ٤٦٩.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٤١ و ٣٣٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٩.

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «فلاأقسم بمواقع النجوم»: يعني به اليمين بالبراءة عن الأئمّة: يحلف الرجل بها. يقول: إنّ ذلك عند الله عظيم.(١)

[٧٧ ـ ٧٩] «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ».

«كريم»: حسن مرضيّ في جنسه من الكتب. أو: نفّاع. أو: كريم على الله. «مكنون»: مصون من غير المقرّبين من الملائكة ـ و هو اللّوح ـ لايطّلع عليه من سواهم؛ و هم المطهّرون من جميع الأدناس، إن جعلت [الجملة] صفة لكتاب مكنون. و إن جعلتها صفة للقرآن، فالمعنى: لاينبغي أن يمسّه إلّا من هو على الطهارة من الناس. يعني مسّ المكتوب منه.(٢)

«مكنون»؛ أي: مستور عن الخلق. و هو اللّوح المحفوظ. «لايمسّه». الضمير عندنا يعود إلى القرآن. فلايجوز لغير الطاهر مسّ كتابته.(٣)

[٨٠] «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«تنزيل». صفة رابعة للقرآن.(٤)

[٨١] «أَ فَبِهٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ».

«أفبهذا الحديث». يعني القرآن. «مدهنون»؛ أي: متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه و لايتصلّب فيه تهاوناً به.(٥)

[٨٢] «وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ».

«و تجعلون رزقكم». على حذف المضاف. أي: تجعلون شكر رزقكم التكذيب. أي:

١ـ الفقيه ٣ / ٢٣٧، ح ١١٢٣.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٩.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٤١.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٩.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٩.

وضعتم التكذيب موضع الشكر. و قيل: نزلت في الأنواء و نسبتهم السقيا إليها. و الرزق المطر. يعني: و تجعلون شكر ما يرزقكم من الغيث أنّكم تكذّبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم.[١]

عن عليّ عليه السلام أنّه قرأ بهم الواقعة في الصلاة فقال: «و تجعلون شكركم أنّكم تكذّبون». و قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قرأها هكذا. و كانوا إذا أمطروا قالوا: أمطرنا بنوء كذا و كذا.[٢] فأنزل الله. «و تجعلون شكركم أنّكم تكذّبون».[٣]

روى بعضهم عن عاصم: «تكذبون» بالتخفيف.[٤]

[٨٣] «فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«فلولا إذا بلغت الحلقوم». ترتيب الآية: فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم، إن كنتم [غير] مدينين. و «فلولا» الثانية مكرّرة للتأكيد. و الضمير في «ترجعونها» للنفس و هي الروح. و في «أقرب إليه» للمحتضر. «غير مدينين»: غير مربوبين. من دان السلطان الرعيّة، إذا ساسهم. «ونحن أقرب إليه منكم» يا أهل الميّت بقدرتنا و علمنا أو بملائكة الموت. و المعنى: انّكم في جحود أفعال الله و آياته في كلّ شيء: إن أنزل عليكم كتاباً معجزاً، قلتم: سحر و افتراء. و إن أرسل إليكم رسولاً صادقاً، قلتم: ساحر. و إن رزقكم مطراً يحييكم به، قلتم: صدق بنوء كذا، على مذهب يؤدّي إلى الإهمال و التعطيل. فما لكم لاترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثمّ قابض و كنتم [صادقين] في تعطيلكم و كفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد؟[٥]

«غير مدينين»: أي: مجزيّين يوم القيامة.[٦]

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٦٩.

٢ـ بنوء كذا: أي: بنظرات الكواكب. (هامش النسخة)

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٩.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٣٩.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٠.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٤.

[٨٨ ـ ٨٩] «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ».

«إن كان». أي المتوفّى. «من المقرّبين»: من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة في أوّل السورة. «فروح»؛ أي: استراحة. و قيل: البقاء. و الريحان: الرزق.[١]

«فروح» بالضمّ. و هو قراءة النبيّ و الباقر عليه السلام.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: «فروح و ريحان». يعني في قبره. «و جنّة نعيم». يعني في الآخرة.[٣]

[٩٠] «وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ».

«فسلام لك»؛ أي: فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين؛ أي: يسلّمون عليك.[٤]

«فسلام لك»؛ أي: إن كان المتوفّى من أصحاب اليمين، فسلام لك ـ أيّها الإنسان الذي هو من أصحاب اليمين ـ من عذاب الله، أو سلّمت عليك ملائكة الله. و قيل: معناه: فسلام [لك] من أصحاب اليمين في الجنّة. لأنّهم يكونون معك ويكونون لك لا عليك.[٥]

عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «فأمّا إن كان من أصحاب اليمين» قال: قال رسول الله لعليّ عليه السلام: هم شيعتك، فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم.[٦]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ و جلّ: «فأمّا إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين» فقال عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعليّ: هم شيعتك.[٧]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: «فأمّا إن كان من أصحاب اليمين». يعني من كان من أصحاب عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام «فسلام لك» يا محمّد «من أصحاب اليمين» أن لا يعذّبوا.[٨]

[٩٢ ـ ٩٤] «وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَ تَصْلِيَةُ

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٠.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٣.

٣ـ أمالي الصدوق / ٢٣٩، ح ١٢.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٠.

٥ـ مجمع البيان ٩ / ٣٤٤.

٦ـ الكافي ٨ / ٢٦٠، ح ٣٧٣.

٧ـ الكافي ٨ / ٢٦٠.

٨ـ تفسير القمّي ٢ / ٣٥٠.

جَحِيمٍ».

«من المكذّبين». أي بالبعث و الرسل. «فنزل من حميم»؛ أي: فنزلهم الذي أعدّ لهم من الطعام و الشراب من حميم جهنّم. «و تصلية جحيم»؛ أي: إدخال نار عظيمة.[1]

و عنه عليه السلام: «و أمّا إن كان من المكذّبين الضالّين». هم أعداء آل محمّد. «فنزل من حميم» في قبره. «و تصلية جحيم» في الآخرة.[2]

«فنزل من حميم * و تصلية جحيم». و ذلك ما يجد في القبر من سموم النار و دخانها.[3]

عن ابن أذينة قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام فذكرنا رجلاً من أصحابنا فقلنا: فيه حدّة. فقال: من علامة المؤمن أن يكون فيه حدّة. فقلنا له: إنّ عامّة أصحابنا فيهم حدّة. فقال: إنّ الله في وقت ما ذرأهم، أمر أصحاب اليمين ـ و أنتم هم ـ أن يدخلوا النار. فدخلوها، فأصابهم وهج. فالحدّة من ذلك الوهج. و أمر أصحاب الشمال ـ و هم مخالفوهم ـ أن يدخلوا النار، فلم يفعلوا. فمن ثمّ لهم سمت و لهم وقار.[4]

في الحديث: يطغي عنك وهج المعدة. أي: حرّها و اتّقادها. السمت: [الحالة] التي يكون عليها الإنسان من السكينة و الوقار. (مجمع البحرين)

[٩٥] «إِنَّ هٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ».

«إنّ هذا»؛ أي: الذي أنزل في هذه السورة، لهو الحقّ الثابت من اليقين.[5]

[٩٦] «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ».

«فسبّح باسم ربّك العظيم»؛ أي: نزّه الله تعالى عن السوء و الشرك و عظّمه بحسن الثناء عليه. و قيل: معناه: نزّه اسمه عمّا لا يليق به فلا تضف إليه صفة نقص أو عملاً قبيحاً. و قيل: معناه: قولوا سبحان ربّي العظيم.[6]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٤٤.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٠، عن الصادق عليه السلام.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٥.

٤ـ علل الشرائع ١ / ٨٥.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٠.

٦ـ مجمع البيان ٩ / ٣٤٤.

٥٧. سورة الحديد

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الحديد و المجادلة في صلاة فريضة أدمنها، لم يعذّبه الله حتّى يموت أبداً و لايرى في نفسه و لا أهله سوءاً أبداً و لا خصاصة في بدنه.(١)

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، كتب من الذين آمنوا بالله و رسله.(٢)

و عن الباقر عليه السلام: من قرأ المسبّحات كلّها قبل أن ينام، لم يمت حتّى يدرك القائم عليه السلام. و إن مات كان في جوار النبيّ صلى الله عليه وآله.(٣)

الحديد: من علّقها عليه، أمن من الحديد في القتال. و إذا قرئت على الحديد، خرج من غير ألم. و يغسل الحمرة و الورم و الجروح بمائها، تبرأ بإذن الله. و من حملها، لم يره خصمه.(٤)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«سبّح لله»؛ أي: نزّهه و أثنى عليه بما هو أهله و برّأه من كلّ سوء. «ما في السموات و الأرض» من العقلاء و غيرهم، ولكن لاتفقهون تسبيحهم. و ذلك أنّ العقلاء يسبّحونه قولاً و اعتقاداً لفظاً و معنىً و ما ليس بعاقل من الحيوانات و الجمادات فتسبيحه ما فيه من الدلالة الدالّة على وحدانيّته و على الصفات التي بها باين جميع خلقه.(٥)

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٥، ح ١.

٢ـ المصباح / ٥٩٣.

٣ـ المصباح / ٥٩٣، عن الصادق عليه السلام.

٤ـ المصباح / ٦١١.

٥ـ مجمع البيان ٩ / ٣٤٦.

«سبّح لله». ذكره هنا و في الحشر و الصفّ بلفظ الماضي، و في الجمعة و التغابن بلفظ المضارع، إشعاراً بأنّ من شأن ما أسند إليه أن يسبّحه في جميع أوقاته، لأنّه دلالة جبلّيّة لاتختلف باختلاف الحالات. و مجيء المصدر مطلقاً في بني إسرائيل أبلغ من حيث إنّه يشعر بإطلاقه على استحقاق التسبيح من كلّ شيء وفي كلّ حال. و إنّما عدّي باللّام و هو متعدّ بنفسه و هو مثل نصحت له في نصحته، إشعاراً بأنّ إيقاع الفعل لأجل الله و خالصاً لوجهه. «و هو العزيز الحكيم». حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح.(١)

[٢] «لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«له ملك السموات و الأرض». فإنّه الموجد لها و المتصرّف فيها، «يحيي و يميت». استئناف. أو خبر لمبتدأ محذوف. أو حال من المجرور في له.(٢)

[٣] «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«هو الأوّل»: السابق على سائر الموجودات من حيث إنّه موجدها و محدثها. «و الآخر»: الباقي بعد فنائها، و لو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها. أو: هو الأوّل الذي يبتدئ الأسباب، و الآخر الذي ينتهي إليه المسبّبات. أو: الأوّل خارجاً، و الآخر ذهناً. «و الظاهر و الباطن»: الظاهر وجوده لكثرة دلائله، و الباطن حقيقة ذاته فلايكتنهها العقول. أو: الغالب على كلّ شيء، العالم بباطنه. «و هو بكلّ شيء عليم» يستوي عنده الظاهر و الخفيّ.(٣)

أقول: الوجهان المذكوران في معنى الظاهر مرويّان عن الرضا عليه السلام.(٤)

«هو الأوّل و الآخر». قال البلخيّ: هو كقول القائل: فلان أوّل هذا الأمر و آخره و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٦، و الكشّاف ٤ / ٤٧٢.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٦.

٤ـ لم نجده فيما حضرنا من المصادر.

ظاهره و باطنه؛ أي: عليه يدور الأمر و يتمّ به.[١]

عن جابر بن عبدالله قال: لقيت عمّاراً في المدينة فأخبرني أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله أقبل علينا، فبينا نحن كذلك و قد بزغت الشمس، إذ أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقام إليه النبيّ فقبّل بين عينيه و أجلسه في جنبه. ثمّ قال: قم ـ يا عليّ ـ إلى الشمس فكلّمها، فإنّها تكلّمك. فقال عليه السلام للشمس: كيف أصبحت يا خلق الله؟ فقالت: بخير يا رسول رسول الله، يا أوّل، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا من هو بكلّ شيء عليم. فرجع إلى النبيّ. فقال: أمّا قولها لك: يا أوّل، فأنت أوّل من آمن بالله. و قولها: يا آخر، فأنت آخر من يعاينني على مغسلي. و قولها: يا ظاهر، فأنت آخر من يظهر على مخزون سرّي. و قولها: يا باطن، فأنت المستنبط[٢] لعلمي. و أمّا العليم بكلّ شيء، فما أنزل الله تعالى علماً إلّا و أنت به عليم.[٣]

و روي هذا الحديث عن الباقر عليه السلام و فيه: و أنت آخر الأوصياء. ليس بعدي نبيّ و لا بعد وصيّي وصيّ. و أنت الظاهر على أعدائك. و أنت [الباطن] في العلم الظاهر عليه.[٤]

ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن معنى الآخر فقال: إنّه ليس شيء إلّا يبيد أو يتغيّر أو يدخله التغيير و الزوال أو ينتقل من لون إلى لون و من صفة إلى صفة إلّا ربّ العالمين. فإنّه لم يزل و لايزال بحالة واحدة. هو الأوّل قبل كلّ شيء. و هو الآخر على ما لم يزل. و لايختلف عليه الصفات و الأسماء كما يختلف على غيره مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرّة، و [مرّة] لحماً و دماً، و مرّة رفاتاً و رميماً، و الله عزّ و جلّ بخلاف ذلك.[٥]

[٤] «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٤٧.

٢ـ المصدر: المستبطن.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٥٤ ـ ٦٥٥، ح ١

٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٥٥ ـ ٦٦٦، ح ٢.

٥ـ الكافي ١ / ١١٥، ح ٥.

«في ستّة أيّام» لما في ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شيء بعد شيء من جهته، و لما في الإخبار به من المصلحة للمكلّفين. و لولا ذلك لكان يخلقهما في لحظة واحدة. «ثمّ استوى على العرش» المعروف بالسماء. و قيل: استوى على الملك. فمن قال بالأوّل قال: استواؤه عليه كونه قادراً على خلقه و إنشائه و إفنائه و تصريفه. و قيل: معناه: عمد و قصد إلى خلق العرش. «و ما يعرج فيها»؛ أي: ما يرفع إليها من أعمال الخلق. «و هو معكم أينما كنتم» بالعلم الذي لايخفى عليه شيء من أعمالكم و أحوالكم.(١)

«يعلم ما يلج في الأرض» كالبذور «و ما يخرج منها» كالزروع «و ما ينزل من السماء» كالأمطار «و ما يعرج فيها» كالأبخرة. «و هو معكم»: لاينفكّ علمه و قدرته عنكم بحال. «بما تعملون بصير» فيجازيكم عليه.(٢)

[٥] «لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ».

«ملك السموات و الأرض». ذكره مع الإعادة كما ذكره مع الإبداء لأنّه كالمقدّمة لهما.(٣)

[٦] «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

[٧] «آمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ».

«ممّا جعلكم مستخلفين»: من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرّف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم، أو التي استخلفكم عمّن قبلكم في تملّكها و التصرّف فيها. و فيه حثّ على الإنفاق و تهوين له على النفس.(٤)

«جعلكم مستخلفين»؛ يعني: انّ الأموال التي في أيديكم إنّما هي أموال الله و ما أنتم فيها إلّا بمنزلة الوكلاء. فأنفقوا في حقوق الله. وليهن عليكم الإنفاق كما يهون على الرجل الإنفاق

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٤٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٧.

من مال غيره.(١)

[٨] «وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«و ما لكم لاتؤمنون بالله»؛ أي: و ما تصنعون غير مؤمنين به؟ كقولك: ما لك قائماً؟ «وَ الرسول يدعوكم». حال من ضمير لاتؤمنون. و المعنى: أيّ عذر لكم في ترك الإيمان و الرسول يدعوكم إليه بالحجج و الآيات؟ و قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان قبل ذلك بنصب الأدلّة و التمكين من النظر! و الواو للحال من مفعول يدعوكم. أبوعمرو: «أخذ» بالبناء للمفعول.(٢)

[٩] «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ إِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ».

«ليخرجكم من الظلمات إلى النور»؛ أي: يخرجكم الله بآياته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. أو: ليخرجكم الرسول بدعوته.(٣)

[١٠] «وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قَاتَلُوا وَ كُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

«ألّاتنفقوا»: في أن لاتنفقوا. «و لله ميراث السموات و الأرض»: يرث كلّ شيء فيهما من مال و غيره. يعني: و أيّ غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله و الله مهلككم و وارث أموالكم؟ و هو من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله. ثمّ بيّن التفاوت بين المنفقين منهم

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٧.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٣.

فقال: «لا يستوي منكم من أنفق» قبل فتح مكّة قبل عزّ الإسلام و قوّة أهله و دخول الناس في دين الله أفواجاً و قلّة الحاجة على القتال و النفقة فيه و من أنفق من بعد الفتح. فحذف لوضوح الدلالة. [«أولئك»:] الذين أنفقوا قبل الفتح - و هم السابقون الأوّلون من المهاجرين و الأنصار الذين قال فيهم النبيّ ﷺ: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدّ أحدهم و لا نصيفه - [«أعظم درجة»]. «و كلاًّ»: و كلّ واحد من الفريقين «وعد الله» المثوبة «الحسنى». و هي الجنّة مع تفاوت الدرجات.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يخرج من ولدي موسى رجل اسمه اسم أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أرض طوس - و هي بخراسان - يقتل فيها بالسمّ فيدفن فيها غريباً. من زاره عارفاً بحقّه، أعطاه الله أجر من أنفق قبل الفتح و قاتل.(٢)

ابن عامر: «و كلّ» بالرفع على الابتداء.(٣)

[١١] «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ».

«قرضاً حسناً». و هو الإنفاق في سبيله. شبّه ذلك بالقرض على سبيل المجاز، لأنّه إذا أعطى ماله لوجهه، فكأنّه أقرضه إيّاه. «فيضاعفه له»؛ أي: يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً أضعافاً من فضله. «و له أجر كريم». يعني ذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام: قال الله: إنّي أعطيت [الدنيا] بين عبادي قيضاً. فمن أقرضني [منها] قرضاً، أعطيته لكلّ واحدة منهنّ عشراً إلى سبعمائة ضعف و ما شئت من ذلك.(٥)

و عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله تبارك و تعالى يقول: يابن آدم، تطوّلت عليك بثلاث:

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٤.
٢ـ عيون الأخبار ٢ / ٢٥٨، ح ٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٨.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٤.
٥ـ الخصال ١ / ١٣٠، ح ١٣٥.

سترت عليك ما لو علم به أهلك ما واروك. و أوسعت عليك فاستقرضت منك فلم تقدّمْ خيراً.[١]

قال الصادق عليه السلام: على باب الجنّة مكتوب: القرض بثمانية عشر. و الصدقة بعشرة. و ذلك أنّ القرض لايكون إلّا لمحتاج و الصدقة ربما وقعت على يد غير المحتاج.[٢]

عن أبي الحسن الماضي عليه السلام «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً» قال: صلة الإمام في دولة الفسّاق.[٣]

قال أهل التحقيق: القرض الحسن يجمع عشرة أوصاف: أن يكون من الحلال؛ لقوله صلى الله عليه وآله: انّ الله تعالى طيّب لايقبل إلّا الطيّب. و أن يكون من أطيب ما يملكه دون أن بقصد الردي. بالإنفاق؛ لقوله تعالى: «ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون».[٤] وأن يتصدّق و هو يحبّ المال و يرجو الحياة؛ لقوله صلى الله عليه وآله لمّا سئل عن أفضل الصدقة: أن تعطيه و أنت صحيح شحيح تأمل [العيش] و تخشى الفقر و لاتمهل حتّى إذا بلغت النفس التراقي قلت: لفلان كذا، و لفلان كذا. و أن تضعه في الأحوج الأولى. و لذلك خصّ الله أقواماً بأخذ الصدقات و هم أهل السهمات. و أن يكتمه ما أمكن؛ لقوله تعالى: «و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم».[٥] و أن لايتبعه بالمنّ و الأذى؛ لقوله: «و لاتبطلوا صدقاتكم».[٦] و أن يقصد به وجه الله. و أن يستحقر ما يعطي وإن كثر، لأنّ متاع الدنيا قليل. و أن يكون من أحبّ ماله إليه؛ لقوله تعالى: «لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون».[٧] فإذا كملت هذه العشرة، كان ذلك قرضاً حسناً.[٨]

قرأ عاصم: «فيضاعفه» بالنصب، على جواب الاستفهام باعتبار المعنى. كأنّه قال: أيقرض الله أحد فيضاعفه له؟ ابن كثير: «يضعفه» مرفوعاً. و ابن عامر: «يضعفه»

١ـ الخصال ١ / ١٣٦، ح ١٥٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٠ ـ ٣٥١.
٣ـ الكافي ٨ / ٣٠٢، ح ٤٦١.
٤ـ البقرة (٢) / ٢٦٧.
٥ـ البقرة (٢) / ٢٧١.
٦ـ البقرة (٢) / ٢٦٤.
٧ـ آل عمران (٣) / ٩٢.
٨ـ مجمع البيان ٩ / ٣٥٤.

منصوباً.[١]

[١٢] «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

«يوم ترى». ظرف لقوله: «و له أجر كريم». أو منصوب بإضمار اذكر تعظيماً لذلك اليوم. و إنّما قال: «بين أيديهم و بأيمانهم» لأنّ السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أنّ الأشقياء يؤتونها من شمائلهم و وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعاراً لهم و آية. فإذا ذهب بهم إلى الجنّة ومرّوا على الصراط، يسعون و يسعى بسعيهم ذلك النور متقدّماً لهم. «بشراكم اليوم». يعني يتلقّاهم الملائكة بهذا القول.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «يسعى نورهم من بين أيديهم» قال: نور أئمّة المؤمنين يسعى بين أيدي المؤمنين و بأيمانهم و منازلهم من الجنّة.[٣]

[١٣] «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ».

«يوم يقول». بدل من «يوم ترى». «انظرونا»: انتظرونا. لأنّهم يسرع بهم إلى الجنّة كالبروق الخاطفة على ركاب تزفّ بهم و هؤلاء مشاة. أو: انظروا إلينا. لأنّهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم و النور بين أيديهم فيستضيئون به. «قيل ارجعوا». طرد لهم و تهكّم بهم. «بسور له باب»: بحائل بين شقّ الجنّة و شقّ النار. قيل: هو الأعراف. لذلك السور باب لأهل الجنّة يدخلون منه. «باطنه». أي السور أو الباب. و هو الشقّ الذي يلي الجنّة. «و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٥.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٥٩ ـ ٦٦٠، ح ٩. و في آخره: ... و بأيمانهم حتّى ينزلوا بهم منازلهم من الجنّة.

ظاهره»: ما ظهر لأهل النار «من قبله»: من عنده «العذاب». و هو الظلمة و النار.(١)

«للّذين آمنوا» ظاهراً و باطناً. «انظرونا». و ذلك أنّه يستضيء المنافقون بنور المؤمنين و لايعطون النور، فإذا سبقهم المؤمنون قالوا: انظرونا نستضئ بنوركم. و قيل: إنّهم إذا خرجوا من قبورهم، اختلطوا فيسعى المنافقون في نور المؤمنين. فإذا ميّزوا، بقوا في الظلمة فيقولون هذا القول استغاثة. فيقال للمنافقين: «ارجعوا وراءكم»؛ أي: إلى المحشر حيث أعطينا النور «فالتمسوا نوراً». فيرجعون فلايجدون نوراً. عن ابن‌عبّاس. و قيل: معناه: ارجعوا إلى الدنيا إن أمكنكم فاطلبوا النور منها. فإنّا حملنا النور منها بالايمان و الطاعات. «فضرب بينهم»؛ أي: بين المؤمنين و المنافقين بحائل و هو حائط بين الجنّة و النار. ولذلك السور باب باطن ذلك السور فيه الرحمة ـ أي: الجنّة ـ و خارجه فيه العذاب؛ أي: النار.(٢)

«نوراً». قال: النور يقسم بين الناس يوم القيامة على قدر إيمانهم. يقسم للمنافق فيكون نوره في إبهام رجله اليسرى. فينظر نوره ثمّ يقول للمؤمنين: مكانكم حتّى أقتبس من نوركم. فيقول المؤمنون لهم: «ارجعوا وراءكم». فيرجعون فيضرب بينهم بسور له باب فينادون من وراء السور للمؤمنين: «ألم نكن معكم»؟ قال: و الله ما عنى بذلك إلّا أهل القبلة.(٣)

عنه صلى الله عليه وآله: أنا السور. و عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام الباب. و ليس يؤتى السور إلّا من قبل الباب.(٤)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله يقول: تحشر أمّتي يوم القيامة على خمس رايات، فأوّل راية ترد عليّ مع فرعون هذه الأمّة و هو معاوية. و الثانية مع سامريّ هذه الأمّة و هو عمرو بن العاص. و الثالثة مع جاثليق هذه الأمّة و هو أبوموسى الأشعريّ. و الرابعة مع أبي الأعور السلميّ. و أمّا الخامسة فمعك يا عليّ و تحتها المؤمنون. يقول الله

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٥ ـ ٤٧٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٥٤ ـ ٣٥٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥١.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٦٢، ح ١٣.

للأربعة: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً «فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة». و هم شيعتي و من قاتل معي. ترد شيعتي الحوض و بيدي عصا عوسج أطرد بها أعدائي طرد غريبة الإبل.(١)

[١٤] «يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلىٰ وَ لٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتّٰى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ».

«ينادونهم». أي المنافقون المؤمنين. «ألم نكن معكم» في الدنيا نصوم و نصلّي مثلكم؟ «قالوا بلى ولكنّكم فتنتم أنفسكم» في الكفر و النفاق «و تربّصتم» بمحمّد ﷺ الموت و قلتم: يوشك أن يموت فنستريح. و قيل: تربّصتم بالمؤمنين الدوائر. «و ارتبتم»؛ أي: شككتم في الدين. «أمر الله»؛ أي: الموت. أو الإلقاء في النار.(٢)

«و غرّتكم الأمانيّ»؛ أي: طول الآمال و الطمع في امتداد الأعمار.(٣)

[١٥] «فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ».

[«لايؤخذ منكم فدية»؛ أي: بدل بأن تفدوا] أنفسكم من العذاب. «و لا من الذين كفروا»؛ أي: سائر الكفّار. «مولاكم»؛ أي: أولى بكم. أي إنّها التي تلي أمركم فهي أولى بكم من كلّ شيء. «لايؤخذ». ابن‌عامر بالتاء.(٤)

«مولاكم». يجوز أن يراد: هي ناصركم. أي: لا ناصر لكم غيرها. و المراد نفي الناصر على البتات. و منه قوله تعالى: «يغاثوا بماء كالمهل».(٥) و قيل: تتولّاكم كما تولّيتم في الدنيا أعمال أهل النار.(٦)

١ـ الخصال ٢ / ٥٧٥، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٥٥.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٦.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٥٥ و ٣٥١.
٥ـ الكهف (١٨) / ٢٩.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٦.

[١٦] «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَ مَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ».

«ألم يأن». من أنى الأمر يأني، إذا جاء أناه؛ أي: وقته. عن ابن عبّاس: انّ الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن.[١]

«ألم يأن». نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة. و ذلك أنّهم سألوا سلمان الفارسيّ ذات يوم فقالوا: حدّثنا عمّا في التوراة. فنزلت: «الر تلك آيات الكتاب» إلى قوله: «لمن الغافلين».[٢] فخبّرهم أنّ هذا القرآن أحسن القصص و أنفع لهم من غيره. فكفّوا عن سؤال سلمان ما شاء الله. ثمّ عادوا فسألوا سلمان عن ذلك. فنزلت: «الله نزّل أحسن الحديث» ـ الآية.[٣] فكفّوا عن سؤال سلمان ما شاء الله. ثمّ عادوا، فنزلت هذه الآية. أي: أما حان للمؤمنين «أن تخشع قلوبهم»؛ أي: ترقّ و تلين. «لذكر الله»؛ أي: لما ذكّرهم به من المواعظ. «و ما نزل من الحقّ». يعني القرآن. «أوتوا الكتاب» من اليهود و النصارى. «عليهم الأمد» للجزاء. أي لم يعاجلوا بالجزاء فاغترّوا بذلك «فقست قلوبهم». و قيل: طالت أعمارهم و ساءت أعمالهم فقست قلوبهم.[٤]

«نزل». نافع و حفص بالتخفيف. و الباقون بالتشديد.[٥]

«و لا يكونوا كالّذين». عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت في أهل زمان الغيبة. و «الأمد» أمد الغيبة.[٦]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لم يزل بنو إسماعيل ولاة البيت و يقيمون للناس حجّهم و أمر دينهم يتوارثونه كابر عن كابر حتّى كان زمن عدنان فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم و

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٧.
٢ـ يوسف (١٢) / ١ ـ ٣.
٣ـ الزمر (٣٩) / ٢٣.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٥٧ ـ ٣٥٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٩.
٦ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٦٢، ح ١٤.

أفسدوا و أخرج بعضهم بعضاً.[١]

[١٧] «اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

«يحيي الأرض». قيل: تمثيل لأثر الذكر في القلوب و أنّه يحييها كما يحيي الغيث الأرض.[٢]

«يحيي الأرض» بالنبات. «الآيات»؛ أي: الحجج الواضحات. «لعلّكم تعقلون» فترجعون إلى طاعتنا.[٣]

«يحيي الأرض». تمثيل لإحياء [القلوب القاسية بالذكر و التلاوة بإحياء] الأموات، ترغيباً في الخشوع و زجراً عن القساوة.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «يحيي الأرض بعد موتها» قال: العدل بعد الجور.[٥]

عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: «الله يحيي الأرض بعد موتها» قال: يحييها الله بالقائم «بعد موتها» يعني كفر أهلها.[٦]

[١٨] «إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ».

ابن‌كثير و أبوبكر: «المصدّقين و المصدّقات» بتحفيف الصاد. «و أقرضوا الله»؛ أي: أنفقوا في وجوه الخير. «يضاعف»؛ أي: يجازون أمثال ذلك.[٧]

«إنّ المصّدّقين و المصّدّقات»؛ أي: المتصدّقين و المتصدّقات. و قراءة تخفيف الصاد معناه: الذين صدّقوا الله و رسوله. «و أقرضوا الله». عطف على معنى الفعل في المحلّى باللّام. لأنّ معناه: الذين أصدقوا، أو صدّقوا. و هو على الأوّل للدلالة على أنّ المعتبر هو التصدّق

١ـ الكافي ٤ / ٢١٠، ح ١٧.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٧٨.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٥٨.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٩.

٥ـ الكافي ٨ / ٢٦٧، ح ٣٩٠.

٦ـ كمال الدين ٢ / ٦٦٨، ح ١٣.

٧ـ مجمع البيان ٩ / ٣٥٦ و ٣٥٨.

المقرون بالإخلاص.[١]

[١٩] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ».

«هم الصدّيقون و الشهداء». فقال مجاهد: كلّ من آمن بالله و رسوله، فهو صدّيق شهيد. و قرأ هذه الآية. و الصدّيق: الكثير الصدق المبالغ فيه. «أجرهم و نورهم»؛ أي: ثواب طاعتهم و نور إيمانهم الذي يهتدون به إلى طريق الجنّة. و عن منهال القصّاب قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ادع الله أن يرزقني الشهادة. فقال: إنّ المؤمن شهيد. و قرأ هذه الآية. قال الحارث: كنّا عند أبي جعفر عليه السلام فقال: العارف منكم بهذا الأمر المنتظر له المحتسب فيه الخير، كمن جاهد ـ و الله ـ مع القائم بسيفه. ثمّ قال: بل ـ و الله ـ كمن جاهد مع رسول الله بسيفه. ثمّ قال الثالثة: كمن استشهد مع رسول الله صلّى الله عليه و آله في فسطاطه. و فيكم آية من كتاب الله: «و الذين آمنوا بالله» ـ الآية. صرتم ـ و الله ـ صادقين شهداء عند ربّكم. و قيل: «الشهداء» منفصل عمّا قبله مستأنف. و المراد بهم إمّا الأنبياء، لأنّهم يشهدون للأمم و عليهم ـ و هو قول ابن عبّاس ـ أو الذين استشهدوا في سبيل الله.[٢]

«هم الصدّيقون و الشهداء». و هم المبالغون في الصدق ـ فإنّهم آمنوا و صدّقوا جميع أخبار الله و رسله ـ و القائمون بالشهادة لله و لهم أو على الأمم. «لهم أجرهم و نورهم»: مثل أجر الصدّيقين و الشهداء و مثل نورهم، لكن من غير تضعيف، ليحصل التفاوت. أو: الأجر و النور الموعودان لهم. «أصحاب الجحيم». و فيه دليل على أنّ الخلود في النار مخصوص بالكفّار؛ من حيث إنّ التركيب يشعر بالاختصاص و الصحبة تدلّ على الملازمة.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: ما من الشيعة عبد يقارف أمراً نهيناه عنه فيموت حتّى يبتلى ببليّة تمحّص بها ذنوبه ـ إمّا في مال أو ولد أو نفس ـ حتّى يلقى الله و ما له ذنب. [و] إنّه ليبق

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٩.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

عليه الشيء من ذنوبه فيشدّد عليه عند موته. الميّت من شيعتنا صدّيق شهيد؛ صدّق بأمرنا و أحبّ فينا و أبغض فينا يريد بذلك وجه الله، يؤمن بالله و رسوله. قال الله: «و الذين آمنوا بالله و رسوله» ـ الآية.[۱]

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لرجل من الشيعة: أنتم الطيّبون. و نساؤكم الطيّبات. كلّ مؤمنة حوراء عيناء. و كلّ مؤمن صدّيق.[۲]

عن الحسين عليه السلام: ما من شيعتنا إلّا صدّيق شهيد. قال له رجل: جعلت فداك؛ أنّى يكون ذلك و عامّتهم يموتون على فرشهم؟ فقال: أما تتلو كتاب الله في الحديد: «الذين آمنوا بالله و رسوله» ـ الآية؟ [قال:] فكأنّي لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله! فقال: لوكان الشهداء كما يقولون، كان الشهداء قليلاً.[۳]

[۲۰] «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ».

بيّن أنّ أمور الدنيا خياليّة قليلة النفع سريعة الزوال لأنّها «لعب» يتعب الناس فيه أنفسهم جدّاً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة «و لهو» يلهون به أنفسهم عمّا يهمّهم «و زينة» كالملابس الحسنة و المنازل الرقيعة «و تفاخر» بالأسباب «و تكاثر» بالعدد و العُدد. ثمّ قرّر ذلك بقوله: «كمثل غيث» ـ الآية. و هو تمثيل بحال سرعة تقضّيها و قلّة جدواها.[٤]

«لعب و لهو»؛ أي: بمنزلة اللّهو و اللّعب. و كلّ لعب لهو. و قيل: اللّعب ما رغّب في الدنيا. و اللّهو ما ألهى عن الآخرة. «و زينة» تتزيّنون بها في الدنيا. «و تفاخر»؛ أي: يتفاخر الرجل

۱ـ الخصال ۲ / ۶۳۵ ـ ۶۳۶.
۲ـ الكافي ۸ / ۳۶۵، ح ۵۵۶.
۳ـ المحاسن / ۱۶۳ ـ ۱۶٤، ح ۱۱۵.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٤۷۰.

بها قرينه و جاره. «و تكاثر»؛ يعني: يتكاثر الرجل بها أولياء الله بماله و ولده و خدمه. يعني أنّه يفني عمره في هذه الأشياء. ثمّ بيّن لهذه الحالة شبهاً فقال: «كمثل غيث»؛ أي: مطر «أعجب الكفّار [نباته»؛ أي: أعجب الزرّاع] ما نبت من ذلك الغيث. و قيل: المراد الكافر بالله لأنّه أشدّ إعجاباً بالدنيا من غيره. «يهيج»؛ أي: ييبس. «مصفرّاً». و هو إذا قارب اليبس. «حطاماً» ينكسر بعد يبسه. و شرح هذا تقدّم في سورة يونس. «عذاب شديد» لأعداء الله. «و مغفرة» لأهل الطاعة. «متاع الغرور» لمن اغترّ بها و لم يعمل لآخرته.[١]

قال المفسّر في سورة يونس عند قوله تعالى: «إنّما مثل الحياة الدنيا كماء» ـ الآية[٢] ـ: إنّما شبّه الحياة الدنيا في سرعة فنائها كالمطر الذي أنزل من السماء.[٣]

[٢١] «سَابِقُوا إِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

«سابقوا»: سارعوا مسارعة السابق في المضمار. «إلى مغفرة»: إلى موجبها. «عرضها كعرض السماء و الأرض»؛ أي: عرضها كعرضهما. و إذا كان العرض كذلك، فما ظنّك بالطول! و قيل: المراد البسطة؛ كقوله: «فذو دعاء عريض».[٤] «أعدّت للّذين آمنوا». فيه دلالة على أنّ الايمان وحده كاف في استحقاقه. «ذلك فضل الله»؛ أي: ذلك الموعود يتفضّل به على من يشاء من غير إيجاب. «ذو الفضل العظيم». فلا يبعد من التفضّل بذلك و إن عظم قدره.[٥]

في ذكر العرض دون الطول أوجه. أحدها: انّ عظم العرض يدلّ على عظم الطول. و الآخر: انّ الطول قد يكون بلا عرض و لايكون عرض بلا طول. و ثالثها: انّ المراد به أنّ العرض مثل السموات و الأرض و طولها لا يعلمه إلّا الله. قال الحسن: إنّ الله يفني الجنّة ثمّ يعيدها على ما وصفه. فلذلك صحّ وصفها بأنّ عرضها كعرض السماء و الأرض. و قال

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٥٩.
٢ـ يونس (١٠) / ٢٤.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٥٥.
٤ـ فصّلت (٤١) / ٥١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٠.

غيره: إنّها في السماء الرابعة[١]. قال الله: «عرضها كعرض السماء و الارض». فلا تنافي.[٢] (من ج، حسن)

[٢٢] «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ».

«مصيبة في الأرض» كجدب و عاهة. «و لا في أنفسكم» كمرض و آفة. «إلّا في كتاب»؛ أي: مكتوبة [في] اللّوح، مثبتة في علم الله. «نبرأها»؛ أي: نخلقها. و الضمير للمصيبة، أو للأرض أو الأنفس. «إنّ ذلك»؛ أي: ثبته في كتاب.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: تعتلج النطفتان في الرحم فأيّتها كانت أكثر، جاءت تشبهها. فإن كانت نطفة الرجل أكثر، جاءت تشبه أعمامه. و إن كانت نطفة المرأة أكثر، جاءت تشبه أخواله. و قال: تحول النطفة في الرحم أربعين يوماً. فمن أراد أن يدعو الله، ففي تلك الأربعين قبل أن يخلق. ثمّ يبعث الله ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله فيقف ما شاء الله. فيقول: إلهي، أذكر أم أنثى؟ فيوحي الله بذلك ما يشاء فيكتب الملك. فيقول: اللّهمّ كم رزقه؟ و ما أجله؟ ثمّ يكتبه و يكتب كلّ ما يصيبه في الدنيا بين عينيه. ثمّ يرجع فيردّه في الرحم. فذلك قول الله: «ما أصاب من مصيبة» ـ الآية.[٤]

[٢٣] «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَ اللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ».

«لكي لاتأسوا»؛ أي: أثبت و كتب لئلّاتحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا و لاتفرحوا بما أعطاكم الله منها. فإنّ من علم أنّ الكلّ مقدّر، هان عليه الأمر. و المراد به نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله و الفرح الموجب للبطر و الاختيال. و لذلك عقّبه بقوله: «و الله لايحبّ

١ـ المصدر: السابعة.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٦١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٠.

٤ـ علل الشرائع / ٩٥، ح ٤.

كلّ مختال فخور» إذ قلّ من يثبت نفسه حال السرّاء و الضرّاء. قرأ أبوعمرو: «بما أتاكم» ليعادل «ما فاتكم».(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «لكيلاتأسوا على ما فاتكم» ممّا خصّ به عليّ بن أبي طالب عليه السلام «و لاتفرحوا بما آتاكم» من الفتنة التي عرضت لكم بعد رسول الله. فقال له الرجل الذي سأله: أشهد أنّكم أصحاب الحكم الذي لا اختلاف فيه. فقام الرجل و لم يره بعد.(٢)

قال أبوعبدالله عليه السلام: إنّ الله حدّ الزهد في كتابه فقال: «لكيلاتأسوا على ما فاتكم» ـ الآية.(٣)

«لكيلاتأسوا على ما فاتكم». فإن قلت: فلا أحد يملك نفسه عند مضرّة تنزل به و لا عند منفعة ينالها أن لايحزن و لايفرح. قلت: المراد الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر و التسليم لأمر الله و رجاء ثواب الصابرين و الفرح المطغي الملهي عن الشكر. فأمّا الحزن الذي لايكون الإنسان يخلو منه مع الاستسلام و السرور بنعمة الله و الاعتداد بها مع الشكر، فلا بأس بهما.(٤)

[٢٤] «الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ».

«الذين يبخلون». بدل من «كلّ مختال». فإنّ المختال بالمال يضنّ به غالباً. أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله: «و من يتولّ». لأنّ معناه: و من يعرض عن الإنفاق، فإنّ الله غنيّ عنه و عن إنفاقه. «الحميد»: المحمود في ذاته لايضرّه الإعراض عن شكره [و لاينفعه التقرّب](٥) إليه بشيء(٦) من نعمه. و فيه تهديد و إشعار بأنّ الأمر بالإنفاق لمصلحة

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٠ ـ ٤٧١.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥١ ـ ٣٥٢.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٦.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٨٠.
٥ـ في النسخة: «بالتقرّب» بدل ما بين المعقوفتين.
٦ـ المصدر: بشكر.

المنفق.(١)

[٢٥] «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ».

«رسلنا»؛ أي: الملائكة و الأنبياء إلى الأمم بالحجج و المعجزات و الميزان لتستوي به الحقوق و يقام به العدل؛ كما قال: «ليقوم الناس بالقسط». و إنزاله إنزال أسبابه و الأمر بإعداده. و قيل: أنزل إلى نوح. و يجوز أن يراد به العدل ليقام به السياسة و يدفع به الأعداء. كما قال: «و أنزلنا الحديد». فإنّ آلات الحروب متّخذة منه. «و منافع للناس». إذ ما من صنعة إلّا و الحديد آلاتها. «من ينصره و رسله» باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفّار. و العطف على محذوف دلّ عليه ما قبله فإنّه حال يتضمّن تعليلاً و اللّام صلة المحذوف. أي: أنزله ليعلم الله «بالغيب». حال من المستكنّ في ينصره. «قويّ» على إهلاك من أراد إهلاكه «عزيز» لايفتقر إلى نصره. و إنّما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به و يستوجبوا ثواب الامتثال فيه.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: الكتاب الاسم الأعظم الأكبر الذي يعلم به علم كلّ شيء، الذي كان مع الأنبياء عليهم السلام.(٣)

«و الميزان». قال: الميزان الإمام عليه السلام.(٤)

روي أنّ جبرئيل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح و قال: مر قومك يزنوا به.(٥)

قيل: نزل آدم من الجنّة ومعه خمسة أشياء من حديد: السندان و الكلبتان و الميقعة ـ و هي المسنّ ـ و المطرقة و الإبرة. و روي المرّ و المسحاة. و عنه صلى الله عليه و آله: انّ الله أنزل أربع بركات

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧١.

٣ـ الكافي ١ / ٢٩٣، ح ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٢.

٥ـ جوامع الجامع / ٤٨٢.

من السماء إلى الأرض؛ أنزل الحديد و النار و الماء و الملح. و عن الحسن: «أنزلنا الحديد»: خلقناه. «بأس شديد». و هو القتال به.[١]

[٢٦] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ».

«و لقد أرسلنا نوحاً» ـ الآية ـ بأن استنبأناهم و أوحينا إليهم الكتاب. و قيل: المراد بالكتاب الخطّ.[٢]

«و جعلنا في ذرّيّتهما النبوّة و الكتاب». يعني أنّ الأنبياء كلّهم من نسلهما و ذرّيّتهما. «فمنهم»؛ أي: من الذرّيّة.[٣]

[٢٧] «ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَ قَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ».

«قفّينا»؛ أي: أتبعناهم بإرسال الرسل. «الذين اتّبعوه». و هم الحواريّون و نحوهم. «رأفة و رحمة»: أشدّ الرقّة و الرحمة. و إنّما مدحهم على ذلك و إن كان من فعله، لأنّهم تعرّضوا لهما. «و رهبانيّة»؛ أي: ابتدعوا رهبانيّة. أصلها من الرهبة و هي الخوف إلّا أنّها عبادة مختصّة بالنصارى. و هي هنا الخصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة. و قيل: إنّ تلك الرهبانيّة رفض النساء و اتّخاذ الصوامع. و التقدير: رهبانيّة ماكتبناها عليهم إلّا أنّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها. و قيل: تلك الرهبانيّة لحاقهم بالبراري و الجبال. في

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٨٠. ٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٦٥.

خبر مرفوع عن النبيّ صلى الله عليه وآله. «فما رعوها» لتكذيبهم بمحمّد صلى الله عليه وآله.[١] و قيل: إنّ الرهبانيّة الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة. قال الزجّاج: جاء في التفسير أنّهم كانوا يرون من ملوكهم ما لايصبرون [عليه] فاتّخذوا صوامع و ابتدعوا ذلك. فلمّا ألزموا أنفسهم ذلك التطوّع، لزمهم تمامه كالنذر. و قوله: «فما رعوها حقّ رعايتها» على ضربين: أحدهما أن يكونوا قصّروا فيما ألزموا أنفسهم. و الآخر ـ و هو الأجود ـ أن يكونوا حيث بعث النبيّ فلم يؤمنوا به، كانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا تلك الرهبانيّة. و دليل ذلك قوله: «فآتينا الذين آمنوا» الآية. يعني آمنوا بالنبيّ. و يعضده ما جاء في الرواية عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول الله على حمار. فقال: هل تدري من أين أحدثت بنوإسرائيل الرهبانيّة؟ فقلت: الله و رسوله أعلم. فقال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصي الله، فقاتلهم أهل الإيمان. فهزموهم و لم يبق من أهل الايمان إلّا القليل. فقالوا: نتفرّق إلى أن يبعث الله النبيّ الذي بشّر عيسى. يعنون محمّداً. فتفرّقوا في غيران الجبال. و أحدثوا رهبانيّة. فمنهم من تمسّك بدينه و منهم من كفر. ثمّ تلا هذه الآية. ثمّ قال: رهبانيّة أمّتي الجهاد و الهجرة و الصلاة و الصوم و الحجّ و العمرة. ثمّ قال: من آمن بي و صدّقني، فقد رعاها حقّ رعايتها. و من لم يؤمن بي، فأولئك هم الظالمون.[٢]

عن أبي‌الحسن عليه السلام في قوله، «و رهبانيّة» قال: صلاة اللّيل.[٣]

«فما رعوها حقّ رعايتها» بضمّ التثليث و القول بالاتّحاد و قصد السمعة و الكفر بمحمّد.[٤]

«رأفة و رحمة»؛ أي: وفّقناهم للتراحم و التعاطف بينهم. و نحوه في صفة أصحاب رسول الله: «رحماء بينهم».[٥] و الرهبانيّة ترهّبهم في الجبال فارّين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة خوفاً من الجبابرة الذين كانوا في عصرهم فخافوا أن يفتنوا في

١ـ المصدر: «فما رعاها الذين بعدهم حقّ رعايتها و ذلك لتكذيبهم بمحمّد صلى الله عليه وآله. عن ابن‌عبّاس.» بدل العبارة الأخيرة.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦.
٣ـ عيون الأخبار ١ / ٢٢٠، ح ٢٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٢.
٥ـ الفتح (٤٨) / ٢٩.

دينهم فاختاروا الرهبانيّة. و معناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان و هو الخائف. «ماكتبناها عليهم»: لم نفرضها نحن عليهم. «إلّا ابتغاء رضوان الله». [استثناء منقطع. أي: ولكنّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله] «فما رعوها» كما يجب على الناذر رعاية نذره، لأنّه عهد مع الله لايحلّ نكثه. «فآتينا الذين آمنوا». يريد أهل الرأفة و الرحمة الذين اتّبعوا عيسى. و الفاسق منهم الذي لم يحافظ عليها. و يجوز أن تكون الرهبانيّة معطوفة على ما قبلها و ابتدعوها صفة لها. أي: و جعلنا في قلوبهم رأفة و رحمة و رهبانيّة مبتدعة من عندهم، بمعنى: وفّقناهم للتراحم بينهم و لابتداع الرهبانيّة و استحداثها. ماكتبنا عليهم إلّا ليبتغوا بها رضوان الله و يستحقّوا بها الثواب. على أنّه كتبها عليهم و ألزمهم إيّاها ليتخلّصوا من الفتن و يبتغوا بذلك رضا الله و ثوابه. فما رعوها جميعاً ولكن بعضهم، فآتينا المؤمنين المراعين لها أجرهم. و كثير منهم فاسقون لم يراعوها.(١)

[٢٨ ـ ٢٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

عن أبي عبدالله عليه السلام «يؤتكم كفلين» قال: الحسن و الحسين عليهما السلام. «و يجعل لكم نوراً». قال: إماماً تأتمّون به.(٢)

«يا أيّها الذين آمنوا». يجوز أن يكون خطاباً للّذين آمنوا من أهل الكتاب و الذين آمنوا من غيرهم. فإن كان خطاباً لمؤمني أهل الكتاب، فمعناه: يا أيّها الذين آمنوا بموسى و عيسى، آمنوا بمحمّد. و النور هو المذكور في قوله: «يسعى نورهم».(٣) «و يغفر لكم» ما أسلفتم من الكفر و المعاصي. «لئلّايعلم أهل الكتاب» الذين لم يسلموا. «ألّايقدرون». أن

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٨١ ـ ٤٨٢.
٢ـ الكافي ١ / ٤٣٠، ح ٨٦.
٣ـ الحديد (٥٧) / ١٢.

مخفّفة من الثقيلة. أي: [انّ] الشأن لايقدرون على شيء؛ أي: لاينالون شيئاً ممّا ذكر من فضله من الكفلين ـ النور و المغفرة ـ لأنّهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله و لم يكسبهم فضلاً. و إن كان خطاباً لغيرهم، فالمعنى: اثبتوا على إيمانكم برسول الله، يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله: «أولئك يؤتون أجرهم مرّتين»[١] و لاينقصكم من مثل أجرهم لأنّكم مثلهم في الايمانين لاتفرّقون بين أحد من رسله. روي أنّ مؤمني أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنّهم يؤتون أجرهم مرّتين و ادّعوا الفضل عليهم، فنزلت. «يؤتيه من يشاء». و لايؤتيه إلّا من يستحقّه.[٢]

«لئلّايعلم»؛ أي: ليعلم أهل الكتاب. «ألّايقدرون»؛ أي: أنّهم لاينالون شيئاً ممّا ذكر من فضله و لايتمكّنون من نيله، لأنّهم لم يؤمنوا برسوله و هو مشروط بالايمان. أو: لايقدرون على شيء من فضله، فضلاً أن يتصرّفوا في أعظمه و هو النبوّة فيخصّونها بمن أرادوا. و يؤيّده قوله: «أنّ الفضل بيد الله».[٣]

١ـ القصص (٢٨) / ٥٤.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٢.

٥٨.
سورة المجادلة

قد مرّ ثواب قراءتها عند قراءة الحديد من ثواب الأعمال.

من قرأها، حفظ من كلّ سوء. و تقرأ عند المريض يسكن مرضه، و على ما يخزن يحفظ. و إن طرحت على الحبوب، لم يفسد.(١)

أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله: من قرأها، كتب من حزب الله يوم القيامة.(٢)

نزلت في امرأة من الأنصار اسمها خولة و زوجها اسمه أوس بن الصامت و كانت حسنة الجسم. فرآها زوجها ساجدة في صلاتها. فلمّا انصرفت، أرادها فأبت عليه. فغضب عليها فقال: أنت عليّ كظهر أمّي. ثمّ ندم. وكان الظهار من طلاق أهل الجاهليّة. فقال: و ما أظنّ إلّا و قد حرمتي عليّ. فقالت: لاتقل ذلك و أت رسول الله ﷺ و اسأل. فقال: إنّي أستحيي. فأتت إليه فقالت: يا رسول الله ، إنّ زوجي تزوّجني و أنا شابّة غانية ذات مال و أهل ، حتّى إذا أكل مالي و أفنى شبابي و تفرّق أهلي و كبر سنّي، ظاهر منّي. و قد ندم. فقال ﷺ: ما أراك إلّا حرمت عليه. فقالت: يا رسول الله ، ما ذكر طلاقاً. فقال: ما أراك إلّا حرمت عليه و لم أومر في شأنك بشيء. فجعلت تراجع رسول الله و إذا قال: حرمت عليه، قالت: أشكو إلى الله فاقتي و حاجتي. و كان أوّل ظهار في الإسلام. فنزل عليه الوحي و أخذه السبات. فقال لها: ادعي زوجك. فتلا عليه الآيات فقال: هل تستطيع أن تعتق رقبة؟ قال: إذاً يذهب مالي كلّه. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: و الله ـ يا رسول الله ـ إنّي إذا لم آكل

١ـ المصباح / ٦١١.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٦٩.

في اليوم ثلاث مرّات كلّ بصري. قال: فهل تستطيع أن تطعم ستّين مسكيناً؟ قال: لا إلّا أن تعينني على ذلك. فقال: إنّي معينك بخمسة عشر صاعاً و أنا داع لك بالبركة. فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً.(١)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَ اللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ».

«زوجها»؛ أي: شأن زوجها. و كانت تقول في شكواها: اللّهمّ إنّك تعلم حالي فارحمني. فإنّ لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا و إن ضممتهم إليّ جاعوا. «تحاوركما»؛ أي: تخاطبكما و مراجعتكما في الكلام.(٢)

«قد سمع الله». لفظ قد يشعر بأنّ الرسول أو المجادلة يتوقّع أنّ الله يسمع مجادلتها و شكواها و يفرّج عنها كربها.(٣)

عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إنّ النبيّ ﷺ قال لفاطمة عليها السلام: إنّ زوجك يلاقي بعدي كذا و كذا. فخبّرها بما يلقى بعده. فقالت: يا رسول الله، أ تدعو الله أن يصرف ذلك عنه؟ فقال: قد سألت الله ذلك له فقال: إنّك(٤) مبتلًى و مبتلًى به. فهبط جبرئيل فقال: «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» ـ الآية. و شكواها له لا منه و لا عليه.(٥)

[٢] «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً وَ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ».

«يظاهرون منكم من نسائهم»؛ أي: يقولون: أنت عليّ كظهر أمّي. «ما هنّ أمّهاتهم» على الحقيقة. «ليقولون». أي المظاهرون. «منكراً» لا يعرف في الشرع. «و زوراً»؛ أي: كذباً.

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧١.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٢.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٣.

٤ـ المصدر: إنّه.

٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٧٠ ـ ٦٧١، ح ١.

لأنّها ليست كظهر أمّه. «لعفوّ غفور»: عفا عنهم و غفر لهم. أهل البصرة و ابن‌كثير: «الذين يظّهّرون» بفتح الياء و تشديد الظاء و الهاء.(١)

و عن الباقر عليه السلام قال: و لايكون ظهار في يمين و لا في إضرار و لا في غضب. و لايكون ظهار إلّا على طهر من غير جماع بشهادة شاهدين مسلمين.(٢)

[٣] «وَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

«ثمّ يعودون». اختلف المفسّرون في معنى العود. و الذي ذهب إليه أئمّة الهدى من آل محمّد عليهم السلام هو أنّ المراد بالعود إرادة الوطي أو نقض القول الذي قاله. لأنّ الوطي لايجوز له إلّا بعد الكفّارة. «فتحرير رقبة»؛ أي: فعليه تحرير رقبة. «من قبل أن يتماسّا»؛ أي: يجامعها فيتماسّا. و التحرير أن يقول للرقبة: أنت حرّة. «ذلكم»؛ أي: التغليظ في الكفّارة «توعظون به» حتّى تتركوا الظهار. «خبير»؛ أي: عليم بأعمالكم. فلا تدعوا ما وعظكم به من الكفّارة قبل الوطي.(٣)

[٤] «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«متتابعين». و التتابع عند أكثر الفقهاء أن يوالي بين أيّام الشهرين الهلاليّين أو يصوم ستّين يوماً. و قال أصحابنا: إذا صام شهراً و من الثاني و لو يوماً، ثمّ أفطر بغير عذر، فقد أخطأ إلّا أنّه يبني [عليه] و لايستأنف. «مسكيناً»؛ أي: فقيراً، لكلّ مسكين بنصف صاع عند أصحابنا. فإن لم‌يقدر، فمدّ. «ذلك» الذي وصفناه، لتصدّقوا بأنّ الله أمر به. «و تلك

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٢ و ٣٧٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٤.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

حدود الله»؛ أي: ما وصفه من الكفّارات في الظهار. «و للكافرين»:المعتدين حدود الله.(١)

[٥] «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ».

«يحادّون الله»؛ أي: يخالفون أمر الله و يعادون رسوله. «كبتوا»؛ أي: أذلّوا و أخزوا، كما أخزي الذين من قبلهم من أهل الشرك. «آيات بيّنات» من القرآن و ما فيه من الأدلّة و البيان.(٢)

«كبتوا»: أخزوا و أهلكوا، كما كبت أعداء رسل الله من قبلهم. قيل: أريد كبتهم يوم الخندق. «آيات بيّنات» تدلّ على صدق الرسول. «و للكافرين» بهذه الآيات.(٣)

[٦] «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَ نَسُوهُ وَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

«يوم يبعثهم». ظرف للعذاب المهين. «ممّا عملوا» من المعاصي في دار الدنيا. «أحصاه الله» في كتاب أعمالهم و أثبته فيه.(٤)

«يوم يبعثهم الله». منصوب باذكر تعظيماً لليوم. «جميعاً»؛ أي: كلّهم. أو: مجتمعين في حال واحدة. «فينبّئهم بما عملوا» تخجيلاً لهم و توبيخاً و تشهيراً بحالهم يتمنّون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد. «و نسوه» لأنّهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي و إنّما تحفظ معظمات الأمور.(٥)

[٧] «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَدْنَىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٣.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٣.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٨٩.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٥.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٨٩.

أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«ألم تر». الخطاب للنبيّ ﷺ و المراد جميع المكلّفين. و هو استفهام معناه التقرير. «هو رابعهم». أي بالعلم. يعني كما تكون معلومة عند الرابع الذي هو معهم. أبوجعفر: «ما تكون» بالتاء. و يعقوب: «و لا أكثر» بالرفع.(١)

«ما يكون». من كان التامّة. قرئ بالياء و التاء، على أنّ النجوى تأنيثها غير حقيقيّ. و «من» فاصلة. و النجوى: التناجي. فلاتخلو إمّا أن تكون مضافة إلى «ثلاثة»، أي: من نجوى ثلاثة نفر. أو موصوفة بها، أي: من أهل نجوى ثلاثة، فخذف الأهل، أو جعلوا نجوى في أنفسهم مبالغة. فإن قلت: ما الداعي إلى تخصيص الثلاثة و الخمسة؟ قلت: فيه وجهان. أحدهما: إنّ قوماً من المنافقين [تحلّقوا] للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة و خمسة، فقيل: ما يتناجى منهم ثلاثة و لا خمسة، كما ترونهم يتناجون كذلك، و لا أدنى من عددهم و لا أكثر إلّا و الله معهم يسمع ما يقولونه. فقد روي عن ابن‌عبّاس: انّها نزلت في ربيعة و حبيب و صفوان بن أميّة كانوا يوماً يتحدّثون فقال أحدهم: أ ترى الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر: يعلم بعضاً و لايعلم بعضاً. و قال الثاني: إن كان يعلم بعضاً، فهو يعلمه كلّه. و صدق. لأنّ من علم بعض الأشياء بغير سبب، فقد علمها كلّها. لأنّ كونه عالماً بغير سبب ثابت له مع كلّ معلوم. و الثاني: انّه قصد بها أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى و المتخالين للشورى و هم طائفة مجتباة من أولي النهى و الأحلام أوّل عددهم الاثنان فصاعداً إلى خمسة إلى ستّة إلى ما اقتضاه الحال، فذكر الثلاثة و الخمسة و قال: «و لا أدنى من ذلك» فدلّ على الاثنين و الأربعة، و قال «و لا أكثر» فدلّ على ما يلي هذا العدد و يقاربه. «و لا أكثر» بالنصب لأنّ لا لنفي الجنس. و يجوز أن يكون «أكثر» بالرفع معطوفاً على محلّ «لا» مع أدنى.(٢)

عن ابن‌عبّاس قال: أضمرت قريش قتل عليّ ؑ و كتب صحيفة و دفعوها إلى

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦ و ٣٧٤.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٨٩ ـ ٤٩٠.

أبي‌عبيدة بن الجرّاح، فأنزل الله جبرئيل على رسوله ﷺ فخبّره بخبرهم فقالوا: أنّى له علم ذلك و لم‌يشعر به أحد؟ فأنزل الله: «ما يكون» ـ الآية.(١)

«إلّا و هو سادسهم». تخصيص العددين لأنّ الله وتر يحبّ الوتر و الثلاثة أوّل الأوتار، أو لأنّ التشاور لا بدّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين و ثالث يتوسّط بينهما.(٢)

و عن أبي‌عبدالله عليه السلام: نزلت هذه الآية في فلان و فلان و أبي‌عبيدة بن الجرّاح و عبدالرحمن بن عوف و سالم مولى أبي‌حذيفة و المغيرة بن شعبة حيث كتبوا الكتاب بينهم و تعاهدوا و توافقوا لئن مضى محمّد ﷺ لاتكون الخلافة في بني‌هاشم و لا النبوّة أبداً. فنزلت: «ما يكون من نجوى» ـ الآية. ثمّ قال عليه السلام: لعلّك ترى أنّه كان يوم يشبه يوم كتب الكتاب إلّا يوم قتل الحسين عليه السلام! و هكذا كان في سابق علم [الله عزّ و جلّ الذي أعلمه] رسول الله أنّه إذا كتب الكتاب، يقتل الحسين و يخرج الملك من بني‌هاشم.(٣)

[٨] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَ إِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ».

«ألم‌تر إلى الذين نهوا عن النجوى». عن ابن‌عبّاس: انّها نزلت في اليهود و المنافقين. لأنّهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين و ينظرون إلى المؤمنين و يتغامزون بأعينهم. فإذا رأوا نجواهم قالوا: ما نراهم إلّا و قد بلغهم عن أقربائنا و إخواننا الذين خرجوا في السرايا [قتل أو مصيبة] أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم و يحزنهم. فلمّا طال ذلك، شكوا إلى رسول الله فأمرهم أن لايتناجوا دون المسلمين، فلم‌ينتهوا عن ذلك و عادوا إلى مناجاتهم، فنزلت. «بالإثم و العدوان» لأنّه يسيء المسلمين و يوصي بعضهم بعضاً بترك أمر الرسول و المعصية له. «بما لم‌يحيّك به الله». و ذلك أنّ اليهود كانوا يأتون النبيّ فيقولون: السام عليك

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٧١، ح ٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٥.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٧١ ـ ٦٧٢، ح ٣.

ـ و السام الموت ـ و هم يوهمون أنّهم يقولون: السلام عليك. و كان النبيّ يردّ على من قال ذلك فيقول: و عليك. «و يقولون في أنفسهم»؛ أي: يقول بعضهم لبعض. و قيل: معناه أنّهم لو تكلّموا لقالوا هذا الكلام و إن لم يكن منهم قول.(١)

«نهوا عن النجوى». قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله يأتونه و كانوا يسألونه أن يسأل الله ما لا يحلّ لهم، فأنزل الله: «و يتناجون بالإثم و العدوان». و قولهم إذا أتوه: أنعم صباحاً و أنعم مساء، و هي تحيّة الجاهليّة، فأنزل الله: «حيّوك» ـ الآية. فقال لهم رسول الله: قد أبدلنا الله بخير من ذلك، تحيّة أهل الجنّة: السلام عليكم.(٢)

«و يتناجون». حمزة: «و ينتجون». [و هو يفتعلون] من النجوى. «بما لم يحيّك به الله» فيقولون: أنعم صباحاً. و الله سبحانه يقول: «و سلام على عباده الذين اصطفى»(٣).(٤)

«لو لا يعذّبنا الله». كانوا يقولون: ما له إن كان نبيّاً لا يدعو علينا حتّى يعذّبنا الله بما نقول؟ فقال الله: «حسبهم جهنّم» عذاباً.(٥)

[٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَ تَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوىٰ وَ اتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».

«يا أيّها الذين آمنوا». خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم. و يجوز أن يكون للمؤمنين. أي: إذا تناجيتم، فلا تشبّهوا بأولئك في تناجيهم بالشرّ. «بالبرّ و التقوى». عن النبيّ صلى الله عليه و آله: إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما. فإنّ ذلك يحزنه.(٦)

«بالبرّ و التقوى»؛ أي: بأفعال الخير و الطاعة و الخوف من عذاب الله.(٧)

[١٠] «إِنَّمَا النَّجْوىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٤ ـ ٣٥٥.
٣ـ النمل (٢٧) / ٥٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٥.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٩١.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٩١.
٧ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٦ ـ ٣٧٧.

الله وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».

«إنّما النجوى». اللّام إشارة إلى النجوى بالإثم و العدوان. «من الشيطان». لأنّه الذي يزيّنها لهم فكأنّها منه ليغيظ الذين آمنوا و يحزنهم. «و ليس» الشيطان أو الحزن «بضارّهم شيئاً إلّا بإذن الله». فإن قلت: كيف لايضرّهم الشيطان أو الحزن إلّا بإذن الله؟ قلت: كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم و تغامزهم أنّ غزاتهم غلبوا و أنّ أقاربهم قتلوا. فقال: لايضرّهم الشيطان أو الحزن بذلك الوهم إلّا بمشيّة الله و هو أن يقضي الموت على أقاربهم و الغلبة على الغزاة.(١)

«إلّا بإذن الله»؛ يعني: بعلم الله. و قيل: بأمر الله. لأنّ سببه بأمره و هو الخروج إلى الجهاد. و قيل: إنّ الآية المراد بها أحلام المنام التي يراها الإنسان في نومه فتحزنه.(٢)

«إنّما النجوى من الشيطان». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان سبب نزولها أنّ فاطمة رأت في منامها أنّ رسول الله همّ أن يخرج هو و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام من المدينة فخرجوا حتّى جاوزوا حيطان المدينة، فعرض لهم طريقان، فأخذوا ذات اليمين حتّى انتهوا إلى موضع فيه نخل و ماء فاشترى رسول الله شاة و أمر بذبحها، فلمّا أكلوا ماتوا في مكانهم. فانتبهت فاطمة باكية ذعرة و لم تخبر رسول الله بذلك. فلمّا أصبحوا، جاء رسول الله بحمار فأركب فاطمة و أمر أن يخرج أميرالمؤمنين و الحسنان من المدينة كما رأت فاطمة في نومها حتّى انتهوا إلى الموضع الذي فيه نخل و ماء و ذبحوا الشاة. فلمّا أرادوا من أكلها، تنحّت فاطمة و أرادت أن تبكي مخافة أن يموتوا. فسألها رسول الله: ما شأنك؟ فحكت له. فقام و صلّى ركعتين و ناجى ربّه. فنزل جبرئيل و قال: يا محمّد صلى الله عليه و آله هذا شيطان يقال له الزها و هو الذي أرى فاطمة هذه الرؤيا. فبزق عليه النبيّ ثلاث بزقات.(٣)

و في حديث آخر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «إنّما النجوى من الشيطان» قال: الثاني.(٤)

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٩١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٥ ـ ٣٥٦.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٦. و فيه: «قال: فلان».

يعني رمع عليه اللّعنة.

[١١] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَ إِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

«إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس». عاصم وحده على الجمع، و الباقون على الإفراد. كان رسول الله في الصفّة و في المكان ضيق. و كان يوم الجمعة. و كانﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين و الأنصار. فجاء أناس من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس و قد سبقوا في المجلس فقاموا حيال رسول الله. و سلّموا فما ردّ القوم عليهم السلام. فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسّع لهم فلم يفسحوا لهم. فشقّ ذلك على النبيّ و قال لمن حوله من المهاجرين من غير أهل بدر: قم يا فلان، قم يا فلان، بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر. فشقّ ذلك على من أقيم من مجلسه. فقال المنافقون للمسلمين: ألستم تزعمون أنّ صاحبكم يعدل بين الناس؟ فو الله ما عدل على هؤلاء! إنّ قوماً أخذوا مجالسهم و أحبّوا القرب من نبيّهم فأقامهم و أجلس من أبطأ مقامهم. «يفسح الله لكم» في مجالس الجنّة. «انشزوا»؛ أي: إذا نودي للصلاة، فانهضوا. فإنّ رجالاً كانوا يتثاقلون عن الصلاة. «أوتوا العلم درجات»؛ أي: يرفع الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله درجة و الذين أوتوا العلم بفضل علمهم و سابقتهم درجات في الجنّة. و قيل: درجات في مجلس رسول الله. فأمر الله أن يقرّب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لايعلمون العلم ليظهر فضل العلماء على غيرهم.(١)

«تفسّحوا في المجلس»: توسّعوا فيه و ليفسح بعضكم عن بعض ـ من قولهم: تفسّح(٢) عنّي؛ أي: تنحّ ـ و لاتتضامّوا. و المراد مجلس رسول الله كانوا يتضامّون فيه تنافساً على القرب منه و حرصاً على استماع كلامه. و قيل: هو المجلس من مجالس القتال و هي مراكز

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٨ ـ ٣٨٠.

٢ـ المصدر: افسح.

الغزاة. كقوله: «مقاعد للقتال».(١) قيل: كان الرجل يأتي الصفّ فيقول: تفسّحوا، فيأبون لحرصهم على الشهادة. «يفسح الله لكم». مطلق في كلّ مايبتغي الناس الفسحة فيه من المكان و الرزق و الصدر و القبر و غير ذلك. «انشزوا»: انهضوا للتوسعة على المقبلين. أو: انهضوا عن مجلس رسول الله إذا أمرتم بالنهوض عنه و لا تملّوا رسول الله بالمكث فيه. أو: انهضوا إلى الصلاة و الجهاد و أعمال الخير إذا استنهضتم و لاتثبّطوا. «يرفع الله» المؤمنين بامتثال أوامره درجات.(٢)

[١٢ ـ ١٣] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

و أمّا آية المناجاة، فإنّها نزلت في الأغنياء. و ذلك أنّهم كانوا يكثرون مناجاته ﷺ فأمرهم بالصدقة عند المناجاة فانتهوا عن مناجاته. فنزلت آية الرخصة.(٣)

«بين يدي نجواكم صدقة». كانت الصدقة مفوّضة إليهم غير مقدّرة. ثمّ قال سبحانه ناسخاً لهذا الحكم: «أ أشفقتم »؛ أي: خفتم ـ يا أهل الميسرة ـ و بخلتم بالصدقة بين يدي نجواكم؟ و هذا توبيخ على ترك الصدقة إشفاقاً من العيلة. «و تاب الله عليكم» لتقصيركم فيه.(٤)

«بين يدي نجواكم»؛ أي: قبل نجواكم. «ذلك»؛ أي: التقديم. «خير لكم و أطهر». لأنّ الصدقة طهرة. و روي أنّ الناس أكثروا مناجاة رسول الله بما يريدون حتّى أملّوه و أبرموه، فأريد أن يكفّوا عن ذلك، فأمروا بأنّ من أراد أن يناجيه قدّم قبل مناجاته صدقة. و عن عليّ ؑ: انّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد [قبلي و لايعمل بها أحد] بعدي. كان لي

١ـ آل عمران (٣) / ١٢١.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٩٢.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧٩.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٠.

دينار؛ فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم. قال [الكلبيّ]: تصدّق به في عشر كلمات سألهنّ رسول اللهﷺ. و عن ابن‌عمر: كان لعليّ ثلاث لو كانت لي واحدة منهنّ، كانت أحبّ إليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة، و إعطاؤه الراية يوم خيبر، و آية النجوى. قال ابن‌عبّاس: هي منسوخة بالآية التي بعدها. قيل: كان ذلك عشر ليال ثمّ نسخ. «فإذ لم‌تفعلوا» ما أمرتم و شقّ عليكم. «و تاب الله عليكم» و عذركم و رخّص لكم في أن لاتفعلوه، فلاتفرّطوا في الصلاة و الزكاة و سائر الطاعات.[١]

قال عليّعليه‌السلام: آية المناجاة لم‌يعمل بها أحد قبلي و لا بعدي. قال القاضي: هذا لايدلّ على فضله دون أكابر الصحابة. لأنّ الوقت لم‌يتّسع لهذا الفرض. و قال فخرالدين الرازيّ: سلّمنا أنّ الوقت يتّسع إلّا أنّ الإقدام على هذا العمل ممّا يضيّق قلب الفقير الذي لايجد شيئاً و ينفر الرجل الغنيّ، فلم‌يكن في تركه مضرّة. لأنّ الذي يكون للألفة أولى من الذي يكون سبباً للوحشة، و أيضاً الصدقة عند المناجاة واجبة، أمّا المناجاة فليست بواجبة و لا مندوبة، بل الأولى ترك المناجاة، لأنّها كانت سبب سآمة النبيّ. قلت: لايخلو هذا الكلام عن تعصّب. و من أين يلزمنا أن نثبت مفضوليّتهعليه‌السلام في كلّ خصلة؟ و لم لايجوز أن يحصل له فضيلة لم‌توجد لغيره من أكابر الصحابة؟ فقد روي عن ابن‌عمر أنّ العمل بآية المناجاة أحبّ إليه من حمر النعم و كذلك تزويج فاطمة و إعطاء الراية يوم خيبر. و هل يقول منصف أنّ مناجاة النبيّ نقيصة؟ على أنّه لم‌يرد نهي في الآية عن المناجاة و إنّما وردت في تقديم الصدقة على المناجاة. فالعامل بالآية حصلت له الفضيلة من جهة سدّ خلّة بعض الفقراء و من جهة محبّة تناجي الرسول ففيها القربة منه و حلّ المسائل و إظهار أنّ نجواه أحبّ إلى المناجي من المال.[٢]

أقول: لايخفى ما في كلام الرازيّ من النصب و العناد لأميرالمؤمنينعليه‌السلام.

«فإن لم تجدوا». رخّص في المناجاة لمن لم‌يجد بأن يناجي بلا صدقة. و عن عليّعليه‌السلام: انّ

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢٨ / ٢٤ ـ ٢٥.

في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري. كان لي دينار، فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم. و هو على القول بالوجوب لايقدح في غيره. و لعلّه لم يتّفق للأغنياء مناجاة في مدّة بقائه؛ إذ روي أنّه لم يبق إلّا عشراً. هكذا قال القاضي البيضاويّ.[١] و قال قبل هذا الكلام متّصلاً به: إنّ نزول هذه الآية للنهي عن الإفراط في السؤال و التمييز بين المخلصين و المنافقين و محبّ الآخرة و محبّ الدنيا. فانظر إلى تناقض الكلامين! «و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

[١٤] «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَ لَا مِنْهُمْ وَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ».

«الذين تولّوا». المراد بهم المنافقون. كانوا يولّون اليهود و يفشون إليهم أسرار المؤمنين و يجتمعون معهم في ذكر مساءة النبيّ. «و ما هم منكم». يعني أنّهم ليسوا من المؤمنين في الدين و الولاية و لا من اليهود. «و يحلفون على الكذب» أنّهم لم ينافقوا «و هم يعلمون» أنّهم منافقون.[٢]

«غضب الله عليهم». هم اليهود في قوله: «من لعنه الله و غضب عليه».[٣] «على الكذب» الذي هو ادّعاء الإسلام. «و هم يعلمون» أنّ المحلوف عليه كذب بحت. فإن قلت: ما فائدة قوله: «و هم يعلمون»؟ قلت: الكذب أن يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم. فالمعنى أنّ خبرهم على خلاف ما يخبرون عنه و هم عالمون بذلك متعمّدون.[٤]

«ألم تر إلى الذين تولّوا» ـ الآية. قال: نزلت في الثاني. لأنّه مرّ به رسول الله و هو جالس عند رجل من اليهود و يكتب خبر رسول الله، فأنزل الله: «ألم تر» ـ الآية. فجاء الثاني إلى النبيّ فقال له: رأيتك تكتب عن اليهود و قد نهى الله عن ذلك! فقال: كتبت ما في التوراة من

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٠.
٣ـ المائدة (٥) / ٦٠.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٩٥.

صفتك. و أقبل يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وآله غضبان عليه.[١]

«و يحلفون على الكذب». روي أنّه صلى الله عليه وآله كان في حجرة من حجراته فقال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبّار و ينظر بعين شيطان. فدخل عبد بن تبتل[٢] المنافق و كان أزرق. فقال صلى الله عليه وآله: علام تشتمني أنت و أصحابك؟ فحلف بالله ما فعل. ثمّ جاء بأصحابه فحلفوا. فنزلت.[٣]

[١٥] «أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«ساء ما كانوا يعملون». و هو النفاق و موالاة أعداء الله.[٤]

«ساء ما كانوا يعملون». يعني أنّهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرّين عليه. أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة.[٥]

[١٦] «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ».

«اتّخذوا أيمانهم» التي يحلفون بها «جنّة»؛ أي: سترة و ترساً يدفعون بها عن نفوسهم التهمة و المظنّة إذا ظهرت منهم الريبة «فصدّوا» نفوسهم و غيرها «عن سبيل الله» الذي هو الحقّ و الهدى. «مهين»؛ أي: يخزيهم.[٦]

«اتّخذوا إيمانهم[٧] جنّة»؛ أي: حجاباً بينهم و بين الكفّار. و إيمانهم إقرار باللّسان حذراً من السيف و دفع الجزية.[٨]

«فصدّوا عن سبيل الله»؛ أي: صدّوا الناس في خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش و التثبيط.[٩]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٧.
٢ـ المصدر: عبدالله بن نبتل.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٠.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٩٥.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٢.
٧ـ و في الشواذّ قراءة الحسن: «اتّخذوا إيمانهم» بكسرة الهمزة. (المجمع ٩ / ٣٨١)
٨ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٨.
٩ـ تفسير البيضاويّ ٢ ٤٧٧.

[١٧] «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«لن تغني عنهم أموالهم و لا أولادهم من الله شيئاً» قليلاً من الإغناء. روي أنّ رجلاً منهم قال: لننصرنّ يوم القيامة بأنفسنا و أموالنا و أولادنا.(١)

[١٨] «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ».

«فيحلفون له» بأنّهم كانوا مؤمنين كما كانوا يحلفون لكم على الإيمان. «و يحسبون أنّهم على شيء»؛ أي: يحسب المنافقون في الدنيا أنّهم مهتدون. لأنّ في الآخرة تزول الشكوك. و قيل: في القيامة مواطن: فموطن يعرفون فيه قبح الكذب ضرورة فيتركونه؛ و موضع يكونون فيه كالمدهوش فيتكلّمون بكلام الصبيان بالكذب و غير الكذب و يحسبون أنّهم على شيء في ذلك الموضع الذي يحلفون فيه بالكذب. «ألا إنّهم هم الكاذبون» في أيمانهم و أقوالهم في الدنيا.(٢)

«و يحسبون أنّهم على شيء». لأنّ تمكّن الكذب و النفاق في قلوبهم بحيث يخيّل إليهم في الآخرة أنّ الأيمان الكاذبة تروّج الكذب على الله كما تروّجه عليكم في الدنيا.(٣)

«يوم يبعثهم الله جميعاً». قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله الذين غصبوا آل محمّد حقّهم فتعرض عليهم أعمالهم فيحلفون أنّهم لم يعلموا منها شيئاً، كما حلفوا لرسول الله في الدنيا حين حلفوا لا يردّوا الولاية في بني هاشم و حين همّوا بقتل رسول الله في العقبة، فلمّا أطلع الله نبيّه و أخبره، حلفوا أنّهم لم يقولوا ذلك و لم يهمّوا به.(٤)

[١٩] «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٩٤ ـ ٤٩٥.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٨.

حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

«استحوذ»؛ أي: غلب عليهم الشيطان. «هم الخاسرون»: يخسرون الجنّة.(١)

«استحوذ». من حاذ الحمار العانة، إذا جمعها و ساقها غالباً لها. يعني: جعلهم رعيّته و حزبه. «فأنساهم» أن يذكروا الله أصلاً لا بقلوبهم و لا بألسنتهم.(٢)

[٢٠] «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ».

«يحادّون الله»؛ أي: يخالفونه في حدوده. و هم المنافقون. «في الأذلّين»؛ أي: لا أحد أذلّ منهم في الدنيا و الآخرة.(٣)

«في الأذلّين»: في جملة من هو أذلّ خلق الله.(٤)

[٢١] «كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ».

«كتب الله»؛ أي في اللّوح المحفوظ. و ما كتبه فلابدّ أن يكون. أجرى قوله: «كتب الله» مجرى القسم فأجابه بجواب القسم. قال الحسن: ما أمر الله نبيّاً قطّ [بحرب] إلّا غلب إمّا في الحال أو فيما بعد. و يجوز أن يكون المعنى: قضى الله و وعد «لأغلبنّ أنا و رسلي» بالحجج و البراهين و إن غلب بعضهم في الحرب. و يروى أنّ المسلمين قالوا ـ لمّا رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى ـ: ليفتحنّ الله علينا الروم و فارس. فقال المنافقون: أ تظنّون أنّ فارس و الروم كبعض القرى التي غلبتم عليها؟ فأنزل الله هذه الآية.(٥)

[٢٢] «لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٢.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٩٦.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٩٦.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولٰئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

«من حادّ الله»؛ أي: يوادّون من خالف الله و رسوله. أي: لايجتمع موالاة الكفّار مع الايمان. و المراد الموالاة في الدين. قيل: إنّ الآية نزلت في حاطب بن أبي‌بلتعة حين كتب إلى أهل مكّة ينذرهم بمجيء رسول الله. و كان أخفى ذلك عليهم. فلمّا عوتب على ذلك قال: إنّ أهلي بمكّة أحببت أن يحوطوهم بيد تكون لي عندهم. و قيل: إنّها نزلت في عبدالله بن أبيّ و ابنه عبيدالله. و كان الابن عند النبيّ فشرب النبيّ فقال: أبق فضلة من شرابك أسقها أبي لعلّ الله يطهّر قلبه. فأعطاه، فأتى به أباه. فقال: ما هذا؟ فقال: بقيّة شراب رسول الله. جئتك بها لتشربها لعلّ الله يطهّر قلبك. فقال: هلّا جئتني ببول أمّك؟ فرجع إلى النبيّ ﷺ فقال: ائذن لي في قتله. فقال: بل ترفّق به. «كتب في قلوبهم»؛ أي: ثبت في قلوبهم ما فعل بهم من الألطاف فصار كالمكتوب على أنّهم مؤمنون. كما أنّ قوله في الكفّار: «و طبع الله على قلوبهم»[1] علامة يعلم بها من شاهدهم من الملائكة. «و أيّدهم بروح»؛ أي: قوّاهم بنور الحجج و البراهين حتّى اهتدوا للحقّ و عملوا به. و قيل: قوّاهم بالقرآن الذي هو حياة القلوب من الجهل. و قيل: أيّدهم بجبرئيل في كثير من المواطن ينصرهم و يدفع عنهم. «رضي الله عنهم» بالطاعة و الإخلاص. «و رضوا عنه» بثواب الجنّة. و قيل: بقضائه عليهم في الدنيا فلم‌يكرهوه. «حزب الله»؛ أي: جند الله و أنصار دينه. «المفلحون»: الناجون الظافرون بالبغية.[2]

عن ابن الحنفيّة: انّما حبّنا أهل البيت شيء يكتبه الله في أيمن قلب العبد. و من كتبه الله في قلبه، لايستطيع أحد محوه. أما سمعت الله يقول: «أولئك كتب» ـ الآية. فحبّنا أهل البيت الإيمان.[3]

«و أيّدهم بروح منه». قال: ملك أعظم من جبرئيل و ميكائيل. و كان مع رسول الله و

١ـ التوبة (٩) / ٩٣.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٣.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٧٦، ح ٨.

هو مع الأئمّة عليهم السلام.(١)

عن أبي جعفر: «و أيّدهم بروح منه»؛ أي: بقوّة.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من مؤمن إلّا و لقلبه أذنان في جوفه: أذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس؛ و أذن ينفث فيها الملك. فيؤيّد الله المؤمن بالملك. فذلك قوله: «و أيّدهم بروح منه».(٣)

و عنه عليه السلام «و أيّدهم بروح» قال: الإيمان.(٤)

و عن أبي الحسن عليه السلام «و أيّدهم بروح منه» قال: نحن نؤيّد بالروح بالطاعة لله و العمل له.(٥)

و عنه صلّى الله عليه و آله: إذا زنى الرجل، فارقه روح الايمان. قال: هو قوله: «و أيّدهم بروح منه». ذلك الذي يفارقه.(٦)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٨.

٢ـ التوحيد / ١٥٣، ح ١. و فيه: «أي: قوّاهم».

٣ـ الكافي ٢ / ٢٦٧، ح ٣.

٤ـ الكافي ٢ / ١٥، ح ٥.

٥ـ الكافي ٢ / ٢٦٨، ح ١.

٦ـ الكافي ٢ / ٢٨٤، ح ١٧.

۵۹. سورة الحشر

عن الصادق عليه السلام: من قرأ الرحمن و الحشر إذا أمسى، وكّل الله بداره ملكاً شاهراً سيفه حتّى يصبح.[۱]

من كتبها في جام زجاج و غسلها بماء المطر و شربها، يرزق الحفظ و الفطنة.[۲]

عن النبيّ صلى الله عليه و آله: من قرأ الحشر، لم يبق جنّة و لا نار و لا عرش و لا كرسيّ و لا الحجب و لا السموات السبع و الأرضون السبع و الهواء و الريح و الطير و الشجر و الجبال و الشمس و القمر و الملائكة إلّا صلّوا عليه و استغفروا له. و إن مات في يومه أو ليلته، مات شهيداً.[۳]

نزلت السورة في إجلاء بني النضير من اليهود فمنهم من خرج إلى خيبر و منهم من خرج إلى الشام. و ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا دخل المدينة، صالحه بنو النضير على أنّهم لا له و لا عليه. فلمّا غزا بدراً و ظهر على المشركين، قالوا: هذا النبيّ الذي وجدنا نعته في التوراة لا تردّ له راية. فلمّا كان أحد، ارتابوا و نقضوا العهد. فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكّة فأتوا قريشاً و حالفوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمّد. فرجع كعب إلى المدينة. و نزل جبرئيل فأخبر النبيّ بما تعاقد عليه كعب و أبوسفيان فأمر بقتل كعب. فقتله أخوه من الرضاعة محمّد بن مسلمة غيلة. فأمر رسول الله بحربهم و المسير إليهم فسار بالناس حتّى نزل بهم. فتحصّنوا بالحصن. فأمر رسول الله بقطع النخل. فأنزل سبحانه: «ما قطعتم من

۱ـ المصباح / ۵۹۴.

۲ـ ثواب الأعمال / ۱۴۵، ح ۱.

۳ـ المصباح / ۶۱۱.

لينة». فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم و أن يخرجهم من أرضهم و أوطانهم و أن يسيّرهم إلى أذرعات بالشام. فأمهلهم ثلاثة أيّام. و كان ذلك بعد رجوعه من أحد.(١)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

[٢] «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ».

و قوله: «من أهل الكتاب» يعني يهود بني‌النضير. «لأوّل الحشر». لأنّ جلاءهم ذلك أوّل حشر اليهود إلى الشام ثمّ يحشر الناس يوم القيامة إلى أرض الشام و ذلك الحشر الثاني. عن ابن‌عبّاس أنّه ﷺ قال: اخرجوا إلى أرض المحشر. و قيل: معناه: لأوّل الجلاء. لأنّهم كانوا أوّل من أجلي من أهل الذمّة من جزيرة العرب ثمّ أجلي إخوانهم من اليهود لئلّا يجتمع في بلاد العرب دينان. «ما ظننتم أن يخرجوا»؛ أي: لم تظنّوا ـ أيّها المؤمنون ـ أنّهم يخرجون من ديارهم لشدّتهم و شوكتهم. «مانعتهم من الله»؛ أي: من سلطان الله. «فأتاهم الله»؛ أي: أمر الله من حيث إنّهم لم يتوهّموا أنّه يأتيهم لما قدّروا في أنفسهم من المنعة. و ألقى الله في قلوبهم الرعب بقتل سيّدهم كعب بن الأشرف.(٢)

«هو الذي أخرج». كان سبب ذلك: انّه كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود: بنوالنضير و قريظة و قينقاع. و كان بينهم و بين رسول الله عهد و مدّة، فنقضوا عهدهم. و كان سببه في بني النضير: انّه أتاهم رسول الله يستقرض منهم دية رجلين قتلهما رجل من أصحابه غيلة. فلمّا دخل على سيّدهم كعب بن الأشرف قال: مرحباً يا أباالقاسم و أهلاً. و قام كأنّه يضع له

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

الطعام و حدّث في نفسه أن يقتل رسول الله و يتبع أصحابه. فأخبر جبرئيل رسول الله، فرجع إلى المدينة و قال لمحمّدبن مسلمة: اذهب إلى اليهود و أخبرهم أنّ الله أخبرني بما همّوا به من الغدر. فإمّا أن يخرجوا من بلدنا و إمّا أن يأذنوا بالحرب. فأخبرهم فقالوا: نخرج. فبعث إليهم عبدالله [بن] أبيّ: [إن] لاتخرجوا و تنابذوا محمّداً الحرب، فإنّي أنصركم أنا و قومي و حلفائي. فإن خرجتم، خرجت معكم. وإن قاتلتم، قاتلت معكم. فأقاموا و أصلحوا حصونهم و بعثوا إليه: انّا لانخرج. فاصنع ما شئت. فأمر أميرالمؤمنين أن يتقدّمهم إلى الحصن. فأحاطوا بحصنهم. و غدر بهم عبدالله. وكان رسول الله إذا ظهر بمقدم بيوتهم حصّنوا ما يليهم و خرّبوا ما يليه. فأمر بقطع نخلهم. فجزعوا من ذلك و قالوا: يا محمّد، إنّ الله يأمرك بالفساد؟ إن كان لك هذا فخذه. و إن كان لنا فلاتقطعه. فلمّا كان بعد ذلك قالوا: يا محمّد، نخرج من بلادك و أعطنا مالنا. فقال: لا ولكن تخرجون ولكم ما حملت الابل. فأبوا و أقاموا أيّاماً و رضوا [ثمّ قالوا: نخرج و لنا ما حملت الإبل] فقال: لا و لايحمل أحد منكم شيئاً. فخرجوا على ذلك و وقع [قوم] منهم إلى فدك و وادي القرى و خرج قوم منهم إلى الشام. فأنزل الله فيهم: «هو الذي أخرج» ـ الآيات.[١]

«فأتاهم الله»؛ أي: عذابه، و هو الرعب. و قيل: الضمير للمؤمنين. أي: فأتاهم نصر الله. «لم يحتسبوا». لقوّة وثوقهم.[٢]

عن الحسن عليه السلام: يبعث الله ناراً من المشرق و ناراً من المغرب و يتبعها بريحين شديدين فيحشر الناس عند صخرة بيت المقدس.[٣] و قد مرّ في سورة الشورى عند قوله: «فريق في الجنّة و فريق في السعير».[٤]

«يخربون». أبوعمرو: «يخرّبون» بالتشديد. «يخربون بيوتهم»؛ أي: يهدمونها. خرّبوا ما استحسنوا منها حتّى لاتكون للمسلمين و يخرّبها المومنون من خارج ليصلوا إليهم. و قيل:

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧٩.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٢.
٤ـ الشورى (٤٢) / ٧.

معنى تخريبها بأيدي المؤمنين أنّهم عرضوها لذلك. «فاعتبروا»؛ أي: فاتّعظوا ـ يـا أهـل العقول ـ و انظروا فيما نزل بهم. و معنى الاعتبار النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها. أو المراد: استدلّوا على صدق الرسول، إذ كان وعد المؤمنين أنّه يورثهم أرضهم و ديارهم بغير قتال فجاء الخبر كما أخبر. و لا دليل في الآية على صحّة القياس في الشريعة. لأنّ الاعتبار ليس من القياس.(١)

«يخربون بيوتهم» ضنّاً بها على المسلمين و إخراجاً لما استحسنوا من آلاتها. «و أيدي المؤمنين» [فإنّهم أيضاً كانوا يخربون ظواهرها نكاية و] توسيعاً لمجال القتال. و عطفها على أيديهم من حيث إنّ تخريب المؤمنين مسبّب عن نقضهم فكأنّهم استعملوهم فيه.(٢)

«يخربون بيوتهم بأيديهم» لحاجتهم إلى الخشب و الحجارة ليسدّوا بها أفواه الأزقّة و ألّا يتحسّروا على بقائها مساكن للمسلمين.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: [كان] أكثر عبادة أبي‌ذرّ رحمة الله عليه التفكّر و الاعتبار.(٤)

[٣] «وَ لَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَـذَابُ النَّارِ».

«أن كتب الله عليهم الجلاء»؛ أي: حكم عليهم أنّهم ينقلون عن أوطانهم. «لعذّبهم في الدنيا» بعذاب الاستئصال و القتل و السبي، كما فعل ببني‌قريظة. لأنّه سبحانه علم أنّ كلا الأمرين في المصلحة سواء. «و لهم في الآخرة» مع الجلاء عن الأوطان عذاب الآخرة.(٥)

«و لهم في الآخرة». استئناف معناه أنّهم إن نجوا من عذاب الدنيا، لم‌ينجوا من عذاب الآخرة.(٦)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٨.
٢ـ ض ٢ / ٤٧٩ ـ ٤٨٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٩٩ ـ ٥٠٠.
٤ـ الخصال / ٤٢، ح ٣٣.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨٠.

[٤] «ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

«ذلك»؛ أي: الذي فعلنا بهم «بأنّهم شاقّوا الله»؛ أي: خالفوا الله و رسوله.[١]

[٥] «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ».

«من لينة»؛ أي: نخلة كبيرة أو كلّ نخلة. «أو تركتموها» لم تقطعوها. «فبإذن الله»؛ أي: بأمره. «و ليخزي الفاسقين» من اليهود. لأنّهم إذا رأوا عدوّهم يتحكّم في أموالهم، كان ذلك خزياً لهم.[٢]

[٦ ـ ٧] «وَ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لٰكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلىٰ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللهُ عَلىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرىٰ فَلِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبىٰ وَ الْيَتَامىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: معنى الفيء كلّ ما صار إلى المشركين ثمّ رجع إلى ما كان عليه. لأنّ ما أفاء الله على المؤمنين من الكفّار فإنّما [هي] حقوق المؤمنين رجعت إليهم بعد ظلم الكفّار إيّاهم.[٣]

و عن أبي عبدالله: الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب، أو قوم صالحوا أو قوم أعطوا بأيديهم، و كلّ أرض خربة و بطون الأودية، فهو لرسول الله، و هو للإمام عليه السلام من بعده يضعه حيث يشاء.[٤]

و عن عليّ بن أسباط قال: لمّا ورد الكاظم عليه السلام على المهديّ، رآه يردّ المظالم، فقال: ما بال

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨٨ ـ ٣٨٩.
٣ـ الكافي ٥ / ١٦، ح ١.
٤ـ الكافي ١ / ٥٣٩، ح ٣.

مظلمتنا لاتردّ؟ فقال: و ما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: إنّ الله لمّا فتح على نبيّه ﷺ فدك و ما والاها، لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب، فأنزل الله على نبيّه: «و آت ذا القربى حقّه».[١] فلم يدر من هم حتّى راجع جبرئيل فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة. فدفعها إليها. فلمّا ولي أبوبكر، أخرج عنها وكلاءها. فسألته أن يردّها عليها. فقال: ايتيني بأسود أو أحمر يشهد لك. فجاءت بأميرالمؤمنين و أمّ أيمن فشهدا لها، فكتب بترك التعرّض. فخرجت و الكتاب معها. فلقيها عمر فقال: ما هذا معك؟ قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي‌قحافة. فقال: أرينيه. فأبت. فانتزعه من يدها و نظر فيها ثمّ تفل و محاه و خرقه و قال: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل و لا ركاب، فضعي الحبال في رقابنا! فقال له المهديّ: يا أباالحسن، حدّها لي. فقال : حدّ منها جبل أحد. و حدّ منها عريش مصر. و حدّ منها سيف البحر. و حدّ منها دومة الجندل. فقال: كلّ هذا؟ قال: نعم. فقال: كثير. و أنظر فيه.[٢]

«و ما أفاء الله على رسوله». قال ابن‌عبّاس: نزلت في أموال كفّار أهل القرى، و هي قريظة و النضير و هما بالمدينة و فدك، و هي من المدينة على ثلاثة أميال، و خيبر و ينبع، جعلها الله تعالى لرسوله يحكم فيها ما أراد و أخبر أنّها كلّها له. فقال ناس: هلّا قسمها؟ فنزلت الآية. و الآية الثانية بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية الأولى. و المعنى ما أفاء الله على رسوله من اليهود الذين أجلاهم، و إن كان الحكم جارياً في جميع الكفّار الذين هذا حكمهم.[٣] «فما أوجفتم»؛ أي: أجريتم على تحصيله. من الوجيف و هو سرعة السير. «و لا ركاب»: ما يركب من الإبل. غلب عليه كما غلب الراكب على راكبه.[٤] و المعنى: لم تسيروا إليه على خيل و لا ركاب. و إنّما كانت ناحية من المدينة مشيتم إليها مشياً. و قوله: «عليه»؛ أي: على ما أفاء الله. «يسلّط رسله»؛ أي: يمكّنهم من عدوّهم من غير قتال بأن يقذف الرعب في قلوبهم. جعل الله أموال بني‌النضير لرسول الله ﷺ خالصة فقسمها بين المهاجرين

١ـ الإسراء (١٧) / ٢٦.
٢ـ الكافي ١ / ٥٤٣، ح ٥.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٠ ـ ٣٩١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨٠.

و لم يعط الأنصار منها شيئاً إلّا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة. ثمّ ذكر سبحانه حكم الفيء فقال: «ما أفاء الله على رسوله» من أموال كفّار أهل القرى «فلله» يأمركم فيه بما أحبّ «و للرسول» بتمليك الله إيّاه «و لذي القربى» يعني أهل بيت رسول الله و هم بنوهاشم «و اليتامى و المساكين و ابن السبيل» منهم. لأنّ التقدير: و لذي قرباه و يتامى أهل بيته و مساكينهم و ابن السبيل منهم. و هو المرويّ عن زين العابدين عليه السلام. و قال جميع الفقهاء: يتامى الناس عامّة. و كذلك المساكين و أبناء السبيل. و روي ذلك أيضاً عنهم عليهم السلام. ثمّ بيّن سبحانه أنّه لم يفعل ذلك فقال: «كيلا يكون دولة». الدولة: اسم للشيء الذي يتداوله القوم يكون لهذا مرّة و لهذا مرّة. أي: لئلّا يتداول الفيء متداولاً بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهليّة. و هذا خطاب للمؤمنين. و ذلك أنّ رؤساء المسلمين قالوا له: يا رسول الله، خذ صفوك و الربع و دعنا و الباقي. و هكذا كنّا نفعل في الجاهليّة. فنزلت الآية فقالوا: سمعاً و طاعة. أبوجعفر: «كيلا تكون» بالتاء و «دولة» بالرفع.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله خرج في غزاة. فلمّا انصرف راجعاً، نزل في بعض الطريق. فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد، قم فاركب. فركب فطويت له الأرض طيّ الثوب حتّى انتهى إلى فدك. فلمّا سمع أهل فدك وقع الخيل، علموا أنّ عدوّهم قد جاؤوا، فغلّقوا أبواب المدينة و دفعوا المفاتيح إلى عجوز لهم في بيت خارج من المدينة و لحقوا برؤوس الجبال. فأتى جبرئيل العجوز و أخذ المفاتيح ثمّ فتح أبواب المدينة، فدار النبيّ في بيوتها و قراها. فقال جبرئيل: انظر إلى ما خصّك به دون الناس. و هو قوله: «ما أفاء الله على رسوله» ـ الآية ـ و لم يعرفها المسلمون و لم يطؤوها. فرجع رسول الله إلى أصحابه [و] لم يتفرّقوا. فقال: قد انتهيت إلى فدك و قد أفاءها عليّ. فغمز المنافقون بعضهم بعضاً. فقال: هذه مفاتيح فدك ـ الحديث.(٢)

«دولة». عن النبيّ صلّى الله عليه و آله: إذا بلغ الله أبي العاص ثلاثين رجلاً، صيّروا مال الله دولاً و كتاب

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٠ ـ ٣٩٢.

٢ـ الخرائج و الجرائح ١ / ١١٢.

الله دغلاً و عباده خولاً و الفاسقين حزباً و الصالحين حرباً.(١)

«و ما آتاكم الرسول»؛ أي: ما أعطاكم من الفيء «فخذوه» و ارضوا به. و هذا عامّ في كلّ ما أمر و نهى و إن نزلت الآية في الفيء.(٢)

[٨] «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَ رِضْوَاناً وَ يَنْصُرُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ».

«المهاجرين»: الذين هاجروا من مكّة إلى المدينة ومن دار الحرب إلى دار الإسلام. «و ينصرون الله»؛ أي: ينصرون دين الله.(٣)

[٩] «وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

«و الذين تبوّؤوا الدار و الإيمان». هم الأنصار. مدحهم حتّى طابت أنفسهم من الفيء. «و الإيمان»؛ أي: آثروا الإيمان قبل قدوم المهاجرين عليهم. و قيل: معناه: قبل إيمان المهاجرين. و المراد بهم أصحاب ليلة العقبة، و هم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على حرب الأبيض و الأحمر. «يحبّون من هاجر إليهم». لأنّهم أحسنوا إلى المهاجرين و أسكنوهم دورهم و أشركوهم في أموالهم. «و الذين تبوّؤوا». فيه قولان: أحدهما أنّه رفع على الابتداء و خبره يحبّون. لأنّ النبيّ ﷺ لم يقسم لهم شيئاً من الفيء إلّا لرجلين أو ثلاثة، على خلاف في الرواية. و الآخر أنّه [في] موضع جرّ عطفاً على للفقراء. «و لايجدون» في قلوبهم حسداً و غيظاً ممّا أعطي المهاجرون دونهم من مال بني‌النضير. «و يؤثرون على أنفسهم». عن ابن‌عبّاس قال: قال رسول الله يوم بني‌النضير [للأنصار]: إن شئتم قسمتم

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٥٢.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٢.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٢.

للمهاجرين من دياركم و أموالكم و تشاركونهم في الغنيمة. و إن شئتم كانت لكم دياركم و أموالكم و لم يقسم لكم شيء من الغنيمة. فقال الأنصار: بل نقسم لهم أموالنا و ديارنا و نؤثرهم بالغنيمة و لانشاركهم فيها. فنزل: «و يؤثرون على أنفسهم» ـ الآية. و قيل: نزلت في سبعة عطشوا يوم أحد فجيء بماء يكفي لأحدهم، فقال واحد منهم: ناول فلاناً، حتّى طيف على سبعتهم و ماتوا و لم يشرب أحد منهم. فأثنى الله سبحانه عليهم. و قيل: نزلت في رجل جاء إلى النبيّ و قال: أطعمني؛ فإنّي جائع. فبعث إلى أهله فلم يكن عندهم شيء فقال: من يضيفه هذه اللّيلة؟ فأضافه رجل من الأنصار و أتى به منزله و لم يكن [عنده] إلّا قوت صبية له، فأتوا بذلك إليه. و أطفؤوا السراج و قامت المرأة إلى الصبية فعلّلتهم حتّى ناموا. و جعلا يمضغان ألسنتها لضيف رسول الله فظنّ الضيف أنّهما يأكلان معه، حتّى شبع الضيف و باتا طاويين. فلمّا أصبحا، غدوا إلى رسول الله فنظر إليهما و تبسّم و تلا هذه الآية. و قوله: «يؤثرون على أنفسهم»؛ أي: يؤثرون المهاجرين و يقدّمونهم على أنفسهم و لو كان بهم فقر و حاجة. «و من يوق شحّ نفسه»؛ أي: يدفع عنه و يمنع عنه بخل نفسه، فأولئك هم الفائزون بثواب الله.(١)

«تبوّؤوا الدار و الإيمان»؛ أي: جعلوا الايمان مستقرّاً و متوطّناً لهم لتمكّنهم منه و استقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك. أو أراد: دار الهجرة و دار الإيمان. فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه و حذف المضاف من دار الايمان و وضع المضاف إليه مقامه.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة» قال: بينا عليّ عند فاطمة عليها السلام إذ قالت له: يا عليّ، اذهب إلى أبي فابغنا منه شيئاً. فقال: نعم. فأتاه فأعطاه ديناراً و قال له: ابتع لأهلك طعاماً. فخرج من عنده. فلقيه المقداد و ذكر له حاجته. فأعطاه الدينار و انطلق إلى المسجد فنام. فجاءه النبيّ و حرّكه. فقعد. فقال: يا عليّ، ما

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٢ ـ ٣٩٣ و ٣٩٠ ـ ٣٩١.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٤.

صنعت بالدينار؟ فحكى له أمر المقداد. فقال: أما إنّ جبرئيل أنبأني بذلك. و قد أنزل الله فيك كتاباً. فقرأ الآية.[١]

و عن أبي جعفرعليه السلام قال: أوتي رسول الله بمال و حلل فقسّمه على أصحابه. فلمّا فرغ، جاء رجل من فقراء المهاجرين. فلمّا رآه النبيّ قال: أيّكم يعطي هذا نصيبه و يؤثره على نفسه؟ فقال عليّ عليه السلام: أنا أعطيه نصيبي. فأعطاه الرجل. فنزلت.[٢]

«في صدورهم حاجة»؛ أي: ما تحمل عليه الحاجة كالطلب و الحسد و الغيظ. «و يؤثرون على أنفسهم» حتّى أنّ من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة و زوّجها عن أحدهم. «خصاصة»؛ أي: حاجة. من خصاص البناء و هي فرجه. «و من يوق شحّ نفسه» حتّى يخالفها فيما يغلب عليها من حبّ المال و بغض الإنفاق. «هم المفلحون»: الفائزون بالثناء العاجل و الثواب الآجل.[٣]

[١٠] «وَ الَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَ لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ».

ثمّ ثلّث سبحانه بوصف التابعين فقال: «و الذين جاؤوا من بعدهم»؛ أي: من بعد المهاجرين و الأنصار. و هم جميع التابعين. و قيل: من بعدهم إلى يوم القيامة. و الظاهر أنّ المراد [و الذين خلفوهم. و يجوز ان يكون المراد:] من بعدهم في الفضل. «غلاًّ»؛ أي: غشّاً و عداوة.[٤]

«من بعدهم». هم الذين هاجروا بعد حين قوي الإسلام، أو التابعون بإحسان و هم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة. و لذلك قيل: إنّ الآية استوعبت جميع المؤمنين.[٥]

عن ابن‌عبّاس قال: فرض الله الاستغفار لعليّ عليه السلام في القرآن على كلّ مسلم. و هو قوله:

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٧٩، ح ٥.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٧٩ ـ ٦٨٠، ح ٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨١.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨١.

«ربّنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان». و هو سابق الأمة. و أمّا معناه، فقوله: «و الذين جاؤوا من بعدهم»؛ أي: من بعد المؤثرين على أنفسهم من المؤمنين «يقولون ربّنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان». يعني أمير المؤمنين عليه السلام.[١]

[١١ ـ ١٢] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ».

«ألم تر» إلى المنافقين يقولون لإخوانهم في الكفر ـ يعني يهود بني النضير ـ: «لنخرجنّ معكم»؛ أي: مساعدين لكم «و لانطيع» في قتالكم و مخاصمتكم «أحداً أبداً». يعنون محمّداً و أصحابه و و عدوهم النصر بقولهم: «و إن قوتلتم لننصرنّكم»؛ أي: لندفعنّ عنكم. ثمّ كذّبهم الله بقوله: «و الله يشهد إنّهم لكاذبون» فيما يقولونه من الخروج معهم و الدفاع عنهم. ثمّ أخبر أنّهم يخلفونهم ما وعدوهم من النصر و الخروج بقوله: «لئن أخرجوا» ـ الآية. «و لئن نصروهم»؛ أي: و لئن قدّر وجود نصرهم. لأنّ ما نفاه الله لايجوز وجوده. «ليولّنّ الأدبار»؛ أي: ينهزمون و يسلمونهم. نزلت الآية قبل إخراج بني النضير و أخرجوا بعد ذلك و قوتلوا فلم يخرج معهم منافق و لم ينصروهم.[٢]

[١٣] «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ».

ثمّ خاطب سبحانه المؤمنين فقال: «لأنتم أشدّ رهبة»؛ أي: خوفاً. «في صدورهم»؛ أي: قلوب المنافقين. و المعنى: انّ خوفهم منكم أشدّ من خوفهم من الله. لأنّهم يعرفونكم و لايعرفون الله. و هو قوله: «ذلك بأنّهم قوم لايفقهون» عظمة الله و شدّة عذابه.[٣]

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٨١، ح ٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٥.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

«رهبة». مصدر رهب المبنيّ للمفعول. كأنّه قيل: أشدّ مرهوبيّة. فإن قلت: كأنّهم كانوا يرهبون من الله حتّى يكون رهبتهم منه أشدّ! قلت: معناه أنّ رهبتهم في السرّ منكم أشدّ من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم. و كانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله. و يجوز أن يريد أنّ اليهود يخافونكم في صدورهم أشدّ من خوفهم من الله. لأنّهم كانوا قوماً أولي بأس و نجدة فكانوا يتشجّعون لهم مع إضمار الخيفة في صدورهم. «لايفقهون»: لايعلمون الله و عظمته حتّى يخشوه حقّ خشيته.(١)

[١٤] «لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ».

«لايقاتلونكم» معاشر المؤمنين «إلّا في قرًى محصّنة»؛ أي: حصينة. يعني أنّهم لايبرزون لحربكم و إنّما يقاتلونكم متحصّنين بالقرى. «أو من وراء جدر»؛ أي: يرمونكم من وراء الجدر بالنبل و الحجر. ابن‌كثير و أبوعمرو: «جدار» على التوحيد. «بأسهم بينهم»؛ أي: عداوة بعضهم لبعض شديدة. يعني أنّهم ليسوا بمتّفقي القلوب. و قيل: معناه: قوّتهم فيما بينهم شديدة. فإذا لاقوكم، جبنوا و خافوكم من الرعب الذي قذفه الله في قلوبهم. «تحسبهم جميعاً»؛ أي: مجتمعين في الظاهر «و قلوبهم شتّى»: مختلفة متفرّقة. خذلهم الله باختلاف كلمتهم. و قيل: عنى المنافقين و أهل الكتاب. «لايعقلون» ما فيه الرشد ممّا فيه الغيّ.(٢)

«قرًى محصّنة». أي بالخنادق و الدروب. «لايعقلون» أنّ تشتّت القلوب ما يوهن قواهم و يعين على أرواحهم.(٣)

«بأسهم بينهم شديد»؛ أي: ليس ذلك لضعفهم و جبنهم، فإنّهم يشتدّ بأسهم إذ حارب بعضهم بعضاً، بل قذف الله في قلوبهم الرعب و لأنّ الشجاع يجبن و العزيز يذلّ إذا حارب الله و رسوله.(٤)

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٧.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٦ و ٣٩٤.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨٢.

[١٥] «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«الذين من قبلهم». هم بنوقينقاع نقضوا العهد عند مرجع رسول الله من بدر [فأمرهم أن يخرجوا].(١) و قال لهم عبدالله بن أبيّ: لاتخرجوا. فإنّي آتي رسول الله فأكلّمه فيكم و أدخل معكم الحصن. فكان هؤلاء أيضاً في إرسال عبدالله بن أبيّ إليهم ثمّ ترك نصرتهم كأولئك. «وبال أمرهم»؛ أي: عقوبة مكرهم.(٢)

«كمثل الذين»؛ أي: مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب. يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا و لهم في الآخرة عذاب النار.(٣)

[١٦ ـ ١٧] «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَ ذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ».

مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال و وعدهم إيّاهم النصرة ثمّ متاركتهم لهم و إخلافهم «كمثل الشيطان» إذا استغوى الإنسان بكيده ثمّ تبرّأ منه. و المراد استغواؤه قريشاً يوم بدر و قوله لهم: «لا غالب لكم اليوم من الناس و إنّي جار لكم» إلى قوله: «إنّي بريء منكم» ـ الآية(٤).(٥)

«كمثل الشيطان»؛ أي: مثل المنافقين في غرورهم بني النضير و خذلانهم إيّاهم كمثل الشيطان «إذ قال للإنسان» و هو عابد لبني إسرائيل. عن ابن عبّاس: كان اسمه برصيصا. عبد الله زماناً من الدهر حتّى كان يؤتى بالمجانين يداويهم و يعوّذهم فيبرؤون على يده. و إنّه أتي بامرأة في شرف قد جنّت، و كان لها إخوة فأتوه بها فكانت عنده. فلم يزل به الشيطان يزيّن له حتّى وقع عليها. فحملت. فلمّا استبان حملها، قتلها و دفنها. فلمّا فعل ذلك، ذهب الشيطان

١ـ في النسخة: «فأخرجهم» بدل ما بين المعقوفتين.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٧.
٤ـ الأنفال (٨) / ٤٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٧.

حتّى لقي بعض إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب و أنّه دفنها في موضع كذا. و أخبر بقيّة إخوتها رجلاً رجلاً حتّى بلغ ذلك ملكهم. فسار الملك و الناس فاستنزلوه فأقرّ لهم، فأمر به فصلب. فلمّا رفع على خشبته، تمثّل له الشيطان فقال له: أنا ألقيتك في هذا. فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلّصك ممّا أنت فيه؟ فقال: نعم. فقال له: اسجد لي بسجدة واحدة. فقال: كيف أسجد و أنا على هذه الحالة؟ فقال: أكتفي منك بالإيماء. فسجد له فكفر بالله و قتل الرجل. فهو قوله: «كمثل الشيطان». ضرب الله قصّة العابد لبني النضير حين اغترّوا بالمنافقين ثمّ تبرّؤوا منهم عند الشدّة و أسلموهم. و قيل: أراد: كمثل الشيطان يوم بدر، دعا إلى حرب رسول الله، فلمّا رأى الملائكة، رجع القهقرى و قال: «إنّي أرى ما لا ترون إنّي أخاف الله».(١) و قيل: أراد بالشيطان الجنس [لا المعهود. فإنّ الشيطان] أبداً يدعو الإنسان إلى الكفر ثمّ يتبرّأ منه وقت الحاجة. و إنّما يقول الشيطان: «إنّي أخاف الله» يوم القيامة. «فكان عاقبتهما»؛ أي: الداعي و المدعوّ من الشيطان و من أغواه من المنافقين و اليهود. «خالدين فيها»؛ أي: معذّبين في النار.(٢)

قرئ: «عاقبتهما» و «خالدان» بالرفع.(٣)

[١٨] «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

ثمّ رجع إلى موعظة المؤمنين فقال: «يا أيّها الذين آمنوا». «لغد». يعني يوم القيامة. «و اتّقوا الله». إنّما كرّره لأنّ الأولى للتوبة عمّا مضى من الذنوب و الثانية لاتّقاء المعاصي في المستقبل. و قيل: إنّه للتأكيد.(٤)

«لغد». عبّر عن الآخرة بالغد. كأنّ الدنيا و الآخرة نهاران؛ يوم و غد. فإن قلت: ما معنى تنكير النفس و الغد؟ قلت: أمّا تنكير النفس، فاستقلالاً للأنفس النواظر فيما قدّمن

١ـ الأنفال (٨) / ٤٨.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨٣.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٨.

للآخرة. كأنّه قال: فلتنظر نفس واحدة في ذلك. و أمّا تنكير الغد فلتعظيمه و إبهام أمره. كأنّه قيل: لغد لايعرف كنهه لعظمه.(١)

[١٩] «وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

«نسوا الله»؛ أي: تركوا أداء حقّ الله. «فأنساهم أنفسهم» بأن حرمهم حظوظهم من الخير و الثواب. و قيل: «نسوا الله» بترك ذكره من الشكر و التعظيم «فأنساهم أنفسهم» بالعذاب الذي نسي به بعضهم بعضاً. و يريد بني‌قريظة و بني‌النضير و بني‌قينقاع.(٢)

«نسوا الله»: نسوا حقّه، فجعلهم ناسين حقّ أنفسهم بالخذلان حتّى لم‌يسعوا لها بما ينفعهم عنده. أو: فأراهم يوم القيامة من الأهوال ما نسوا فيه أنفسهم كقوله: «لايرتدّ إليهم طرفهم»(٣).(٤)

[٢٠] «لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ».

«لايستوي». تنبيه للناس و إيذان بأنّهم لفرط غفلتهم و قلّة فكرهم في العاقبة و تهالكهم على إيثار العاجلة كأنّهم لايعرفون الفرق بين الجنّة و النار و البون العظيم بين أصحابهما و أنّ الفوز مع أصحاب الجنّة، فمن حقّهم أن يعلموا ذلك و ينبّهوا عليه. كما تقول لمن يعقّ أباه: هو أبوك! تجعله بمنزلة من لايعرفه.(٥)

[٢١] «لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ».

«لو أنزلنا هذا القرآن»؛ أي: لو كان الجبل ممّا ينزل عليه القرآن و يشعر به مع غلظه و جفاء طبعه و كبر جسمه، لخشع لمنزله و انصدع من خشيته تعظيماً لشأنه. فالإنسان أحقّ

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٨.
٣ـ إبراهيم (١٤) / ٤٣.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٨.

بهذا لو عقل الأحكام التي فيه. و قيل: معناه: لو كان الكلام ببلاغته يصدّع الجبل، لكان هذا القرآن يصدّعه. و التصدّع: التفرّق بعد التلاؤم. و قيل: إنّ المراد به ما يقتضيه الظاهر؛ بدلالة قوله: «و إنّ منها لما يهبط من خشية الله».[١] و هذا وصف للكافر بالقسوة حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لتخشّع. و يدلّ على أنّ هذا تمثيل قوله: «و تلك الأمثال نضربها للناس». عنه ﷺ: من قرأ: «لو أنزلنا» إلى آخرها، فمات من ليلته، مات شهيداً. و قال ﷺ: من قال حين يصبح ثلاث مرّات: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، و قرأ ثلاث آيات من آخر الحشر، وكّل الله به سبعين ألف ملك يظلّون عليه حتّى يمسي. فإن مات في ذلك اليوم، مات شهيداً. و من قالها حين يمسي، كان بتلك المنزلة.[٢]

«لو أنزلنا هذا القرآن». هذا تمثيل و تخييل كما مرّ في قوله: «إنّا عرضنا الأمانة».[٣] و قد دلّ عليه قوله: «و تلك الأمثال نضربها». و الغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه و قلّة تخشّعه عند تلاوة القرآن و تدبّر زواجره. و «تلك الأمثال» إشارة الى هذا المثل و إلى أمثاله في مواضع من التنزيل.[٤]

[٢٢] «هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ».

«الغيب»: المعدوم. «و الشهادة»: الموجود المدرك كأنّه يشاهده. و قيل: ما غاب عن العباد و ما شاهدوه. و قيل: السرّ و العلانية. و قيل: الدنيا و الآخرة.[٥]

[٢٣] «هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

«المؤمن»: واهب الإيمان.[٦]

١ـ البقرة (٢) / ٧٤.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩٩.

٣ـ الأحزاب (٣٣) / ٧٢.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٩.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٩.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨٣. و فيه: واهب الأمن.

«القدّوس»: البليغ في النزاهة و عمّا يستقبح. «السلام» بمعنى السلامة. وصف به مبالغة في وصف كونه سليماً من النقائص أو في إعطاء السلامة. «المؤمن»: واهب الأمن. و «المهيمن»: الرقيب على كلّ شيء الحافظ له. من الأمن إلّا أنّ همزته قلبت هاء. و «الجبّار»: الذي جبر خلقه على ما أراد. و «المتكبّر»: [البليغ] الكبرياء و العظمة. و قيل: المتكبّر عن ظلم عباده.(١)

[٢٤] «هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

و «الخالق»: المقدّر لما يوجده، و «البارئ»: المميّز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة. و «المصوّر»: الممثّل. و سئل صلى الله عليه وآله عن الاسم الأعظم فقال: عليك بآخر الحشر.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ هذه الآية لكلّ ورم في الجسد. فإذا قرأتها فاقرأها و أنت طاهر قد أعددت وضوءك للصلاة الفريضة فتعوّذ بها ورمك قبل الصلاة و دبرها. و هي: «لو أنزلنا هذا القرآن» ـ إلى آخر السورة. فإنّك إذا فعلت ذلك، سكن الورم.(٣)

عنه صلى الله عليه وآله: انّ لله تبارك و تعالى تسعة و تسعين اسماً مائة إلّا واحداً، من أحصاها دخل الجنّة ـ الحديث. و هي: الله، الإله، الواحد، الأحد، الصمد، الأوّل، الآخر، السميع، البصير، القدير، القاهر، العليّ، الأعلى، الباقي، البديع، البارئ، الأكرم، الظاهر، الباطن ، الحيّ، الحكيم، الحفيظ، العليم، الحليم، الحقّ، الحسيب، الحميد، الحفيّ ، الربّ، الرحمن، الرحيم، الذارئ، الرزّاق، الرقيب، الرؤوف، السلام، المؤمن، المهيمن، الجبّار، العزيز، المتكبّر، السيّد، السبّوح، الشهيد، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفوّ، الغفور، الغنيّ، الغياث، الفاطر، الفرد، الفتّاح، الفالق، القديم، الملك، القدّوس، القويّ، القريب، القيّوم، القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، المنّان، الوليّ، المحيط، المبين، المقيت، المصوّر، الكريم، الكبير، الكافي،

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٠٩ ـ ٥١٠.
٣ـ طبّ الأئمّة / ١١٠.

كاشف الضرّ، الوتر، النور، الوهّاب، النـاصر، الواسـع، الودود، الهـادي، الوفيّ، الوكـيل، الوارث، البرّ، الباعث، التوّاب، الجليل، الجواد، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الديّـان، الشكور، العظيم، اللّطيف، الشافي.(١)

١ـ التوحيد / ١٩٤ ـ ١٩٥، ح ٨.

.٦٠
سورة الممتحنة

عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه و نوافله، امتحن الله قلبه للإيمان و نوّر له بصره و لا يصيبه فقر أبداً و لا جنون في بدنه و لا في ولده.(١)

يكتب ثلاثة أيّام متوالية و يسقى للمطحول، يزول ألمه.(٢)

و عنه صلى الله عليه و آله: من قرأ سورة الممتحنة، كان المؤمنون و المؤمنات شفعاء له يوم القيامة.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَ مَا أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ».

«يا أيّها الذين آمنوا». نزلت في حاطب بن أبي بلتعة. و ذلك أنّ سارة مولاة أبي عمرو بن صيفيّ بن هشام أتت رسول الله صلى الله عليه و آله من مكّة إلى المدينة بعد بدر بسنتين، فقال لها رسول الله: أمسلمة جئت؟ قالت: لا. قال: أمهاجرة؟ قالت: لا. قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأصل و العشيرة و الموالي. و قد ذهب مالي فاحتجت، فقدمت عليكم لتعطوني و تكسوني. قال عليه السلام: أين أنت من شبّان مكّة؟ و كانت مغنّية نائحة. قالت: ما طلب منّي بعد

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٥، ح ١.
٢ـ المصباح / ٦١٢.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٤٠٢.

وقعة بدر. فحثّ رسول الله ﷺ بني عبدالمطّلب فأعطوها و كسوها. و كان رسول الله يتجهّز لفتح مكّة. فأتاها حاطب فكتب كتاباً إلى أهل مكّة و أعطاها عشرة دنانير و كساها برداً على أن توصل الكتاب إلى أهل مكّة. و كتب إليهم أنّ رسول الله يريدكم، فخذوا حذركم. فخرجت سارة. فنزل جبرئيل فأخبر النبيّ بما فعل. فبعث رسول الله أميرالمؤمنين و عمّاراً و الزبير و طلحة و المقداد و قال لهم: انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ، فإنّ بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها. فخرجوا حتّى أدركوها في المكان الذي ذكره رسول الله. فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها كتاب. ففتّشوا متاعها فلم يجدوا. فهمّوا بالرجوع. فقال عليّ عليه السلام: و الله ماكذبنا و لا كذبنا. و سلّ سيفه و قال: أخرجي الكتاب و إلّا ـ و الله ـ لأضربنّ عنقك. فلمّا رأت الجدّ، أخرجته من ذؤابتها [قد أخبأته] في شعرها. فرجعوا بالكتاب إلى النبيّ. فأرسل إلى حاطب فأتاه فقال: هل تعرف الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله، ما كفرت منذ أسلمت، و لا غششتك منذ صحبتك، و لا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن رجل من المهاجرين إلّا و له بمكّة من يمنع عشيرته و كنت عزيزاً فيهم و أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي فأردت أن أتّخذ عندهم يداً. و قد علمت أنّ الله ينزل بهم بأسه و أنّ كتابي لايغني عنهم شيئاً. فصدّقه رسول الله و عذره. فقام عمر بن الخطّاب عليه اللّعنة و قال: دعني ـ يا رسول الله ـ أضرب عنق هذا المنافق. فقال ﷺ: و ما يدريك يا عمر؟ لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فغفر لهم. «تلقون إليهم بالمودّة»؛ أي: تبذلون لهم بالنصيحة أو أخبار النبيّ ﷺ. «من الحقّ». و هو القرآن و الإسلام. «يخرجون الرسول و إيّاكم» من مكّة «أن تؤمنوا»: لأن تؤمنوا. أو: كراهة أن تؤمنوا. أي يفعلون ذلك بكم لايمانكم بالله ربّكم. «إن كنتم خرجتم جهاداً»؛ أي: إن كان غرضكم في خروجكم و هجرتكم الجهاد و طلب رضاي، فأوفوا خروجكم حقّه من معاداتهم و لاتتّخذوهم أولياء. «تسرّون إليهم بالمودّة»؛ أي: تعلمونهم في السرّ أنّ بينكم و بينهم مودّة. و قيل: الباء للتعليل. أي: تعلمونهم بأحوال النبيّ في السرّ

بالمودّة التي بينكم و بينهم. «و أنا» لايخفى عليّ شيء من ذلك فأطلع رسولي عليه. «و من يفعله»؛ أي: أسرّ إليهم بالمودّة فألق إليهم أخبار رسولي بعد هذا البيان، فقد عدل عن طريق الحقّ. و فيه دلالة على أنّ الكبيرة لاتخرج عن الايمان. لأنّ حاطباً لم يخرج عنه بالاتّفاق. ذهب الزجّاج إلى أنّ التقدير: إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلى، فلاتتّخذوا عدوّي و عدوّكم أولياء. و قيل: إنّ الكلام قد تمّ عند قوله: «أولياء» ثمّ قال: «تلقون إليهم» [على تقدير: أتلقون؟] فحذف الهمزة. كقوله: «و تلك نعمة»[١].[٢]

«بالمودّة». الباء إمّا زائدة مؤكّدة للتعدّي، مثلها في: «و لاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة»[٣]؛ و إمّا ثابتة على أنّ مفعول «تلقون» محذوف، معناه: تلقون إليهم أخبار رسول الله بسبب المودّة التي بينكم و بينهم.[٤]

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إن كنت لاتطيع خالقك، فلاتأكل رزقه. و إن كنت واليت عدوّه، فاخرج من ملكه. و إن كنت غير قانع بقضائه و قدره، فاطلب ربّاً سواه.[٥]

[٢] «إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ».

«إن يثقفوكم»؛ يعني: انّ هؤلاء الكفّار إن يصادقوكم مقهورين و يظفروا بكم، يبسطوا إليكم أيديهم بالضرب و القتل و ألسنتهم بالشتم و لاينفعكم ما تلقون إليهم من المودّة و ودّوا مع ذلك رجوعكم عن الدين.[٦]

[٣] «لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

١ـ الشعراء (٢٦) / ٢٢.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٤٠٤ ـ ٤٠٦.
٣ـ البقرة (٢) / ١٩٥.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٥١٢.
٥ـ التوحيد / ٣٧٢، ح ١٣.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٤٠٦.

«لن تنفعكم أرحامكم» الذين توالون الكفّار من أجلهم. «يفصل» الله «بينكم»؛ أي: يميّزكم يوم القيامة بأن يدخل المؤمنين الجنّة و الكافرين النار. أهل الحجاز: «يفصل» بضمّ الياء و فتح الصاد على التخفيف. و أهل الكوفة غير عاصم بضمّ الياء و كسر الصاد مشدّداً. و قرأ ابن عامر: «يفصّل» بضمّ الياء و فتح الصاد [مشدّداً].[١]

«لن ينفعكم أرحامكم»؛ أي: قراباتكم «و لا أولادكم» الذين توالون الكفّار من أجلهم و تتقرّبون إليهم محاماة عليهم. ثمّ قال: «يوم القيامة يفصل بينكم» و بين أقاربكم. «يوم يفرّ المرء من أخيه» ـ الآية.[٢] فما لكم ترفضون حقّ الله مراعاة لحقّ من يفرّ منكم غداً؟ خطّأ رأيهم في موالاة الكفّار بما يرجع إلى حال من والوه أوّلاً ثمّ بما يرجع إلى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانياً، ليريهم أنّ ما أقدموا عليه من أيّ جهة نظرت وجدته باطلاً.[٣]

[٤] «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَ الْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ مَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ».

ثمّ ضرب الله سبحانه لهم إبراهيم مثلاً في ترك موالاة الكفّار. «أسوة حسنة»: اقتداء حسن. «و الذين معه» من المؤمنين أو الأنبياء. «إذ قالوا لقومهم» الكفّار: «إنّا برآء منكم» فلانواليكم «و ممّا تعبدون» من الأصنام. «إلّا قول إبراهيم»؛ أي: اقتدوا به في كلّ أمر إلّا في هذا القول، فلاتقتدوا به. فإنّه إنّما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه بالإيمان، فلمّا تبيّن منه أنّه عدوّ لله تبرّأ منه. و قيل: إنّما تبيّن له ذلك عند موت أبيه. و لو لم يستثن ذلك، لظنّ أنّه يجوز الاستغفار للكفّار مطلقاً من غير موعدة بالإيمان منهم. فنهوا أن يقتدوا [به] في هذا خاصّة. و قيل: إنّ آزر كان ينافق إبراهيم و يريه أنّه مسلم و يعده إظهار الإسلام فيستغفر له. «و

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤٠٦ و ٤٠٣.
٢ـ عبس (٨٠) / ٣٤.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٥١٣.

ما أملك لك من الله من شيء» إن أراد عقابك. «ربّنا عليك توكّلنا». أي كانوا يقولون ذلك. «و إليك أنبنا»؛ أي: إلى طاعتك رجعنا. «و إليك المصير»؛ أي: المرجع. و هذا حكاية لقول إبراهيم و قومه. و يحتمل أن يكون تعليماً لعباده أن يقولوا ذلك و يفوّضوا أمورهم إليه.(١)

«كفرنا». عن أبي عبدالله عليه السلام: الكفر هنا بمعنى البراءة.(٢)

و معنى «كفرنا بكم»: انّا لانعتدّ بشأنكم و لا بشأن آلهتكم. و ما أنتم على شيء. فإن قلت:ممّ استثني قوله: «إلّا قول إبراهيم»؟ قلت: من قوله: «أسوة حسنة». لأنّه أراد بالأسوة الحسنة قولهم الذي حقّ عليهم أن يأتسوا به و يتّخذوه [سنّة] يستنّون بها. فإن قلت: فإن كان قوله: «لأستغفرنّ لك» يستثنى من القول الذي هو أسوة حسنة، فما بال قوله: «و ما أملك لك من الله» و هو غير حقيق بالاستثناء؟ ألاترى إنّ قوله: «قل من يملك من الله شيئاً»(٣)؟ قلت: أراد استثناء جملة قوله لأبيه و القصد إنّ موعد الاستغفار له، و ما بعده تابع له، كأنّه قال: أستغفر لك. و ما في طاقتي إلّا الاستغفار. و أمّا قوله: «ربّنا عليك توكّلنا» [متّصل] بما قبل الاستثناء و هو من جملة الأسوة الحسنة. و يجوز أن يكون المعنى: قولوا: ربّنا، أمراً من الله للمؤمنين بأن يقولوه و تعليماً منه لهم تتميماً لما وصّاهم به من قطع العلائق بينهم و بين الكفّار و التأسّي بإبراهيم و قومه في البراءة منهم و تنبيهاً على الإنابة إلى الله و الاستعاذة به من فتنة أهل الكفر و الاستغفار ممّا فرط منهم.(٤)

[٥] «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ اغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«لاتجعلنا فتنة» أي: لاتعذّبنا بأيديهم و لا ببلاء من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على الحقّ لما أصابهم هذا البلاء. و قيل: معناه: لاتسلّطهم علينا فيفتنونا عن دينك. و قيل: معناه: الطف بنا حتّى نصبر على أذاهم و لانتّبعهم فنصير فتنة لهم.(٥)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤٠٦ ـ ٤٠٧.
٢ـ الكافي ٢ / ٣٩٠.
٣ـ المائدة (٥) / ١٧.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٥١٤.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٤٠٧.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ماكان من ولد آدم مؤمن إلّا فقيراً و لا كافر إلّا غنيّاً حتّى جاء إبراهيم عليه السلام فقال: «ربّنا لاتجعلنا فتنة للّذين كفروا» فصيّر الله في هؤلاء أموالاً و حاجة و في هؤلاء أموالاً و حاجة.(۱)

[٦] «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ».

«لقد كان لكم أسوة». إنّما أعاد ذكر الأسوة لأنّ الثاني فيه بيان أنّ الأسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله و حسن المنقلب و الأوّل فيه بيان أنّ الأسوة في المعاداة للكفّار. و قوله: «لمن كان» بدل من قوله: «لكم» بدل البعض من الكلّ. «و من يتولّ» أي عن الاقتداء بإبراهيم، فقد ذهب عمّا يعود نفعه إليه. فحذف لدلالة الكلام عليه.(۲)

ثمّ كرّر الحثّ على التأسّي بإبراهيم و قومه تقريراً و تأكيداً عليهم. و لذلك جاء به مصدّراً بالقسم لأنّه الغاية في التأكيد. و أبدل عن قوله: [«لكم» قوله:] «لمن يرجو الله و اليوم الآخر».(۳)

[۷] «عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَ اللهُ قَدِيرٌ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

و لمّا نزلت هذه الآيات، تشدّد المؤمنون في عداوة آبائهم و أبنائهم و أقاربهم من المشركين. و لمّا رأى الله منهم الجدّ و الصبر على الوجه الشديد و طول التمنّي للسبب الذي يبيح لهم الموالاة و المواصلة، رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنّوه. فلمّا يسّر فتح مكّة، أظفرهم الله تعالى بأمنيّتهم فأسلم قومهم و تمّ بينهم من التحابّ و التصافي ما تمّ. و قيل: تزوّج رسول الله أمّ حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبي‌سفيان في العداوة. و قد كانت أسلمت و

۱ـ الكافي ۲ / ۲٦۲، ح ۱۰.

۲ـ مجمع البيان ۹ / ٤۰۸.

۳ـ الكشّاف ٤ / ٥۱٤.

هاجرت مع زوجها عبدالله بن جحش إلى الحبشة فتنصّر و أرادها على النصرانيّة فأبت و صبرت على دينها. و مات زوجها فبعث رسول الله إلى النجاشي فخطبها عليه و ساق عنه إليها [مهرها] أربعمائة دينار. و بلغ ذلك أباها فقال: ذلك الفحل لايقدع أنفه. و «عسى» وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعلّ، فلاتبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك. أو قصد به إطماع المؤمنين. «و الله قدير» على تقليب القلوب و تغيير الأحوال. «غفور رحيم» لمن أسلم من المشركين.[1]

[٨] «لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

«أن تبرّوهم». بدل من «الذين لم يقاتلوكم». أي: لاينهاكم عن مبرّة هؤلاء و إنّما ينهاكم [عن] تولّي هؤلاء. و هذا أيضاً رحمة لهم لتشدّدهم و جدّهم في العداوة متقدّمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم حيث رخّص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين و إخراجهم من ديارهم. و قيل: أراد بهم خزاعة و كانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لايقاتلوه و لايعينوا عليه. و قيل: هم الذين آمنوا بمكّة و لم يهاجروا. «و تقسطوا إليهم»: [و تقضوا إليهم] بالقسط و لاتظلموهم.[2]

«و تقسطوا إليهم»؛ أي: و تعدلوا فيما بينكم فكونوا على الوفاء بالعهد. و قيل: إنّ المسلمين استأمروا النبيّ ﷺ في أن يبرّوا أقاربهم من المشركين، فنزلت هذه الآية. و هي منسوخة بقوله: «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم».[3] عن ابن عبّاس. «المقسطين»؛ أي: العادلين. و قيل: الذين يجعلون لقراباتهم قسطاً ممّا في بيوتهم من المطعومات.[4]

[٩] «إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا

١ـ الكشّاف ٤ / ٥١٥.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥١٦.
٣ـ التوبة (٩) / ٥.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٤٠٨ ـ ٤٠٩.

عَلىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

«الذين قاتلوكم» من أهل مكّة و غيرهم. «و ظاهروا»؛ أي: عاونوا. و هم العوامّ عاونوا الرؤساء. «أن تولّوهم» بأن تكتبوا لهم بأسرار النبيّ.[1]

[۱۰] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ لَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَ سْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«يا أيّها الذين آمنوا». قال ابن عبّاس: صالح رسول الله ﷺ مشركي مكّة بالحديبيّة على [أنّ] من أتاه من أهل مكّة ردّه و من أتى أهل مكّة من رسول الله فهو لهم و لم يردّوه. فكتب بذلك كتاباً و ختموه. فجاءت سبيعة الأسلميّة مسلمة بعد الفراغ من الكتاب و النبيّ بالحديبيّة فجاء زوجها من بني مخزوم ـ و كان كافراً ـ فقال: يا محمّد، اردد عليّ امرأتي. فإنّك قد شرطت. فنزلت الآية. «فامتحنوهنّ». و هو أن يستحلفن ما خرجن من بغض زوج و لا رغبة من أرض إلى أرض و لا التماس دنيا و لا خرجت إلّا حبّاً لله و رسوله. فاستحلفها فحلفت. فأعطى رسول الله زوجها مهرها و أنفق عليها و لم يردّها. فكان رسول الله يردّ من جاء من الرجال و يحبس من جاءت من النساء إذا امتحنها و يعطي أزواجهنّ مهورهنّ. «فامتحنوهنّ». أي بالإيمان. أي: استوصفوهنّ الإيمان. و سمّاهنّ مؤمنات قبل أن يؤمنّ لأنّهنّ اعتقدن الإيمان. «و الله أعلم بإيمانهنّ» حقيقة و أنتم تعلمونه ظاهراً بالامتحان. و قيل: امتحانهنّ أن يشهدن الشهادتين. «لا هنّ حلّ لهم». يدلّ على وقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة و إن لم يطلّق المشرك. و «آتوهم»؛ أي: أعطوا أزواجهنّ الكفّار ما أنفقوا

۱ـ مجمع البيان ۹ / ٤۰۹.

عليهنّ من المهر. «أجورهنّ»؛ أي: مهورهنّ التي يستحلّ به فروجهنّ. «و لاتمسكوا بعصم». أصل العصمة المنع. و سمّى النكاح عصمة لأنّ المنكوحة تكون في حبال الزوج و عصمته. و هو عامّ في جميع الكافرات و إن نزل في عابدة الأوثان. لأنّ المعتبر عموم اللّفظ لا خصوص السبب. «ما أنفقتم»؛ أي: إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفّار مرتدّة فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا منعوها، كما يسألونكم مهور نسائهم إذا هاجرن إليكم، و هو قوله: «و ليسألوا ما أنفقوا». قيل: كان في صدر الإسلام نكاح المشركات و نكاح المسلمات فنسخته الآية.[١]

«فامتحنوهنّ»؛ أي: ابتلوهنّ بالحلف و النظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهنّ. «فإن علمتموهنّ» العلم الذي تبلغه طاقتكم و هو الظنّ الغالب بالحلف و الأمارات. و نزلت الآية في الأسلميّة لمّا جاءت مسلمة و زوجها أتى كافراً يطلبها، بياناً لأنّ الشرط إنّما كان في الرجال دون النساء. «أن تنكحوهنّ»؛ أي: المهاجرات. «أجورهنّ»؛ أي: مهورهنّ. لأنّ المهر أجر البضع. فإمّا أن يراد بها ما كان يدفع إليهنّ ليدفعنه إلى أزواجهنّ فيشترط في إباحة تزوّجهنّ تقديم أدائه، و إمّا أن يراد أنّ ما أعطي أزواجهنّ لايقوم مقام المهر و أنّه لابدّ من إصداق. «بعصم الكوافر». العصمة ما يعتصم به من عقد و سبب. يعني: إيّاكم و إيّاهنّ و لايكن بينكم و بينهنّ عصمة و لا علقة زوجيّة. قال ابن‌عبّاس: من كانت له امرأة كافرة بمكّة، فلايعتدّنّ بها من نسائه، لأنّ اختلاف الدارين قطع عصمتها. «و اسألوا ما أنفقتم» من مهور نسائكم [اللّاحقات بالكفّار. «و ليسألوا»] ـ الآية.[٢]

«و لا هم يحلّون». التكرير للمطابقة و المبالغة. أو الأوّل لحصول الفرقة و الثاني للمنع عن الاستئناف.[٣]

الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ لامرأتي أختاً عارفة على رأينا. و ليس

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤١٠ ـ ٤١٢.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٥١٧ ـ ٥١٨.

٣ـ تفسير البيضاوي ٢ / ٤٨٧.

على رأينا بالبصرة إلّا قليل. فأزوّجها من لايرى رأيها؟ قال: لا؛ و لا نعمة. إنّ الله يقول: «و لاترجعوهنّ» ـ الآية.[١]

[١١] «وَ إِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَ اتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ».

«و إن فاتكم شيء من أزواجكم» فلحق بالكفّار مرتدّات. «فعاقبتم»: أصبتم العقبى ـ و هي الغنيمة ـ و كانت العاقبة لكم. «فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا» من المهور عليهنّ من رأس الغنيمة.[٢]

روي أنّه لمّا نزلت: «يا أيّها الذين آمنوا» أدّى المؤمنون ما أمروا به من أداء مهور الكوافر المهاجرات إلى أزواجهنّ المشركين و أبى المشركون أن يؤدّوا شيئاً من مهور الكافرات إلى أزواجهنّ المسلمين، فنزل: «و إن فاتكم»؛ أي: سبقكم و انفلت منكم أحد من أزواجكم إلى الكفّار. «فعاقبتم». من العقبة و هي النوبة. شبّه ما حكم به على المسلمين و الكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة و أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقبون في الركوب [و غيره. و معناه:] فجاءت عقبتكم من أداء المهر، فآتوا من فاتته امرأته إلى الكفّار مثل مهرها من مهر المهاجرة و لاتؤتوها زوجها الكافر، و هكذا. و قال الزجّاج: «فعاقبتم»: فأصبتموهم على القتال بعقوبة حتّى غنمتم. قال: و الذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر. و قيل: جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرات راجعة عن الإسلام ستّ نسوة منهنّ أمّ الحكم بنت أبي‌سفيان و أعطى رسول الله أزواجهنّ مهورهنّ من الغنيمة.[٣]

«و إن فاتكم» ـ الآية. قال: إذا لحقن بالكفّار الذين لا عهد بينكم و بينهم فأصبتم غنيمة. «فآتوا الذين ذهبت» ـ الآية. قال: كان سبب نزول ذلك أنّ عمر بن الخطّاب كانت

١ـ الكافي ٥ / ٣٤٩، ح ٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٤١٠ ـ ٤١٢.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٥١٩.

عنده فاطمة بنت أبي‌أميّة فكرهت الهجرة معه و أقامت مع المشركين بمكّة فنكحها معاوية بن أبي‌سفيان، فأمر الله أن يعطي رسول الله عمر صداقها.[١]

عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام في قوله: «فعاقبتم» سئلا: ما معنى العقوبة هاهنا؟ قالا: إنّ الذي ذهبت امرأته فعاقب على امرأة أخرى غيرها ـ يعني تزوّجها ـ فإذا هو تزوّج امرأة أخرى، فعلى الإمام أن يعطيه مهر امرأته الذاهبة ـ الحديث.[٢]

[١٢] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَ لَا يَسْرِقْنَ وَ لَا يَزْنِينَ وَ لَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَ لَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

ثمّ ذكر سبحانه بيعة النساء. و كان ذلك يوم فتح مكّة بعد أن فرغ من بيعة الرجال ـ و هو على الصفا ـ جاءته النساء يبايعنه، فنزلت: «يا أيّها الذين» ـ الآية. قيل: إنّه كان يبايعهنّ من وراء الثوب. و روي أنّه صلّى الله عليه و آله كان إذا بايع النساء، دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثمّ غمسن أيديهنّ فيه.[٣] «على أن لايشركن». فشرط في مبايعتهنّ هذه الشروط؛ و هي: «أن لايشركن بالله شيئاً» من الأصنام «و لايقتلن أولادهنّ» لا بالوأد و لا بالإسقاط. «يفترينه»: يكذبنه في مولود يوجد «بين أيديهنّ و أرجلهنّ»؛ أي: لايلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم. عن ابن‌عبّاس. قال الفرّاء: كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. فذلك البهتان المفترى بين أيديهنّ [و أرجلهنّ]. و ذلك أنّ الولد إذا وضعته الأمّ سقط بين يديها و رجليها. و ليس المعنى نهيهنّ عن أن يأتين بولد من الزنى فينسبنه إلى الأزواج. لأنّ الشرط بالنهي عن الزنى قد تقدّم. و قيل: هذا البهتان قذف المحصنات. «و لايعصينك في معروف». هو كلّ ما يأمر به. لأنّه لايأمر إلّا بالمعروف. و قيل: عنى بالمعروف النهي عن

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٦٣.
٢ـ علل الشرائع / ٥١٧، ح ٦.
٣ـ في النسخة زيادة: «ففعلن فكانت يد رسول الله أطيب من أن يمسّ بها كفّ التي ليست بمحرم». و لايوجد هذه العبارة في المجمع. و الظاهر أنّها الجزء الأخير من الرواية المنقولة في الكافي ٥/٥٢٦ و قد سقطت مقدّمتها عند النقل. فراجع.

النوح و تمزيق الثوب و جزّ الشعر و شقّ الجيب و خدش الوجه و الدعاء بالويل. «فبايعهنّ» على ذلك و اطلب من الله أن يغفر لهنّ. و روي أنّه لمّا حضرت النساء للبيعة و معهنّ هند أمّ معاوية، فلمّا بلغ قوله: «و لايزنين» قالت هند: أو تزني الحرّة؟ فتبسّم عمر بن الخطّاب لما جرى بينه و بينها في الجاهليّة. فقال: و لايقتلن أولادهنّ. فقالت هند: ربّيناهم صغاراً و قتلتموهم كباراً. فأنتم و هم أعلم. و كان ابنها حنظلة بن أبي‌سفيان قتله عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام يوم بدر.[1]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و لايعصينك في معروف» قال: إنّ رسول الله قال لفاطمة عليها السلام: إذا أنا متّ، فلاتخمشي عليّ وجهاً و لاترخي عليّ شعراً و لاتنادي بالويل و لاتقيمي عليّ نائحة. ثمّ قال: هذا هو المعروف الذي قال الله.[2]

«في معروف»؛ أي: في حسنة تأمرهنّ بها. و التقييد بالمعروف، مع أنّ الرسول لايأمر إلّا به، تنبيه على أنّه لايجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق.[3]

[١٣] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ».

«غضب الله عليهم»؛ أي: لاتتولّوا اليهود. و ذلك أنّ جماعة من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين يتواصلون إليهم فيصيبون من ثمارهم، فنهى الله عن ذلك. و قيل: أراد جميع الكفّار. ثمّ وصف الكفّار فقال: «يئسوا من الآخرة»؛ أي: ثوابها «كما يئس الكفّار». يعني اليهود بتكذيبهم محمّداً صلى الله عليه و آله و هم يعرفون صدقه، يئسوا من أن يكون لهم في الآخرة حظّ، لأنّهم قد أيقنوا بعذاب الله. و قيل: كما يئس كفّار العرب أن يحيا أهل القبور. و قيل: كما يئس الكفّار من أن ينالهم خير من أصحاب القبور. و قيل: يريد بالكفّار الذين يدفنون الموتى. أي: يئس هؤلاء المغضوب عليهم من الآخرة، كما يئس الذين يدفنون

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤١٣ ـ ٤١٥.

٢ـ الكافي ٥ / ٥٢٧، ح ٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨٨.

الموتى منهم.[١]

«يئسوا من الآخرة» لكفرهم بها، أو لعلمهم بأنّهم لا حظّ لهم منها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيّد بالآيات، «كما يئس الكفّار من أصحاب القبور» أن يبعثوا، أو يثابوا، أو ينالهم خير منهم. و على الأوّل وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على أنّ الكفر آيسهم.[٢]

قال عليّ عليه السلام: العجب كلّ العجب بين جمادى و رجب. فقال رجل: يا أميرالمؤمنين، ما هذا العجب الذي لاتزال تعجب منه؟ فقال: ثكلتك أمّك! و أيّ عجب أعجب من أموات يضربون كلّ عدوّ لله و لرسوله و أهل بيته؟ و ذلك تأويل هذه الآية: «يا أيّها الذين آمنوا» ـ الآية. فإذا اشتدّ القتل، قلتم: مات، أو هلك، أو أيّ واد سلك.[٣]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤١٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨٨.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٨٤، ح ٢.

٦١.
سورة الصفّ

عن أبي جعفرعليه السلام: من قرأ سورة الصفّ و أدمن قراءتها في فرائضه و نوافله، صفّه الله مع ملائكته و أنبيائه المرسلين.(١)

عنه عليه السلام: من قرأ سورة الصفّ، كان عيسى عليه السلام مصلّياً [عليه] مستغفراً له ما دام في الدنيا. و هو يوم القيامة رفيقه.(٢)

الصفّ: من أدمن قراءتها في سفره، حفظ فيه إلى أن يرجع.(٣)

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ».

«يا أيّها الذين آمنوا». مخاطبة لأصحاب رسول الله الذين وعدوه أن ينصروه و لايخالفوا أمره و لاينقضوا عهده في أميرالمؤمنين عليه السلام فعلم الله أنّهم لايفون بما يقولون: فقال: «لم تقولون ما لاتفعلون» ـ الآية. و قد سمّاهم الله مؤمنين بإقرارهم و إن لم يصدّقوا.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عدة المؤمن أخاه نذر لاكفّارة له. فمن أخلف، فبخلف الله بدأ و لمقته تعرّض. و ذلك قوله: «يا أيّها الذين آمنوا» ـ الآية.(٥)

نزل قوله: «لم تقولون» في المنافقين. و قيل: في قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدوّ لم نفرّ و

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٥ ـ ١٤٦، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٤١٦.
٣ـ المصباح / ٦١٢.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٦٥.
٥ـ الكافي ٢ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤، ح ١.

لم نرجع عنهم، ثمّ لم يفوا بما قالوا و فرّوا يوم أحد حتّى شجّ وجه رسول الله ﷺ و كسرت رباعيته.[١]

[٣] «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ».

«كبر مقتاً»؛ أي: عظم هذا القول [مقتاً]. و مقتاً نصب على التميز.[٢]

[٤] «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ».

«إنّ الله يحبّ» ـ الآية. قال ابن عبّاس: نزلت في عليّ عليه السلام و حمزة و عبيدة بن الحارث و سهل بن حنيف و الحارث بن مغيرة و أبي‌دجانة رضي الله عنهم.[٣]

«صفّاً»؛ أي: يصفّون أنفسهم عند القتال صفّاً. أو: مصطفّين. «بنيان مرصوص»: [كأنّه] بني بالرصاص لشدّة اتّصاله. يعني أنّ الله يحبّ من يثبت في الجهاد كالبنيان المرصوص.[٤]

[في قوله:] «إنّ الله يحبّ» ـ الآية ـ عقيب ذكر مقت المخلف، دليل على أنّ المقت قد تعلّق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفّار فلم يفوا. «صفّاً»: صافّين أنفسهم «كأنّهم» في تراصّهم من غير فرجة و خلل «بنيان» رصّ بعضه إلى بعض. و قوله: «صفّاً» و «كأنّهم» حالان متداخلان.[٥]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله: «في سبيله» قال: أنا سبيل الله الذي نصبني للاتّباع بعد نبيّه ﷺ.[٦]

[٥] «وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤١٧.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٤١٨.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٨٥، ح ١.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٤١٨.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٢٣.

٦ـ انظر: بحارالأنوار ٣٩ / ٣٤٩.

«و إذ قال موسى». تسلية للنبيّ صلى الله عليه و آله. «لم تؤذونني». و هو قولهم: «اجعل لنا إلهاً»[١] و «اذهب أنت و ربّك»[٢] و ما روي من قصّة قارون أنّه دسّ إليه امرأة زعم أنّه زنى بها و رموه بقتل هارون. و قيل: إنّ ذلك حين رموه بالأدرة. «زاغوا»؛ أي: مالوا عن الاستقامة. «أزاغ الله قلوبهم»؛ أي: خلّاهم و سوء اختيارهم و منعهم الألطاف التي يهدي بها قلوب المؤمنين. «و الله لايهدي القوم الفاسقين» إلى الثواب و الجنّة التي وعدها المؤمنين. و قيل: لايفعل بهم الألطاف التي يفعلها بالمؤمنين بل يخلّيهم و اختيارهم.[٣]

[٦] «وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ».

«و إذ قال»: و اذكر إذ قال. «جاءهم» ـ أي: أحمد ـ بالمعجزات الظاهرة. فتح أهل البصرة و الحجاز و أبوبكر الياء في قوله: « من بعدي اسمه» و لم يفتحه الباقون.[٤]

عنه صلى الله عليه و آله: و أمّا أحمد، فإنّي في السماء أحمد منّي في الأرض.[٥]

[٧] «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

«ممّن افترى على الله الكذب»؛ أي: كذّب معجزاته و قال إنّها سحر. «إلى الإسلام» الذي فيه نجاته. و قيل: يدعى إلى الاستسلام و الانقياد لطاعته. «الظالمين»: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر.[٦]

[٨] «يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

١ـ الأعراف (٧) / ١٣٨.
٢ـ المائدة (٥) / ٢٤.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٤١٨.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٤١٩ ـ ٤٢٠.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٦٥.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٤٢٠.

«يريدون ليطفئوا نور الله»؛ أي: يريدون إطفاء نور الإيمان و الإسلام بفاسد الكلام الجاري مجرى تراكم الظلام. فمثلهم فيه مثل من حاول إطفاء نور الشمس بفيه. «متمّ نوره»؛ أي: مظهر كلمته و مؤيّد نبيّه و معلي دينه و شريعته «و لو كره الكافرون».[١]

«و الله متمّ نوره». قال: بالقائم من آل محمّد عليهم السلام حتّى إذا خرج يظهره الله على الدين كلّه حتّى لايعبد غير الله.[٢]

عن أبي‌الحسن عليه السلام في قوله: «يريدون ليطفئوا نور الله» قال: يريدون ليطفئوا ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام بأفواههم. قلت: «و الله متمّ نوره»؟ قال: و الله متمّ الإمامة. و النور هو الإمام.[٣]

[٩] هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

و عنه عليه السلام «بالهدى و دين الحقّ» قال: بالوصاية لوصيّه. و الولاية هي دين الحقّ. «و لو كره الكافرون» بولاية عليّ. قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم. أمّا هذا الحرف فتنزيل، و أمّا غيره فتأويل.[٤]

عمر[٥] بن ميثم عن عباية أنّه سمع أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدين كلّه». أ ظهر ذلك بعد؟ قالوا: نعم. قال: كلّا! فو الذي نفسي بيده، حتّى لايبقى قرية و ينادى فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله بكرة و عشيّاً.[٦]

«ليظهره»؛ أي: ليعليه على الأديان جميعها المخالفة له. و لعمري لقد فعل.[٧]

عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قوله: «ليظهره على الدين كلّه» قال: ما نزل تأويلها حتّى يقوم

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤٢٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٦٥.
٣ـ الكافي ١ / ٤٣٢، ح ٩١.
٤ـ الكافي ١ / ٤٣٢، ح ٩١.
٥ـ المصدر: عمران.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٤٢٠.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٥٢٦.

القائم. فإذا قام القائم ـ إن شاء الله ـ لم يبق كافر و لا مشرك إلّا كره خروجه؛ حتّى لو أنّ كافراً في بطن صخرة، لقالت الصخرة: يا مؤمن، في بطني كافر ـ أو مشرك ـ فاقتله. قال: فيجيئه فيقتله. و لايكون ذلك حتّى لايبق يهوديّ و لا نصرانيّ و لا صاحب ملّة إلّا دخل في الإسلام حتّى تأمن الشاة الذئب و البقرة الأسد و الإنسان الحيّة.[١]

[١٠] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ».

عنه ﷺ قال: لمبارزة عليّ ﷺ لعمرو بن عبدودّ أفضل من عمل أمّتي إلى يوم القيامة. و هي التجارة المربحة المنجية من العذاب الأليم. فتكون التجارة المربحة المنجية مبارزته لعمرو. و من هاهنا قال: أنا صاحب التجارة المربحة.[٢]

قرأ ابن عامر: «تنجّيكم» بالتشديد.[٣]

[١١ ـ ١٢] «تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

يجوز أن يكون قوله: «تؤمنون» مرفوعاً بسقوط أن و الموصول و الصلة في موضع جرّ على البدل من «تجارة». تقديره: هل أدلّكم على تجارة إيمان بالله.[٤]

و «تؤمنون» استئناف. كأنّهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال: تؤمنون. و هو خبر في معنى الأمر و لهذا أجيب بقوله: «يغفر لكم». و إنّما جيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال [و كأنّه امتثل] فهو يخبر عن إيمان و جهاد موجودين. كقول الداعي: غفر الله لك. «يغفر لكم». قال الفرّاء: جواب لهل أدلّكم. فإن قلت: هل لقول الفرّاء أنّه جواب «هل أدلّكم» وجه؟ قلت: وجهه أنّ متعلّق الدلالة هو التجارة و التجارة مفسّرة بالايمان و

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٨٨، ح ٧.
٢ـ تأويا الآيات ٢ / ٦٩٠، ح ١١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٩٠.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٤٢٢.

الجهاد، فكأنّه قيل: هل تتجرون بالايمان و الجهاد يغفر لكم؟ «ذلكم»؛ أي: ما ذكر من الايمان و الجهاد خير لكم من أنفسكم و أموالكم. «إن كنتم تعلمون» أنّه خير لكم، كان خيراً لكم. لأنّكم إذا علمتم ذلك و اعتقدتموه، أحببتم الايمان و الجهاد فوق ما تحبّون أنفسكم و أهليكم فتخلصون.(١)

[١٣] «وَ أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ».

«و أخرى تحبّونها»: و لكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة و الثواب في الآجلة، نعمة أخرى محبوبة عاجلة. ثمّ فسّرها بقوله: «نصر من الله و فتح قريب»؛ أي: عاجل. و هو فتح مكّة. و قال الحسن: فتح فارس و الروم. و في «تحبّونها» شيء من التوبيخ على محبّة العاجل. «و بشّر المؤمنين». عطف على «تؤمنون». لأنّه في معنى الأمر و كأنّه قيل: آمنوا و جاهدوا يثبكم الله و ينصركم. و بشّر ـ يا رسول الله ـ المؤمنين بذلك.(٢)

و «أخرى» في موضع جرّ بأنّه صفة لموصوف محذوف مجرور بالعطف على «تجارة». تقديره: و على تجارة أخرى محبوبة.(٣)

[١٤] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ كَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ».

«كما قال عيسى». فإن قلت: ما وجه صحّة التشبيه؟ و ظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى: «من أنصاري إلى الله». قلت: التشبيه محمول على المعنى. و عليه فالمراد: كونوا أنصار الله كما كان الحواريّون أنصار عيسى حين قال لهم: «من أنصاري إلى الله»؟(٤)

«قال الحواريّون». سمّوا بذلك لأنّهم أخلصوا من كلّ عيب. و قيل: لبياض ثيابهم. و

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٢٦ ـ ٥٢٧.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٢٧.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٤٢٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٥٢٨.

قيل: لأنّهم كانوا قصّارين. «من أنصاري إلى الله»؛ أي: قل يا محمّد: إنّي أدعوكم إلىٰ هذا الأمر، كما دعا عيسى قومه فقال: «من أنصاري إلى الله»؛ أي: معه. فإلى [هاهنا] بمعنى مع. أي: من ينصرني مع نصرة الله إيّاي؟ و قيل: «إلى الله»؛ أي: فيما يقرّب إلى الله. «أنصار الله»؛ أي: أنصار دين الله. و قيل: إنّما سمّوا نصارى لقولهم: نحن أنصار الله. «فآمنت»؛ أي: صدّقت بعيسى. «و كفرت طائفة». يعني في زمن عيسى. و ذلك أنّه لمّا رفع، تفرّق قومه ثلاث فرق. فرقة قالت: كان الله فارتفع. و فرقة قالت: كان ابن الله فرفعه إليه. و فرقة قالت: كان عبداً لله و رسوله فرفعه إليه. و هم المؤمنون. و اقتتلوا و ظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتّى بعث محمّد ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين. و ذلك قوله: «فأيّدنا» ـ الآية. «ظاهرين»؛ أي: غالبين. و قيل: معناه: أصبحت حجّة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمّد بأنّ عيسى كلمة الله و روحه. و قيل: معناه: فآمنت طائفة من بني إسرائيل بمحمّد و كفرت طائفة فأصبحوا قاهرين لعدوّهم بالحجّة و القهر و الغلبة.[١]

«كونوا أنصار الله». قرأ الحجازيّان و أبوعمرو: «أنصاراً لله» بالتنوين و اللّام. لأنّ المعنى بعض أنصار الله. «من أنصاري إلى الله»؛ أي: من جندي إلى نصرة الله؟ ليطابق قوله: «قال الحواريّون نحن أنصار الله». و الإضافة الأولى إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص، و الثانية إضافة الفاعل إلى المفعول. و الحواريّون أصفياؤه و هم أوّل من آمن به و كانوا اثني عشر رجلاً.[٢] أسماؤهم: شمعون الصفا، شمعون القتاني، يعقوب بن ريدى، يعقوب بن حلق، قولوس، مازنوس، لوقا، تداروس، ترتملا، يوحنّا، توما، متّى.[٣]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤٢٣ ـ ٤٢٤ و ٤٢٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٩١.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٢٧.

٦٢.
سورة الجمعة

عنه ﷺ: من قرأ الجمعة، أعطي عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة و من لم يأتها.[١]

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من الواجب على كلّ مؤمن ـ إذا كان شيعة لنا ـ أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة و سبّح اسم ربّك الأعلى وفي صلاة الظهر بالجمعة و المنافقين. فإذا فعل، فكأنّما يعمل بعمل رسول الله و كان ثوابه و جزاؤه على الله الجنّة.[٢]

الجمعة: من أدمن قراءتها ليلاً و نهاراً، صباحاً و مساء، أمن من وسوسة الشيطان.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

«يسبّح لله»؛ أي: ينزّهه و يشهد له بالوحدانيّة بما ركّب فيها من بدائع الحكمة و عجائب الصنعة الدالّة على صفاته. «الملك»؛ أي: القادر على تصرّف الأشياء. «القدّوس»؛ أي: المستحقّ للتعظيم، الطاهر عن كلّ نقص. «العزيز»: القادر الذي لايمتنع عليه شيء. «الحكيم»: العالم الذي يضع الأشياء مواضعها.[٤]

«القدّوس»: البريء من الآفات الموجبة للجهل.[٥]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٢٧.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٢٧.
٣ـ المصباح / ٦١٢.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٢٨.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٦٦.

[٢] «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«الأمّيّين». يعني العرب و كانت أمّة أمّيّة لاتكتب و لاتقرأ و لم يبعث إليهم نبيّ. و قيل: أهل مكّة؛ لأنّها تسمّى أمّ القرى. و وجه النعمة في أنّه جعل النبوّة في أمّي، موافقته لما تقدّمت البشارة به في الكتب السالفة، و لأنّه أبعد من التهمة و أقرب إلى العلم بأنّ ما يخبرهم به ليس إلّا من الوحي. «و يزكّيهم»؛ أي: يطهّرهم من الكفر و الذنوب. «و الحكمة»؛ أي: الشرائع. و قيل: الحكمة العلم الذي يعمل عليه. «من قبل»؛ أي: من قبل بعثته.[١]

الأمّي منسوب إلى أمّة العرب، لأنّهم كانوا لا يكتبون و لا يقرؤون من بين الأمم. و قيل: بدأت الكتابة بالطائف، أخذوها من أهل أنبار موضع يقرب بغداد. و معنى «بعث في الأمّيّين رسولاً منهم»: بعث رجلاً أمّيّاً في قوم أمّيّين. و قيل: «منهم» كقوله: «من أنفسكم»[٢] يعلمون نسبه و أحواله. «يتلو عليهم آياته» مع كونه أمّيّاً مثلهم لم تعهد منه قراءة. «الكتاب و الحكمة»: القرآن و السنّة. «و إن كانوا من قبل». إن هي المخفّفة من المثقّلة. أي: كانوا في ضلال لا ترى ضلالاً أعظم منه.[٣]

عن الجوادعليه السلام لمّا قال الناس إنّما سمّي الأمّيّ لأنّه لم يحسن أن يكتب فقال عليه السلام: كذبوا. لأنّه قال: «و يعلّمهم الكتاب و الحكمة». فكيف يعلّمهم ما لا يحسن؟ و الله لقد كان رسول الله يقرأ و يكتب باثنين و سبعين ـ أو ثلاثاً و سبعين ـ لساناً. و إنّما سمّي الأمّيّ لأنّه كان من أهل مكّة و مكّة من أمّهات القرى. و ذلك قوله: «لتنذر أمّ القرى و من حولها»[٤].[٥]

[٣] «وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٢٨ ـ ٤٢٩.
٢ـ التوبة (٩) / ١٢٨.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٥٢٩ ـ ٥٣٠.
٤ـ الأنعام (٦) / ٩٢.
٥ـ علل الشرائع / ١٢٤، ح ١.

«و آخرين»؛ أي: بعثه في قوم آخرين. و هم كلّ من عدا الصحابة إلى يوم القيامة. و قيل: هم الأعاجم و من لم يتكلّم بلغة العرب. و روي ذلك عن أبي جعفرعليه السلام. و روي أنّه صلى الله عليه و آله قرأ هذه الآية فقيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان و قال: لو كان الإيمان في الثريّا لنالته رجال من هؤلاء. و على هذا فقال: «منهم» لأنّهم إذا أسلموا صاروا منهم. فإنّ المسلمين كلّهم أمّة واحدة و إن اختلفت أجناسهم. و قيل: إنّ قوله: «لمّا يلحقوا بهم» يعني في الفضل و السابقة. فإنّ التابعين لايدركون شأن السابقين من الصحابة.(١)

«و آخرين». عطف على الأمّيّين. يعني: بعثه في الأمّيّين الذين على عهده و آخرين من الأمّيّين لمّا يلحقوا بهم بعد و سيلحقون بهم. و هم الذين بعد الصحابة.(٢)

[٤] «ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

«ذلك فضل الله». يعني النبوّة التي خصّ الله بها رسوله. «يؤتيه»؛ أي: يعطيه من يشاء بحسب ما يعلمه من صلاحه للبعثة و تحمّل أعباء الرسالة. «و الله ذو الفضل العظيم»: ذوالمنّ العظيم ببعث محمّدصلى الله عليه و آله. و عن هشام بن سالم يرفعه قال: جاء الفقراء إلى رسول الله فقالوا: يا رسول الله، إنّ الأغنياء يتصدّقون و يحجّون و يعتقون و ليس لنا مال. فقال صلى الله عليه و آله: من كبّر الله مائة تكبيرة، كان أفضل من عتق رقبة. ومن سبّح الله مائة تسبيحة، كان أفضل من عتق رقبة. و من حمد الله مائة تحميدة، كان أفضل من مائة فرس في سبيل الله يسرجها و يلجمها. و من هلّل الله مائة تهليلة، كان أفضل الناس عملاً في ذلك اليوم إلّا من زاد. فبلغ ذلك الأغنياء فقالوه. فرجع الفقراء إلى النبيّ فقالوا: يا رسول الله، قد صنعه الأغنياء. فقال: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».(٣)

[٥] «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٢٩. ٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٣٠.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

«مثل الذين حمّلوا التوراة». يعني اليهود حمّلوا التوراة؛ أي: كلّفوا العمل بما فيها. «ثمّ لم يحملوها»؛ أي: لم يعملوا بها و بأحكامها. «كمثل الحمار يحمل أسفاراً». لأنّ الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره، و لايحسّ بما فيها. فمثل من يحفظ الكتاب و لايعمل بموجبها، كمثل من لايعلم ما فيها. قال ابن عبّاس: من تلا القرآن و لم يفهم معناه و أعرض عنه إعراض من لايحتاج إليه، كان هذا المثل لاحقاً به. «بئس مثل القوم الذين»؛ أي: بئس القوم هذا مثلهم لأنّه سبحانه ذمّ مثلهم. «لايهدي»؛ أي: لايفعل بهم من الألطاف التي يفعلها بالمؤمنين. و قيل: لايثيبهم و لايهديهم إلى الجنّة.(١)

«مثل الذين». شبّه اليهود في أنّهم حملة التوراة و قرّاؤها و حفّاظ ما فيها ثمّ إنّهم غير عاملين بها و لا منتفعين بآياتها ـ و ذلك أنّ فيها نعت رسول الله و البشارة به و لم يؤمنوا به ـ بالحمار حمل أسفاراً، أي: كتاباً كباراً من كتب العلم، فهو يمشي بها و لم يدري ما فيها و لايدري منها إلّا ما يمرّ منه بجنبيه و ظهره من الكدّ و التعب. و كلّ من علم و لم يعمل بعلمه، فهو مثله. «كذّبوا بآيات الله». و هم اليهود كذّبوا بالآيات الدالّة على صحّة نبوّة محمّد ﷺ. و معنى «حمّلوا التوراة»: كلّفوا عملها. «ثمّ لم يحملوها»؛ أي: لم يعملوا بها فكأنّهم لم يحملوها.(٢)

[٦] «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«هادوا»؛ أي: سمّوا يهوداً. «أولياء الله»؛ أي: أنصاره. «إن كنتم صادقين» أنّكم أبناء الله و أحبّاؤه. فإنّ الموت يوصلكم إليه.(٣)

قال: إنّ في التوراة مكتوباً: أولياء الله يتمنّون الموت.(٤)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٣٠.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٣.
٤ـ تفسير القمّي ٢ / ٣٦٦.

[٧] «وَ لَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ».

«بما قدّمت أيديهم» من الكفر و المعاصي. و قال ﷺ: لو تمنّوا الموت، ماتوا عن آخرهم.(١)

[٨] «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«تفرّون منه» و تخافون أن تتمنّوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم.
«ملاقيكم»: لاحق بكم.(٢)
«بما كنتم تعملون» في دار الدنيا.(٣)

[٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«إذا نودي للصلاة»؛ أي: أذّن لصلاة الجمعة. و ذلك إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة. لأنّه لم يكن على عهد رسول الله نداء سواه. قال السائب بن زيد: كان لرسول الله بلال مؤذّن واحد. وكان إذا جلس على المنبر، أذّن على باب المسجد. فإذا نزل أقام. ثمّ كان أبوبكر و عمر [كذلك] حتّى إذا كان عثمان و كثر الناس و تباعدت المنازل، زاد أذاناً. فأمر بالأذان الأوّل على سطح داره بالسوق يقال له الزوراء و كان يؤذّن له عليها. فإذا جلس عثمان على المنبر، أذّن مؤذّنه، فإذا نزل أقام للصلاة. فلم يعب ذلك عليه. «فاسعوا إلى ذكر الله»: فامضوا إلى الصلاة مسرعين غير متثاقلين. و قرأ ابن مسعود: «فامضوا إلى ذكر الله». و هو المرويّ عن عليّ و أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. و قيل: المراد بالذكر الخطبة التي تتضمّن ذكر الله و المواعظ. «و ذروا البيع». كلّ بيع تفوت فيه الصلاة، فإنّه بيع حرام. لأنّ النهي يدلّ

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٩٣.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٤.

على فساد المنهيّ عنه. «ذلكم»؛ أي: ما أمرتم به من حضور الجمعة و تحريم جميع التصرّفات عند سماع الأذان. لأنّ البيع إنّما خصّ بالنهي عنه لكونه من أعمّ التصرّفات في أسباب المعاش. و فيه دلالة على أنّ الخطاب للأحرار ـ لأنّ العبد لايملك البيع ـ و على اختصاص الجمعة بمكان و لذلك أوجب السعي إليه.(١)

«فاسعوا»: امضوا. يقول: اغتسلوا و خذوا الشارب و الأظفار(٢) و نتف الإبط و لبس أفضل الثياب و التطيّب. فهو السعي. يقول الله: «و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن»(٣).(٤)

[عن أبي حمزة] عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال له رجل: كيف سمّيت الجمعة جمعة؟ قال: لأنّ الله جمع فيها خلقه لولاية محمّد و وصيّه عليهما السلام في الميثاق. فسمّاه الجمعة لجمعه فيه خلقه.(٥)

[١٠] «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَ اذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

«و ابتغوا من فضل الله»؛ أي: اطلبوا الرزق بالبيع و الشراء. و هذا إباحة و ليس بأمر إيجاب. و عنه صلى الله عليه وآله في قوله: «فانتشروا» ـ الآية ـ: ليس لطلب دنيا، ولكن عيادة [مريض] و حضور جنازة و زيارة أخ في الله. و قيل: المراد بفضل الله طلب العلم. و عن أبي عبدالله عليه السلام: الصلاة يوم الجمعة و الانتشار يوم السبت. إنّما سمّيت جمعة لأنّه تعالى فرغ فيها من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات. و قيل: لأنّه يجتمع فيه الجماعات. «اذكروا الله» على إحسانه و أداء فرضه. وقيل: المراد بالذكر هنا الفكر. كما قال: تفكّر ساعة خير من

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

٢ـ لايوافق سياق هذه العبارة ما يأتي بعدها. و في المصدر: عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ... قال: اسعوا؛ أي: امضوا. و يقال: اسعوا: اعملوا لها. و هو قصّ الشارب و نتف الإبط و تقليم الأظفار و الغسل و لبس أفضل ثيابك و تطيّب للجمعة. فهو السعي.

٣ـ الإسراء (١٧) / ١٩.　　٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٦٧.

٥ـ الكافي ٣ / ٤١٥، ح ٧.

عبادة سبعين[١] سنة. و قيل: معناه: اذكروا الله في تجارتكم.[٢]

[١١] «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجَارَةِ وَ اللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

قال جابر بن عبدالله: أقبل عير و نحن نصلّي مع رسول الله الجمعة، فانفضّ الناس إليها فما بقي غير اثني‌عشر رجلاً أنا فيهم. فنزلت: «و إذا رأوا تجارة» ـ الآية. و قيل: كان دحية بن خليفة يأتي من التجارة بكلّ ما يحتاج إليه الناس. و كان يضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه. فقدم ذات جمعة و كان رسول الله ﷺ يخطب فخرج الناس و لم يبق في المسجد إلّا اثناعشر رجلاً و امرأة. ولولا هؤلاء لسوّمت[٣] الحجارة لهم من السماء. و أنزل الله الآية. و قيل: إنّهم فعلوا ذلك ثلاث مرّات في كلّ مرّة لعير يقدم من الشام و كلّ ذلك يوافق يوم الجمعة. «تجارة أو لهواً»؛ أي: إذا علموا بيعاً أو شراء أو لهواً و هو الطبل أو المزامير. «انفضّوا إليها»؛ أي: تفرّقوا عنك خارجين إليها. و الضمير للتجارة. و عن أبي عبدالله عليه السلام: انصرفوا إليها. «و تركوك قائماً» على المنبر. «ما عند الله» ـ أي من الثواب ـ على حضور الصلاة مع النبيّ ﷺ.[٤]

«رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا». قدّم هنا التجارة على اللّهو و عكس في الآخرة. و لعلّ الوجه فيه ـ كما قيل ـ كون التجارة محبوبة إلى طباعهم أشدّ من اللّهو الذي هو سماع الطبل و نحوه فقدّمه في الذكر متابعة لطباعهم و عكس في الثاني لأنّه من كلامه سبحانه و قد ترقّى فيه من الأدنى إلى الأعلى. يعني أنّ ما عند الله من الثواب و الرزق خير من اللّهو بل خير ممّا هو خير منه و أعلى الذي هو التجارة. و أمّا إعادة الجارّ في قوله: «و من التجارة» فللتنصيص على أنّه خير من كلّ واحد لا من المجموع من حيث المجموع.

١ـ ليس في المصدر.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٥.

٣ـ في النسخة: استومت.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٣ و ٤٣٦.

٦٣.
سورة المنافقون

عنه ﷺ: من قرأها، برئ من الشرك و النفاق في الدين.[١]

المنافقون: يقرأ على الدماميل يبرأ بإذن الله.[٢]

عنه ﷺ: من قرأ سورة المنافقين، برئ من النفاق.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ❊ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَ اللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ».

«نشهد إنّك». أي أخبروا بأنّهم يعتقدون أنّك لرسول الله.

«و الله يعلم» حقيقة «إنّك لرسوله». «لكاذبون» في قولهم نعتقد أنّك رسول الله. فهم كاذبون في قلوبهم لا في ألسنتهم. و فيه دلالة على أنّ حقيقة الايمان إنّما هو بالقلب.[٤]

«نشهد». أي شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم. فهم كاذبون في قولهم: «نشهد» و ادّعائهم فيه المواطأة. أو: إنّهم كاذبون في تسميته شهادة لأنّه خال عن المواطأة. أو: إنّهم كاذبون عند أنفسهم، لأنّهم لايعتقدون رسالتك. و توسّط قوله: «و الله يعلم إنّك لرسوله» لئلّايوهم أنّ قولهم هذا كذب.[٥]

١ـ المصباح / ٥٩٤.

٢ـ المصباح / ٦١٢.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٧.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٩.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٣٨.

[٢] «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«جنّة»؛ أي: سترة يستترون بها من الكفر لئلّايقتلوا و لا يسلبوا و لا تؤخذ أموالهم. «فصدّوا» الخلق عن دين الله بأن دعوهم إلى الكفر في الباطن. «ساء ما كانوا يعملون»؛ أي: بئس الذي يعملونه من إظهار الإيمان مع إبطان الكفر و الصدّ عن السبيل.(١)

«أيمانهم جنّة». يجوز أن يراد أنّ قولهم: «نشهد إنّك» يمين من أيمانهم الكاذبة. لأنّ الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد. يقول الرجل: أشهد بالله، في موضع أقسم بالله. و يجوز أن يكون وصفاً للمنافقين في استجنانهم بالأيمان.(٢)

[٣] «ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ».

«آمنوا ثمّ كفروا»؛ أي: آمنوا بألسنتهم ثمّ كفروا بقلوبهم. و قيل: آمنوا ظاهراً عند النبيّ و المسلمين، ثمّ إذا خلوا بالمشركين كفروا. و إنّما قال: «كفروا» لأنّهم جدّدوا الكفر بعد إظهار الايمان. «فطبع على قلوبهم»؛ أي: ختم عليها بسمة تميّز بها الملائكة بينهم و بين المؤمنين على الحقيقة. و قيل: لمّا ألفوا الكفر و الفساد و لم يصغوا إلى الحقّ، خلّاهم الله و اختيارهم و خذلهم فصار ذلك طبعاً على قلوبهم و هو ألفتهم إلى ما اعتادوه من الكفر. «لايفقهون»: لايعلمون، من حيث إنّهم لايتفكّرون حتّى يميّزوا بين الحقّ و الباطل.(٣)

«ذلك»؛ أي: ذلك القول الشاهد عليهم بأنّهم أسوأ الناس أعمالاً «بأنّهم آمنوا ثمّ كفروا».(٤)

محمّد بن الفضيل عن الكاظم عليه السلام قال: قلت له: «ذلك بأنّهم آمنوا ثمّ كفروا»؟ قال: إنّ الله سمّى من لم يتّبع رسول الله في ولاية وصيّه منافقين، و جعل من جحد إمامة وصيّه كمن جحد محمّداً. و أنزل بذلك قرآناً فقال: يا محمّد «إذا جاءك المنافقون» بوصاية وصيّك «قالوا نشهد إنّك لرسول الله و الله يعلم إنّك لرسوله و الله يشهد إنّ المنافقين» بولاية عليّ

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٣٨ ـ ٥٣٩.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٥٣٩.

«لكاذبون». «فصدّوا عن سبيل الله». السبيل هو الوصيّ. «بأنّهم آمنوا» برسالتك و كفروا بولاية وصيّك. «لايفقهون»: لايعقلون نبوّتك.[١]

[٤] «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ».

«تعجبك أجسامهم» بحسن منظرهم و تمام خلقتهم. «تسمع لقولهم»؛ أي: إذا قالوا قولاً، أصغيت إلى كلامهم لحسن منطقهم و فصاحة لسانهم و بلاغة بيانهم. «خشب مسنّدة»؛ أي: [أشباح] بلاأرواح. شبّههم في خلوّهم من العقول و الأفهام بالخشب المسنّدة إلى شيء لا أرواح فيها. و قيل: شبّههم بخشب نخرة متأكّلة لا خير فيها فيحسب من رآها أنّها صحيحة سليمة من حيث إنّ ظاهرها يروق [و] باطنها [لايفيد]. فكذلك المنافق ظاهره معجب رائع و باطنه عن الخير زائغ. «يحسبون كلّ صيحة». وصفهم الله بالخور و الهلع. أي: يظنّون كلّ صيحة يسمعونها أنّها مهلكتهم و أنّهم المقصودون بها جبناً و وجلاً. و ذلك مثل أن ينادي مناد في العسكر أو يصيح بصاحبه أو انفلتت دابّة. و قيل: إنّهم إذا سمعوها ظنّوها آية منزلة في شأنهم و في الكشف عن حالهم لما عرفوا [من] الغشّ و الخيانة في صدورهم. و لذلك قيل: المريب خائف. «فاحذرهم» أن تأمنهم على سرّك. «قاتلهم الله»: خذلهم الله و لعنهم. و قيل: إنّه دعاء عليهم بالهلاك. لأنّ من قاتله الله فهو مقتول. «أنّى يؤفكون»: أنّى يصرفون عن الحقّ مع كثرة الدلالات؟ و هذا توبيخ و تقريع لا استفهام. و قيل: معناه: كيف يكذبون؟[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «كأنّهم خشب مسنّدة» يقول: لايسمعون و لايعقلون. «كلّ صيحة». يعني كلّ صوت. فلمّا أنبأ الله رسوله و عرّفه خبرهم، مشى إليهم عشائرهم و قالوا لهم: لقد افتضحتم. ويلكم! فأتوا رسول الله يستغفر لكم. فلوّوا رؤوسهم و زهدوا في

١ـ الكافي ١ / ٤٣٢ ـ ٤٣٣، ح ٩١.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

الاستغفار. يقول: «و إذا قيل لهم» ـ الآية.[١]

«و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم». كان عبدالله بـن أبيّ رجـلاً جسـيماً صـبيحاً ذلق اللّسان و قوم من رؤساء المنافقين في مثل صفته. و كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه و آله و يستندون فيه و لهم جهارة المناظر و فصاحة الألسن. و كان النبيّ و من حضر يـعجبون بهياكلهم و يستمعون إلى كلامهم. و قد شبّهوا في استنادهم ـ و ما هم إلّا أجرام خالية عن الإيمان و الخير ـ بالخشب المسنّدة إلى الحائط. و لأنّ الخشب إذا انتفع به، كان في سقف و جدار و غيرهما، و ما دام متروكاً غير منتفع به، استند إلى الحائط، فشـبّهوا بـه في عـدم الانتفاع. و يجوز أن يراد بالخشب المسنّدة الأصـنام المـنحوتة مـن الخشب المسـنّدة إلى الحيطان. شبّهوا بها في حسن صورهم و قلّة جدواهم. و الخطاب في «رأيتهم» لرسول الله أو لكلّ من يخاطب. «عليهم». ثاني مفعولي «يحسبون». أي: واقعة عليهم و ضارّة لهم.[٢]

[٥] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ».

«لوّوا رؤوسهم»؛ أي: أكثروا تحريكها بالهزء لها استهزاء بـدعائهم إلى ذلك. و قـيل: أمالوها إعراضاً عن الحقّ و كراهة لذكر النبيّ صلى الله عليه و آله لكفرهم و اسـتهزائـهم و اسـتكبارهم. «مستكبرون»؛ أي: متكبّرون مظهرون أنّه لا حـاجة لهـم إلى اسـتغفاره. نـافع: «لووا» بالتخفيف.[٣]

عن الكاظم عليه السلام: «وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله»؛ أي: إذا قيل لهم ارجعوا إلى ولاية عليّ يستغفر لكم النبيّ من ذنوبكم، «لوّوا رؤوسهم و رأيتهم يصدّون» عن ولاية عليّ عليه السلام «و هم مستكبرون» عليه.[٤]

روي: انّ رسول الله صلى الله عليه و آله حين لقي بني المصطلق على المريسيع ـ و هو ماء لهم ـ و هزمهم

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٠.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٠ و ٤٣٨.
٤ـ الكافي ١ / ٤٣٣، ح ٩١.

و قتل منهم، ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه و سنان الجهنيّ حليف لعبد الله بن أبيّ و اقتتلا. فصرخ جهجاه للمهاجرين و سنان بالأنصار. فأعان جهجاهاً جعال من فقراء المهاجرين و لطم سناناً. فقال عبدالله لجعال: و أنت هناك؟ و قال: ما صحبنا محمّداً إلّا لنلطم! و الله ما مثلنا و مثلهم إلّا كمن قال: سمّن كلبك يأكلك. أما و الله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ. يعني بالأعزّ نفسه و بالأذلّ رسول الله. ثمّ قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم؟ أحللتموهم بلادكم و قاسمتموهم أموالكم! أما و الله لئن أمسكتم عن جعال و ذويه فضل الطعام، لم يركبوا رقابكم و لأوشكوا أن يتحوّلوا عنكم. فلاتنفقوا عليهم حتّى ينفضّوا من حول محمّد. فسمع ذلك زيد بن أرقم ـ و هو حدث ـ فقال: أنت ـ و الله ـ الذليل القليل المبغض في قومك و محمّد في عزّ من الرحمن و قوّة من المسلمين. فقال عبدالله: اسكت. فإنّما كنت ألعب. فأخبر زيد رسول الله. فقال له الرسول: أنت صاحب الكلام الذي بلغني؟ قال: و الله الذي أنزل عليك الكتاب، ما قلت شيئاً من ذلك. و إنّ زيداً لكاذب. فهو قوله: «اتّخذوا أيمانهم جنّة». فقال الحاضرون: يا رسول الله، شيخنا و كبيرنا. لاتصدّق عليه كلام غلام. عسى أن يكون قد وهم. فلمّا نزلت، لحق رسول الله زيداً من خلفه فعرك أذنه و قال: وفت أذنك يا غلام. إنّ الله قد صدّقك و كذّب المنافقين. و لمّا أراد عبدالله أن يدخل المدينة، اعترضه ابنه عبيدالله[1] ـ و كان مخلصاً ـ فقال: لاتدخلها ـ و الله ـ حتّى تقول: رسول الله الأعزّ و أنا الأذلّ. و إلّا لأضربنّ عنقك. فلمّا رأى منه الجدّ قال: أشهد أنّ العزّة لله و لرسوله و للمؤمنين. فقال له رسول الله: جزاك الله عن رسوله و عن المؤمنين خيراً. فلمّا بان كذب عبدالله، قيل له: قد نزلت فيك آي شداد. فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك. فلوّى رأسه فقال: أمرتموني أن أومن فآمنت. و أمرتموني أن أزكّي مالي فزكّيت. فما بقي إلّا أن أسجد لمحمّد! فنزلت: «و إذا قيل» ـ الآية. فلم يلبث إلّا أيّاماً قلائل حتّى اشتكى و مات.[2]

[٦] «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي

١ـ المصدر: عبدالله.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٤١ ـ ٥٤٣.

الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

ثمّ ذكر سبحانه أنّ استغفاره لاينفعهم فقال: «سواء عليهم» ـ الآية. لأنّهم يبطنون الكفر. قال الحسن: أخبره سبحانه أنّهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم. و كان يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبة و أن يكون الباطن مثل الظاهر، فبيّن الله أنّ ذلك لاينفع مع إبطانهم الكفر.[١]

«سواء عليهم» الاستغفار و عدمه. لأنّهم لايلتفتون إليه و لايعتدّون به لكفرهم، أو لأنّ الله لايغفر لهم.[٢]

[٧] «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَ لِلّٰهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ».

«و لله خزائن السموات و الأرض». فلو شاء لأغنى الفقراء ولكنّه يفعل ما هو الأصلح.[٣]

«ينفضّوا»؛ أي: يتفرّقوا. «و لله خزائن السموات»؛ أي: بيده الأرزاق فهو رازقهم منها و إن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم.[٤]

[٨] «يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ».

«و لله العزّة» بالربوبيّة و لرسوله بالنبوّة و للمؤمنين بالعبوديّة. «لايعلمون» فيظنّون أنّ العزّة لهم.[٥]

«و لله العزّة»؛ أي: الغلبة و القوّة. و الهوان للشيطان و ذويه. و عن الحسين[٦] بن عليّ أنّ

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٤.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٣.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٤.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٣.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

٦ـ المصدر: الحسن.

رجلاً قال له: إنّ الناس يزعمون أنّ فيك تيهاً. قال: ليس بتيه ولكنّه عزّة. فتلا هذه الآية: «و لله العزّة» ـ الآية.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام: لاينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه. و هو أن يتعرّض لما لا يطيق أو يدخل فيما يعتذر منه.(٢)

و قال عليه السلام: إنّ الله فوّض إلى المؤمن أموره كلّها و لم يفوّض إليه أن يذلّ نفسه. ألم تر قول الله هاهنا: «و لله العزّة» ـ الآية؟ و المؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً لا ذليلاً.(٣)

معاوية بن وهب قال: رآني أبوعبدالله عليه السلام و أنا أحمل بقلاً. فقال: إنّه يكره للرجل السريّ أن يحمل الشيء الدنيّ فيجترأ عليه.(٤)

[٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

«لاتلهكم أموالكم»؛ أي: التصرّف فيها و التهالك على طلب النماء فيها. «و لا أولادكم» و سروركم بهم و شفقتكم عليهم و القيام بتسوية أمورهم و ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم و بعد مماتكم. «هم الخاسرون» في تجارتهم حيث باعوا الباقي بالفاني. و ذكر الله الصلوات الخمس أو القرآن أو الجهاد مع رسول الله.(٥)

[١٠] «وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلٰى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ».

«ممّا رزقناكم». من فيه للتبعيض. و المراد الإنفاق الواجب. «أن يأتي أحدكم الموت»؛ أي: يعاين دلائل الموت و ييأس من الحياة. «لولا أخّرتني»؛ أي: هلّا أخّرت موتي؟ «أجل

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٣.
٢ـ الكافي ٥ / ٦٣ ـ ٦٤، ح ٤ و ٥.
٣ـ الكافي ٥ / ٦٤، ح ٦.
٤ـ الخصال / ١٠، ح ٣٥.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٤.

قريب»»؛ أي: زمان قليل. «و أكن». عطف على محلّ «فأصّدّق». كأنّه قيل: إن أخّرتني أصّدّق و أكن.[١]

أبوعمرو: «و أكونَ» بالنصب.[٢]

[١١] «وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَ اللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

«إذا جاء أجلها». يعني الأجل المطلق الذي حكم بأنّ الحيّ يموت [عنده]. و الأجل المقيّد هو الأجل المحكوم بأنّ العبد يموت عنده إن لم‌يقتطع دونه أو لم‌يزد عليه او ينقص منه على ما يعلمه الله من المصلحة.[٣]

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٤.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤١.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٥.

٦٤.
سورة التغابن

من قرأها و دخل على حاكم، كفيه.(١)

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأ التغابن في فرائضه، كانت شفيعة [له] يوم القيامة و شاهد عدل عند من يجيز شهادتها، ثمّ لاتفارقه حتّى يدخل الجنّة.(٢)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

تسبيح المكلّفين بالقول. و تسبيح الجمادات بالدلالة. «له الملك» دون غيره. و الألف و اللّام للاستغراق.(٣)

[٢] «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«فمنكم كافر و منكم مؤمن»؛ أي: انقسمتم قسمين. [و لايجوز حمله على أنّ](٤) الله خلقهم مؤمنين و كافرين. لأنّه أضاف الكفر و الإيمان إليهم و إلى فعلهم. «بما تعملون» من الكفر و الإيمان «بصير» فيجازيكم عليه.(٥)

«فمنكم كافر و منكم مؤمن»؛ أي: فمنكم آت بالكفر فاعل له، و منكم آت بالإيمان فاعل

١ـ المصباح / ٦١٢.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٦.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٧.

٤ـ في النسخة: «لأنّ» بدل ما بين المعقوفتين.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٧.

له. كقوله: «و جعلنا في ذرّيّتهما النبوّة و الكتاب فمنهم مهتد و كثير منهم فاسقون».[١] و الدليل عليه: «و الله بما تعملون بصير»؛ أي: عالم بكفركم و إيمانكم اللّذين هما من عملكم. و المعنى: هو الذي تفضّل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق و الإيجاد، فيجب أن تكونوا بأجمعكم عباداً شاكرين. فما فعلتم مع تمكّنكم بل تفرّقتم فرقاً فمنكم كافر و منكم مؤمن. و قدّم الكفر لانّه الأغلب و الأكثر. و قيل: هو الذي خلقكم. فمنكم كافر بالخلق و هو الدهريّة. و منكم مؤمن به. فإن قلت: نعم، إنّ العباد هم الفاعلون للكفر، ولكن سبق في علم الحكيم أنّه إذا خلقهم لم يفعلوا إلّا الكفر و لم يختاروا غيره. فما دعاه إلى خلقهم مع علمه بما يكون منهم؟ و هل خلق القبيح و خلق فاعل القبيح إلّا واحد؟ و هل مثله إلّا مثل من وهب سيفاً باتراً لمن شهر بقطع السبيل و قتل النفس المحرّمة فقتل به مؤمناً؟ أما يطبق العقلاء على ذمّ الواهب كما يذمّون القاتل؟ قلت: قد علمنا أنّ الله عليم حكيم بقبح القبيح عالم بغناه عنه. فقد علمنا أنّ أفعاله كلّها حسنة. و خلق فاعل القبيح فعله، فوجب أن يكون له وجه حسن. و خفاء وجه الحسن علينا لايقدح في حسنه؛ كما لايقدح في حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة إلى خلقها.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «فمنكم كافر و منكم مؤمن» فقال: عرف الله إيمانهم بولايتنا و كفرهم بها يوم أخذ الميثاق عليهم في صلب آدم عليه السلام و هم ذرّ.[٣]

[٣] «خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ».

«بالحقّ»؛ أي: العدل و إحكام الصنعة و صحّة التقدير.[٤]

«بالحقّ»؛ أي: الغرض الصحيح، و هو أن جعلها مقارّ المكلّفين ليعملوا فيجازيهم. «فأحسن صوركم». هو أن جعلهم أحسن الحيوان كلّها؛ بدليل أنّ الإنسان لايتمنّى أن يكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور. فإن قلت: فكم من دميم مشوّه الصورة

١ـ الحديد (٥٧) / ٢٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٦.
٣ـ الكافي ١ / ٤١٣، ح ٤.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٧.

سمج الخلقة. قلت: لا سماجة، ولكنّ الحسن كغيره من المعاني على طبقات و مراتب. فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطاً بيّناً و إضافتها إلى الموفى عليها لاتستملح و إلّا فهي داخلة في حيّز الحسن غير خارجة من حدّه. و قالت الحكماء: شيئان لا غاية لهما: الجمال و البيان.[١]

[٤] «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

«بذات الصدور»؛ أي: بأسرار الصدور و بواطنها.[٢]

[٥] «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«وبال أمرهم»؛ أي: عاقبة كفرهم من العذاب بالإهلاك و الاستئصال. «و لهم عذاب أليم» يوم القيامة.[٣]

«كفروا من قبل». كقوم نوح و عاد و صالح. «وبال أمرهم»: ضرر كفرهم في الدنيا. و أصله: الثقل. و منه الوبيل لطعام يثقل على المعدة. و الوابل: المطر الثقيل الأقطار.[٤]

[٦] «ذٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ اسْتَغْنَى اللهُ وَ اللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ».

«ذلك»؛ أي: المذكور من الوبال و العذاب «بأنّه»: بسبب أنّ الشأن.[٥]

«ذلك»؛ أي: العذاب الذي نالهم في الدنيا و الذي ينالهم في الآخرة. «بالبيّنات»؛ أي: المعجزات. «أبشر يهدوننا». لفظه واحد و المراد به الجمع. أي: أخلق مثلنا يهدوننا إلى الحقّ و يدعوننا إلى غير دين آبائنا؟ استصغاراً منهم للبشر أن يكونوا رسلاً من الله، استكباراً و

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٦ ـ ٥٤٧.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٨.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٨.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٩٨.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٩٨.

أنفة من اتّباعهم. «و استغنى الله» عن طاعة عباده و إنّما كلّفهم لنفعهم لا لحاجته إليهم. و قيل: معناه: و استغنى الله بما أظهر لهم من البرهان و أوضحه من البيان عن زيادة تدعو إلى الرشد و تهدي إلى الايمان. «و الله غنيّ» عن أعمالكم مستحمد إليكم بما ينعم به عليكم.(١)

«أبشر يهدوننا». أنكروا أن يكون الرسل بشراً و لم ينكروا أن يكون الله حجراً! «و استغنى الله». أطلق ليتناول كلّ شيء ومن جملته إيمانهم و طاعاتهم. فإن قلت: قوله: «و تولّوا و استغنى الله» يوهم وجود التولّي و الاستغناء معاً. و الله تعالى لم يزل غنيّاً. قلت: معناه: و ظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الايمان و لم يضطرّهم إليه مع قدرته على ذلك.(٢)

عن العبد الصالح عليه السلام قال: «البيّنات» هم الأئمّة عليهم السلام.(٣)

[٧] «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلىٰ وَ رَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ».

«لتنبّؤنّ بما عملتم»؛ أي: لتحاسبنّ بأعمالكم.(٤)

«زعم الذين». الزعم ادّعاء العلم. ومنه قوله عليه السلام: زعموا مطيّة الكذب. و «الذين كفروا» أهل مكّة.(٥)

[٨] «فَآمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

«و النور الذي أنزلنا». و هو القرآن.(٦)

عن أبي خالد، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «والنور الذي أنزلنا» قال: يا أباخالد، النور ـ و الله ـ الأئمّة من آل محمّد عليهم السلام إلى يوم القيامة. و هم ـ و الله ـ نور الله في السموات و في

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٤٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٢.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٥٠.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٨.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٥٠.

الأرض. و الله لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار. و هم ـ و الله ـ ينوّرون قلوب المؤمنين. و يحجب الله نورهم عن من يشاء فتظلم قلوبهم.[١]

[٩] «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

«يجمعكم». يعقوب بالنون.[٢]

«ليوم الجمع». و هو يوم القيامة. «يوم التغابن». تفاعل من الغبن و هو أخذ خير و ترك شرّ أو بالعكس. فالمؤمن ترك حظّه من الدنيا و أخذ حظّه من الآخرة، و الكافر بالعكس، فكان المؤمن غابناً و الكافر مغبوناً. و قيل: يوم التغابن غبن أهل الجنّة أهل النار. و قد روي عنه صلى الله عليه و آله في تفسير هذا: ما من عبد مؤمن يدخل الجنّة إلّا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً. و ما من عبد يدخل النار إلّا أري مقعده من الجنّة لو أحسن ليزداد حسرة. «يكفّر عنه سيّئاته و يدخله». أهل المدينة و ابن عامر: «نكفّر عنه» و «ندخله» بالنون.[٣]

«يوم يجمعكم». منصوب بقوله: «لتنبّؤنّ» أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد. كأنّه قال: و الله معاقبكم يوم يجمعكم. «التغابن». مستعار من تغابن القوم في التجارة ـ و هو أن يغبن بعضهم بعضاً ـ لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء و نزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء. «و يعمل صالحاً»؛ أي: عملاً صالحاً.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام: «يوم التغابن» يوم يغبن أهل الجنّة أهل النار.[٥]

١ـ الكافي ١ / ١٩٤، ح ١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٩٩.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٥٠ و ٤٤٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٨ ـ ٥٤٩.
٥ـ معاني الأخبار / ١٥٦، ح ١.

[١٠] «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ».

«المصير»: أي: المرجع.(١)

[١١] «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«من مصيبة إلّا بإذن الله». المصيبة: المضرّة التي يلحقها صاحبها. و إنّما عمّ ذلك سبحانه ـ و إن كان في المصائب ما هو ظلم و هو سبحانه لايأذن بالظلم ـ لأنّه ليس منها إلّا ما أذن الله في وقوعه و التمكّن منه، و ذلك إذن للملك الموكّل به. و قيل: لايمنع من وقوع هذه المصيبة و قد يكون ذلك بفعل التمكين من الله فكأنّه يأذن له أن يكون. و قيل: معناه: إلّا بتخلية الله بينكم و بين من يريد فعلها. و قيل: إنّه خاصّ فيما يفعله الله و يأمر به. و قيل: معناه: إلّا بعلم الله. أي إنّه تعالى عالم بها. «يؤمن بالله»؛ أي: بتوحيد الله و يصبر لأمر الله عند نزول المصيبة. «يهد قلبه» للاسترجاع حتّى يقول: إنّا لله و إنّا إليه راجعون. عن ابن‌عبّاس. و قيل: معناه: يهد قلبه فإن ابتلي صبر و إن أعطي شكر و إن ظلم غفر.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ القلب ليترجّح(٣) فيما بين الصدر و الحنجرة حتّى يعقد على الإيمان. فإذا عقد على الإيمان قرّ. و ذلك قول الله: «و من يؤمن بالله يهد قلبه» ـ الآية.(٤)

«عليم»: يعلم ما يؤثّر فيه اللّطف من القلوب ممّا لايؤثّر فيه فيمنحه و يمنعه.(٥)

[١٢] «وَ أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ».

«فإن تولّيتم»: فليس عليه إذ تولّيتم إلّا تبليغ الرسالة و قد فعل. لأنّه لم‌يكتب عليه

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٥٠.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٥١ ـ ٤٥٢.
٣ـ المصدر: ليترجّج.
٤ـ الكافي ٢ / ٤٢١، ح ٤.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٤٩.

طاعتكم و إنّما كتب عليه أن يبلّغ.[١]

[١٣] «اللهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».

[١٤] «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«و إن تعفوا» عنهم إذا اطّلعتم عليهم و على عداوتهم و لم تقابلوهم بمثلها. و قيل: إنّ ناساً أرادوا الهجرة من مكّة فثبّطهم أزواجهم و أولادهم و قالوا: تنطلقون و تضيّعوننا؟ فرقّوا لهم و وقفوا. فلمّا هاجروا بعد ذلك و رأوا الذين سبقوهم قد تفقّهوا في الدين، أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم و أولادهم فزيّن لهم العفو. و قيل: قالوا لهم: أين تذهبون و تدعون بلدكم و عشيرتكم و أموالكم؟ فغضبوا عليهم و قالوا: لئن جمعنا الله في دارالهجرة، لم نصبكم بخير. فلمّا قدموا، منعوهم الخير. فحثّوا أن يعفوا عنهم و يؤدّوا إليهم البرّ و الصلة.[٢]

«إنّ من أزواجكم» ـ الآية. لأنّ من الأزواج من يتمنّى موت الزوج و من الأولاد من يتمنّى موت الوالد ليرث ماله. و كذلك [يكون] من يحملك على معصية الله لمنفعة نفسه.[٣]

[١٥] «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ اللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ».

«فتنه»؛ أي: بلاء و محنة. لأنّهم يوقعون في الإثم و العقوبة. و في الحديث: يؤتى برجل يوم القيامة فيقال: أكل عياله حسناته. و عن بعض السلف: العيال سوس الطاعات. و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله أنّه كان يخطب فجاء الحسن و الحسين عليهما السلام و عليهما قميصان أحمران يعثران و يقومان. فنزل إليهما فأخذهما و وضعهما في حجره على المنبر فقال: صدق الله. «إنّما أموالكم و أولادكم فتنة». رأيت هذين الصبيّين فلم أصبر عنهما. ثمّ أخذ على خطبته.[٤]

و قال عليه السلام: لايقولنّ أحدكم: اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الفتنة. لأنّه ليس أحد إلّا و هو

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٥٢، و الكشّاف ٤ / ٥٤٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٥٠.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٥٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٥٥٠.

مشتمل على فتنة. ولكن من استعاذ، فليستعذ من مضلّات الفتن. فإنّ الله يقول: «إنّما أموالكم» ـ الآية.(١)

[١٦] «فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

«ما استطعتم»؛ أي: جهدكم و وسعكم. «خيراً لأنفسكم». نصب بمحذوف تقديره: ائتوا خيراً لأنفسكم و افعلوا ما هو خير لها.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه كان يطوف من أوّل اللّيل إلى الصباح و هو يقول: اللّهمّ قني شحّ نفسي. فقلت: جعلت فداك؛ ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء! قال: و أيّ شيء أشدّ من الشحّ؟ إنّ الله يقول: «و من يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون».(٣)

قال الصادق عليه السلام: من أدّى الزكاة، فقد وقي شحّ نفسه.(٤) «فأولئك هم المفلحون».

[١٧ ـ ١٨] «إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۞ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»

«يضاعفه لكم»؛ أي: يعطي بدله أضعاف ذلك من واحد إلى سبعمائة إلى ما لايتناهى.

«و الله شكور»؛ أي: مثيب مجاز على الشكر.(٥)

١ـ نهج البلاغة / ٤٨٣ ـ ٤٨٤، الحكمة ٩٣.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٥٠ ـ ٥٥١.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٥٣.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٥٣.

.٦٥

سورة الطلاق

عنهﷺ: من قرأها، مات على سنّة النبيّ.[١]

و عن الصادقعليه‌السلام: من قرأها مع التحريم في فرائضه، أعيذ يوم القيامة من الخـوف و الحزن و النار ـ الخبر.[٢]

الطلاق: إذا كتبت [على] شقفة نيّة و سحقت و رميت في بيت أو رشّ ماؤها في موضع، لم يسكن. و إن رشّ في موضع مسكون، أثار القتال و البغضاء و ربما كان الفراق.[٣]

من قرأ سورة الطلاق و التحريم في فرائضه، أعيذ من أن يكون يوم القيامة ممّن يخاف أو يحزن و عوفي من النار و أدخله الله الجنّة بثواب تلاوته إيّاهما و محافظته عليهما. لأنّهما للنبيّﷺ.[٤]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ وَ اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْراً».

«إذا طلّقتم النساء»؛ أي: إذا أردتم طلاق النساء. «فطلّقوهنّ لعـدّتهنّ». [ذلك] بأن

١ـ المصباح / ٥٩٤.

٢ـ المصباح / ٥٩٤.

٣ـ المصباح / ٦١٢.

٤ـ ثواب الأعمال / ١٤٦، ح ١.

يطلّقها في طهر لم يجامعها فيه. عن ابن عبّاس. فهذا هو الطلاق للعدّة، لأنّها تعتدّ بذلك الطهر و العدّة بعد الطلاق. فالمعنى: طلّقوهنّ لطهرهنّ الذي يحصينه من عدّتهنّ و لا تطلّقوهنّ لحيضهنّ الذي لا يعتدّون به من قروئهنّ. فعلى هذا يكون العدّة الطهر على ما ذهب إليه أصحابنا، و هو مذهب الشافعيّ. و قيل: المعنى: قبل عدّتهنّ؛ أي: في طهر لم يجامعها فيه و العدّة الحيض. كما يقال: توضّأت للصلاة. و هو مذهب أبي حنيفة و أصحابه. و قيل: إنّ اللّام للسبب. فكأنّه قيل: فطلّقوهنّ ليتعددن. و هذا الحكم للمدخول بها. لأنّه قبل المسيس إذا طلّقها لا عدّة عليها. كما قال في سورة الأحزاب: «فما لكم عليهنّ من عدّة تعتدّونها».[1] و ظاهر الآية يقتضي أنّه إذا طلّقها في الحيض أو في طهر قد جامعها فيه، لا يقع الطلاق و إنّ الأمر يقتضي الإيجاب كما قاله أصحابنا الشيعة. و قال باقي الفقهاء: يقع الطلاق و إن كان بدعة و خلاف المأمور به. و كذلك إن جمع بين التطليقات، فإنّه بدعة عند أبي حنيفة و إن كانت واقعة. و عند المحقّقين من أصحابنا تقع واحدة عند حصول الشرائط. «و اتّقوا الله ربّكم» فيما أمركم. «و لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ» في زمان العدّة. لا يجوز أن تخرج المطلّقة من مسكنه الذي كان يسكنها فيه قبل الطلاق. و على المرأة أيضاً ألّا تخرج في عدّتها إلّا لضرورة. فإن خرجت أثمت. و عن النبيّ و عليّ بن الحسين و جعفر بن محمّد عليهم السلام «فطلّقوهنّ في قبل عدّتهنّ». «بفاحشة مبيّنة»؛ أي: ظاهرة. قيل: إنّها الزنى؛ تخرج لإقامة الحدّ عليها. و قيل: هي البذاء على أهله فيحلّ لهم إخراجها. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. و عن الرضا عليه السلام الفاحشة أن تؤذي أهل زوجها و تسبّهم. و قيل: هي النشوز. فإذا طلّقها على نشوز، فلها أن تتحوّل عن بيت زوجها. و عن ابن عبّاس: انّ كلّ معصية لله تعالى ظاهرة، فهي فاحشة. «و تلك حدود الله». يعني ما ذكره سبحانه من أحكام الطلاق. «و من يتعدّ» بأن يطلّق على غير ما أمر الله. «ظلم نفسه»؛ أي: أثم و خرج عن الطاعة. «بعد ذلك أمراً» أي يغيّر رأي الزوج في محبّة الطلاق و يوقع في قلبه المحبّة لرجعتها فيما بين الطلقة

١ـ الأحزاب (٣٣) / ٤٩.

الواحدة و الثانية و فيما بين الثانية و الثالثة. و قيل: لعلّ الله يحدث الرجعة في العدّة. و في قوله: «و لاتخرجوهنّ من بيوتهنّ» تقرير لحقّ الزوج. لأنّها إذا لم تبرح في بيتها، تمكّن الزوج من مراجعتها.(١)

«فطلّقوهنّ لعدّتهنّ». العدّة: الطهر عن الحيض. «و أحصوا العدّة». و ذلك أن يدعها حتّى تحيض، فإذا حاضت ثمّ طهرت و اغتسلت، طلّقها تطليقة من غير أن يجامعها. و يشهد على طلاقها إذا طلّقها. ثمّ إن شاء راجعها و يشهد على رجعتها. و هكذا إلى الطلقة الثالثة ـ الحديث.(٢)

عن صاحب الزمان عليه السلام أنّه قال: الفاحشة المبيّنة السحق دون الزنى. فإنّ المرأة إذا سحقت، وجب الرجم. و الرجم خزي. و من أخزاه الله، فقد أبعده الله.(٣)

[٢ ـ ٣] «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلّٰهِ ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً».

«بلغن أجلهنّ»؛ أي: قاربن أجلهنّ الذي هو الخروج من العدّة. «فأمسكوهنّ بمعروف»؛ أي: راجعوهنّ بما يجب لهنّ من النفقة و الكسوة و حسن الصحبة. «أو فارقوهنّ بمعروف» بأن تتركوهنّ حتّى يخرجن من العدّة فتبين منكم. «و أشهدوا ذوي عدل منكم». قال المفسّرون: أمروا أن يشهدوا عند الطلاق و المراجعة شاهدي عدل حتّى لاتجحد المرأة المراجعة بعد انقضاء العدّة و لا الرجل الطلاق. و قيل: معناه: و أشهدوا على الطلاق صيانة لدينكم. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام. و هذا أليق بالظاهر. لأنّا إذا حملناه على الطلاق، كان الأمر للوجوب و هو من شرائط صحّة الطلاق. و من قال: إنّ ذلك راجع إلى المراجعة، حمله

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٥٦ و ٤٥٨ و ٤٥٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٣.
٣ـ كمال الدين / ٤٥٩ ـ ٤٦٠، ح ٢١.

على الندب. «و أقيموا الشهادة». خطاب للشهود. أي: أقيموها لوجه الله لا لطلب رضا المشهود [له]. «ذلكم»؛ أي: الأمر بالحقّ. «يوعظ به»؛ أي: ينزجر به. «و من يتّق الله» فيما أمره به و نهاه، «يجعل له مخرجاً» من كلّ كرب في الدنيا و الآخرة. و عنه صلى الله عليه و آله: يجعل له مخرجاً من شبهات الدنيا و غمرات الموت و شدائد القيامة. و قيل: معناه: من يطلّق، يجعل له مخرجاً في الرجعة. «و يرزقه من حيث لايحتسب». نزلت في عون بن مالك أسر العدوّ ابناً له فأتى النبيّ صلى الله عليه و آله فذكر له ذلك وشكا إليه الفاقة. فقال: اتّق الله و اصبر. و أكثر من «لا حول و لا قوّة إلّا بالله». ففعل الرجل ذلك. فبينا هو في بيته إذ أتاه ابنه و قد غفل عنه [العدوّ] فأصاب إبلاً جاء بها إليه. فذلك قوله: «من حيث لايحتسب». و عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «و يرزقه من حيث لايحتسب»؛ أي: يبارك له فيما آتاه. «بالغ أمره»؛ أي: يبلغ أمره ما أراد من قضاياه و تدابيره على ما أراد. غير عاصم: «بالغٌ أمرَه» بالتنوين و النصب. «قدراً»؛ أي: أجلاً لا زيادة فيه و لا نقصان. و قيل: بيّن لكلّ شيء مقداراً بحسب المصلحة في الإباحة و الإيجاب و الترغيب و الترهيب.[١]

[٤] «وَ اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَ أُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً».

«يئسن من المحيض»؛ أي: يحضن. «إن ارتبتم» فلاتدرون لكبر ارتفع حيضهنّ أم لعارض. «فعدّتهنّ ثلاثة أشهر». و هنّ اللّواتي أمثالهنّ يحضن. و هذا هوا المرويّ عن أئمّتنا. و قيل: معناه: إن شككتم فلم تدروا أدمهنّ [دم] حيض أو استحاضة، فعدّتهنّ ثلاثة أشهر. عن مجاهد و الزهريّ. و قيل: معناه: إن ارتبتم في حكمهنّ فلم تدروا ما الحكم فيهنّ. «و اللّائي لم يحضن» إن ارتبتم، فعدّتهنّ أيضاً ثلاثة أشهر. و حذف لدلالة الكلام الأوّل عليه. و

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٦٠ ـ ٤٦١ و ٤٥٥.

هنّ اللّاتي لم يبلغن المحيض و مثلهنّ تحيض. «و أولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ». هذا في المطلّقات. كما هو المرويّ عن أئمّتناعليهم السلام. فأمّا المتوفّى عنها زوجها إذا كانت حاملاً، فعدّتها أبعد الأجلين من وضع الحمل و مضيّ أربعة أشهر و عشر. و أكثر الفقهاء أنّه عامّ في المطلّقات و المتوفّى عنها زوجها. «و من يتّق الله» فيما أمر به. «يسراً»؛ أي: يسهّل عليه أمور الدارين. و قيل: يسهّل عليه فراق أهله و يزيل الهمّ عن قلبه.[١]

[٥] «ذٰلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً».

«ذلك». يعني ما ذكر من أحكام الطلاق و الرجعة و العدّة. «ومن يتّق الله» بطاعته «يكفّر عنه سيّئاته» من الصلاة إلى الصلاة و من الجمعة إلى الجمعة.[٢]

[٦] «أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَ لَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَ إِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ».

«أسكنوهنّ»؛ أي: المطلّقات «من حيث سكنتم» من المساكن «من وجدكم»؛ أي: من ملككم و ما تقدرون عليه. و قيل: هو من الوجدان. أي: ممّا تجدونه من المساكن. و قيل: من سعتكم و طاقتكم. قال الفرّاء: يعول على ما يجد. فإن كان موسعاً وسّع عليها في المسكن و النفقة. و إن كان فقيراً، فعلى قدر ذلك. عن يعقوب: «وجدكم» بكسر الواو. و تجب السكنى و النفقة للمطلّقة الرجعيّة بلا خلاف. فأمّا المبتوتة، ففيها خلاف. فذهب أهل العراق إلى أنّ لها السكنى و النفقة معاً. و ذهب الشافعيّ إلى أنّ لها السكنى بلا نفقة، و أبو ثور إلى أنّه لا سكنى لها و لا نفقة، و هو المرويّ عن أئمّة الهدىعليهم السلام. «و لا تضارّوهنّ»؛ أي: لا تدخلوا الضرر عليهنّ بالتقصير في السكنى و النفقة و الكسوة طالبين بالإضرار التضييق عليهنّ ليخرجن. و قيل: أعطوهنّ من المسكن ما يكفيهنّ لجلوسهنّ و طهارتهنّ و لا تضايقوهنّ

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٦١.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٦١.

حتّى يتعذّر عليهنّ السكنى. «حتّى يضعن حملهنّ». لأنّ عدّتهنّ إنّما تنقضي بوضع حملهنّ. أمر سبحانه بالإنفاق على المطلّقة الحامل سواء كان الطلاق رجعيّاً أو بائناً. «فإن أرضعن لكم» بعد البينونة، فأعطوهنّ أجرة الرضاع أجرة المثل.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لايضارّ الرجل امرأته إذا طلّقها فيضيّق عليها حتّى تنتقل قبل أن تنقضي عدّتها. فإنّ الله قد نهى عن ذلك فقال: «و لاتضارّوهنّ» ـ الآية.[٢]

[٧] «لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً».

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «ومن قدر عليه رزقه» ـ الآية ـ قال: إن أنفق الرجل على امرأته ما يقيم ظهرها مع الكسوة، و إلّا فرّق بينهما.[٣]

[٨] «وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَ عَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً».

«و كأيّن»؛ أي: و كم من قرية. ابن كثير: «و كائن» بالمدّ و الهمزة. «فحاسبناها». قال مقاتل: حاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب. و هو قوله: «و عذّبناها عذاباً نكراً». فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة. و هو عذاب الاستئصال. و قيل: هو عذاب النار. فإنّ اللّفظ ماض بمعنى المستقبل. و النكر: المنكر الفظيع. و قيل: إنّ في الآية تقديماً و تأخيراً. أي: عذّبناها في الدنيا بالجوع و القحط و السيف و سائر المصائب و البلايا و حاسبناها في الآخرة حساباً شديداً ليس فيه عفو.[٤]

«عتت عن أمر ربّها»: أعرضت عنه على وجه العتوّ و العناد. «حساباً شديداً» بالاستقصاء و المناقشة. «عذاباً نكراً»: منكراً عظيماً. و المراد حساب الآخرة و عذابها.

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٦٣ ـ ٤٦٤ و ٤٦٢.

٢ـ الكافي ٦ / ١٢٣، ح ١.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٥.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٦٥.

و جيء به على لفظ الماضي لأنّ كلّ ما هو كائن قد كان.(١)

[٩] «فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً».

«وبال أمرها»: عقوبة كفرها و معاصيها. «خسراً» لا ربح فيه أصلاً.(٢)

[١٠ ـ ١١] «أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ۞ رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً».

«أعدّ الله لهم عذاباً شديداً». تكرير للوعيد و بيان لما يوجب التقوى المأمور به في قوله: «و اتّقوا الله». و يجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم و إثباتها في صحف الحفظة و بالعذاب ما أصيب به عاجلاً. «ذكراً رسولاً». يعني بالذكر جبرئيل، لكثرة ذكره، أو لنزوله بالذكر و هو القرآن، [أو] لأنّه مذكور في السموات أو: ذا ذكر، أي شرف، أو محمّداً صلى الله عليه وآله لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه. و عبّر عن إرساله بالإنزال ترشيحاً أو لأنّه مسبّب عن إنزال الوحي و أبدل عنه رسولاً للبيان. أو أراد به القرآن و رسولاً منصوب بمقدّر مثل أرسل. أو ذكراً [مصدر و] الرسول مفعول له أو بدله على أنّه بمعنى الرسالة. «يتلو عليكم». حال من اسم الله أو صفة رسولاً. «ليخرج الذين»؛ أي: ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان و العمل الصالح. أو: ليخرج من علم أو قدّر أنّه يؤمن. «من الظلمات إلى النور»: من الضلالة إلى الهدى. «قد أحسن الله له رزقاً». فيه تعجّب و تعظيم لما رزقوا من الثواب.(٣)

«يدخله». أهل المدينة و الشام بالنون.(٤)

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٦٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٠٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٠٣.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٦٦.

[١٢] «اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً».

«الله الذي». مبتدأ و خبر. «ومن الأرض مثلهنّ»؛ أي: خلق مثلهنّ في العدد من الأرض. «يتنزّل الأمر»؛ أي: يجري أمر الله و قضاؤه بينهنّ [و] ينفذ حكمه فيهنّ. «أنّ الله على كلّ شيء قدير» ـ الآية. علّة لخلق أو يتنزّل.[١]

لا خلاف في السموات أنّها سماء فوق سماء. و أمّا الأرضون، فقال قوم: إنّها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض. لأنّها لو كانت مصمتة، لكانت أرضاً واحدة. و في كلّ أرض خلق خلقهم الله كما شاء. و عن ابن‌عبّاس: انّها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض تفرق بينهنّ البحار و تظلّ جميعهنّ السماء. و عن الرضا عليه السلام أنّه بسط كفّه ثمّ وضع اليمنى عليها فقال: هذه أرض الدنيا، و السماء الدنيا عليها قبّة. و الأرض الثانية فوق السماء الدنيا، و السماء الثانية فوقها قبّة. و الأرض الثالثة فوق السماء الثانية، و السماء الثالثة فوقها قبّة. حتّى ذكر الرابعة والخامسة و السادسة فقال: و الأرض السابعة فوق السماء السادسة، و السماء السابعة فوقها قبّة. و عرش الرحمن فوق السماء السابعة. و هو قوله: «سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ». و إنّما صاحب الأمر النبيّ صلى الله عليه وآله و هو على وجه الأرض و إنّما ينزل [الأمر] من فوق من بين السموات و الأرضين. فعلى هذا يكون المعنى: ينزل الملائكة بأوامره إلى الأنبياء. و قيل: معناه: ينزل الأمر بين السموات و الأرضين من الله سبحانه بحياة بعض و موت بعض و تصريف الأمور على الحكمة. «لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير» بالتدبير في خلق السموات و الأرض و الاستدلال بذلك على أنّ صانعها قادر [لذاته عالم] لذاته. و ذلك قوله: «و أنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً». يعني أنّ معلوماته متميّزة [له] بمنزلة ما قد أحاط [به] فلم يفته شيء منه.[٢]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٠٤.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

٦٦.
سورة التحريم

عن النبيّ ﷺ: من قرأها، أعطاه الله توبة نصوحاً.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الطلاق و التحريم ـ و قد مضى.

التحريم: يقرأ على المريض و الملسوع و المصروع و السهران و الرجفان يذهب ما بهم. و من أدمن قراءتها، لم يبق عليه دين.[٢]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «يا أيّها النبيّ» ـ الآية ـ قال: اطّلعت عائشة و حفصة على النبيّ ﷺ و هو مع مارية. فقال: و الله ما أقربها. فأمره الله أن يكفّر عن يمينه. قال عليّ بن إبراهيم: كان سبب نزولها: انّ رسول الله كان في بعض بيوت نسائه و كانت معه مارية القبطيّة تخدمه. و كان ذات يوم في بيت حفصة، فذهبت في حاجة لها، فتناول رسول الله مارية. فعلمت حفصة بذلك فغضبت و أقبلت على رسول الله و قالت: هذا في يومي و في داري و على فراشي! فاستحيا رسول الله فقال: كفي. فقد حرّمت مارية على نفسي و لا أطؤها بعد هذا أبداً. و أنا أفضي إليك سرّاً إن أنت أخبرت به فعليك لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين. فقالت: نعم؛ ما هو؟ فقال: إنّ أبابكر يلي الخلافة بعدي، ثمّ بعده أبوك. فقالت:

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٦٨.

٢ـ المصباح / ٦١٢.

من أنبأك هذا؟ قال: نبّأني العليم الخبير. فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك، فأخبرت عائشة أبابكر. فجاء أبوبكر إلى عمر فقال له: إنّ عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء و لاأثق بقولها. فاسأل ابنتك حفصة. فجاء عمر إلى حفصة فقال لها: ما هذا الرأي الذي أخبرت عنك عائشة؟ فأنكرت ذلك و قالت: ما قلت لها من ذلك شيئاً. فقال لها عمر: إن كان هذا حقّاً، فأخبرينا حتّى نتقدّم فيه. فقالت: نعم؛ قد قال رسول الله. فاجتمعوا أربعة على أن يسمّوه. فنزل جبرئيل بهذه الآية إلى قوله: «تحلّة أيمانكم». يعني قد أباح الله لك أن تكفّر عن يمينك.(١)

«لم تحرّم ما أحلّ الله لك». ليس فيه دلالة على وقوع ذنب منه. لأنّ تحريم الرجل بعض نسائه أو بعض الملاذّ لسبب أو لغير سبب ليس بقبيح. و لايمتنع أن يكون خرج هذا القول مخرج التوجّع لهعليه السلام إذ بالغ على إرضاء أزواجه و تحمّل ذلك المشقّة. و لو أنّ إنساناً أرضى بعض نسائه بتطليق بعضهنّ، لجاز أن يقال له: لم فعلت ذلك؟ و إن لم يكن قبيحاً. اختلف العلماء فيمن قال لامرأته: أنت عليّ حرام. فقال مالك: هو ثلاث تطليقات. و قال أبوحنيفة: إن نوى به الظهار، فهو ظهار. و إن نوى الإيلاء، فهو إيلاء. و إن نوى الطلاق، فهو طلاق بائن. و إن نوى ثلاثاً، كان ثلاثاً. و كذا إن نوى الاثنتين أو الواحدة. و إن لم يكن له نيّة، فهو يمين. و قال الشافعيّ: إن نوى الطلاق، كان طلاقاً. و إن نوى الظهار، كان ظهاراً. و إن لم يكن [له] نيّة فهو يمين. و قال أصحابنا: إنّه لايلزمه شيء و وجوده كعدمه. و إنّما أوجب الله فيه الكفّارة لأنّ النبيّ كان حلف أن لايقرب جاريته أو لايشرب الشراب المذكور، فأوجب الله أن يكفّر عن يمينه و يعود إلى استباحة ما كان حرّمه.(٢)

عن أبي جعفرعليه السلام: انّ حفصة لمّا أخبرت أباها بتحريم مارية القبطيّة على نفسه و أنّ أبابكر و عمر يملكان أمر هذه الأمّة، عاتبصلى الله عليه وآله عائشة و حفصة في أمر مارية و ما أفشتا

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦. ٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٢ ـ ٤٧٣.

عليه من ذلك و أعرض عن أن يعاتبهما في الأمر الآخر.[١]

[٢] «قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ».

«قد فرض الله»؛ أي: قد قدّر الله لكم ما تحلّون به أيمانكم إذا فعلتموها و شرع لكم الحنث فيها. لأنّ اليمين بالحنث ينحلّ، فسمّى ذلك تحلّة. و قيل: معناه: قد بيّن الله لكم كفّارة أيمانكم في سورة المائدة. أمر الله نبيّه أن يكفّر يمينه و يراجع وليدته، فأعتق رقبة. «و الله مولاكم»؛ أي: أولى بكم بأن تبتغوا رضاه. «و هو العليم» بما قالت حفصة لعائشة.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «تحلّة أيمانكم» قال: جعلها يميناً و كفّرها رسول الله بأن أطعم عشرة مساكين لكلّ مسكين مدّ. قلنا: فمن وجد الكسوة؟ قال: ثوب يواري عورته.[٣]

[٣] «وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ».

«و أظهره الله عليه»؛ أي: أطلعه و أعلمه به. «عرّف» حفصة بعض ما ذكرت و أفشت «و أعرض عن بعض» لأنّه من مكارم الأخلاق. و أمّا «عرف» بالتخفيف، فمعناه: غضب عليها و جازاها بأن طلّقها تطليقة ثمّ راجعها. «نبّأها»؛ أي: أخبر حفصة بما قالت. الكسائيّ وحده: «عرف» بالتخفيف. و اختاره أبوبكر بن عيّاش و هو من الحروف العشرة التي قال: إنّي أدخلتها في قراءة عاصم من قراءة عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى استخلصت قراءة عليّ عليه السلام.[٤]

[٤] «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ».

١ـ بحارالأنوار ٢٢ / ٢٢٩.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٣ ـ ٤٧٤.
٣ـ الكافي ٦ / ١٣٤ ـ ١٣٥، ح ١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٤ و ٤٦٩.

«إن تتوبا إلى الله». خطاب إلى عائشة و حفصة. يعني التوبة من التعاون على النبيّ صلى الله عليه وآله بالإيذاء. «فقد صغت قلوبكما»؛ أي: مالت إلى الإثم. و قيل: تقديره: إن تتوبا إلى الله، يقبل توبتكما. و قيل: إنّه شرط في معنى الأمر. أي: توبا إلى الله، فقد صغت قلوبكما. «تـظاهرا عليه»؛ أي: على إيذائه. و قرئ: «تتظاهرا».(١)

ابن عبّاس: سألت عمر بن الخطّاب من اللّتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: حفصة و عائشة.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «صـالح المـؤمنين» قـال: صـالح المـؤمنين هـو عـليّ بـن أبي طالب عليه السلام.(٣)

[٥] «عَسىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَـيِّبَاتٍ وَ أَبْكَاراً».

«عسى ربّه»؛ أي: واجب من الله ربّه. «مسلمات»؛ أي: منقادات لأوامر الله. «قانتات»: مطيعات لله و رسوله. «تائبات» عن الذنوب. أو: راجعات إلى أمر الرسول. «سائحات»؛ أي: ماضيات في طاعة الله. و قيل: صائمات. و قيل: مهاجرات. و سمّي الصائم سائحاً لأنّه [يستمرّ في الإمساك عن الطعام كما] يستمرّ السائح في الأرض.(٤)

عن سعد بن عبدالله القمّيّ قال: دخلت على أبي محمّد عليه السلام بسرّ من رأى. فوجدت على فخذه الأيمن مولانا القائم و هو غلام. و قد كنت اتّخذت طوماراً فيه مسائل. فقال: اسأله هذا الغلام. فقال الغلام: سل عمّا بدا لك. فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جـعل طـلاق نسـائه بـيد أميرالمؤمنين عليه السلام حتّى قال يوم الجمل: إن كففت و إلّا طلّقتك. و طلاق نسائه وفاته. قال: ما الطلاق؟ قلت: تخلية السبيل. قال: فلم لايحلّ لهنّ الأزواج بعده؟ قلت: فما معنى الطلاق؟

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٤ و ٤٦٩. و فيه: ... و الباقون : «تظّاهرا» بالتشديد.
٢ـ أمالي الطوسيّ ١ / ١٥٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٧.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٥.

قال: إنّ الله عظّم شأن نساء النبيّ ﷺ فخصصن بشرف الأمّهات، فقال رسول الله: يا أبا الحسن، إنّ هذا الشرف لهنّ ما دمن على الطاعة. فإذا عصين الله بعدي بالخروج عليك، فمن فعلت طلّقها و أخرجها من شرف الأمّهات و أمومة المؤمنين.(١)

[٦] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ».

«يا أيّها الذين آمنوا قوا»؛ أي: امنعوا و احفظوا «أنفسكم و أهليكم ناراً». و المعنى: قوا أنفسكم النار بالصبر على طاعة الله و عن معصيته و عن اتّباع الشهوات. و قوا أهليكم النار بدعائهم إلى الطاعة و تعليمهم الفرائض و نهيهم عن القبائح و حثّهم على أفعال الخير. و قال مقاتل بن حيّان: هو أن يؤدّب الرجل المسلم نفسه و أهله و عبيده و إماءه. ثمّ وصف سبحانه النار الذي حذّرهم منها فقال: «وقودها الناس و الحجارة»: إنّ حطب تلك النار الناس و حجارة الكبريت. و هي تزيد في قوّة النار. «غلاظ»؛ أي: غلاظ القلوب لايرحمون أهل النار أقوياء. يعني الزبانية التسعة عشر و أعوانهم. «لايعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون». و قد جعل سرورهم و لذّاتهم في تعذيب أهل النار كما جعل لذّات المؤمنين في الجنّة. و في هذا دلالة على أنّ الملائكة الموكّلين بالنار معصومون عن القبائح لايخالفون الله في أوامره و نواهيه. قال الجبّائيّ: و إنّما عنى أنّهم لايعصون الله ما يأمرهم به في دار الدنيا. لأنّ الآخرة ليست بدار تكليف و إنّما هي دار جزاء. و إنّما أمرهم الله بتعذيب أهل النار على وجه الثواب لهم.(٢)

«وقودها الناس و الحجارة». فإن قلت: قد خاطب الله المشركين بهذا في قوله: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النار التي» ـ الآية.(٣) فما معنى مخاطبته به المؤمنين؟ قلت: الفسّاق و إن كانت دركاتهم فوق دركات الكفّار، فإنّهم مساكنون الكفّار في دار واحدة. فقيل للّذين

١ـ كمال الدين / ٤٥٩.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٧.
٣ـ البقرة (٢) / ٢٤.

آمنوا: قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعدّت لهم هذه النار الموصوفة. و يجوز أن يأمرهم بالتوقّي من الارتداد و الندم على الدخول في الإسلام و أن يكون خطاباً للّذين آمنوا بألسنتهم و هم المنافقون.[١]

[٧] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«لاتعتذروا اليوم». يعني يوم القيامة. و ذلك أنّهم إذا عذّبوا يأخذون في الاعتذار، فلايلتفت إليهم و يقال لهم: لاتعتذروا. فهذا جزاء فعلكم.[٢]

[٨] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«نصوحاً»؛ أي: خالصة لوجه الله. و عنه ﷺ: أن يتوب التائب ثمّ لايرجع في ذنب. و قيل: النصوح التوبة التي يناصح فيها نفسه بإخلاص الندم مع العزم على أن لايعود فيه. و قيل: هي أن يكون الذنب نصب عينيه. و قيل: من النصح، و هي الخياطة. لأنّ العصيان ينخرق الدين و التوبة ترقعه. و قيل: لأنّها جمعت بينه و بين أولياء الله كما يجمع الخيّاط الثوب بالتصاق بعضه ببعض. و قيل: لأنّها أحكمت طاعته و أوثقتها كما أحكم الخيّاط الثوب و أوثقه. «عسى». من الله موجبة. «لايخزي الله النبيّ و الذين آمنوا»؛ أي: لايعذّبهم الله بدخول النار و لايذلّهم بذلك. «يسعى بين أيديهم» حتّى ينزلهم منازلهم في الجنّة. عن أبي‌بكر: «نصوحاً» بضمّ النون. «يقولون». [هو في موضع] نصب على الحال. أي: قائلين. و قيل: «و الذين آمنوا» مبتدأ و «نورهم يسعى» خبره و «يقولون» خبر بعد خبر. و قيل: «أتمم لنا نورنا» معناه: وفّقنا للطاعة. و هي سبب النور. «و اغفر لنا»: استر علينا

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٦٩.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٧.

معاصينا.[١]

«توبة نصوحاً» بأن تكون متداركة للفرطات، ماحية للسيّئات. و عن عليّ عليه السلام أنّه سمع أعرابيّاً يقول: اللّهمّ إنّي أستغفرك و أتوب إليك، فقال: يا هذا، إنّ سرعة اللّسان بالتوبة توبة الكذّابين. قال: و ما التوبة؟ قال: تجمعها ستّة أشياء: على الماضي من الذنوب الندامة، و للفرائض الإعادة، و استحلال الخصوم، و أن تعزم على أن لاتعود، و أن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربّيتها في المعصية، و أن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي. «عسى ربّكم». إطماع من الله لعباده. و فيه وجهان: أحدهما أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بعسى و لعلّ و وقوع ذلك منهم موقع القطع و البتّ. و الثاني أن يجيء به تعليماً للعباد وجوب الترجّح بين الخوف و الرجاء. «يوم». منصوب بيدخلكم. «ربّنا أتمم لنا». قيل: يقوله أدناهم منزلة. لأنّهم يعطون من النور ما يبصرون مواطئ أقدامهم ـ لأنّ النور على قدر الأعمال ـ فيسألونه إتمامه تفضّلاً. و قيل: السابقون إلى الجنّة يمرّون مثل البرق على الصراط، و بعضهم كالريح، و بعضهم حبواً و زحفاً. فأولئك الذين يقولون: «ربّنا أتمم» ـ الآية.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: التوبة النصوح هو صوم يوم الأربعاء و الخميس و الجمعة.[٣]

و عنه عليه السلام: إذا تاب العبد توبة نصوحاً [أحبّه الله فـ] ستر عليه في الدنيا و الآخرة. فقلت: و كيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب. و يوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه. و يوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي ما كان يكتم عليك من الذنوب. فيلقى الله و ليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب.[٤]

و عنه عليه السلام: التوبة النصوح أن يتوب العبد من الذنب ثمّ لايعود فيه.[٥]

و عن أبي الحسن عليه السلام قال: التوبة النصوح أن يكون الباطن كالظاهر و أفضل من ذلك.[٦]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٧ ـ ٤٧٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٦٩ ـ ٥٧٠.
٣ـ بحارالأنوار ٦ / ٢٢.
٤ـ الكافي ٢ / ٤٣٠ ـ ٤٣١، ح ١.
٥ـ الكافي ٢ / ٤٣٢، ح ٣.
٦ـ معاني الأخبار / ١٧٤.

[٩] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ».

«جاهد الكفّار و المنافقين». الكفّار بالقتال، و المنافقين بالقول الرادع عن القبيح. و روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قرأ: «جاهد الكفّار بالمنافقين». قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقاتل منافقاً قطّ. إنّما كان يتألّفهم. «و اغلظ عليهم»؛ أي: اشدد عليهم من غير محاباة. و قيل: اشدد عليهم في إقامة الحدود عليهم. لأنّ أكثر من يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقين.(١)

«جاهد الكفّار و المنافقين». مجاهدة الكفّار بالسيف. و مجاهدة المنافقين بإفشاء أسرارهم.(٢)

أقول: في تفسير القمّيّ عنه عليه السلام في قوله: «جاهد الكفّار و المنافقين» قال: هكذا نزلت. فجاهد رسول الله الكفّار و جاهد عليّ عليه السلام المنافقين. فجهاد عليّ جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله.(٣) (حسن عني عنه)

[١٠] «ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ».

ثمّ ضرب الله المثل لأزواج النبيّ صلى الله عليه وآله حثّاً لهنّ على الطاعة و بياناً لهنّ أنّ مصاحبة الرسول مع مخالفته لاتنفع لهنّ.(٤)

«مثلاً». مثّل الله حال الكفّار في أنّهم يعاقبون على كفرهم و عداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء و لا محاباة و لاينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم و بينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر ـ لأنّ عداوتهم لهم و كفرهم بالله و رسله قطع العلائق و جعلهم أبعد

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٧٠ ـ ٥٧١.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٧.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٨.

من الأجانب و إن كان المؤمن الذي يتّصل به الكافر نبيّاً من الأنبياء ـ بحال امرأة نوح و امرأة لوط لمّا نافقتا و خانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما [بحقّ] ما بينهما و بينهما من وصلة الأزواج إغناء من عذاب الله. «و قيل» لهما عند موتهما أو يوم القيامة: «ادخلا النار مع» سائر «الداخلين» الذين لا وصلة بينهم و بين الأنبياء، أو مع داخليها من إخوانكم من قوم نوح و قوم لوط. و مثّل حال المؤمنين في أنّ وصلة الكافرين لا تضرّهم و لا تنقص شيئاً من ثوابهم و زلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون و منزلتها عند الله ـ مع كونها زوجة عدوّ الله ـ و مريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الله مع أنّ قومها كفّار. و في طيّ هذين التمثيلين تعريض بأمّي المؤمنين المذكورتين في أوّل السورة و ما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما كرهه و تغليظ لهما على أغلظ وجه لما في التمثيل من ذكر الكفر، و إشارة إلى أنّ من حقّهما أن تكونا في الإخلاص و الكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين و أن لا تتّكلا على أنّهما زوجا رسول الله، فإنّ ذلك الفضل لا ينفعهما إلّا مع الإخلاص. و التعريض بحفصة أرجح لأنّ امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله. و أمّا خيانتهما، فهو نفاقهما و إبطانهما الكفر و تظاهرهما على الرسولين. فأمرأة لوط دلّت على ضيفانه، و امرأة نوح قالت لقومه: إنّه مجنون. و لا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنّه سمج في الطباع نقيصة عند كلّ أحد بخلاف الكفر، فإنّ الكفّار يسمّونه حقّاً.(١)

«فخانتاهما». قال: و الله ما عنى بقوله: «فخانتاهما» إلّا الفاحشة. و ليقيمنّ الحدّ على فلانة فيما أتت في طريق البصرة و كان طلحة يحبّها فلمّا أرادت أن تخرج إلى البصرة قال لها طلحة: لا يحلّ لك أن تخرجي من غير محرم، فزوّجت نفسها من طلحة.(٢)

أقول: روي هذا الحديث في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام.(٣) و كثير من أصحابنا أعرض عن قبوله و استنكف عن سماعه، و هو مجرّد استبعاد لا دليل عليه.

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٧١ ـ ٥٧٢. ٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٧.
٣ـ انظر: الكافي ٢ / ٤٠٢.

[١١] «وَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَـنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

قال مقاتل: يقول الله سبحانه لعائشة و حفصة: لاتكونا بمنزلة امرأة نوح و امرأة لوط في المعصية. و كونا بمنزلة امرأة فرعون و مريم.[١]

و امرأة فرعون آسية بنت مزاحم، آمنت حين سمعت بتلقّف عصا موسى الإفك. فعذّبها فرعون بأن أوتد لها أربعة أوتاد و استقبل بها الشمس و أضجعها على ظهرها و وضع رحًى على صدرها. فنجّاها الله أكرم نجاة فرفعها إلى الجنّة فهي تأكل و تشرب و تتنعّم فيها. فإن قلت: ما معنى الجمع بين «عندك» [و] «في الجنّة»؟ قلت: طلبت القرب من رحمة الله و البعد من عذاب أعدائه، ثمّ بيّنت مكان القرب بقولها: «في الجنّة». أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنّة و أن تكون جنّتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش و هي جنّة المأوى فعبّرت عن القرب إلى العرش بقولها: «عندك». «و عمله». و هو الكفر و عبادة الأصنام. «من القـوم الظالمين»: من القبط كلّهم.[٢]

[١٢] «وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتُبِهِ وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ».

«أحصنت فرجها» من دنس المعصية و عفّت عـن الحـرام. أو مـنعت مـن الأزواج. «فنفخنا فيه»؛ أي: فنفخ في جيبها جبرئيل. من روحنا. و قيل: نفخ جبرئيل في فرجها و خلق الله منه المسيح. و هو الظاهر. و قيل: معناه: خلقنا المسيح في بطنها و نفخنا فيه الروح حتّى صار حيّاً. و الضمير في «فيه» يعود إلى المسيح. و جاء في الرواية أنّه دخل رسول الله على خديجة و هي تجود بنفسها فقال: أكره ما نزل بك يا خديجة. فإذا قدمت على ضرائرك فأقرئيهنّ منّي السلام؛ مريم ابنة عمران و آسية بنت مزاحم و كليمة بـنت عـمران أخت

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٩.　　٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٧٢ ـ ٥٧٣.

موسى. أهل البصرة: «وكتبه» على الجمع. و الباقون: «وكتابه» على الواحد.[١]

«فيه من روحنا»؛ أي: في فرجها من روح خلقناه بلا توسّط أصل.[٢]

و من بدع التفاسير أنّ الفرج هو جيب الدرع و معنى أحصنته منعته جبرئيل، و أنّه جمع في التمثيل بين التي لها زوج و التي لا زوج لها، تسلية للأرامل و تطييباً لأنفسهنّ. «و صدّقت»؛ أي: جعلت الكلمات و الكتب صادقة، يعني وصفتها بالصدق و هو معنى التصديق بعينه. و أمّا كلمات الله و كتبه، فيجوز أن يراد بكلماته صحفه التي أنزلها على إدريس و غيره، سمّاها كلمات لقصرها، و بكتبه الكتب الأربعة، و أن يراد جميع ما كلّم الله به ملائكته و غيرهم و جميع ما كتب في اللّوح و غيره. و قال: «من القانتين» على التذكير، تغليباً للمذكّر على المؤنّث. و من للتبعيض. و يجوز أن يكون لابتداء الغاية، على أنّها ولدت من القانتين، لأنّها من أعقاب هارون أخي موسى عليه السلام.[٣]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٧٩ ـ ٤٨٠ و ٤٧٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٠٧.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٥٧٣.

٦٧.
سورة الملك

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ تبارك في المكتوبة قبل أن ينام، لم يزل في أمان الله حتّى يصبح و في أمانه يوم القيامة حتّى يدخل الجنّة.(١)

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأ سورة تبارك، فكأنّما أحيا ليلة القدر. و قال: وددت أنّ تبارك الملك في قلب كلّ مؤمن.(٢)

قراءة الملك تخفّف عن الميّت و تنجيه من عذاب القبر.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«تبارك»؛ أي: تعالى و جلّ عمّا لايجوز عليه في ذاته و أفعاله. و قيل: معناه: الثابت الذي لم يزل و لا يزال. «خلق الموت» للتعبّد بالصبر عليه «و الحياة» للتعبّد بالشكر عليها. قدّم ذكر الموت على الحياة لأنّه إلى القهر أقرب، كما قدّم البنات على البنين في قوله: «يهب لمن يشاء إناثاً و يهب لمن يشاء الذكور».(٤) و قيل: إنّما قدّمه لأنّه أقدم. [فإنّ] الأشياء في الابتداء [كانت في حكم الأموات] كالنطفة و التراب ثمّ اعترضت الحياة. «ليبلوكم»؛ أي: ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر و النهي فيجازي كلّ عامل بقدر عمله. و عنه صلى الله عليه و آله: «أيّكم أحسن عملاً»: أيّكم أحسن عقلاً و أشدّ لله خوفاً و أحسنكم فيما أمر الله به و نهى عنه

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٦ ـ ١٤٧، ح ١.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٨١.

٣ـ المصباح / ٦١٢.

٤ـ الشورى (٤٢) / ٤٩.

[نظراً]. «و هو العزيز» في انتقامه ممّن عصاه «الغفور» لمن تاب إليه.(١)

و قدّم الموت على الحياة لأنّ أقوى الناس داعياً على العمل من نصب موته بين عينيه. فقدّم لأنّه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهمّ.(٢)

[٢] «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ».

عن أبي جعفرعليه‌السلام: انّ الله خلق الحياة قبل الموت.(٣)

و في حديث آخر قال: قدّرهما. و معناه: قدّر الحياة ثمّ الموت.(٤)

[٣] «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرىٰ مِنْ فُطُورٍ».

«طباقاً»؛ أي: واحدة فوق الأخرى. و قيل: أراد بالمطابقة المشابهة. أي: يشبه بعضها بعضاً في الإتقان و الإحكام و الانتظام. «من تفاوت»؛ أي: اختلاف و تناقض من طريق الحكمة و إن كانت متفاوتة في الصور و الهيآت. و قيل: معناه: ما ترى في خلق السموات من عيب و اعوجاج بل هي مستقيمة كلّها مع عظمها. «فارجع البصر»؛ أي: أدره في خلق الله و استقص في النظر مرّة بعد أخرى.(٥)

«طباقاً»: مطابقة بعضها فوق بعض. من طابق النعل، إذا خصفها طبقاً على طبق. و هذا وصف بالمصدر. «تفاوت»؛ أي: اختلاف و اضطراب في الخلقة و لا تناقض. «من فطور»؛ أي: صدوع و شقوق. جمع فطر و هو الشقّ.(٦)

«من تفاوت». حمزة و الكسائيّ: «من تفوّت». و معناهما واحد كتعاهد و تعهّد.(٧)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٨٣ ـ ٤٨٤.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٧٥.
٣ـ الكافي ٨ / ١٤٥، ح ١١٦.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٨.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٨٤.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٥٧٦.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٠٩.

[٤] «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ».

«ثمّ ارجع البصر كرّتين». لأنّ من نظر في الشيء كرّة بعد أخرى، بان له ما لم يكن بائناً. و لايريد حقيقة التثنية. و نظيره قولهم: لبّيك و سعديك. «خاسئاً»؛ أي: يرجع إليك بصرك بعيداً عن نيل المراد ذليلاً صاغراً. «و هو حسير»؛ أي: كالّ معي.[١]

«ثمّ ارجع البصر». أمره بتكرير البصر فيهنّ متصفّحاً متتبّعاً عيباً و خللاً. «خاسئاً»؛ أي: مطروداً بالصغار و القماءة و بالإعياء و الكلال لطول الإجالة و الترديد.[٢]

[٥] «وَ لَقَدْ زَيَّـنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ».

ثمّ أقسم سبحانه فقال: «ولقد زيّـنّا السماء الدنيا». لأنّ هذه اللّام هي التي يتلقّى بها القسم. «السماء الدنيا». [يعني التي] هي أدنى إلى الأرض. و المصابيح الكواكب. «و جعلناها رجوماً للشياطين» الذين يسترقون السمع. و قيل: ينفصل من الكواكب شهب يكون رجوماً للشياطين. فأمّا الكواكب أنفسها فليست تزول إلى أن يريد الله إفناءها. «و أعتدنا لهم»؛ أي: للشياطين عذاب النار المسعرة. لأنّهم مكلّفون.[٣]

«بمصابيح»؛ أي: كواكب باللّيل. و لايمنع ذلك كون بعض الكوكب مركوزة في سموات فوقها؛ إذ التزيين بإظهارها عليها.

«رجوماً للشياطين». قيل: معناه: و جعلناه رجوماً و ظنوناً لشياطين الإنس و هم المنجّمون. و الرجوم: جمع رجم ـ بالفتح ـ و هو مصدر سمّي به ما يرجم به.[٤]

[٦] «وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٨٤ و ٤٨٣.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٧٦.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٨٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١٠.

«و للّذين كفروا» من غير الشياطين.(۱)

[۷] «إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَ هِيَ تَفُورُ».

«إذا ألقوا» في النار، سمعوا للنار صوتاً فظيعاً مثل صوت القدر عند فورانها. «و هي تفور»؛ أي: تغلي كغلي المرجل.(۲)

«شهيقاً»: صوتاً كصوت الحمير.(۳)

[۸] «تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ».

«تميّز»؛ أي: تنقطع و تتمزّق. «من الغيظ»؛ أي: شدّة الغضب. «ألم يأتكم»؛ أي: يقول لهم الملائكة الموكّلون بالنار على وجه التبكيت لهم في صورة الاستفهام: ألم يجئكم مخوّف من الله يخوّفكم عذاب هذه النار؟(٤)

«تميّز من الغيظ». يقال: فلان يتميّز غيظاً و غضباً فطارت منه شقّة في الأرض و شقّة في السماء، إذا وصفوه بالإفراط [فيه]. و نقل: السبب في هذا المجاز هو: انّ الغضب حالة تحصل عند غليان دم القلب. و الدم عند الغليان يصير أعظم حجماً و مقداراً، فيمدد الأوعية حتّى كادت تنشقّ و تتمزّق. فجعل ذلك اللّازم كناية عن شدّة الغضب.(٥)

[۹] «قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ».

«ما نزّل الله»؛ أي: يقولون في جوابهم: بلى قد جاءنا مخوّف فلم نصدّقه و كذّبناه و لم نقبل منه، بل قلنا له: ما نزّل الله شيئاً ممّا تدعونا إليه و تحذّرنا منه. فيقول لهم الملائكة: «إن أنتم إلّا في ضلال كبير»؛ أي: لستم اليوم إلّا في عذاب عظيم. و قيل: معناه: قلنا للرسل: ما أنتم إلّا في

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ٤٨٦.
۲ـ مجمع البيان ۱۰ / ٤٨٦.
۳ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٥۱۰.
٤ـ مجمع البيان ۱۰ / ٤٨٦.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ۲۹ / ٦.

ذهاب عن الصواب كبير في قولكم: أنزل الله علينا كتاباً.(١)

[١٠] «وَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ».

«لو كنّا نسمع» من النذر ما جاؤوا به و عملنا بذلك، ما كنّا في أصحاب السعير. عن أنس قال: أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ. فقال: كيف عقل الرجل؟ قالوا: يا رسول الله، نخبرك عن اجتهاده في العبادة و أصناف الخير و تسألنا عن عقله؟ فقال: إنّ الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر. و إنّما يرتفع [العباد] غداً في الدرجات و ينالون الزلفى من ربّهم على قدر عقولهم.(٢)

[١١] «فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ».

«فسحقاً». هذا دعاء عليهم. أي: أسحقهم الله و أبعدهم عن النجاة سحقاً. أبوجعفر: «سحقاً» بضمّتين. و إذا قيل: ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم من الفضيحة به؟ فالجواب: انّهم قدعلموا حصولهم على الفضيحة اعترفوا أو لم يعترفوا. فليس يدعوهم إلى أحد الأمرين إلّا مثل مايدعوهم إلى الآخر في أنّه لا فرج فيه. فاستوى الأمران عليهم الاعتراف و عدمه و الجزع.(٣)

[١٢] «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ».

«يخشون ربّهم بالغيب»؛ أي: يخافون عذاب ربّهم باتّقاء معاصيه و فعل طاعاته على وجه الاستتار بذلك. لأنّ الخشية متى كانت بالغيب، كانت بعيدة من الرياء. و قيل: معناه أنّهم يخشونه و لم يروه فيؤمنون به خوفاً من عذابه. و قيل: يخافونه حيث لايراهم مخلوق؛ يتركون المعصية في الخلوة لئلّايجعلوا الله أهون الناظرين إليهم و لأنّ من تركها في هذه الحال

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٨٦.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٨٦ ـ ٤٨٧.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٨٧.

تركها أيضاً في العلانية.[١]

[١٣] «وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

ثمّ قال سبحانه متهدّداً للعصاة: «و أسرّوا قولكم أو اجهروا به». يعني أنّه عالم بإخلاص المخلص و نفاق المنافق، فإن شئتم فأظهروا القول و إن شئتم فأبطنوه، فإنّه عليم بضمائر القلوب. قال ابن عبّاس: كانوا يسألون من رسول الله ﷺ فيخبره به جبرئيل. فقال بعضهم لبعض: أسرّوا قولكم لئلّا يسمع إله محمّد. فنزلت الآية.[٢]

[١٤] «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ».

«ألا يعلم من خلق»؛ أي: ألا يعلم ما في الصدور أو الأسرار من خلق؟ و من خلق بمعنى الخالق. و يجوز أن يكون بمعنى المخلوق. أي: ألا يعلم الله مخلوقه. «و هو اللّطيف»: العالم بما لطف و دقّ. أو: الذي يدبّرهم بلطف التدبير.[٣]

«من» في قوله: «من خلق» إمّا في محلّ الرفع فاعل يعلم. أي: ألا يعلم الخالق مخلوقه؟ أو في محلّ النصب مفعول يعلم. أي: ألا يعلم الله مخلوقه.[٤]

«ألا يعلم من خلق». قد يستدلّ به على أنّ [أفعال العباد مخلوقة لله تعالى. لأنّ] العبد لو كان موجداً لأفعال نفسه، لكان عالماً بتفاصيلها بناء على الآية؛ لكنّه غير عالم بتفاصيلها، لأنّه لايعرف مقادير حركته و سكونه و كسبه بل لايعرف الأسباب السابقة و الغايات اللّاحقة.[٥]

[١٥] «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٠.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٠.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٠.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٨٩.

٥ـ تفسير النيسابوريّ ٢٩ / ٨.

«ذلولاً»: موطّأة للتصرّف فيها و المسير عليها و يمكّنكم زراعتها. «مناكبها»: طرقها و فجاجها. أو: جبالها. لأنّ منكب كلّ شيء أعلاه. و المراد المشي في الطاعات و التجارات و المصالح. «و كلوا من رزقه»: ممّا خلقه الله في الأرض و الجبال. «و إليه النشور»؛ أي: المرجع في القيامة.[١]

[١٦] «أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ».

«من في السماء»؛ أي: عذاب من [في] السماء سلطانه و أمره و نهيه. و قيل: من في السماء الملك الموكّل بعذاب العصاة. «يخسف بكم»؛ أي: يغيبكم في الأرض. «تمور»؛ أي: تضطرب و تتحرّك. و المعنى أنّ الله يحرّك الأرض عند الخسف بهم حتّى تضطرب فوقهم و هم يخسفون فيها حتّى تلقيهم إلى أسفل. و المور: التردّد في الذهاب و المجيء مثل الموج.[٢]

عن ابن‌كثير: «و أمنتم» بقلب الهمزة الأوّل واواً لانضمام ما قبلها، و «آمنتم» بقلب الثانية ألفاً، و هو قراءة نافع و أبي‌عمرو. «أن يخسف بكم الأرض» فيغيبكم فيها كما فعل بقارون. و هو بدل من «من» بدل الاشتمال.[٣]

[١٧] «أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ».

«حاصباً»: ريحاً ذات حجر. كما أرسل على قوم لوط حجارة من السماء. «فستعلمون» حينئذ كيف إنذارى إذا عاينتم العذاب.[٤]

«حاصباً»؛ أي: يمطر عليكم حصباء. «فستعلمون» كيف إنذاري إذا شاهدتم المنذر به ولكن لاينفعكم العلم حينئذ.[٥]

[١٨] «وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٠.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١١.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩١.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١١.

«كذّب الذين من قبلهم» رسلي و جحدوا وحدانيّتي. «نكير»؛ أي: عقوبتي و تغييري ما بهم من النعم.[۱]

«نكير»؛ أي: إنكاري عليهم بإنزال العذاب. و هو تسلية للرسولﷺ و تهديد لقومه.[۲]

[۱۹] «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَ يَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ».

ثمّ نبّه على قدرته على الخسف و إرسال الحجارة فقال: «أولم يروا إلى الطير صافّات»: تصفّ أجنحتها في الهواء فوق رؤوسهم «و يقبضن» أجنحتهنّ بعد البسط؟ و هذا معنى الطيران و هو بسط الجناح و قبضه. أي يضربن بأرجلهنّ و يبسطن أجنحتهنّ تارة و يقبضن أخرى. فالهواء للطائر كالماء للسابح. و قيل: معناه أنّ من الطير ما يضرب بجناحه فيصفّ و منه ما يمسك فيدفّ و منه الصفيف و الدفيف. «ما يمسكهنّ إلّا الرحمن» بتوطئة الهواء.[۳]

قال أهل العلم: إنّما قال: «يقبضن» دون قابضات على نحو «صافّات» لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء و الأصل في كلّ منهما مدّ الأطراف و بسطها، و القبض طارئ على البسط لأجل الإعانة. و المعنى أنّهنّ صافّات و يكون منهنّ القبض بعض الأوقات كما يكون من السابح.[٤]

[۲۰] «أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ».

«ينصركم» منّي و يمنعكم عذابي إن اردت عذابكم؟ و كأنّه سبحانه يقول للكافرين:

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ٤۹۱.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۵۱۱.
۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ٤۹۱.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ۲۹ / ۱۰.

بأيّ قوّه تعصونني؟ ألكم جند يدفعونكم عنّي؟ و عن عذابي؟ بيّن بذلك أنّ الأصنام لايقدرون على نصرتهم. «إن الكافرون»؛ أي: ما الكافرون إلّا في غرور من الشيطان يغرّهم بأنّ العذاب لاينزل بهم. و قيل: معناه: أي: ما هم إلّا في أمر لا حقيقة له من عبادة الأوثان يتوهّمون أنّ ذلك ينفعهم و الأمر بخلافه.[١]

[٢١] «أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ».

«الذي يرزقكم»؛ أي: من الذي يرزقكم إن أمسك الله الذي هو رازقكم أسباب رزقه عنكم و هو المطر؟ «بل لجّوا»؛ أي: ليسوا يعتبرون و ينظرون بل تمادوا في اللّجاج و النفور عن الحقّ. قال الفرّاء: قوله: «أمّن هذا الذي» ـ الآية ـ تعريف حجّة ألزمها الله العباد فأقرّوا بها و لم يردّوا لها جواباً فقال الله: «بل لجّوا في عتوّ و نفور».[٢]

[٢٢] «أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلىٰ وَجْهِهِ أَهْدىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

ثمّ ضرب سبحانه مثلاً للكافر و المؤمن فقال: «أفمن يمشي مكبّاً على وجهه»؛ أي: منكّساً رأسه إلى الأرض لايبصر الطريق و لايستقبله و لاينظر أمامه و لا يمينه و لا شماله. و هو الكافر المقلّد لايدري أمحقّ هو أم مبطل. «أهدى أمّن يمشي سويّاً»: قائماً يبصر الطريق و جميع جهاته كلّها فيبصر و يضع قدمه حيث يرى. و هو المؤمن الذي سلك طريق الحقّ و استقام عليه. «مستقيم»؛ أي: طريق واضح. و قيل: إنّ هذا في الآخرة. يحشر الله الكافر يوم القيامة مكبّاً على وجهه كما قال: «و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم»[٣].[٤]

«مكبّاً على وجهه» يعثر كلّ ساعة و يخرّ على وجهه لوعورة طريقه. و لذلك قابله بقوله: «أمّن يمشي سويّاً»: قائماً سالماً من العثار. «على صراط مستقيم»: مستوي الأجزاء و الجهة. [و المراد] تمثيل المشرك و الموحّد بالسالكين و الدينين بالمسلكين. و لعلّ الاكتفاء بما

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩١.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩١ ـ ٤٩٢.

٣ـ الإسراء (١٧) / ٩٧.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

في الكبّ من الدلالة على حال المسلك للإشعار بأنّ ما عليه المشرك لايستأهل أن يسمّى طريقاً كمشي المتعسّف في مكان غير مستو. و قيل: المراد بالمكبّ الأعمى ـ فإنّه يتعسّف فينكبّ ـ و بالسويّ البصير.(۱)

عن أبي‌الحسن الماضي عليه السلام في قوله: «أ فمن يمشي مكبّاً» قال: إنّ الله ضرب مثل من حاد عن ولاية عليّ عليه السلام كمن يمشي على وجهه لايهتدي لأمره، و جعل من تبعه سويّاً على صراط مستقيم. و الصراط المستقيم عليّ عليه السلام.(۲)

عن أبي جعفر عليه السلام: القلوب أربعة. إلى أن قال: و أمّا المنكوس، فقلب المشرك. ثمّ قرأ: «أ فمن يمشي مكبّاً» ـ الآية.(۳)

[۲۳] «قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ».

«قل» يا محمّد صلّى الله عليه و آله لهؤلاء الكفّار: هو الذي أخرجكم من العدم إلى الوجود. «و الأفئدة». يعني القلوب تعقلون [بها] و تتدبّرون. فأعطاكم آلات التفكّر و التميز و الوصول إلى العلم. «قليلاً ما تشكرون»؛ أي: تشكرون قليلاً. فتكون ما زائدة. أو: قليلاً شكركم. فتكون مصدريّة.(٤)

[۲٤] «قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».

«ذرأكم في الأرض»؛ أي: خلقكم في الأرض.(٥)

[۲٥] «وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«و يقولون» ـ أي الكفّار ـ مستبطئين عذاب الله مستهزئين بذلك. «متى هذا الوعد» من

۱ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٥۱۲.

۲ـ الكافي ۱ / ٤۳۳، ح ۹۱.

۳ـ معاني الأخبار / ۳۹٥، ح ٥۱.

٤ـ مجمع البيان ۱۰ / ٤۹٤.

٥ـ مجمع البيان ۱۰ / ٤۹٤.

الخسف و الحاصب، أو البعث و الجزاء «إن كنتم صادقين» في أنّ ذلك يكون؟[١]

[٢٦] «قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

«قل» يا محمّد: «إنّما العلم عند الله»؛ أي: علم الساعة.[٢]

[٢٧] «فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ قِيلَ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ».

«فلمّا رأوه»؛ أي: العذاب. «زلفة»: قريباً. يعني يوم بدر. و قيل: المراد المستقبل. يعني إذا بعثوا. «سيئت»؛ أي: اسودّت. أو: ظهر على وجوههم آثار الغمّ و الحسرة. «و قيل» لهم: «هذا» العذاب هو «الذي كنتم به تدّعون»؛ أي: تستعجلون و تدعون الله بتعجيله. و هو قولهم: «إن كان هذا هو الحقّ من عندك» ـ الآية.[٣] و قيل: تدّعون من الدعوى. [أي: تدّعون] أن لا نار و لا جنّة.

روى الحاكم الحسكانيّ بالأسانيد الصحيحة عن الأعمش قال: لمّا رأوا ما لعليّ بن أبي طالب عليه السلام عند الله من الزلفى، سيئت وجوه الذين كفروا. و عن أبي جعفر: لمّا رأوا مكان عليّ من النبيّ صلى الله عليه و آله، سيئت وجوه الذين كفروا. يعني الذين كذّبوا بفضله.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة و جمع الله الخلائق، كان نوح أوّل من يدعى به. فيقال له: هل بلّغت؟ فيقول: نعم. فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمّد بن عبدالله صلى الله عليه و آله. قال: فيخرج نوح فيتخطّى الناس حتّى يجيء إلى محمّد صلى الله عليه و آله و هو على كثيب المسك و معه عليّ عليه السلام. و هو قول الله: «فلمّا رأوه زلفة» ـ الآية.[٥]

و عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «فلمّا رأوه زلفة» قال: نزلت في أميرالمؤمنين و أصحابه الذين عملوا ما عملوا، يرون أميرالمؤمنين عليه السلام في أغبط الأماكن فتسيء وجوههم و يقال

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٤.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٤.
٣ـ الأنفال (٨) / ٣٢.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٤.
٥ـ الكافي ٨ / ٢٦٧، ح ٣٩٢.

لهم: هذا الذي كنتم به تدّعون»؛ أي: تنتحلون اسمه.[١]

[٢٨] «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ».

«قل» لهؤلاء الكفّار: «أرأيتم إن أهلكني الله و من معي» بأن يميتنا «أو رحمنا» بتأخير آجالنا، فمن هذا الذي يدفع العذاب عن الكفّار؟ و قيل: إنّ الكفّار كانوا يتمنّون موت النبيّ فقيل لهم: إن أماتني الله، فما الذي ينفعكم و يؤمنكم من العذاب؟ فإنّه واقع بكم لا محالة. و قيل: معناه: إن عذّبني الله و من معي، أو غفر لنا، فمن يجيركم؟ أي: نحن مع إيماننا بين الخوف و الرجاء. فمن يجيركم مع كفركم من العذاب و لا رجاء لكم كما للمؤمنين؟ عن ابن عبّاس.[٢]

عن أبي عبدالله قال: أنزلها الله هكذا: «إن أهلككم الله و من معكم و نجّاني و من معي» ـ الآية.[٣]

عن أبي عبدالله قال: هذه الآية ممّا غيّروا و حرّفوا. ما كان الله ليهلك محمّداً و من كان معه من المؤمنين و هو خير ولد آدم ولكن قال: «قل أرأيتم إن أهلككم الله جميعاً و رحمنا» ـ الآية.[٤]

«إن أهلكني الله». كان كفّار مكّة يدعون على رسول الله ﷺ و على المؤمنين بالهلاك. فأمر أن يقول لهم: نحن مؤمنون متربّصون لإحدى الحسنيين؛ إمّا أن نهلك كما تتمنّون فننقلب إلى الجنّة، أو نرحم بالنصرة و الإدالة للإسلام كما نرجو. فأنتم ما تصنعون؟ من يجيركم من عذاب الله؟ لابدّ لكم منه. يعني أنّكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز و السعادة و أنتم في أمر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده و أنتم غافلون لاتطلبون الخلاص منه.[٥]

١ـ الكافي ١ / ٤٢٥، ح ٦٨.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٤ ـ ٤٩٥.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٠٧، ح ١١.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٠٧، ح ١٠.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٨٣.

«إن أهلكني الله»: أماتني «و من معي» من المؤمنين «أو رحمنا» بتأخير آجالنا، «فمن يجير الكافرين»؟ أي لا ينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا. و هو جواب لقولهم: «نتربّص به ريب المنون»[١].[٢]

[٢٩] «قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

ثمّ قال: «قل» لهؤلاء الكفّار على وجه التوبيخ لهم: «هو الرحمن»؛ أي: إنّ الذي أدعوكم إليه هو الرحمن الذي عمّت نعمته جميع الخلائق. «و عليه توكّلنا» في جميع أمورنا. «فستعلمون» معاشر الكفّار. الكسائيّ بالياء. «من هو في ضلال مبين» أنحن أم أنتم.[٣]

[٣٠] «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ».

«غوراً»؛ أي: غائراً ناضباً في الآبار و العيون. «معين»؛ أي: جار. أراد أنّه المنعم بالأرزاق فاشكروه و لاتشركوا به. و قيل: أراد بقوله: «ماؤكم» بئر زمزم و بئر ميمون و هي بئر عاديّة قديم. و كان ماؤهم من هاتين البئرين. و المعين التي تناله الدلاء و تراه العيون.[٤]

عن الكاظم عليه السلام «إن أصبح ماؤكم غوراً» قال: إذا فقدتم إمامكم. يعني القائم عليه السلام. «فمن يأتيكم بماء»؛ أي: إمام يخبركم بأخبار السموات و الأرض.[٥]

١ـ الطور (٥٢) / ٣٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١٣.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٥ و ٤٩٢.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٦.
٥ـ كمال الدين / ٣٦٠، ح ٣.

٦٨.
سورة القلم

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة ن و القلم في فرائضه أو نوافله، آمنه الله من أن يصيبه فقر أبداً و أعاذه الله إذا مات من ضمّة القبر.(١)

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطي ثواب الذين حسنت أخلاقهم.(٢)

ن: إذا علّقت على من به وجع الضرس أو الصداع، سكن.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ».

عن الصادق عليه السلام: «ن» ملك يؤدّي إلى القلم. و القلم ملك يؤدّي إلى اللّوح. و اللّوح ملك يؤدّي إلى إسرافيل. و إسرافيل يؤدّي إلى ميكائيل، و ميكائيل إلى جبرائيل، و جبرائيل إلى الأنبياء.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله خلق القلم من شجرة في الجنّة يقال لها الخلد. ثمّ قال لنهر في الجنّة: كن مداداً. ثمّ قال للقلم: اكتب. فكتب القلم ما كان و ما يكون في رقّ أشدّ بياضاً من الفضّة فجعله في ركن العرش. ثمّ ختم على فم القلم فلم ينطق بعد. فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلّها كما قال: «إنّا كنّا نستنسخ» ـ الآية(٥).(٦)

«ن». قيل: هو اسم من أسماء السورة مثل حم و ص. و قيل: هو الحوت الذي عليه

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٧، ح ١.
٢ـ المصباح / ٥٩٥.
٣ـ المصباح / ٦١٢.
٤ـ معاني الأخبار / ٢٣، ح ١.
٥ـ الجاثية (٤٥) / ٢٩.
٦ـ تفسير القمّي ٢ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

الأرضون. و قيل: حرف من حروف الرحمن. عن ابن‌عبّاس. و قيل: لوح من نور. و عنهﷺ: هو نهر في الجنّة قال الله له: كن مداداً. فجمد. و كان أبيض من اللّبن و أحلى من الشهد. ثمّ قال للقلم: اكتب. فكتب ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة. عن أبي جعفرعليه‌السلام. و قيل: المراد به الحوت في البحر. و هو من آيات الله إذ خلقها في الماء فإذا فارق الماء مات. و القلم: الذي يكتب به. أقسم الله به لمنافع الخلق. لأنّ قوام أمور الدين و الدنيا بالسيف و القلم و السيف تحت القلم. «و ما يسطرون» أي: مايكتبه الملائكة ممّا يوحى إليهم و ما يكتبونه من أعمال بني آدم. و قيل: إنّ ما مصدريّة. أي: و سطرهم. فيكون القسم بالكتابة كما أنّ على الأوّل بالمكتوب.(۱)

[۲] « مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ».

«ما أنت»؛ أي: لست ـ يا محمّد ـ بمجنون بنعمة ربّك. كما تقول: ما أنت بنعمة ربّك بجاهل. و الباء في بمجنون زائدة. أي: انتفى عنك الجنون بنعمة ربّك. و قيل: معناه: بما أنعم عليك ربّك من كمال العقل و النبوّة لست بمجنون. أي لايكون مجنوناً من أنعمنا عليه بهذه النعم. و قيل: معناه: ما أنت مجنون و النعمة لربّك. كما يقال: سبحانك اللّهمّ و بحمدك؛ أي: و الحمد لك. و هو تقرير لنفي الجنون عنه. و هو جواب لقول المشركين: «يا أيّها الذي نزّل عليه الذكر إنّك لمجنون»(۲).(۳)

[۳] «وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ».

«لأجراً»؛ أي: ثواباً على قيامك بالنبوّة. «غير ممنون»؛ أي: غير مقطوع. يعني لاتبال بكلامهم مع ما لك عند الله من الثواب. و قيل: غير مكدّر بالمنّ. فقد قيل: المنّة تكدّر الصنيعة.(٤)

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ٤۹۹.
۲ـ الحجر (۱٥) / ٦.
۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ٤۹۹.
٤ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥۰۰.

[٤] «وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ».

«على خلق»؛ أي: دين، وهو دين الإسلام. عن ابن عبّاس. أو: إنّك على طبع كريم. و هو الآداب و سمّي خلقاً لأنّه يصير كالخلقة. و قيل: سمّى خلقه عظيماً لأنّه عاشر الخلق بخلقه و زايلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق و باطنه مع الحقّ.(١)

[٥ ـ ٦] «فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ».

«فستبصرُ»؛ أي: فترى يا محمّد و يرون. [يعني] الذين رموه بالجنون. «بأيّكم المفتون»: أيّكم المجنون الذي فتن بالجنون. [و قيل: بأيّكم الفتنة و هو الجنون. يريد أنّهم] يعلمون عند العذاب أنّ الجنون كان بهم إذ كذّبوك.(٢)

عن أبي جعفرعليه السلام: قال رسول الله لعليّعليه السلام: يا عليّ، كذب من زعم أنّه يحبّني و يبغضك. قال الأعرابيّان: لقد فتن رسول الله بهذا الغلام! فأنزل الله: «فستبصر» ـ الآية.(٣)

قال الصادقعليه السلام: لقي عمر أميرالمؤمنين فقال: يا عليّ، بلغني أنّك تتأوّل هذه الآية فيّ و في صاحبي: «فستبصر و يبصرون * بأيّكم المفتون».(٤)

[٧] «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».

عن ابن مزاحم قال: لمّا رأت قريش تقديم النبيّ عليّاًعليه السلام نالوا من عليّ و قالوا: افتتن به محمّد. فأنزل الله: «ن و القلم [....خلق عظيم» يعني القرآن. إلى قوله: «بمن ضلّ عن سبيله».](٥) و من ضلّ النفر الذي قالوا ما قالوا. و «المهتدين» عليّعليه السلام.(٦)

[٨] «فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٠.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٠.
٣ـ المحاسن / ١٥١، ح ٧١.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٠.
٥ـ في النسخة: «العظيم القرآن» بدل ما بين المعقوفتين.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠١.

«فلاتطع المكذّبين» بتوحيد الله و لاتجبهم إلى ما يلتمسون منك.[١]

«فلاتطع المكذّبين» في عليّ عليه السلام.[٢]

[٩] «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ».

«ودّوا لو تدهن»؛ أي: ودّ هؤلاء الكفّار أن تلين بهم فيلينون في دينهم. عن ابن عبّاس. و قيل: معناه: لو تكفر فيكفرون.[٣]

«لو تدهن»؛ أي: تلاينهم بأن تدع نهيهم عن الشرك «فيدهنون»: فيلاينوك بترك الطعن و المرافقة.[٤]

«فيدهنون»؛ أي: أحبّوا أن تغشّ في عليّ فيغشّون معك.[٥]

[١٠] «وَ لَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ».

«حلّاف»: كثير الحلف بالباطل. «مهين»: ذليل عند الله و عند الناس. قيل: الوليد بن المغيرة؛ عرض على النبيّ المال ليرجع عن دينه.[٦]

«حلّاف»: كثير الحلف في الحقّ و الباطل.[٧]

«حلّاف». قال: الحلّاف الثاني. حلف لرسول الله أنّه لاينكث عهداً.[٨]

[١١] «هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ».

«همّاز» ؛ أي: وقّاع في الناس بالغيبة. «مشّاء بنميم»: يسعى بين الناس بالنميمة و الإفساد.[٩]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠١.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٠.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١٥.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٠.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠١.

٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١٥.

٨ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٠.

٩ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠١.

«مشّاء بنميم». قال: كان ينمّ على رسول الله و يهمز بين أصحابه.[١]

[١٢] «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ».

«منّاع للخير» يمنع عشيرته عن الإسلام و يقول: من دخل في دين محمّد، لا أنفعه بشيء أبداً. «معتد» في فعله «أثيم» في معتقده. و قيل: معتد في ظلم غيره، أثيم في ظلم نفسه.[٢]

[١٣] «عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ».

«عتلّ بعد ذلك»؛ أي: مع كونه منّاعاً للخير. و العتلّ: السيّئ الخلق، أو القويّ في كفره، أو الجافي الشديد الخصومة بالباطل. و قيل: الأكول. [«زنيم»؛ أي: دعيّ ملصق إلى قوم ليس منهم في النسب.] و عن عليّ عليه السلام انّه الذي لا أصل له.[٣]

«عتلّ». العتلّ: عظيم الكفر. «و الزنيم»: الدعيّ.[٤] و كان الوليد دعيّاً في القريش ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده.

[١٤ ـ ١٥] «أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَنِينَ * إِذَا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

أبوجعفر و ابن‌عامر: «آن كان» بهمزة واحدة ممدودة، على الاستفهام. و أبوبكر عن عاصم و حمزة بهمزتين. «أن كان»؛ أي: لاتطعه لأنّه كان ذا مال و بنين. و من قرأ بالاستفهام، يكون صلة ما بعده. لأنّ الاستفهام لايقدّم عليه ما كان في حيّزه. فمعناه: ألأن كان ذا مال و بنين يجحد بآياتنا؟ أي جعل مجازاة النعم من المال و البنين الكفر بآياتنا. و هو قوله: «إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين»؛ أي: أحاديث الأوائل التي سطرت و كتبت لا أصل لها.[٥]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٠.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠١ ـ ٥٠٢.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠١ ـ ٥٠٢.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٠. و لايوجد فيه ما يأتي في المتن بعده بل ورد في الكشّاف.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٤٩٧ و ٥٠٢.

«عليه آياتنا». قال: على الثاني. «أساطير الأوّلين»: أكاذيبهم.[١]

[١٦] «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ».

«سنسمه»؛ أي: نسمه يوم القيامة بسمة تشوّه خلقته فيعرف من رآه أنّه من أهل النار. و خصّ الأنف لأنّه وسط الوجه. أو هذا على عادة العرب. فإنّهم يقولون: شمخ فلان بأنفه، و أرغم الله أنفه. و قيل: المعنى: سنسمه بالسيف في القتال حتّى يبقى أثره. ففعل ذلك يوم بدر. عن ابن عبّاس. و قيل: المراد به وسم العار. أي يلحقه عاراً كالوسم في الوجه.[٢]

«سنسمه على الخرطوم». قال: في الرجعة إذا رجع أميرالمؤمنين و يرجع أعداؤه فيسمهم بميسم معه كما توسم البهائم على الخراطيم و الشفتين.[٣]

[١٧ ـ ١٨] «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَـنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَ لَا يَسْتَثْنُونَ».

«بلوناهم»؛ يعني: اختبرنا أهل مكّة بالجوع و القحط، كما بلونا أصحاب البستان. و هذه الجنّة حديقة كانت باليمامة من قرية يقال لها صروان، كانت لشيخ، وكان يمسك منها قدر كفايته و يتصدّق بالباقي. فلمّا مات، قال بنوه: نحن أحقّ بها لكثرة عيالنا. و عزموا على حرمان المساكين. فصارت عاقبتهم إلى ما قصّ الله و هو قوله: «إذ أقسموا»؛ أي: حلفوا «ليصرمنّها مصبحين»: ليقطعنّ ثمرتها إذ دخلوا في وقت الصباح. «و لا يستثنون»؛ أي: غير مستثنين في أيمانهم بأن يقولوا: إن شاء الله.[٤]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الرجل ليذنب الذنب فيدرأ عنه الرزق. و تلا هذه الآية: «إذ أقسموا ليصرمنّها» ـ الآية.[٥]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨١.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٢ ـ ٥٠٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٥.
٥ـ الكافي ٢ / ٢٧١، ح ١٢.

[١٩ـ ٢٠] «فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ».

«فطاف عليها»؛ أي: أحاطت بها النار فاحترقت. عن ابن‌عبّاس. [قال مقاتل:] بعث الله على جنّتهم ناراً فأحرقتها حتّى صارت مسودّة. فذلك قوله: «كالصريم»؛ أي: كاللّيل المظلم. و قيل: الصريم: المصروم ثماره. يعني صارت كأنّ جميع ثمارها قطعت.(١)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام في الأربعاء الذي يتطيّر منه قال: أربعاء آخر الشهر و هو المحاق. و فيه قتل قابيل هابيل. إلى أن قال: و يوم الأربعاء أصبحت كالصريم.(٢)

[٢١ ـ ٢٢] «فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ».

«مصبحين»؛ أي: نادى بعضهم بعضاً وقت الصباح. أي: قال بعضهم لبعض: «اغدوا على حرثكم» ـ و هو الزرع و الأعناب ـ إن كنتم قاطعين النخل.(٣)

فإن قلت: هلّا قيل: اغدوا إلى حرثكم؟ و ما معنى على؟ قلت: لمّا كان الغدوّ إليه ليصرموه و يقطعوه، كان غدوّاً عليه. كما تقول: غدا عليهم العدوّ. و يجوز أن يضمن الغدوّ معنى الإقبال.(٤)

[٢٣ ـ ٢٥] «فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَ غَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ».

«و هم يتخافتون»؛ أي: يتسارّون. و هو «أن لايدخلنّها اليوم عليكم مسكين». «و غدوا على حرد»؛ أي: قصد منع الفقراء «قادرين» عند أنفسهم و في اعتقادهم على منعهم و إحراز ما في جنّتهم. و قيل: «على حرد»؛ أي: جدّ و جهد من أمرهم. و قيل: «قادرين»: مقدّرين موافاتهم الجنّة في الوقت الذي قدّروا صرمها فيه و هو وقت الصبح. أي: قصدوا

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٥ ـ ٥٠٦.
٢ـ عيون الأخبار ١ / ١٩٣، ح ١.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٦.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٠.

إلى الجنّة في الوقت الذي قدّروا إصرامها فيه.(١)

«أن لايدخلنّها». أن مفسّرة. «على حرد». الحرد من حاردت السنة، إذا منعت خيرها. أي: غدوا على محاردة جنّتهم و ذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها و منافعها. أي: غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع. و قيل: الحرد: القصد و السرعة. يعني: غدوا قاصدين إلى جنّتهم بسرعة و نشاط قادرين عند أنفسهم يقولون نقدر على صرمها و منعها من المساكين. و قيل: حرد علم للجنّة. أي: غدوا على تلك الجنّة قادرين على صرامها عند أنفسهم.(٢)

[٢٦ ـ ٢٧] «فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ».

فلمّا رأوا الجنّة على تلك الصفة «قالوا إنّا لضالّون» عن الحقّ في أمرنا، فلذلك عوقبنا بذهاب ثمر جنّتنا. «بل نحن محرومون». يعني أنّ هذه الجنّة جنّتنا ولكن حرمنا خيرها لمنعنا حقوق المساكين و تركنا الاستثناء.(٣)

«إنّا لضالّون»؛ أي: قالوا في بديهة وصولهم: إنّا لضالّون؛ أي: ضللنا جنّتنا و ما هي بها، لما رأوا من هلاكها. فلمّا تأمّلوا و عرفوا أنّها هي قالوا: «بل نحن محرومون» خيرها لجنايتنا على أنفسنا.(٤)

[٢٨] «قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ».

«أوسطهم»؛ أي: أعدلهم قولاً، أو أفضلهم، أو أوسطهم في السنّ. «لولا تسبّحون». لأنّه كان حذّرهم بسوء أفعالهم فقال: لولا تستثنون. لأنّ في الاستثناء التوكّل على الله و الإقرار بأنّه لايقدر [أحد] على فعل شيء إلّا بمشيّته فلذلك سمّاه تسبيحاً. أو: هلّا تذكّرون نعم الله عليكم فتؤدّوا شكرها بأن تخرجوا حقوق الفقراء من أموالكم؟ و قيل: معناه: هلّا نزّهتم الله

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٠ ـ ٥٩١.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٦.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٥٩١.

عن الظلم و اعترفتم بأنّه لايرضى منكم بالظلم.[١]

«لولاتسبّحون»: أي: تذكرون الله و تتوبون إليه من خبث نيّتكم. كأنّ أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله و انتقامه من المجرمين و توبوا إليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم و سارعوا إلى حسم شرّها قبل حلول النقمة، فعصوه، فعيّرهم. و الدليل عليه قولهم: «سبحان ربّنا إنّا كنّا ظالمين». فتكلّموا بما كان يدعوهم إلى التكلّم به على أثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة.[٢]

[٢٩] «قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ».

«كنّا ظالمين». أي في عزمنا على حرمان المساكين من حصّتهم عند الصرام فحرمنا الانتفاع بها. و المعنى: انّه منزّه عن الظلم بنا ما فعله ظلماً. و إنّما الظلم وقع منّا حيث منعنا الحقّ.[٣]

[٣٠] «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ».

«يتلاومون»: يلوم بعضهم بعضاً. لأنّ منهم من زيّن ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكفّ و عذر و منهم من عصى الأمر و منهم من سكت و هو راض.[٤]

[٣١] «قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ».

«طاغين»: متجاوزين الحدّ في الظلم. يجوز أن يكون ذلك منهم توبة. و يجوز أن يكون على حدّ ما يقول الكافر إذا وقع في الشدّة.[٥]

[٣٢] «عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٩١.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٦.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٥٩١ ـ ٥٩٢.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٧.

«عسى ربّنا»؛ أي: لمّا تابوا و رجعوا إلى الله قالوا: لعلّ الله يخلف علينا و يولّينا خيراً من الجنّة التي هلكت. «أن يبدلنا». أهل المدينة بالتشديد. «راغبون»؛ أي: نرغب إلى الله و نتوب إليه ممّا فعلناه.(١)

روي أنّهم أبدلوا خيراً منها بالتوبة.(٢)

[٣٣] «كَذٰلِكَ الْعَذَابُ وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

«كذلك العذاب» في الدنيا للعاصين. و عذاب الآخرة أعظم. و عن ابن مسعود أنّ القوم أخلصوا و عرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنّة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقوداً. و قال أبوخالد اليماميّ: رأيت تلك الجنّة و رأيت كلّ عنقود منها كالرجل الأسود القائم.(٣)

[٣٤] «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

«جنّات النعيم» يتنعّمون فيها.(٤)

[٣٥] «أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ».

«أفنجعل المسلمين». أي لانجعلهم مثلهم في الجزاء. و ذلك أنّهم كانوا يقولون: إن كان بعث وجزاء كما يقوله محمّد، فإنّ حالنا يكون أفضل في الآخرة كما في الدنيا. فأخبر سبحانه أنّه لايكون.(٥)

[٣٦] «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».

«كيف تحكمون». تهجين لهم و توبيخ. أي: أيّ عقل يحملكم على تفضيل الكفّار حتّى

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٧ و ٥٠٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١٧.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٧.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٨.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٨ ـ ٥٠٩.

صار سبباً لإصراركم؟ و لايحسن في الحكمة التسوية بين الأولياء و الأعداء في دار الجزاء.[١]

«ما لكم كيف تحكمون» هذا الحكم الأعوج؟ كأنّ أمر الجزاء مفوّض إليكم حتّى تحكموا فيه بما شئتم![٢]

[٣٧ـ ٣٨] «أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ».

«أم لكم كتاب»: بل أ لكم كتاب تدرسون فيه ذلك و أنتم متمسّكون به؟ «أنّ لكم فيه»؛ أي: تدرسون بأنّ لكم فيه. إلّا أنّه حذفت الباء و كسرت انّ لدخول اللّام في الخبر. أو يكون معناه: انّ لكم ما تخيّرونه عند أنفسكم. [و الأمر] بخلاف ذلك.[٣]

[٣٩] «أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ».

«أيمان علينا»؛ أي: بل أ لكم عهود و مواثيق علينا عاهدناكم بها فلاانقطع ذلك إلى يوم القيامة «إنّ لكم لما تحكمون» به لأنفسكم من الخير و الكرامة عند الله؟ و قيل: «بالغة» معناها: مؤكّدة. و كلّ شيء متناه في الجودة و الصحّة فهو بالغ.[٤]

«إلى يوم القيامة». متعلّق بالمقدّر في الظرف. أي: هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لانخرج عن عهدتها إلّا يومئذ إذا حكمنا لكم و أعطيناكم ما تحكمون. أو يتعلّق ببالغة، على أنّها تبلغ ذلكم اليوم و تنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم.[٥]

[٤٠] «سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ».

«سلهم» ـ يا محمّد ـ أيّهم كفيل لهم بأنّ لهم في الآخرة ما للمسلمين.[٦]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٩.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٢.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٩.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٩.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٣.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٩.

[٤١] «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ».

«شركاء» في العبادة مع الله و هي أصنام. فليأتوا بهؤلاء. «صادقين» في أنّها شركاء لله.(١)

«شركاء»: أي: ناس يشاركونهم في هذا القول و يذهبون مذهبهم فيه. فليأتوا [بهم] إن كانوا صادقين في دعواهم. يعني أنّ أحداً لا يسلّم لهم هذا و لا يساعدهم عليه، كما أنّه لا كتاب لهم ينطق به و لا عهد لهم به عند الله و لا زعيم لهم يقوم به.(٢)

[٤٢ ـ ٤٣] «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَ قَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ».

«يوم يكشف عن ساق»: أي: فليأتوا بهم ذلك اليوم الذي تظهر فيه الأهوال و الشدائد. و أصل هذا أنّ الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه يشمّر عن ساقه. فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدّة. «و يدعون إلى السجود»: أي: يقال لهم على وجه التوبيخ: اسجدوا. «فلا يستطيعون». و قيل: معناه أنّ شدّة الأمر و صعوبة ذلك اليوم تدعوهم إلى السجود و إن كانوا لا ينتفعون به، لا أنّهم يؤمرون به. و هذا كما يفزع الإنسان إلى السجود إذا أصابه هول من أهوال الدنيا. «خاشعة»: أي: ذليلة لا يرفعون نظرهم عن الأرض ذلّة و مهانة. «ترهقهم»: أي: تغشاهم ذلّة الندامة و الحسرة. «كانوا يدعون إلى السجود»: أي: كانوا يؤمرون بالصلاة في الدنيا فلم يفعلوا. و قيل: إنّها نزلت في الذين يتخلّفون عن الجماعات. و قيل: إنّه يؤذّن المؤذّنون يوم القيامة فيسجد المؤمن و تصلب ظهور المنافقين فتصير كالسفافيد.(٣)

«يكشف عن ساق». مثل في الشدّة و صعوبة الخطب. و أصله في الروع و الهزيمة. و أمّا من شبّه فلقلّة نظره في علم البيان، و الذي غرّه حديث ابن مسعود: يكشف الرحمن عن

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٣.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٩ ـ ٥١٠.

ساقه. فأمّا المؤمنون فيخرّون سجّداً. و أمّا المنافقون فيكون ظهورهم طبقاً طبقاً. و معناه: يشتدّ أمر الرحمن و يتفاقم هوله و هو الفزع الأكبر يوم القيامة. فإن قلت: لم يدعون إلى السجود و لا تكليف؟ قلت: لايدعون إليه تعبّداً و تكليفاً ولكن توبيخاً و تعنيفاً على تركهم السجود في الدنيا مع إعقام أصلابهم تحسيراً لهم و تنديماً على ما فرّطوا فيه حين دعوا إلى السجود في الدنيا و هم مستطيعون.[١]

«يكشف عن ساق»؛ أي: يكشف عن أصل الأمر و حقيقته بحيث يرى عياناً. مستعار من ساق الشجر و ساق الإنسان. و تنكيره للتهويل أو التعظيم. «يدعون إلى السجود» توبيخاً على تركهم السجود، إن كان اليوم يوم القيامة. أو يدعون إلى الصلاة لأوقاتها، إن كان وقت النزع.[٢]

«يكشف عن ساق». قال: حجاب من نور فيكشف فيقع المؤمنون سجّداً و تدمج أصلاب المنافقين فلايستطيعون السجود.[٣]

«يكشف عن ساق». قال: يكشف عن الأمور التي خفيت و ما غصبوا آل محمّد عليهم السلام [حقّهم]. «و يدعون إلى السجود». قال: يكشف لأميرالمؤمنين عليه السلام فتصير أعناقهم مثل قرون البقر فلايستطيعون أن يسجدوا. و هي عقوبة لهم لأنّهم لم يطيعوا الله في الدنيا أمره. و قوله: «كانوا يدعون إلى السجود» يعني إلى ولايته.[٤]

[٤٤] «فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ».

«فذرني». هذا تهديد. أي: كل أمرهم إليّ. كما يقول القائل: دعني و إيّاه. أي: خلّ بيني و بين من يكذّب بهذا القرآن و لاتشغل قلبك به. فإنّي أكفيك أمره. «سنستدرجهم»؛ أي: سنأخذهم إلى العقاب حالاً بعد حال. و عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه إذا أحدث العبد ذنباً جدّد له

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٣ ـ ٥٩٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١٨.

٣ـ عيون الأخبار ١ / ٩٨ ـ ٩٩، ح ١٤.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٣.

نعمة فيدع الاستغفار، فهو الاستدراج.(١)

«سنستدرجهم». يقال: استدرجه إلى كذا، إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتّى يورّطه فيه. و استدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحّة و النعمة فيجعلون نعمة الله ذريعة و متسلقاً إلى ازدياد الكفر و المعاصي. «من حيث لايعلمون»: من الجهة التي لايشعرون أنّه استدراج و هو الإنعام عليهم لأنّهم يحسبونه إيثاراً لهم و تفضيلاً على المؤمنين و هو سبب هلاكهم.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً، أتبعه بنقمة و يذكّره الاستغفار. و إذا أراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً، أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار و يتمادى به. و هو قوله: «سنستدرجهم» ـ الآية.(٣)

[٤٥] «وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ».

«و أملي»؛ أي: أطيل آجالهم و لاأبادر إلى عذابهم مبادرة من يخشى الفوت.(٤)

«إنّ كيدي». سمّى إحسانه و تمكينه كيداً ـ كما سمّاه استدراجاً ـ لكونه في صورة الكيد حيث كان سبباً للهلاك. و وصفه بالمتانة لقوّة أثر إحسانه في التسبّب للهلاك.(٥)

[٤٦] «أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ».

«أم تسألهم أجراً». خاطب النبيّ صلى الله عليه وآله فقال على وجه التوبيخ للكفّار: أم تسألهم أجراً؟ ذكر سبحانه جميع ما يحتجّ به فقال: أم تسأل يا محمّد هؤلاء الكفّار أجراً على أداء الرسالة و الدعاء إلى الله؟ «فهم من مغرم»؛ أي: غرامة «مثقلون»؛ أي: متحمّلون الأثقال.(٦)

«مغرم». المغرم: الغرامة. أي: لم تطلب منهم على التعليم أجراً فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبّطهم ذلك عن الإيمان.(٧)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٥.
٣ـ علل الشرائع / ٥٦١، ح ١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٠.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٥ ـ ٥٩٦.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١١ ـ ٥١٢.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٦.

[٤٧] «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ».

«عندهم الغيب»؛ أي: هل عندهم علم بصحّة ما يدّعونه اختصّوا به لايعلمه غيرهم فهم يكتبونه و يتوارثونه فينبغي أن يبرزوه.(١)

«الغيب»؛ أي: اللّوح. «فهم يكتبون» منه ما يحكمون به.(٢)

[٤٨] «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادىٰ وَ هُوَ مَكْظُومٌ».

«فاصبر لحكم ربّك» في إبلاغ الرسالة أو إمهالهم و تأخير نصرتك عليهم و ترك مقابلتهم بالقبيح. «كصاحب الحوت». يعني يونس. [أي:] لاتكن مثله في استعجاله عقاب قومه و إهلاكهم و لاتخرج من بين قومك قبل أن يأذن الله لك كما خرج هو. «إذ نادى و هو مكظوم»؛ أي: دعا ربّه في جوف الحوت وهو محبوس عن التصرّف في الأمور. و الذي نادى به قوله: «لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين».(٣) و قيل: « مكظوم»؛ أي: مختنق بالغمّ إذ لم يجد لغيظه شفاء.(٤)

«إذ نادى» في بطن الحوت. أي: لايوجد منك ما وجد منه من الضجرة و المغاضبة فتبتلى ببلائه.(٥)

[٤٩] «لَوْ لَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ».

«نعمة من ربّه»؛ أي: رحمة من ربّه بإجابة دعائه و تخليصه من بطن الحوت. «لنبذ بالعراء»؛ أي: طرح بالفضاء الخالي من الأشجار و هو ملوم قد أتى بما يلام عليه، ولكنّه تعالى تداركه بنعمة من عنده فطرح بالعراء و هو غير مذموم.(٦)

«نعمة من ربّه»؛ أي: أنعم عليه بالتوفيق للتوبة. و قد اعتمد في جواب لولا على الحال،

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٢.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٦.
٣ـ الأنبياء (٢١) / ٨٧.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٢.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٦.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٢.

أعني قوله: «و هو مذموم». يعني أنّ حاله كانت على خلاف الذمّ حين نبذ بـالعراء و لولا توبته لكانت حاله على الذمّ. روي أنّها نزلت بأحد حين حلّ برسول الله ﷺ ما حلّ بـه فأراد أن يدعو على الذين انهزموا.[۱]

[۵۰] «فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ».

«فاجتباه»؛ أي: اختاره فجعله من جملة المطيعين لله.[۲]

[۵۱] «وَ إِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ».

«و إن يكاد». إن هي المخفّفة من المثقّلة. أي: إنّه يكاد و يقارب «الذين كفروا ليزلقونك» و يهلكونك. و قيل: يصيبونك. و الإصابة بالعين هو المراد في الآية. و أنكره الجبّائيّ و قال: إنّ إصابة العين لاتصحّ. و أبطله الرمّانيّ بأنّه غير ممتنع أن يكون الله أجرى العادة بصحّة ذلك لضرب من المصلحة. و عليه إجماع المفسّرين. و في الخبر أنّ أسماء بنت عميس قالت لرسول الله: إنّ بني جعفر تصيبهم العين. فأسترقي لهم؟ قال: نعم. و لو كان شيء يسبق القدر، لسبقته العين. «بأبصارهم». قيل: إنّ الرجل منهم كان إذا أراد أن يصيب صاحبه بـالعين، تجوع ثلاثة أيّام ثمّ كان يصفه و يصرعه بذلك كأن يقول: ما أرى إبلاً مثل هذه الابل. فقالوا للنبيّ مثل ما كانوا يقولون لمّا أرادوا أن يصيبوه بالعين. و قيل: معناه: انّهم ينظرون إليك عند تلاوة القرآن و الدعاء إلى التوحيد نظر عداوة و بغض و إنكار لما يسمعونه فيكادون يصرعونك بحدّة نظرهم و يزيلونك عن موضعك. و هذا مستعمل في الكلام؛ يقولون: نظر فلان إليّ نظراً يكاد يأكلني فيه. «الذكر». يعني القرآن. أهل المدينه بفتح الياء: «لَيَزْلقونك».[۳]

۱ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٦.
۲ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥۱۲.
۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥۱۲ ـ ٥۱۳ و ٥۱۱.

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه لمّا انتهى إلى مسجد الغدير، نظر إلى ميسرة المسجد فقال: ذاك موضع عير رسول الله حيث قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. ثمّ نظر إلى الجانب الآخر فقال: ذاك موضع فسطاط فلان و فلان و سالم مولى [أبي] حذيفة و أبي‌عبيدة بن الجرّاح. فلمّا رأوه، قال بعضهم لبعض: انظروا إلى عينيه تدوران كأنّهما عينا مجنون. فنزل جبريل بقوله: «و إن يكاد» ـ الآية.(١)

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا أخذ رسول الله بيد عليّ عليه السلام يوم الغدير، صرخ إبليس في جنوده. فأتوه فقالوا: ما دهاك؟ فقال: فعل هذا النبيّ فعلاً إن تمّ لم يعص الله أبداً. فقالوا: يا سيّدهم، أنت كنت لآدم. فلمّا قال المنافقون: إنّه ينطق عن الهوى، و قال أحدهما لصاحبه: أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنّه مجنون ـ يعنون رسول الله ـ صرخ إبليس صرخة بطرب فجمع أولياءه فقال: أما علمتم أنّي كنت لآدم من قبل؟ قالوا: نعم. قال: إنّ آدم نقض العهد و لم يكفر بالرحمن. و هؤلاء نقضوا العهد و كفروا بالرسول صلى الله عليه وآله.(٢)

«لمجنون»: أي: مغلوب على عقله، مع علمهم بوقاره و نور عقله معاندة له.(٣)

[٥٢] «وَ مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ».

«و ما هو»: أي: القرآن «إلّا ذكر»: أي: شرف «للعالمين» إلى أن يقوم الساعة. و قيل: المراد أنّه يذكّرهم أمر آخرتهم. و قال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان: «و إن يكاد» ـ الآية.(٤)

١ـ الكافي ٤ / ٥٦٦ ـ ٥٦٧، ح ٢.

٢ـ الكافي ٨ / ٣٤٤، ح ٥٤٢.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٣.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٣.

٦٩.
سورة الحاقّة

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ الحاقّة، فإنّ قراءتها في الفرائض و النوافل من الايمان بالله و رسوله. لأنّها إنّما نزلت في عليّ عليه السلام و معاوية. و لم يسلب قارئها دينه حتّى يلقى الله.[١]

عنه صلى الله عليه وآله، من قرأها، حاسبه الله حساباً يسيراً.[٢]

و عن الباقر عليه السلام: أكثروا تلاوتها في الفرائض و النوافل. لأنّ ذلك من الإيمان بالله و رسوله. و لم يسلب قارئها دينه حتّى يموت.[٣]

الحاقّة: يحفظ الجنين تعليقاً من كلّ آفة. و إذا سقي الجنين منها ساعة وضعه، زكّاه و حفظ من الهوامّ و الشيطان.[٤]

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ».

«الحاقّة»: الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها، أو التي فيها حواقّ الأمور من الثواب و العقاب. و ارتفاعها على الابتداء و خبرها «ما الحاقّة». أي: الحاقّة ما هي؟ أي: أيّ شيء هي؟ تفخيماً لشأنها و تعظيماً لهولها. فوضع الظاهر موضع المضمر لأنّه أهول لها.[٥]

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٧، ح ١.

٢ـ المصباح / ٥٩٥.

٣ـ المصباح / ٥٩٥، عن الصادق عليه السلام.

٤ـ المصباح / ٦١٢.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٨.

[٣] «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ».

«و ما أدراك»: أي: أيّ شيء أعلمك ما الحاقّة؟ يعني أنّه لا علم لك بكنهها و مدى عظمها.[١]

[٤] «كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادٌ بِالْقَارِعَةِ».

«بالقارعة». و هي التي تقرع الناس بالأفزاع و الأهوال و السماء بالانشقاق.[٢]

[٥] «فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ».

ذكر من كذّب بها و ما حلّ بهم بسبب التكذيب، تخويفاً لأهل مكّة عن عاقبة تكذيبها. «بالطاغية»: بالواقعة المجاوزة للحدّ في الشدّة. قيل: هي الرجفة. و عن ابن‌عبّاس: الصاعقة. و قيل: بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم. و قيل: الطاغية مصدر كالعافية. أي: بطغيانهم. و ليس بذلك لعدم الطباق بينها و بين قوله: «بريح صرصر».[٣]

[٦] «وَ أَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ».

و الصرصر: الشديدة الصوت لها صرصرة. و قيل: الباردة. من الصرّ. كأنّها التي كرّر فيها البرد و كثر فهي تحرق لشدّة بردها. «عاتية»: شديدة العصف و العتوّ. استعارة. أو عتت على عاد فما قدروا على ردّها بحيلة من استتار ببناء أو اختفاء في حفرة فإنّها كانت تنزعهم من مكانهم و تهلكهم. و قيل: عتت على خزّانها فخرجت بلا كيل و لا وزن. و عنه صلى الله عليه و آله: انّ الماء و الريح لايخرج إلّا بمكيال إلّا يوم عاد و يوم نوح فإنّه عتى عن الخزّان. ثمّ قرأ: «لمّا طغى الماء» ـ الآية[٤] ـ و قرأ: «بريح صرصر عاتية».[٥]

عن أبي جعفر عليه السلام: و أمّا الريح العقيم، فإنّها ريح عذاب لاتلقح شيئاً من الأرحام و

١ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٨.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٨ ـ ٥٩٩.
٤ـ الحاقّة (٦٩) / ١١.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٩.

النبات. و هي تخرج من تحت الأرضين السبع. و ما خرجت منها ريح قطّ إلّا على قوم عاد حين غضب الله عليهم فأمر الخزّان أن يخرجوا منها على مقدار سعة الخاتم، فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد فضجّ الخزّان إلى الله و قالوا: عتت علينا و نخاف أن تهلك من لم يعصك. فبعث الله إليها جبرئيل فردّها بجناحه إلى موضعها فخرجت على ما أمرت فأهلكت [قوم] عاد و من بحضرتهم.(١)

[٧] «سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ».

«حسوماً». إمّا أن يكون جمع حاسم كقعود أو مصدراً كشكور. فإن كان جمعاً فمعنى حسوماً: نحسات حسمت كلّ خير و استأصلت كلّ بركة، أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتّى أتت عليهم. و إن كان مصدراً، فإمّا أن ينتصب بفعله مضمراً، أي: تحسم حسوماً بمعنى تستأصل استئصالاً، أو يكون صفة كقولك: ذات حسوم، أو يكون مفعولاً له، أي: سخّرها عليهم للاستئصال. و قيل: هي أيّام العجوز. و ذلك أنّ عجوزاً من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها. و قيل: هي أيّام العجز و هي آخر الشتاء. و معنى سخّرها عليهم: سلّطها [عليهم كما شاء. «فيها»:] في اللّيالي و الأيّام.(٢)

«سبع ليال». قال: كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال و ثمانية أيّام حتى هلكوا.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الأربعاء يوم نحس مستمرّ لأنّه أوّل يوم و آخر يوم من الأيّام التي قال الله: «سخّرها» ـ الآية.(٤)

[٨] «فَهَلْ تَرىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ».

١ـ الكافي ٨ / ٩٢ ـ ٩٣، ح ٦٤.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٥٩٩ ـ ٦٠٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٣.
٤ـ علل الشرائع / ٣٨١، ح ٢.

«باقية»؛ أي: بقيّة. أو: من نفس باقية. أو: بقاء، كالطاغية بمعنى الطغيان.[١]

[٩] «وَ جَاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ».

أهل البصرة و الكسائيّ: «و من قبله» بكسر القاف و فتح الباء و اللّام.[٢]

«من قَبْله»؛ أي: من تقدّمه. و قرئ: «و من قِبَله». فمعناه: من عنده و تابعه. «و المؤتفكات»: قرى قوم لوط. «بالخاطئة»: بالخطأ. أو: بالفعلة الخاطئة.[٣]

«و المؤتفكات»: البصرة. و «الخاطئة»: فلانة.[٤]

عن الباقر عليه السلام: «و جاء فرعون». يعني الثالث. «من قبله». يعني الأوّلين. «و المؤتفكات»: أهل البصرة. «بالخاطئة»: عائشة.[٥]

[١٠] «فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً».

«رابية»: شديدة زائدة كما زادت قبائحهم في القبح. يقال: ربا الشيء، إذا زاد.[٦]

«رابية». و هي التي أربت على ما صنعوا.[٧]

[١١] «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ».

«حملناكم»: حملنا آباءكم. «في الجارية»: سفينة نوح. لأنّهم إذا كانوا من نسل المحمولين الناجين، كان حمل آبائهم منّة عليهم و كأنّهم هم المحمولون، لأنّ نجاتهم سبب ولادتهم.[٨]

و قوله: «حملناكم في الجارية» يعني أميرالمؤمنين عليه السلام و أصحابه.[٩]

[١٢] «لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ».

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٠.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٥.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٠.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٤.
٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٧١٤، ح ١.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٠.
٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٥.
٨ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٠.
٩ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٤.

«لنجعلها». الضمير للفعلة و هي نجاة المؤمنين و إغراق الكافرين. «تذكرة»: عظة و عبرة.(١)

عنهعَلَيْهِ‌السَّلَامُ أنّه قال لعليّعَلَيْهِ‌السَّلَامُ عند نزول هذه الآية: سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ. فما نسيت شيئاً بعد و ما كان لي أن أنسى.(٢)

ابن‌كثير: «وتعيها» بسكون العين مختلسا و هو بين الكسر و السكون.(٣)

[١٣] «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ».

«نفخ في الصور» ـ الآية. يظهر من إرشاد المفيد برواية عنهعَلَيْهِ‌السَّلَامُ أنّها النفخة الثانية.(٤)

[١٤] «وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً».

«حملت»؛ أي: رفعت من أماكنها. «فدكّتا»؛ أي: كسرتا كسرة واحدة لاتثنى حتّى يستوي ما عليها من شيء مثل الأديم الممدود.(٥) (حسن)

[١٥] «فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ».

«وقعت الواقعة»؛ أي: قامت القيامة.(٦) (حسن)

[١٦] «وَ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ».

«و انشقّت السماء»؛ أي: انفرجت بعضها من بعض. «فهي يومئذ واهية»؛ أي: شديدة الضعف بانتقاض أبنيتها. و قيل: هو أنّ السماء ينشقّ بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف في الوهي و الضعف.(٧) (حسن)

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٠.
٢ـ جوامع الجامع / ٥٠٦ ـ ٥٠٧.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٨.
٤ـ الإرشاد / ٧٣.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٠.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٠.
٧ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٠.

[١٧] «وَ الْمَلَكُ عَلىٰ أَرْجَائِهَا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ».

«و الملك على أرجائها»؛ أي: الخلق الذي يقال له الملك. و قوله: «و الملك» أعمّ من الملائكة. لأنّ قولك: ما من ملك إلّا و هو شاهد، أعمّ من قولك: ما من ملائكة. «أرجائها»؛ أي: أطرافها. يعني أنّها تنشقّ و هي مسكن الملائكة فينضوون إلى أطرافها. «ثمانية»؛ أي: ثمانية منهم. و هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة، أيّدهم بأربعة أخرى.(١)

قال: حملة العرش ثمانية؛ أربعة من الأوّلين و أربعة من الآخرين. فأمّا الأربعة من الأوّلين فنوح و إبراهيم و موسى و عيسى. و أمّا الآخرين فمحمّد و عليّ و الحسن و الحسين عليهم السلام. يحملون العرش يعني العلم.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: حملة العرش ـ و العرش العلم ـ ثمانية؛ أربعة منّا، و أربعة ممّن شاء الله.(٣)

أقول: لا منافاة بين الأخبار، بل ينبغي أن يقال: إنّ العرش بمعنى العلم يحمله هؤلاء الثمانية صلوات الله عليهم. و العرش بمعنى الجسم المحيط بالسموات، تحمله الملائكة الثمانية. فإنّ العرش على ما ورد في الأخبار له معان كثيرة.

قال الشيخ: اعتقادنا في العرش أنّه جملة جميع الخلق. و العرش في وجه آخر هو العلم. و سئل الصادق عليه السلام عن قول الله: «الرحمن على العرش استوى»(٤) فقال عليه السلام: استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء. فأمّا العرش الذي هو جملة جميع الخلق، فحملته ثمانية من الملائكة لكلّ واحد منهم ثمانية أعين كلّ عين طباق الدنيا. واحد منهم على صورة بني آدم يسترزق الله لولد آدم. و واحد منهم على صورة الثور يسترزق الله للبهائم. و واحد منهم على صورة الأسد يسترزق الله للسباع. و واحد منهم على صورة الديك يسترزق الله للطيور. فهم اليوم هؤلاء الأربعة. فإذا كان يوم القيامة، صاروا ثمانية. و أمّا العرش الذي هو

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٠١ ـ ٦٠٢.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٤.
٣ـ الكافي ١ / ١٣٢، ح ٦.
٤ـ طه (٢٠) / ٥.

العلم فحملته أربعة من الأوّلين و أربعة من الآخرين: إبراهيم و موسى و نوح و عيسى و محمّد و عليّ و الحسن و الحسين عليهم السلام.[١] (م ح)

[١٨] «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ».

«لاتخفى». حمزة و الكسائيّ: «لايخفى» بالياء. و الباقون: «تخفى» بالتاء.[٢]

«تعرضون». العرض عبارة عن المحاسبة و المساءلة. شبّه ذلك لعرض السلطان العسكر لتعرّف أحواله. «خافية»: سريرة و حالة كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم.[٣]

[١٩] «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ».

«هاؤم»؛ أي: تعالوا. يقوله مسروراً لعلمه بأنّه ليس فيه إلّا الطاعات.[٤]

و الهاء في «كتابيه» للسكت. و كذلك في «حسابيه» و «ماليه» و «سلطانيه». و حقّ هذه الهاءات أن تثبت في الوقف و تسقط في الوصل. و قد استحبّ إيثار الوقف إيثاراً لثباتها في المصحف. و قيل: لا بأس بالوصل و الإسقاط.[٥]

[٢٠] «إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ».

«ظننت»؛ أي: علمت و أيقنت في الدنيا «أنّي ملاق حسابيه» فكنت أعمل بما أصل به إلى هذه المثوبة. و الهاء لنظم رؤوس الآي و هي هاء الاستراحة.[٦]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: الظنّ ظنّان: ظنّ شكّ، و ظنّ يقين. فما كان من أمر المعاد من الظنّ، فهو يقين. و ما كان من أمر الدنيا، فهو ظنّ شكّ.[٧]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنّي ظننت»؛ أي: تيقّنت.[٨]

١ـ بحارالأنوار ٥٥ / ٧.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٨.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٢.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥١٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٢ ـ ٦٠٣.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٠.
٧ـ التوحيد / ٢٦٧، ح ٥.
٨ـ الاحتجاج / ٢٤٤.

قال الصادق عليه السلام: كلّ أمّة يحاسبها إمام زمانها. و يعرف الأئمّة أولياءهم و أعداءهم بسيماهم. و هو قوله: «و على الأعراف رجال».[۱] و هم الأئمّة؛ يعرفون كلّاً بسيماهم فيعطوا أولياءهم كتابهم بيمينهم فيمرّوا إلى الجنّة بلا حساب و يعطوا أعداءهم كتابهم بشمالهم فيمرّوا إلى النار بلا حساب. فإذا نظر أولياؤهم في كتابهم يقولون لإخوانهم: «هاؤم اقرؤوا كتابيه».[۲]

[۲۱] «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ».

«راضية»؛ أي: حالة من العيش يرضاها.[۳]

«راضية»: منسوبة إلى الرضا. كالدارع و النابل. و النسبة نسبتان؛ نسبة بالحرف و نسبة بالصيغة. أو جعل الفعل لها مجازاً و هو لصاحبها.[٤]

«فهو في عيشة راضية»؛ أي: مرضيّة. فوضع الفاعل مكان المفعول.[٥]

[۲۲] «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ».

«عالية»: رفيعة القدر و المكان.[٦]

«عالية»: رفيعة المباني و القصور و الأشجار.[۷]

[۲۳] «قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ».

«قطوفها»؛ أي: ثمارها. «دانية»؛ أي: قريبة ممّن يتناولها. عنه صلى الله عليه و آله: لا يدخل أحد الجنّة إلّا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله لفلان بن فلان. أدخلوه جنّة عالية قطوفها دانية.[۸]

۱ـ الأعراف (۷) / ٤٦.
۲ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۳۸٤.
۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ۵۲۰.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦۰۳.
۵ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۳۸٤.
٦ـ مجمع البيان ۱۰ / ۵۲۱.
۷ـ الكشّاف ٤ / ٦۰۳.
۸ـ مجمع البيان ۱۰ / ۵۲۱.

[٢٤] «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ».

«كلوا و اشربوا»؛ أي: يقال لهم: كلوا و اشربوا بما قدّمتم من أعمالكم الصالحة. «في الأيّام الخالية»؛ أي: الماضية. يعني أيّام الدنيا. و يعني بقوله: «هنيئاً» أنّه ليس فيه ما يؤذي من إخراج بول و لا غائط.(١)

«هنيئاً»؛ أي: أكلاً هنيئاً. [أو: هنئتم هنيئاً] على المصدر. «في الأيّام الخالية»: أيّام الدنيا. قيل: أيّام الصيام. أي: كلوا و اشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل و الشرب لوجه الله.(٢)

سأل يهوديّ النبيّ صلى الله عليه و آله عن أوّل ما يأكله أهل الجنّة إذا دخلوها، قال: كبد الحوت. و شرابهم على أثر ذلك السلسبيل.(٣)

[٢٥ ـ ٢٦] «وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَ لَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ».

«كتابه بشماله». هذا حال أهل النار. و كتابه هو صحيفة أعماله. فيتمنّى أنّه لم يعط ذلك الكتاب لما يرى فيه من قبائح الأعمال التي يسودّ وجهه. «و لم أدر» أيّ شيء حسابي. لأنّه لا حاصل له في ذلك الكتاب و الحساب.(٤)

«و أمّا من أوتي كتابه بشماله». قال: نزلت في معاوية.(٥)

[٢٧] «يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ».

«يا ليتها». أي الحالة التي هم فيها.(٦) و قيل: كناية عن الموتة الأولى، و «القاضية» القاطعة للحياة. أي: ليت الموتة الأولى التي متنا لم نحي بعدها. يتمنّى دوام الموت و أنّه لم يبعث للحساب.(٧)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢١.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٣.

٣ـ علل الشرائع / ٩٦، ح ٥.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٢.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٤.

٦ـ المصدر: الهاء في «ليتها» كناية عن الحال التي هم فيها.

٧ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٢.

[الضمير في «ليتها» للموتة. أي: يا ليت الموتة التي متّها «كـانت] القـاضية»؛ أي: القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها و لم ألق ما ألق. أو للحالة. أي: ليت هذه الحالة [كـانت] الموتة التي قضت عليّ. لأنّه يرى تلك الحالة أبشع و أمرّ ممّا ذاقه من مرارة الموت فتمنّاه عندها.[١]

«يا ليتها كانت القاضية». يعني الموت.[٢]

[٢٨] «مَا أَغْنىٰ عَنِّي مَالِيَهْ».

«ما أغنى عنّي»؛ أي: ما دفع عنّي مالي من عذاب الله شيئاً.[٣]

«ما أغنى عنّي». نفي أو استفهام على وجه الإنكار.[٤]

«ماليه». يعني ماله الذي جمعه.[٥]

[٢٩] «هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ».

«سلطانيه»؛ أي: حجّتي. يعني: ضلّ عنّي ما كنت أعتقده حجّة. و قيل: معناه: هلك عنّي تسلّطي و أمري و نهيي في الدنيا على ما كنت مسلّطاً عليه فلا أمر لي و لا نهي.[٦]

عن ابن‌عبّاس: نزلت في أسود بن عبدالأسد.[٧]

[٣٠] «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ».

«خذوه فغلّوه»؛ أي: يقول الله للملائكة: أوثقوه بالغلّ. و هو أن تشدّ إحدى يـديه و رجليه إلى عنقه بجامعة.[٨]

[٣١] «ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ».

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٣ ـ ٦٠٤.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٤.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٢.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٤.

٥ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٣٨٤.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٢.

٧ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٤. و فيه: عبدالأشد.

٨ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٢.

«ثمّ الجحيم صلّوه». ثمّ أدخلوه النار العظيمة و أصلوه إيّاها.[١]

[٣٢] «ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ».

«ذرعها»؛ أي: طولها. «فاسلكوه»؛ أي: اجعلوه فيها. لأنّه يدخل عنقه فيها ثمّ يجرّ بها. و قيل: إنّها تدخل في فيه و تخرج من دبره. فيكون المعنى: ثمّ اسلكوا السلسلة فيه، فقلب. قيل: كلّ ذراع سبعون باعاً. و الباع أبعد ممّا بين الكوفة إلى مكّة. و لو أنّ حلقة منها وضعت على جبل، لذاب من حرّها.[٢]

«سبعون ذراعاً». جعلها سبعين ذراعاً إرادة الوصف بالطول. كما قال: «إن تستغفر لهم سبعين مرّة».[٣] يريد مرّات كثيرة. و معنى «ثمّ» تفاوت المراتب لا تراخي الزمان.[٤]

«في سلسلة». قال: يعني بالسلسلة السبعين ذراعاً في الباطن الجبابرة السبعون.[٥]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بينا [أنا] و أبي متوجّهان إلى مكّة و أبي قد تقدّمني ـ في موضع يقال له ضجنان ـ إذ جاء رجل في عنقه سلسلة يجرّها فقال لي: اسقني. فصاح بي أبي: لا تسقه. لا سقاه الله! و كان معه رجل فجذبه و طرحه في أسفل درك من النار.[٦] و كان ذلك المغلول معاوية لعنه الله.

[٣٣] «إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ».

«بالله العظيم» شأنه؛ أي: لم يكن يوحّد الله في دار التكليف.[٧]

[٣٤] «وَ لَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ».

«و لا يحضّ على طعام المسكين». يعني كان يمنع الزكاة و الحقوق الواجبة.[٨]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٢ ـ ٥٢٣.
٣ـ التوبة (٩) / ٨٠.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٥.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٤.
٦ـ بصائر الدرجات / ٣٠٥، ح ٢.
٧ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٣.
٨ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٣.

«و لا يحضّ على طعام المسكين». قال: حقوق آل محمّد عليهم السلام التي غصبوها.[١]

و في قوله: «و لا يحضّ» دليلان قويّان على عظم جرم حرمان المسكين: أحدهما عطفه على الكفّار. و الثاني ذكر الحضّ دون الفعل.[٢]

[٣٥ ـ ٣٦] «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَ لَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ».

«حميم»؛ أي: صديق ينفعه. «غسلين». و هو صديد أهل النار. و قيل: إنّ أهل النار طبقات. فمنهم من طعامه الغسلين. و منهم من طعامه الزقّوم. و منهم من طعامه الضريع. و يجوز أن يكون المراد: و ليس لهم طعام إلّا من ضريع و لا شراب إلّا من غسلين. كقول الشاعر: «علّفتها تبناً و ماء بارداً»؛ أي: و سقيتها ماء بارداً.[٣]

«من غسلين». قال: عرق الكفّار.[٤]

و الغسلين: غسالة أهل النار و ما يسيل من أبدانهم من الصديد و الدم. فعلين من الغسل.[٥]

[٣٧] «لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُنَ».

«لا يأكله» ؛ أي: لا يأكل هذا الغسلين «إلّا الخاطئون». و هم الجائرون عن الحقّ عامدين. و الفرق بين الخاطئ و المخطئ أنّ المخطئ قد يكون من غير تعمّد و الخاطئ المذنب المتعمّد.[٦]

و الخاطئون: الآثمون أصحاب الخطايا. و هم المشركون. [عن ابن عبّاس]. و يجوز أن يراد الذين يتخطّون الحقّ إلى الباطل.[٧]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٤.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٥.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٤.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٦.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٣.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٦.

[٣٨ ـ ٤٠] «فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَ مَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ».

«فلا أقسم بما تبصرون» ـ الآية. قيل فيه وجوه: أحدها: أن يكون قوله: «لا» ردّاً لكلام المشركين. فكأنّه قيل: ليس الأمر كما يقول المشركون. أقسم بالأشياء كلّها ما يبصرون منها و ما لايبصرون ـ و يدخل فيها جميع المكوّنات ـ «إنّه لقول رسول كريم». يعني محمّداًﷺ. و ثانيها: انّ لا مزيدة مؤكّدة. أي: فأقسم بما ترون و ما لاترون إنّه لقول رسول كريم. و ثالثها: انّه نفي للقسم. أي: لايحتاج إلى القسم لوضوح الأمر أنّه قول رسول كريم. فإنّه أظهر من أن يحتاج إلى قسم في إثباته. و رابعها: انّه كقول القائل: [لا] و الله لا أفعل ذلك. و لا و الله لأفعلنّ ذلك. و قال الجبّائيّ: إنّما يراد أنّه لايقسم بالأشياء المخلوقات ما يرى و ما لايرى و إنّما يقسم بربّها. لأنّ القسم لايجوز إلّا بالله. «إنّه لقول رسول كريم» [قال:] و هو قول الله على الحقيقة، ولكن [الملك و] جبرئيل و الرسول يحكون ذلك فلذلك أسنده إليهم. و الرسول الكريم جبرئيل. و الكريم: الجامع لخصال الخير.(١)

[٤١ ـ ٤٢] «وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ».

«بقول شاعر». قول الشاعر ما ألّفه بوزن و جعله مقفًّى. و قول الكاهن السجع. طهّره الله من الشعر و الكهانة لأنّ الغالب من حال الشعر أن يدعو إلى الهوى. «قليلاً ما تؤمنون»؛ أي: لاتصدّقون بأنّ القرآن من عند الله. و يريد بالقليل نفي إيمانهم أصلاً. أي لايؤمنون به و لايتذكّرون فيعلموا أنّه إعجاز و يفصّلوا بين الشعر و الكهانة و بينه. «قليلاً» في الموضعين صفة لمصدر محذوف. و «ما» مزيدة. أي: إيماناً و تذكّراً قليلاً. و يجوز أن يكون صفة لظرف محذوف. أي: وقتاً قليلاً. ابن‌كثير و يعقوب: «يؤمنون» و «يذّكّرون» بالياء. و الباقون بالتاء خطاباً للكفّار.(٢)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٥.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٥ و ٥٢٤.

[٤٣] «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«من ربّ العالمين». بيّن أنّه منزّل من عنده على لسان جبرئيل حتّى لايتوهّم أنّه كلام جبرئيل.[١]

[٤٤ ـ ٤٥] «وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام فأظهر ولايته، قالا جميعاً: و الله ما هذا من تلقاء الله. و إنّما هو من نفسه. أراد أن يشرّف به ابن عمّه. فأنزل الله: «و لو تقوّل» ـ الآية. «مكذّبين». يعني فلاناً و فلاناً.[٢]

«و لو تقوّل علينا» محمّد؛ أي: لو تكلّف القول و أتى به من عند نفسه. «لأخذنا منه باليمين» على وجه الإذلال. أو: لقطعنا يده اليمنى، فتكون الباء زائدة. أو: لأخذنا منه بالقوّة و القدرة. أي: لأخذناه و نحن قادرون عليه مالكون له. و [إنّما أقام][٣] اليمين مقام القوّة و القدرة، لأنّ قوّة كلّ شيء في ميامنه.[٤]

«لأخذنا منه باليمين»؛ أي: لو ادّعى علينا شيئاً لم نقله، لقتلناه صبراً كما يفعل الملوك بمن يكذب عليهم معاجلة بالسخط و الانتقام. فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول؛ و هو أن يؤخذ بيده و تضرب عنقه. و خصّ اليمين عن اليسار، لأنّ القتّال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره و إذا أراد أن يوقعه في جيده و أن يكفحه بالسيف ـ و هو أشدّ على المصبور لنظره إلى [السيف] ـ أخذ بيمينه. و معنى «لأخذنا منه باليمين»: لأخذنا يمينه، كما أنّ قوله: «لقطعنا منه الوتين»: لقطعنا وتينه.[٥]

[٤٦] ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٥.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٦٩، ح ٦٤.
٣ـ في النسخة: «قال الزجّاج لأخذنا منه» بدل ما بين المعقوفتين.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٥ ـ ٥٢٦.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٧.

«الوتين»؛ أي: ولكنّا نقطع وتينه ونهلكه. و هو عرق في القلب متّصل بالظهر و منه حبل القلب.[١]

الوتين: عرق في الظهر يكون منه الولد.[٢]

[٤٧] «فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ».

«حاجزين»؛ أي: فما منكم أحد يحجزنا عنه. يعني أنّه لو تكلّف الكذب لأجلكم، لعاقبناه ثمّ لم تقدروا على دفع عقوبتنا عنه.[٣]

و قيل: «حاجزين» في وصف «أحد». لأنّه في معنى الجماعة و هو اسم يقع في النفي العامّ مستوياً فيه الواحد و الجمع و المذكّر و المؤنّث. ومنه قوله: «و لانفرّق بين أحد من رسله».[٤] الضمير في «عنه» للقتل أو للرسول ﷺ.[٥]

[٤٨] «وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ».

«و إنّه لتذكرة»؛ أي: القرآن عظة لمن اتّقى عقاب الله.[٦]

[٤٩] «وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ».

«منكم مكذّبين» أي بالقرآن، و بعضكم يصدّقه.[٧]

[٥٠] «وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ».

[٥١] «وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ».

«و إنّه لحقّ اليقين». و الحقّ هو اليقين، و إنّما أضافه إلى نفسه ـ كما يقال مسجد الجامع ـ

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٦.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٤.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٦.

٤ـ البقرة (٢) / ٢٨٥.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٦.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٦.

٧ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٦.

لاختلاف اللّفظ.[١]

[٥٢] «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ».

«فسبّح باسم ربّك»؛ أي: نزّهه عمّا لايجوز عليه من الصفات.[٢]

عن الكاظمعليه السلام: «إنّه لقول رسول كريم» يعني جبرئيل عن ألله في ولاية عليّعليه السلام. «و ما هو بقول شاعر». قالوا: إنّ محمّداً كذب على ربّه و ما أمره الله بهذا في عليّ. فقال: إنّ ولاية عليّ «تنزيل من ربّ العالمين». و إنّ ولاية عليّ «تذكرة للمتّقين». و إنّ عليّاً «لحسرة على الكافرين». و إنّ ولايته «لحقّ اليقين». «فسبّح باسم ربّك العظيم»؛ أي: اشكر ربّك العظيم الذي أعطاك هذا الفضل.[٣]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٦.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٢٦.
٣ـ الكافي ١ / ٤٣٣، ح ٩١.

۷۰.
سورة المعارج

عن أبي عبدالله عليه السلام: من أكثر من قراءة سأل سائل، لم يسأله الله يوم القيامة عن ذنب عمله و أسكنه الجنّة مع محمّد صلى الله عليه و آله.[۱]

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، أعطي ثواب الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون و الذين هم على صلاتهم يحافظون.[۲]

المعارج: من قرأها، أمن من الاحتلام و الأحلام المفزعة و حفظ إلى أن يصبح.[۳]

[۱] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ».

عن الصادق عليه السلام: لمّا نصب رسول الله صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام يوم غدير [خمّ] طار ذلك في البلاد. فقدم النعمان بن الحارث على النبيّ فقال: أمرتنا بالشهادة و الرسالة و الحجّ و الجهاد ففعلنا. ثمّ لم ترض حتّى نصبت هذا الغلام فقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه! فهذا شيء منك أو من الله؟ فقال: من الله. فولّى النعمان و هو يقول: «اللّهمّ إن كان هذا» ـ الآية.[٤] فلمّا خرج من المدينة، رماه الله بحجر على رأسه فقتله. فأنزل الله: «سأل سائل». أهل المدينة: «سال» بغير همز. «بعذاب». الباء تتعلّق بسأل. لأنّ معناه: دعا داع بعذاب. و قيل: الباء بمعنى عن. و هذا هو النضر بن الحارث دعا على نفسه بعذاب واقع مستعجلاً له. و من قرأ بالألف من سال يسيل، فهو على لغة قريش و معناه معنى المهموز. و قيل: سائل اسم واد في جهنّم سمّى به

۱ـ ثواب الأعمال / ۱٤۷، ح ۱.
۲ـ المصباح / ٥۹٥.
۳ـ المصباح / ٦۱۲.
٤ـ الأنفال (۸) / ۳۲.

لأنّه يسيل بالعذاب.[۱]

[۲ ـ ۳] «لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ».

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين» بولاية أميرالمؤمنين. هكذا نزل بها جبرئيل ـ و الله ـ على محمّد.[۲]

«ليس له دافع * من الله ذي المعارج»؛ أي: ليس له دافع من الله بل وقوعه واجب لاقتضاء الحكمة. [و ذي المعارج صفة الله سبحانه. و قيل: فيه وجوه. أحدها... . و ثانيها أنّها معارج السماء، أي مواضع][۳] عروج الملائكة. و منه ليلة المعراج لأنّه عرج بالنبيّ صلى الله عليه و آله إلى السماء.[٤]

«ذي المعارج»: ذي المصاعد، و هي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيّب و العمل الصالح أو يترقّى فيها المؤمنون في سلوكهم أو في دار ثوابهم.[٥]

[٤] «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

«تعرج». الكسائيّ: «يعرج» بالياء. و الروح هو جبرئيل. خصّه بالذكر تشريفاً له. «إليه»؛ أي: إلى الموضع الذي لايجري لأحد سواه فيه حكم. جعل الله عروجهم إلى ذلك الموضع عروجاً إليه. «خمسين ألف سنة». اختلف في معناه. فقيل: تعرج الملائكة إلى الموضع الذي يأمرهم الله في يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين ألف سنة. و ذلك من أسفل الأرضين إلى فوق السموات السبع. و المراد أنّ الآدميّين لو احتاجوا إلى [قطع] هذا المقدار الذي قطعته الملائكة في يوم واحد، لقطعوه في هذه المدّة. و قيل: إنّه يعني يوم القيامة و أنّه يفعل فيه [من] الأمور و يقضي [فيه] من الأحكام بين العباد ما لو فعل في الدنيا، لكان

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥۳۰ و ٥۲۸ ـ ٥۲۹. ۲ـ الكافي ۱ / ٤۲۲، ح ٤٧.

۳ـ في النسخة: «أو معارج السماء موضع» بدل ما بين المعقوفتين.

٤ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥۳۰. ٥ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٥۲٥.

مقداره خمسين ألف سنة. روى أبوسعيد الخدريّ قال: قيل: يا رسول الله، ما أطول هذا اليوم! فقال: و الذي نفس محمّد بيده، إنّه ليخفّ على المؤمن حتّى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا. و روي عن أبي عبدالله عليه السلام: لو ولي الحساب غير الله، لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أن يفرغوا. و الله يفرغ من ذلك في ساعة. و عنه عليه السلام: لاينتصف ذلك اليوم حتّى يقبل أهل الجنّة الجنّة و أهل النار النار. و قيل: معناه: انّ أوّل نزول الملائكة في الدنيا بأمره و نهيه إلى آخر خروجهم إلى السماء ـ و هو القيامة ـ هذه المدّة. فيكون مقدار الدنيا خمسين ألف سنة لايدرون كم مضى و كم بقي و إنّما يعلمها الله.(١)

«تعرج الملائكة و الروح إليه» في صبح ليلة القدر من عند النبيّ و الوصيّ عليهما السلام.(٢)

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ النبيّ عرج به في ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف عام في أقلّ من ثلث ليلة حتّى انتهى إلى ساق العرش.(٣)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ للقيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مقدار ألف سنة. ثمّ تلا: «في يوم كان مقداره» ـ الآية.(٤)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: لو ولي الحساب ـ(٥) و قد مرّ من مجمع البيان آنفاً.

«تعرج». استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج و بعد مداها على التمثيل و التخييل. و المعنى أنّها [بحيث] لو قدّر قطعها في زمان لكان في زمان [يقدّر] خمسين ألف سنة من سني الدنيا. و قيل: معناه: تعرج الملائكة و الروح إلى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة من حيث إنّهم يقطعون فيه ما يقطعه الإنسان فيها لو فرض. لأنّ ما بين أسفل العالم و أعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة. لأنّ ما بين مركز الأرض و معقّر سماء الدنيا ـ على ما قيل ـ مسيرة خمسمائة عام و ثخن كلّ واحد من السموات السبع و العرش و الكرسيّ كذلك. و حيث قال: «في يوم كان مقداره ألف سنة»(٦) يريد به زمان عروجهم من

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٠ ـ ٥٣١.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٦.
٣ـ الاحتجاج / ٢٢٠.
٤ـ الكافي ٨ / ١٤٣، ح ١٠٨.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣١.
٦ـ السجدة (٣٢) / ٥.

الأرض إلى محدّب سماء الدنيا. و قيل: «في يوم» متعلّق بواقع أو سأل إذا جعل من السيلان. و المراد به يوم القيامة و استطالته إمّا لشدّته على الكفّار، أو لكثرة ما فيه من الحالات و المحاسبات، أو لأنّه على الحقيقة كذلك. قيل: فيه خمسون موطناً كلّ موطن ألف سنة. و ما قدر ذلك على المؤمن إلّا كما بين الظهر و العصر.(١)

[٥] « فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ».

«فاصبر صبراً جميلاً». متعلّق بسأل سائل. لأنّ استعجال النضر بالعذاب إنّما كان على وجه الاستهزاء برسول الله و كان ذلك ممّا يضجر منه رسول الله، فأمر بالصبر عليه. و من قرأ: «سال سائل» فمعناه: جاء العذاب لقرب وقوعه. فاصبر؛ فقد شارفت الانتقام.(٢)

«فاصبر صبراً جميلاً» لتكذيب من كذّب أنّ ذلك يكون.(٣)

[٦ ـ ٧] «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَ نَرَاهُ قَرِيباً».

و الضمير في «يرونه» للعذاب الواقع أو ليوم القيامة فيمن علّق «في يوم» بواقع. أي: يستبعدونه على جهة الإحالة و نحن نراه قريباً هيّناً في قدرتنا. فالمراد من البعيد البعيد من الإمكان و بالقريب [القريب] منه.(٤)

[٨] «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ».

«يوم تكون». منصوب بقريباً. أي يمكن و لايتعذّر في ذلك اليوم. «كالمهل»: كدرديّ الزيت أو الفضّة المذابة في تلوّنها.(٥)

«كالمهل». قال: الرصاص الذائب و النحاس. كذلك تذوب السماء.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٥ ـ ٥٢٦، و الكشّاف ٤ / ٦٠٩.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٩.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٦.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٩.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٩.

٦ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٣٨٦.

[٩] «وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ».

«كالعهن»: كالصوف المصبوغ ألواناً. لأنّ الجبال جدد بيض و حمر مختلفاً ألوانها و غرابيب سود، فإذا طيّرت في الجوّ، أشبهت العهن المنفوش إذا طيّرته الريح.(١)

[١٠] «وَ لَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً».

«و لايسأل حميم حميماً»؛ أي: لايسأله بكيف حالك و لايكلّمه. لأنّ بكلّ واحد ما يشغله عن المسَاءلة.(٢)

[١١ ـ ١٤] «يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَ صَاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ * وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ».

«يبصّرونهم». استئناف أو حال يدلّ على أنّ المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء. «يودّ المجرم». حال من أحد الضميرين، أو استئناف يدلّ على أنّ اشتغال كلّ مجرم بنفسه بحيث يتمنّى أن يفتدي بأقرب الناس و أعلقهم بقلبه فضلاً أن يهتمّ بحاله و يسأل عنه.(٣)

«يبصّرونهم»؛ أي: يبصر الأحمّاء [الأحمّاء]. و إنّما جمع مع أنّه للحميمين لأنّ المعنى على العموم لكلّ حميمين. و «فصيلته التي»: عشيرته الأدنون الذين فصل عنهم. «تؤويه»: تضمّه في النسب و عند الشدائد. «و من في الأرض» من الثقلين أو الخلائق. «ثمّ ينجيه». عطف على يفتدي. و ثمّ لاستبعاد الإنجاء. يعني يتمنّى لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده و بذلهم فداء نفسه ثمّ ينجيه ذلك، و هيهات أن ينجيه.(٤)

«يبصّرونهم». يقول: يعرفونهم ثمّ لايتساءلون. «و فصيلته». و هي أمّه التي ولدته.(٥)

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٦.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٠٩ ـ ٦١٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٦.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٦.

«و صاحبته». يعني زوجته.[١]

[١٥ ـ ١٦] «كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِلشَّوىٰ».

«كلّا». ردع للمجرم عن الودادة و دلالة على أنّ الافتداء لاينجيه من العذاب.[٢]

«إنّها». الضمير للنار. لأنّ ذكر العذاب دلّ عليها. و يجوز أن يكون ضميراً مبهماً ترجم عنه الخبر، أو ضمير القصّة. «لظى»: علم للنار، منقول من اللّظى بمعنى اللّهب. و يجوز أن يراد اللّهب. و «نزّاعة» خبر بعد خبر لإنّ. «للشوى»؛ أي: الأطراف. أو جمع شواة جلدة الرأس، تنزعها نزعاً ثمّ تعاد.[٣]

«نزّاعة». غير حفص بالرفع. أي: هي نزّاعة.[٤]

«نزّاعة للشوى». قال: تنزع عينيه و تسوّد وجهه.[٥]

[١٧ ـ ١٨] «تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّٰى * وَ جَمَعَ فَأَوْعىٰ».

«تدعو»: تجذب و تحضر. مجاز عن إحضارهم. كأنّها تدعوهم فتحضرهم. و قيل: تقول لهم بلسان فصيح: هلمّ إليّ يا كافر يا منافق. ثمّ تلتقطهم التقاط الحبّ. فيخلق الله فيها كلاماً كما يخلقه في جلودهم و أعضائهم. و قيل: تدعو زبانيتها. و قيل: تدعو: تهلك. من قولهم: دعاه الله، إذا أهلكه. «من أدبر» عن الحقّ. «و تولّى» عن الطاعة. «و جمع» المال فجعله في وعاء و كنزه حرصاً و تأميلاً و لم يؤدّ الحقّ الواجب منه و تكبّر باقتنائه.[٦]

«تدعو من أدبر». قال: تجرّه إليها.[٧]

[١٩ ـ ٢١] «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٦.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٦١٠.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٢.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٦.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٦١٠ ـ ٦١١، تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٧.

٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٦.

مَنُوعاً».

«إنّ الإنسان». أريد به الناس، فلذلك استثنى منه «إلّا المصلّين». و الهلع: سرعة الجزع عند مسّ المكروه و سرعة المنع عند مسّ الخير. و قد فسّره الله في الآية. و المعنى: انّ الإنسان لإيثاره الجزع و المنع و رسوخهما فيه، كأنّه مجبول عليهما و كأنّه أمر خلقيّ و ضروريّ غير اختياريّ. كقوله: «خلق الإنسان من عجل».(١) و الدليل عليه أنّه ذمّ و الله لايذمّ فعله، و لأنّه حين كان في البطن و المهد لم يكن به هلع. و الدليل عليه استثناء المؤمنين [الذين] جاهدوا أنفسهم و حملوها على المكاره و ظلفوها عن الشهوات حتّى لم يكونوا جازعين و لا مانعين.(٢)

«هلوعاً». الهلوع دابّة من وراء جبل قاف تأكل كلّ يوم سبع صحارى من الحشيش و تشرب سبعة أبحر من الماء و لاتصبر على الحرّ و لا البرد، و تتفكّر كلّ ليلة ماذا تأكل غداً. شبّه الإنسان بها. عن مقاتل.(٣)

«إذا مسّه الشرّ». قال: الفقر و الفاقة. «و الخير»: الغنى و السعة.(٤)

[٢٢ ـ ٢٣] «إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ».

«دائمون»: مواظبون عليها لايشغلهم عنها شيء.(٥)

«دائمون». قال: إذا فرض على نفسه شيئاً من النوافل دام عليه.(٦)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «دائمون» يقضون ما فاتهم من اللّيل بالنهار و ما فاتهم من النهار باللّيل.(٧)

و عن أبي جعفر عليه السلام «دائمون» قال: هي النافلة.(٨)

١ـ الأنبياء (٢١) / ٣٧.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٦١٢.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٥.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٦.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٦١٢.

٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٦.

٧ـ الخصال / ٦٢٨.

٨ـ الكافي ٣ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠، ح ١٢.

[٢٤] «وَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ».

«حقّ معلوم»: الزكاة لأنّها مقدّرة معلومة. أو صدقة يوظّفها الرجل على نفسه يؤدّيها في أوقات معلومة.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «حقّ معلوم» قال: هو غير الزكاة. و هو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته و سعة ماله فيؤدّي الذي فرض على نفسه إن شاء كلّ يوم و إن شاء في كلّ جمعة و إن شاء في كلّ شهر.[٢]

[٢٥] «لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ».

السائل: الذي يسأل. و المحروم: الذي يتعفّف عن السؤال فيحسب غنيّاً فيحرم.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام: السائل هو رسول الله في مسألة الله حقّهم. و المحروم هو من حرم الخمس أميرالمؤمنين و ذرّيّته. و الحقّ هو الخمس.[٤]

[٢٦] «وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ».

عن أبي جعفر عليه السلام «بيوم الدين» قال: بخروج القائم عليه السلام.[٥]

[٢٧] «وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ».

«مشفقون»: خائفون على أنفسهم.[٦]

[٢٨] «إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ».

«إنّ عذاب ربّهم». اعتراض يدلّ على أنّه لاينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله و إن بالغ في طاعته. و قال: «غير مأمون» لأنّ المكلّف لايدري هل أدّى الواجب كما أمر به [و هل

١ـ الكشّاف ٤ / ٦١٣.

٢ـ الكافي ٣ / ٤٩٨، ح ٨.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٦١٣.

٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٢٤ ـ ٧٢٥، ح ٥.

٥ـ الكافي ٨ / ٢٨٧، ح ٤٣٢.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٧.

انتهى عن] المنهيّ كما نهي عنه أم لا.[١]

[٢٩ ـ ٣٠] «وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ».

«لفروجهم حافظون»؛ يعني: يحفظون فروجهم إلّا على الأزواج و الملك اليمين. «غير ملومين». أي على ترك حفظ الفروج عنهم.[٢]

إسحاق بن أبي سارة قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن المتعة فقال لي: حلال. فلاتتزوّج إلّا عفيفة. إنّ الله يقول: «و الذين هم لفروجهم حافظون». فلاتضع فرجك حيث لاتأمن على درهمك.[٣]

[٣١] «فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ».

«وراء ذلك»؛ أي: وراء ما أباحه الله من الفروج. «العادون»: تعدّوا حدود الله.[٤]

«العادون»؛ أي: الظالمون.

[٣٢] «وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ».

«راعون»: حافظون. و الأمانة ما يؤتمن المرء عليه كالودائع. و قيل: الأمانة الإيمان و ما أخذه الله على عباده من التصديق و العمل بما يجب عليهم العمل به. ابن‌كثير: «لأمانتهم» بغير ألف.[٥]

[٣٣] «وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ».

«قائمون»: يقيمون الشهادة التي يلزم إقامتها. و حفص و يعقوب: «بشهاداتهم». و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٧، و مجمع البيان ١٠ / ٥٣٥.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٥.

٣ـ الكافي ٥ / ٤٥٣، ح ٢.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٥.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٥ و ٥٣٢.

الباقون: «بشهادتهم».[١]

«بشهاداتهم قائمون». الشهادة من جملة الأمانات. و خصّتها من بينها إبانة لفضلها. لأنّ في إقامتها إحياء الحقوق.[٢]

[٣٤] «وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ».

«يحافظون»: يحفظون أوقاتها و أركانها و لايضيّعون شيئاً منها. و عن أبي‌الحسن عليه السلام قال: أولئك أصحاب الخمسين من شيعتنا.[٣]

و تكرير ذكر الصلاة و وصفهم بها أوّلاً و آخراً باعتبارين، للدلالة على فضلها على غيرها. و في نظم هذه الصلات مبالغة لاتخفى.[٤]

فإن قلت: كيف قال: «على صلاتهم دائمون» ثمّ قال: «على صلاتهم يحافظون»؟ قلت: معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها و لايشتغلوا عنها بشيء من الشواغل. كما روي عن النبيّ صلى الله عليه و آله: أفضل العمل أدومه. و محافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها و مواقيتها و يقيموا أركانها و يكملوها بسنّتها و آدابها. فالدوام يرجع إلى نفس الصلاة، والمحافظة إلى أحوالها.[٥]

[٣٥] «أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ».

«مكرمون»: مبجّلون بما يفعل بهم من الثواب.[٦]

[٣٦] «فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ».

«فما للّذين»؛ أي: أيّ شيء للّذين كفروا بتوحيد الله؟ أي: ما بالهم و ما حملهم على ما فعلوا؟ «قبلك»؛ أي: عندك. «مهطعين»: مقبلين عليك بوجوههم، ناظرين إليك بالعداوة. و

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٥ و ٥٣٢.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٦١٣.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٦١٢ ـ ٦١٣.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٦.

الذين كفروا هنا المنافقون.(١)

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ـ و قد ذكر المنافقين ـ: و ما زال رسول الله صلى الله عليه و آله يتألّفهم و يقرّبهم و يجلسهم عن يمينه و شماله حتّى أذن الله في إبعادهم بقوله: «و اهجرهم»(٢) و بقوله: «فما للّذين كفروا قبلك مهطعين» ـ الآية.(٣)

[٣٧] «عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ».

«عن اليمين و عن الشمال»: عن يمينك و عن شمالك. «عزين»؛ أي: جماعات متفرّقين عصبة عصبة و جماعة جماعة كأنّ كلّ فرقه تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى. قيل: كان المشركون حول رسول الله صلى الله عليه و آله حلقاً حلقاً و يستهزئون بكلامه.(٤)

[٣٨] «أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ».

«أ يطمع كلّ امرئ منهم»؛ أي: من هؤلاء المنافقين أو المشركين «أن يدخل جنّة نعيم» كما يدخل أولئك الموصوفون قبل هذا. و إنّما قال هذا لأنّهم كانوا يقولون: إن كان هذا الأمر كما قال محمّد عليه السلام فإنّ لنا في الآخرة عند الله أفضل ما للمؤمنين كما أعطانا في الدنيا أفضل ممّا أعطاهم.(٥)

[٣٩] «كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ».

«كلّا»؛ أي: لا يكون ذلك و لا يدخلونها. «ممّا يعلمون»؛ أي: من النطفة. يعني أنّ ما كان أصله من هذا الماء المهين، كيف يستوجب الجنّة بأصله و بنفسه، و إنّما يستوجبها بالأعمال الصالحة. نبّه سبحانه بهذا على أنّ الناس كلّهم من أصل واحد و إنّما يتفاضلون بالإيمان و الطاعة. و تحقيقه: انّا خلقناهم من المقاذر و الأنجاس. فمتى يدخلون الجنّة و لم يؤمنوا بي و

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٨.

٢ـ المزّمّل (٧٣) / ١٠.

٣ـ الاحتجاج / ٢٥٣.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٨.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٨.

برسولي؟ و قيل: معناه: خلقناهم من أجل ما يعلمون من الثواب و العقاب و التكليف.(١)

«كلّا». ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنّة. ثمّ علّل ذلك بقوله: «إنّا خلقناهم ممّا يعلمون» ـ إلى آخره السورة. و هو كلام دالّ على إنكارهم البعث. فكأنّه قيل: كلّا! إنّهم منكرون للبعث و الجزاء. فمن أين يطمعون في دخول الجنّة؟ فإن قلت: من أين وجه دلالة هذا الكلام على إنكار البعث؟ قلت: من حيث إنّه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل ـ و ذلك قوله: «إنّا خلقناهم ممّا يعلمون»؛ أي: من النطفة ـ و بالقدرة على أن يهلكهم و يبدّل ناساً خيراً منهم و أنّه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لايعجزه شيء و الغرض أنّ من قدر على ذلك لم يعجزه الإعادة.(٢)

[٤٠ ـ ٤١] «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ».

«المشارق و المغارب». يعني مشارق الشمس و مغاربها. فإنّ لها ثلاثمائة و ستّين مطلعاً لكلّ يوم مطلع لاتعود إليه إلى قابل. عن ابن‌عبّاس.(٣)

«نبدّل خيراً منهم»؛ أي: نهلكهم و نأتي بخلق أمثل منهم. أو: نعطي محمّداً بدلكم من هو خير منكم و هم الأنصار. «بمسبوقين»: بمغلوبين إن أردنا [ذلك].(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «فلا أقسم بربّ المشارق و المغارب» قال: المشارق الأنبياء. و المغارب الأوصياء عليهم السلام. و إنّما كنى عن الأنبياء بالمشارق لأنّ أنوار هدايتهم و علومهم تشرق على أهل الدنيا كإشراق الشمس. و كنى عن الأوصياء بالمغارب لأنّ علوم الأنبياء إذا أشرقت في أيّام حياتهم تغرب عند وفاتهم في حجب قلوب الأوصياء.(٥)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٦١٤.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٨.
٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٢٥، ح ٦.

[٤٢] «فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتّٰى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ».

«يخوضوا» في باطلهم و يلعبوا. فإنّ وبال ذلك عائد إليهم. «يومهم». يعني يوم القيامة.(١)

[٤٣] «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ».

«الأجداث»: القبور. [«سراعاً»:] مسرعين، لشدّة السوق. «إلى نصب يوفضون»؛ أي: كأنّهم يسعون فيسرعون إلى علم نصب لهم. و قيل: كأنّهم إلى أوثانهم يسعون للتقرّب إليها. عن ابن‌عبّاس. ابن‌عامر و حفص: «نصب» بضمّتين. و الباقون بفتح النون و سكون الصاد.(٢)

[٤٤] «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ».

«خاشعة»: ذليلة «أبصارهم» لايستطيعون النظر من هول ذلك اليوم. «ترهقهم»؛ أي: تغشاهم. «ذلّة»: مذلّة. «يوعدون» في دار التكليف.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون» قال: يعني خروج القائم عليه السلام.(٤)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٩.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٩ و ٥٣٦.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٩.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٢٦، ح ٧.

٧١.
سورة نوح

عن أبي عبدالله عليه السلام: من كان يؤمن بالله و يقرأ الكتاب، لايدع قراءة سورة نوح. فأيّ عبد قرأها محتسباً صابراً في فريضة أو نافلة، أسكنه الله مساكن الأبرار و أعطاه ثلاث جنان مع كرامة من الله، و زوّجه مائتي حوراء و أربعة آلاف ثيّب إن شاء الله تعالى.(١)

من أدمن قراءتها ليلاً و نهاراً و مشى في حاجة، قضيت.(٢)

و عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام: كان بين آدم و نوح عليه السلام عشرة آباء كلّهم أنبياء. و إنّ الأنبياء بعثوا خاصّة و عامّة. فأمّا نوح فإنّه أرسل إلى من في الأرض بنبوّة عامّة.(٤)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا أظهر الله نبوّة نوح عليه السلام و أيقن الشيعة بالفرج، اشتدّت البلوى على الشيعة و على نوح. فكان نوح يضرب في بعض الأوقات حتّى يصير مغشيّاً عليه و الدم يجري من أذنه ثمّ أفاق. و ذلك بعد ثلاثمائة سنة من مبعثه. و هو في خلال ذلك يدعوهم ليلاً و نهاراً فيهربون، و يدعوهم سرّاً فلايجيبون. فهمّ بعد ثلاثمائة سنة بالدعاء عليهم و جلس بعد صلاة الفجر للدعاء. فهبط إليه وفد من السماء السابعة ـ و هم ثلاثة أملاك ـ فسلّموا عليه و قالوا: لنا حاجة و هو أن تؤخّر الدعاء على قومك. فإنّها أوّل سطوة الله في الأرض. قال: قد أخّرت الدعاء عليهم ثلاثمائة سنة أخرى. فعاد إليهم و صنع ما كان يصنع و

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٧، ح ١.

٢ـ المصباح / ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

٣ـ المصباح / ٦١٣.

٤ـ كمال الدين / ٢١٤ و ٢١٩ ـ ٢٢٠، ح ٢.

يفعلون ما كانوا يفعلون؛ حتّى [إذا] انقضت ثلاثمائة سنة أخرى و يئس من إيمانهم، جلس في وقت الضحى للدعاء عليهم. فهبط عليه وفد من السماء السادسة ـ و هم ثلاثة أملاك ـ و سألوه مثل ما سأله وفد السماء السابعة. فأجابهم مثل ما أجاب به أولئك و أقبل على قومه يدعوهم فلا يزيدهم دعاؤه إلّا فراراً، حتّى انقضت ثلاثمائة سنة أخرى تتمّة تسعمائة. فشكا شيعته إليه ما ينالهم من الطواغيت و سألوه الدعاء بالفرج، فأجابهم إلى ذلك و دعا الله. فهبط جبرئيل عليه السلام و قال: إنّ الله أجاب دعوتك. فقل للشيعة يأكلون التمر و يغرسون النوى و يراعونه حتّى يثمر، فإذا أثمر فرّجت عنهم. فعرّفهم ذلك و استبشروا فغرسوا النوى و راعوه حتّى أثمر، ثمّ صاروا إلى نوح يسألونه الدعاء بالفرج. فسأل الله فأوحى إليه: قل لهم: كلوا هذا التمر و اغرسوا النوى. فإذا أثمر فرّجت عنكم. فلمّا ظنّوا أنّ الخلف وقع عليهم، ارتدّ منهم الثلث و بقي الثلثان. فأكلوا التمر و غرسوا النوى حتّى إذا أثمر أتوا به نوحاً فأخبروه و سألوه إنجاز الوعد. فأوحى الله إليه: قل لهم: كلوا التمر و اغرسوا النوى. فارتدّ الثلث الآخر و بقي الثلث. فأكلوا التمر و غرسوا النوى. فلمّا أثمر، أتوا به نوحاً و قالوا: لم يبق منّا إلّا القليل و نتخوّف [على أنفسنا] بتأخير الفرج أن نهلك. فصلّى نوح و قال: يا ربّ لم يبق من أصحابي إلّا هذه العصابة و أخاف عليهم الهلاك إن تأخّر الفرج. فأوحى الله إليه: قد أجبت دعاءك. فاصنع الفلك. و كان بين إجابة الدعاء و الطوفان خمسون سنة.(۱)

[۱] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«إنّا أرسلنا نوحاً»: أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا.(۲)

«أن أنذر قومك»: بأن أنذر. أي بالإنذار. أو بأن قلنا له: أنذر. و يجوز أن يكون مفسّرة

۱ـ كمال الدين / ۱۳۳ ـ ۱۳٤، ح ۲.

۲ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥٤۲.

لتضمّن الإرسال معنى القول. «عذاب أليم»: عذاب الآخرة أو الطوفان.[١]

[٢ ـ ٣] « قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ».

«يا قوم»؛ أي: يا عشيرتي يسوؤني ما يسوؤكم. «أن اعبدوا الله» وحده و اتّقوا معاصيه.[٢]

[٤] «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«من ذنوبكم»؛ أي: فإنّكم إن فعلتم ذلك، يغفر لكم ذنوبكم السالفة و هي بعض الذنوب التي تضاف إليكم. و لمّا كانت الذنوب التي يستأنفونها، لايجوز الوعد بغفرانها على الإطلاق، لما يكون في ذلك من الإغراء بالقبيح، قيّد سبحانه هذا التقييد. «إلى أجل مسمًّى». فيه دلالة على ثبوت أجلين. لأنّه شرط في الوعد بالأجل المسمّى عبادة الله و التقوى، فلمّا لم يقع ذلك منهم، اقتطعوا بعذاب الاستئصال قبل الأجل الأقصى بالأجل الأدنى. «إنّ أجل الله». يعني الأقصى. «لو كنتم تعلمون» صحّة ذلك و تؤمنون به. و قيل: يعني بأجل الله يوم القيامة. جعله أجلاً للبعث. و يجوز أن يكون إخباراً منه تعالى عن نفسه.[٣]

«أجل مسمًّى». هو أقصى ما قدّره لكم بشرط الإيمان و الطاعة. «إنّ أجل الله» أي الذي قدّره «إذا جاء» على الوجه المقدّر به آجلاً. و قيل: إذا جاء الأجل الأطول، لايؤخّر. فبادروا في أوقات الإمهال و التأخير. «لو كنتم تعلمون»؛ أي: [لو كنتم] من أهل العلم و النظر. و فيه أنّهم لانهماكهم في حبّ الدنيا كأنّهم شاكّون في الموت.[٤]

[٥ ـ ٦] «قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَ نَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٩.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٢.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٩.

«دعوت قومي» إلى عبادتك و خلع الأنداد. «إلّا فراراً» من الحقّ و إدباراً عنه.(١)

[٧] «وَ إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً».

«كلّما دعوتهم» إلى إخلاص عبادتك. «جعلوا أصابعهم» لئلّا يسمعوا كلامي. «و استغشوا ثيابهم»: غطّوا بها وجوههم لئلّا يروني. «و أصرّوا»؛ أي: داوموا على كفرهم. «و استكبروا استكباراً»؛ أي: تكبّروا و أنفوا عن قبول الحقّ. و لمّا كانوا عازمين على الكفر، كانوا مصرّين. و قيل: إنّ الرجل منهم كان يذهب بابنه إلى نوح فيقول له: احذر هذا لايغوينّك. فإنّ أبي قد ذهب بي إليه ـ و أنا مثلك ـ فحذّرني مثل ما أحذّرك.(٢)

«و استغشوا ثيابهم». تغطّوا بها لئلّا يروني كراهة النظر إليّ من فرط كراهة دعوتي [أو] لئلّا أعرفهم فأدعوهم. و التعبير بصيغة الطلب للمبالغة.(٣)

[٨ ـ ٩] «ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً».

«جهاراً»: بأعلى صوتي. أو: دعاء ظاهراً غير خفيّ. «ثمّ إنّي أعلنت لهم و أسررت»؛ أي: دعوتهم في العلانية و في السرّ. و قيل: معناه: انّي أعلنت جماعة بالدعاء و أسررت جماعة. ثمّ إنّي أعلنت للّذين أسررت لهم و أسررت للّذين أعلنت لهم. أي سلكت في الدعوة كلّ مذهب و تلطّفت لهم فلم يجيبوا.(٤)

«دعوتهم»؛ أي: دعوتهم مرّة بعد أخرى و كرّة بعد أولى. و «ثمّ» لتفاوت الوجوه، فإنّ الجهار أغلظ من الإسرار و الجمع بينهما أغلظ من الانفراد، أو لتراخي بعضها عن بعض. و «جهاراً» نصب على المصدر لأنّه أحد نوعي الدعاء أو صفة محذوف بمعنى دعاء جهاراً؛ أي:

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢٩ ـ ٥٣٠.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٢ ـ ٥٤٣.

مجاهراً به.[١]

[١٠ ـ ١١] «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً».

«استغفروا ربّكم»؛ أي: اطلبوا منه المغفرة على كفركم. «مدراراً»؛ أي: كثيرة الدرور بالغيث. و قيل: إنّهم كانوا قحطوا و هلكت أموالهم فلذلك رغّبهم في الاستغفار مع الإيمان.[٢]

«يرسل السماء». حبس الله عنهم القطر أربعين سنة و أعقم أرحام نسائهم. فوعدهم بذلك على الاستغفار عمّا كانوا عليه.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله: من أنعم الله عليه نعمة، فليحمد الله. و من استبطأ عليه[٤] الرزق، فليستغفر. ومن حزنه أمر، فليقل: لاحول و لا قوّة إلّا بالله.[٥]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام لمن قال بحضرته: أستغفر الله: ثكلتك أمّك! أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العلّيّين. و هو اسم واقع على ستّة معان: أوّلها الندم على ما مضى. و الثاني العزم على ترك العود إليه أبداً. و الثالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله أملس ليس لأحد عليك تبعة. و الرابع أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها. و الخامس أن تعمد إلى اللّحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى تلصق الجلد بالعظم و ينشأ بينهما لحم جديد. و السادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية. فعند ذلك تقول: أستغفر الله.[٦]

[١٢] «وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً».

«و يمددكم»؛ أي: يكثر أموالكم و أولادكم الذكور. «جنّات»؛ أي: بساتين في الدنيا.

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣٠.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣٠.

٤ـ ليس في المصدر: عليه.

٥ـ بحارالأنوار ٩٠ / ١٩٠.

٦ـ نهج البلاغة / ١٩٩، الخطبة ١٤٣.

«أنهاراً» تسقون بها جنّاتكم. قال قتادة: علم نبيّ الله أنّهم كانوا أهل حرص على الدنيا فقال: هلمّوا إلى طاعة الله، فإنّ فيها درك الدنيا و الآخرة. و عن أبي جعفر عليه السلام انّه أتاه رجل كثير المال فقال له: إنّي رجل كثير المال و ليس يولد لي ولد. فهل من حيلة؟ فقال: نعم. استغفر ربّك سنة في آخر اللّيل مائة مرّة. فإن ضيّعت ذلك باللّيل، فاقضه بالنهار. فإنّ الله يقول: «استغفروا ربّكم» ـ الآية.(١)

عن أبي جعفر عليه السلام أنّه وفد إلى هشام بن عبدالملك فأبطأ عليه الإذن حتّى اغتمّ. و كان له حاجب كثير المال لايولد له. فدنا منه أبوجعفر عليه السلام فقال له: توصلني إلى هشام و أعلّمك دعاء يولد لك؟ قال: نعم. فأوصله إلى هشام و قضى له حوائجه. فلمّا فرغ، قال له الحاجب: جعلت فداك؛ الدعاء الذي قلت لي؟ قال: قل في كلّ يوم إذا أصبحت و أمسيت سبحان الله سبعين مرّة. و تستغفر عشر مرّات. و تسبّح تسع مرّات و تختم العاشر بالاستغفار. يقول الله: «استغفروا» ـ الآية. فقالها الحاجب فرزق ذرّيّة كثيرة. و كان بعد ذلك يصل أباعبدالله و أباجعفر عليهما السلام. فقال سليمان بن جعفر: فعلتها و قد تزوّجت ابنة عمّ [لي] و أبطأ عليّ الولد منها. و علّمتها لأهلي فرزقت ولداً. و زعمت المرأة أنّها متى تشاء [أن] تحمل حملت إذا قالها. و علّمتها غير واحد من الهاشميّين ممّن لم يولد لهم، فولد لهم ولد كثير. و الحمد لله.(٢)

و عنه عليه السلام أنّه شكا إليه الأبرش الكلبيّ أنّه لايولد له فقال له: استغفر الله في كلّ يوم أو في كلّ ليلة مائة مرّة. فإنّ الله يقول: «استغفروا» ـ الآية.(٣)

[١٣] «مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقَاراً».

«ما لكم». قاله لهم على وجه التبكيت. «لاترجون لله وقاراً»؛ أي: لاتخافون لله عظمة. و الرجاء لخوف [هنا]. أي لاتوحّدون الله و لاتعظّمونه حقّ عظمته فتؤمنوا. و قيل: معناه: ما لكم لاتخافون لله عقاباً و لاترجون منه ثواباً؟(٤)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٣.
٢ـ الكافي ٦ / ٨، ح ٥.
٣ـ الكافي ٦ / ٨، ح ٤.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٣ ـ ٥٤٤.

«لاترجون لله وقاراً»: لاتأملون له توقيراً؛ أي: تعظيماً لمن عبده و أطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه إيّاكم. و لله بيان للموقّر بالكسر.[١]

[١٤] «وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً».

«أطواراً». يعني خلقكم طوراً نطفة ثمّ طوراً علقة ثمّ طوراً مضغة ثمّ عظماً ثمّ كسا العظم. و قيل: أطواراً: [أحوالاً] حالاً بعد حال. و قيل: مختلفين في الصفات؛ أغنياء و فقراء و زمناء و أصحّاء و طوالاً و قصاراً. و الآية محتملة للجميع.[٢]

[١٥] «أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً».

«طباقاً»؛ أي: واحدة فوق الأخرى كالقباب. و طباقاً منصوب بتقدير: خلقهنّ طباقاً، أو نعتاً لسبع سموات ذات طباق.[٣]

[١٦] «وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً».

«و جعل القمر فيهنّ نوراً». فيه أقوال. أحدها: جعل القمر نوراً في السموات و الأرض. عن ابن‌عبّاس. قال: يضيء ظهره لما يليه من السموات و يضيء وجهه لأهل الأرض. و كذلك الشمس. و ثانيها: انّ معنى فيهنّ: في إحداهنّ. كما تقول: أتيت بني‌فلان، و إنّما أتيت بعضهم. «و جعل الشمس سراجاً»؛ أي: مصباحاً تضيء لأهل الأرض.[٤]

[١٧] «وَ اللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً».

«أنبتكم من الأرض». يعني آدم، و خلق منه أولاده. و قيل: معناه: أنبتكم في الأرض بالكبر بعد الصغر و بالطول بعد القصر.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣٠.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٤.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٦.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٦.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٦.

[۱۸] «ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً».

«فيها»؛ أي: في الأرض أمواتاً. «و يخرجكم» منها بعد البعث أحياء. «إخراجاً». للتأكيد.[۱]

[۱۹] «وَ اللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً».

«بساطاً» تتقلّبون عليها.[۲]

[۲۰] «لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً».

«فجاجاً»: واسعة. و «من» لتضمّن الفعل معنى الاتّخاذ.[۳]

«سبلاً فجاجاً»: طرقاً مختلفة. عن ابن‌عبّاس. و قيل: سبلاً في الصحارى و فجاجاً في الجبال. لأنّه كما قيل: الفجّ المسلك بين الجبلين. و إنّما عدّد سبحانه هذه النعم امتناناً على خلقه و تنبيهاً لهم استحقاقه للعبادة خالصة.[٤]

[۲۱] «قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً».

«و اتّبعوا»؛ أي: اتّبعوا رؤساءهم البطرين بالأموال المغترّين بالأولاد حتّى صار ذلك سبباً لزيادة خسارهم في الآخرة. و فيه [أنّهم] إنّما اتّبعوهم لوجاهة حصلت لهم بأموال و أولاد أدّت بهم إلى الخسار. قرأ حمزة و ابن‌كثير: «وُلْده» بالضمّ و السكون، على أنّه لغة كالحُزن و الحَزَن أو جمع كالأسد.[٥]

«من لم يزده ماله». يعني أغنياءهم. لأنّهم قالوا: لو كان هذا رسول الله، لكان ذا ثروة و غنىً. «إلّا خساراً». و هو الهلاك بذهاب رأس المال.[٦]

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥٤٦.

۲ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥٤٦.

۳ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٥۳۱.

٤ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥٤٦ و ٥٤٥.

٥ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٥۳۱.

٦ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥٤٦ ـ ٥٤٧.

[٢٢] «وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً».

«و مكروا». عطف على «من لم يزده» و الضمير لمن و جمعه للمعنى. «كبّاراً»: كبيراً في الغاية. فإنّه أبلغ من كباراً، و هو من كبير. و ذلك احتيالهم في الدين و تحريش الناس على أذى نوح.(١)

[٢٣] «وَ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَ لَا سُوَاعاً وَ لَا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً».

«لاتذرنّ آلهتكم»؛ أي: عبادتها. «ودّاً و لا سواعاً» ـ الآية. أي لاتذرنّ هؤلاء خصوصاً. قيل: هي أسماء رجال كانوا صالحين بين آدم و نوح، فلمّا ماتوا صوّروا تبرّكاً بهم، فلمّا طال الزمان، عبدوا. و قد انتقلت إلى العرب فكان ودّ لكلب و سواع لهمدان و يغوث لمذحج و يعوق لمراد و نسر لحمير. أهل المدينة: «ودّاً» بالضمّ، و الباقون بالفتح.(٢)

«ودّاً و لا سواعاً» ـ الآية. قيل: إنّ هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم و نوح فنشأ بعدهم قوم يأخذون حذوهم في العبادة فقال لهم إبليس: لو صوّرتم صورهم، كان أنشط لكم و أشوق إلى العبادة. ففعلوا. فنشأ بعدهم قوم [فقال لهم إبليس:] إنّ الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم. فعبدوهم. فمبدأ عبادة الأوثان كان ذلك الوقت. و قيل: كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند و يحول بينه و بين الكفّار لئلّا يطوفوا بقبره. فقال لهم إبليس: إنّ هؤلاء يفتخرون عليكم و يزعمون أنّهم بنوآدم دونكم. و إنّما هو جسد و أنا أصوّر لكم مثله تطوفون به فنحت خمسة أصنام و حملهم على عبادتها. و هي ودّ و سواع و يغوث و يعوق و نسر. فلمّا كان أيّام الغرق، دفن الطوفان تلك الأصنام و طمّها التراب. فلم تزل مدفونة حتّى أخرجها الشيطان لمشركي العرب فعبدوها.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كانت قريش تلطّخ الأصنام التي حول الكعبة بالمسك و العنبر.

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣١.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٧.

و كان يغوث قبال الباب و يعوق عن يمين الكعبة و نسر عن يسارها. و كانوا إذا دخلوا، خرّوا سجّداً ليغوث و لاينحنون، ثمّ يستدبرون بحيالهم إلى يعوق، ثمّ يستدبرون عن يسارها بحيالهم إلى نسر، ثمّ يلبّون ـ الحديث.[١]

[٢٤] «وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً».

«و قد أضلّوا». الضمير للرؤساء أو الأصنام لقوله: «أضللن كثيراً».[٢] «و لاتزد». عطف على «ربّ إنّهم عصوني». و لعلّ المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم و مصالح دنياهم لا في أمر دينهم، أو الضياع أو الهلاك كقوله: «إنّ المجرمين في ضلال و سعر»[٣].[٤]

«إلّا ضلالاً»؛ أي: هلاكاً. كما في قوله: «إنّ المجرمين في ضلال و سعر». و قيل: إلّا ذهاباً عن الجنّة و الثواب. و قيل: إلّا منعاً عن الطاعات عقوبة لهم على كفرهم. فإنّهم إذ أضلّوا، استحقّوا منع الألطاف التي تفعل بالمؤمنين.[٥]

[٢٥] «مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَاراً».

أبوعمرو: «خطاياهم». و الباقون: «خطيئاتهم» بالتاء و المدّ و الهمزة.[٦]

«ممّا»: من أجل. و ما زائدة للتأكيد و التفخيم. «أغرقوا» بالطوفان. «فأدخلوا ناراً». المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة و التعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق و الإدخال أو لأنّ المسبّب كالمتعقّب للسبب و إن تراخى عنه لفقدان شرط أو لوجود مانع. و تنكير النار للتعظيم أو لأنّ المراد نوع من النيران. «من دون الله أنصاراً». تعريض لهم باتّخاذ آلهة من دون الله لاتقدر على نصرهم.[٧]

تقديم «ممّا خطيئاتهم» لبيان أنّه لم يكن إغراقهم فإدخالهم النار إلّا من أجل خطيئاتهم.

١ـ الكافي ٤ / ٥٤٢، ح ١١.
٢ـ إبراهيم (١٤) / ٣٦.
٣ـ القمر (٥٤) / ٤٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣١.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٨.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٤٥.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣١.

و أكّد هذا المعنى بزيادة «ما». و كفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا. فإنّ كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم و إن كانت كبراهنّ وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم و لم يفرق بينه و بينهنّ في استيجاب العذاب، لئلّا يتّكل المسلم الخاطئ على إسلامه و يعلم أنّ معه ما يستوجب معه العذاب و إن خلا من [الخطيئة] الكبرى.[١]

[٢٦] « وَ قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ».

عن حنان بن سدير عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت نوحاً حين دعا على قومه فقال: «ربّ لاتذر على الأرض» ـ الآية؟ قال عليه السلام: [علم أنّه لاينجب][٢] من بينهم أحد. قال: قلت: و كيف علم ذلك؟ قال: أوحى الله إليه أنّه لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن، فعندها دعا عليهم بهذا الدعاء.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا دعا نوح على قومه، أتاه إبليس فقال: يا نوح، إنّ لك عندي يداً. قال: فما هي؟ قال: دعوت على قومك فلم يبق لي أحد أغويه فأنا مستريح حتّى ينشأ قرن آخر فأغويه. قال له: فما الذي تريد أن تكافئني به؟ قال له: اذكرني في ثلاث مواطن. فإنّي أقرب ما أكون من العبد [إذا كان في إحداهنّ. اذكرني] عند غضبك، و إذا حكمت بين اثنين، و إذا خلوت بامرأة.[٤]

[٢٧] «إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً».

و معنى «لايلدوا إلّا فاجراً كفّاراً»: لم يلدوا إلّا من سيفجر و يكفر. فوصفهم بما يصيرون إليه. فإن قلت: ما فعل صبيانهم حين أغرقوا؟ قلت: أغرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب الموت. و كم منهم من يموت و الغرق و الحرق. و كان ذلك زيادة في عذاب الآباء و الأمّهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون. قيل: أعقم الله أرحام نسائهم

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٠.

٢ـ في النسخة: «أينجب» بدل ما بين المعقوفتين.

٣ـ علل الشرائع / ٣١، ح ١.

٤ـ الخصال / ١٣٢، ح ١٤٠.

و أيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين سنة أو سبعين فلم يكن معهم صبيّ حين أغرقوا.[١]

[٢٨] «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً».

و قرأ الحسين بن عليّ عليهما السلام: «و لولديّ». يريد ساماً و حاماً.[٢]

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٢١ ـ ٦٢٢.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٢.

٧٢.
سورة الجنّ

عن أبي عبدالله عليه السلام: من أكثر قراءة قل أوحي، لم يصبه في الحياة الدنيا شيء من أعين الجنّ و لا نفثهم و لا سحرهم و لا كيدهم، و كان مع محمّد صلى الله عليه و آله فيقول: يا ربّ لا أريد به بدلاً و لا أريد أن أبغي عنه حولاً.(١)

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، أعطي بعدد كلّ جنّ و شيطان صدّق بمحمّد و كذّب بـه [عـتق رقبة].(٢)

الجنّ: من شربها وعى كلّ شيء يسمعه و غلب على من يناظره. و هي تهزم الجنّ في المواضع التي يتلى فيها. و من قرأها و دخل على حاكم أمن أو على مخزون حفظ أو أسير فكّ أو دين قضي.(٣)

سبب النزول: انّ رسول الله صلى الله عليه و آله خرج من مكّة إلى عكاظ و معه زيد بن حارثة يدعو الناس إلى الإسلام. فلم يجبه أحد و لم يجد أحداً يقبله. ثمّ رجع إلى مكّة. فلمّا بلغ موضعاً يقال له وادي مجنّة، تهجّد بالقرآن في جوف اللّيل. فمرّ به نفر من الجنّ. فلمّا سمعوا قراءة رسول الله، قال بعضهم لبعض: أنصتوا. فلمّا فرغ رسول الله من القراءة، ولّوا إلى قومهم منذرين قالوا: «يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل» ـ الآية.(٤) فجاؤوا إلى رسول الله فأسلموا و آمنوا، فعلّمهم شرائع الإسلام. فأنزل الله: «قل أوحي» ـ إلى آخر السورة ـ فحكى الله قولهم. و ولّى عليهم

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٨، ح ١.
٢ـ المصباح / ٥٩٦.
٣ـ المصباح / ٦١٣.
٤ـ الأحقاف (٤٦) / ٢٩.

رسول الله منهم. و كانوا يعودون إليه في كلّ وقت. فأمر رسول الله أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلّمهم و يفقّههم. فمنهم مؤمنون و منهم كافرون و ناصبون و يهود و نصارى و مجوس. و هم ولد الجانّ.[١]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً».

أمر سبحانه أن يخبر النبيّ قومه بما لم يكن به علم فقال: «قل» يا محمّد: «أوحي إليّ». يعني أوحى الله إليّ، و لم يذكره تعظيماً و تفخيماً. «استمع نفر»؛ أي: استمع القرآن طائفة من الجنّ. و هم جيل رقاق الأجسام خفيّة على صور مختلفة مخصوصة بخلاف صورة الناس و الملائكة. فإنّ الملك مخلوق من النور و الإنسان من الطين و الجنّ من النار. «فـقالوا»؛ أي: قالت الجنّ بعضها لبعض. «قرآناً عجباً». لأنّه مباين لكلام الخلق في المعنى و النظام.[٢]

«أنّه استمع». بالفتح لأنّه فاعل أوحي. و «إنّا سمعنا» بالكسر لأنّه مبتدأ محكيّ بعد القول. ثمّ تحمل عليها البواقي. فما كان من الوحي فتح، و ما كان من قول الجنّ كسر. و كلّهنّ من قولهم إلّا اثنتين الأخريين: «و أنّ المساجد» «و أنّه لمّا قام». و من فتح كلّهنّ، فعطفاً على محلّ الجارّ و المجرور في «آمنّا به» كأنّه قيل: صدّقناه و صدّقنا أنّه تعالى جدّ ربّنا و أنّه كان يقول سفيهنا، و كذا البواقي. «نفر من الجنّ»: جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة. و قيل: كانوا من الشياطين[٣]. و هم أكثر الجنّ عدداً و عامّة جنود إبليس منهم.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الجنّ على ثلاثة أجزاء: فجزء من الملائكة، و جزء يطيرون في الهواء، و جزء كلاب و حيّات.[٥]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٥٣ ـ ٥٥٤.

٣ـ المصدر: الشيصبان.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٢ ـ ٦٢٣.

٥ـ الخصال / ١٥٤، ح ١٩٢.

[٢] «يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً».

«إلى الرشد»؛ أي: الهدى. «فآمنّا به»: صدّقنا به أنّه من عند الله. «و لن نشرك» فيما بعد. و فيه دلالة على أنّه كان مبعوثاً إلى الجنّ أيضاً.(١)

[٣] « وَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَ لَا وَلَداً».

«و إنّه تعالى جدّ ربنا». [الاختيار كسر إنّ لأنّه من قول الجنّ.] أي: قالوا: إنّه تعالى جدّ ربّنا. [وقال الفرّاء: من فتح فتقديره: فآمنّا به و آمنّا بأنّه تعالى جدّ ربّنا.] و كذلك كلّ ما كان بعده ففتح بوقوع الإيمان عليه. و المعنى: تعالى جلال ربّنا و عظمته من اتّخاذ الصاحبة و الولد. و الجدّ: الحظّ.(٢) قال الربيع: إنّه ليس لله تعالى جدّ. و إنّما قالته الجنّ بجهالة فحكاه سبحانه كما قالت. و روي ذلك عن الصادق عليه السلام.(٣)

«و أنّه تعالى». ابن‌كثير و البصريّان بالكسر على أنّه من جملة المحكيّ بعد القول. و كذا ما بعده إلّا قوله: «أن لو استقاموا» «و أنّ المساجد» «و أنّه لمّا قام» فإنّها بالفتح لأنّها من جملة الموحى به. و وافقهم نافع و أبوبكر إلّا في قوله: «و أنّه لمّا قام» على أنّه استئناف أو مفعول. و فتح الباقون الكلّ إلّا ما صدر بالفاء.(٤)

[٤] «وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطاً».

«سفيهنا»؛ أي: جاهلنا. «شططاً». هو السرف في ظلم النفس. فاعترفوا أنّ إبليس كان يخرج عن الحدّ في إضلال الخلق.(٥)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٥٤.

٢ـ ورد في المصدر في قسم اللّغة: «الجدّ أصله القطع. و منه الجدّ العظمة... و الجدّ الحظّ....» و أضاف المصنّف رحمه الله المعنى الأخير عند تلخيص ما ورد في قسم المعنى لتبيين المراد من الجدّ في القول الآتي بعده.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٥٥ و ٥٥٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣٣.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٥٥.

[٥] «وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً».

«تقول». يعقوب بتشديد الواو و فتحها و فتح القاف. «على الله كذباً». اعترفوا بأنّهم ظنّوا أن لن يكذب أحد على الله في اتّخاذ الشريك و الصاحبة و الولد. أي: حسبنا أنّ ما يقولونه من ذلك صدق و أنّا على حقّ حتّى سمعنا القرآن و تبيّـنّا الحقّ منه. و فيه دلالة على أنّهم كانوا مقلّدة حتّى سمعوا الحجّة و انكشف لهم الحقّ فرجعوا عمّا كانوا عليه.[١]

على قراءة يعقوب يكون «كذباً» موضع «تقوّلاً».[٢]

[٦] «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً».

«يعوذون»؛ أي: يعتصمون و يستجيرون. و كان الرجل من العرب إذا نزل الوادي في سفره ليلاً قال: أعوذ بعزيز هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه، لاعتقادهم أنّ الجنّ يحفظهم. و قيل: معناه: كان رجال من الإنس يعوذون برجال[٣] من أجل معرّة الجنّ. [عن البلخيّ.] قال: لأنّ الرجال لا يكون إلّا في الناس. «فزادوهم»؛ أي: فزاد الجنّ الإنس. «رهقاً»: إثماً. أي إثمهم الذي كانوا عليه من الكفر و المعاصي. و قيل: رهقاً؛ أي: طغياناً. قال الزجّاج: يجوز أن يكون الإنس الذي كانوا يستعيذون بالجنّ زادوا الجـنّ طـغياناً في قـومهم بهـذا التـعوّذ فيقولون. سدنا الجنّ و الإنس.[٤]

[٧] «وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً».

«و إنّهم ظنّوا» أي الإنس «كما ظننتم» أيّها الجنّ. أو بالعكس. و الآيتان من كلام الجنّ بعضهم لبعض، أو استئناف كلام من الله. و من فتح انّ فيهما، جعلهما من الموحى به. «أن لن يبعث الله». سادّ مسدّ مفعولي ظنّوا.[٥]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٥٥.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٣.

٣ـ في النسخة زيادة: «من الجنّ».

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٥٥.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣٤.

[٨] «وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً».

«لمسنا السماء»: طلبنا بلوغ السماء أو خبرها. و اللّمس مستعار من المسّ. «حرساً»: حرّاساً. [اسم جمع] كالخدم. «شديداً»: قويّاً. و هم الملائكة الذين يمنعونهم عنها. «و شهباً». جمع شهاب و هو المضيء المتولّد من النار.[١]

[٩] «وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً».

«مقاعد للسمع»: مقاعد خالية عن الحرس و الشهب نسمع منها كلام الملائكة و أصواتهم.[٢]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: رأى الملائكة ليلة ولد النبيّ تصعد و تنزل و تسبّح و تقدّس و تضطرب النجوم و تتساقط علامة لميلاده. و لقد همّ إبليس بالصعود إلى السماء لما رأى من العجائب في تلك اللّيلة. و كان له مقعد في السماء الثالثة و الشياطين يسترقون السمع. فلمّا رأوا العجائب، أرادوا أن يسترقوا، فإذا هم قد حجبوا من السموات كلّها و رموا بالشهب جلالة لنبوّته صلى الله عليه و آله.[٣] و إنّما منعت من استراق السمع لئلّا يقع في الأرض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء و يلبّس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله لإثبات الحجّة و نفي الشبهة. و كان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء ممّا[٤] يحدث من الله في الأرض إلى خلقه فتختطفها ثمّ تهبط بها إلى الأرض فيقذفها إلى الكاهن فيزيد الكاهن فيها من عنده فيختلط الحقّ بالباطل. فما أصاب الكاهن من خبر، فهو ممّا أدّاه إليه شيطانه. و ما أخطأ فيه، فهو من باطل زاد فيه. فمذ منعت الشياطين عن استراق السمع، انقطعت الكهانة. فقال: كيف صعدت الشياطين إلى السماء و هم أمثال الناس في الخلقة و الكثافة و قد كانوا يبنون [لسليمان بن داوود من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟ قال:] غلظوا لسليمان لمّا سخّروا. و هم

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣٤. ٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣٤.

٣ـ الاحتجاج / ٢٢٣. و ما يأتي بعده مأخوذ من رواية أخرى منقولة في نفس المصدر / ٣٣٩ عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ المصدر: بما.

خلق رقيق غذاؤهم التنسّم.[١] و الدليل على ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع و لايقدر الجسم الكثيف على ذلك.

الرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد، على معنى: ذوي شهاب راصدين بالرجم. و هم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب و يمنعونهم من الاستماع. و يجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد. فإن قلت: كأنّ الرجم لم يكن في الجاهليّة. و قد قال الله: «زيّـنّا السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوماً للشياطين».[٢] قلت: قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله. و الصحيح أنّه كان قبل المبعث. و قد جاء ذكره في شعر أهل الجاهليّة. ولكنّ الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال، فلمّا بعث رسول الله، كثر الرجم و زاد زيادة ظاهرة حتّى تنبّه لها الإنس [و الجنّ] و منع من الاستراق أصلاً. و في قوله: «ملئت» دليل على أنّ الحادث هو الملء و الكثرة. و كذلك قوله: «نقعد فيها مقاعد»؛ أي: كنّا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس و الشهب و الآن ملئت المقاعد كلّها. و هذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتّى عثروا على رسول الله و استمعوا قراءته.[٣]

[١٠] «وَ أَنَّا لَا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً».

يقولون: لمّا حدث هذا الحادث من كثرة الرجم و منع الاستراق قلنا: ما هذا إلّا لأمر أراده الله بأهل الأرض و لايخلو من أن يكون شرّاً أو رشداً ـ أي: خيراً ـ من عـذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «أشرّ أريد» ـ الآية ـ فقال: لا بل ـ و الله ـ شرّاً أريد بهم حين بايعوا معاوية و تركوا الحسن بن عليّ عليهما السلام.[٥]

١ـ المصدر: النسيم.
٢ـ الملك (٦٧) / ٥.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٤ ـ ٦٢٦.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٧.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩١.

[١١] «وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً».

«الصالحون»: الأبرار. «دون ذلك»؛ أي: قوم دون ذلك وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه. أو أرادوا الطالحين. «كنّا طرائق». بيان للقسمة المذكورة. أي: كنّا ذوي مذاهب مختلفة متفرّقة. أو: كنّا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة. و القدّة من قدّ كالقطعة من قطع. وصفت الطرائق بالقدّ لدلالتها على معنى القطع و التفرّق.(١)

[١٢] «وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً».

«في الأرض» و «هرباً» حالان. أي: لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنّا فيها و لن نعجزه هاربين منها إلى السماء. و قيل: لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً و لن نعجزه هرباً إن طلبنا. و الظنّ بمعنى اليقين.(٢)

[١٣] «وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَ لَا رَهَقاً».

«الهدى». هو القرآن لمّا سمعوه و آمنوا به. «فلايخاف بخساً و لا رهقاً»؛ أي: جزاء بخس و لا رهق. لأنّه لم يبخس أحداً [حقّاً] و لا رهق ظلم أحد، فلايخاف جزاءهما. و فيه دلالة على أنّ من حقّ من آمن بالله أن يجتنب المظالم. و يجوز أن يراد: فلايخاف أن يبخس ـ أي: ينقص ـ ثوابه بل يجزى الجزاء الأوفى و لا أن ترهقه ذلّة. من قوله عزّ و جلّ: «و ترهقهم ذلّة»(٣).(٤)

و في قوله: «بخساً» قال: البخس: النقصان. و الرهق: العذاب.(٥)

و سئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجنّ أيدخلون الجنّة. قال: لا ولكنّ لله حظائر بين الجنّة و النار يكون فيها مؤمنو الجنّ و فسّاق الشيعة.(٦)

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٧.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٧.
٣ـ يونس (١٠) / ٢٧.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٧ ـ ٦٢٨.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٩.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠٠.

«لمّا سمعنا الهدى». عن أبي‌الحسن الماضي‌عليه السلام قال: الهدى الإمامة. فمن آمن بولاية مولاه «فلايخاف بخساً و لا رهقاً». قلت: تنزيل؟ قال: لا تأويل.(١)

[١٤ ـ ١٥] «وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً * وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً».

و عنه‌عليه السلام في قوله: «تحرّوا رشداً»: أي الذين أقرّوا بولايتنا. «و أمّا القاسطون». قال: معاوية و أصحابه.(٢)

«القاسطون»: الكافرون الجائرون عن طريق الحقّ. و عن سعيد بن جبير أنّ الحجّاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟ قال: قاسط عادل. فقال القوم: ما أحسن ما قال! حسبوا أنّه يصفه بالقسط و العدل. فقال الحجّاج: يا جهلة، إنّه سمّاني ظالماً مشركاً. و تلا لهم قوله: «و أمّا القاسطون» و قوله: «ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون»(٣).(٤)

[١٦] «وَ أَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً».

«على الطريقة». قال: الولاية لعليّ‌عليه السلام.(٥)

«و أن لو استقاموا». أن مخفّفة من المثقّلة. و هو من جملة الموحى. و المعنى: أوحي إليّ أنّ الشأن و الحديث: لو استقام الجنّ على الطريقة المثلى ـ أي: لو ثبت أبوهم الجانّ على ما كان عليه من الطاعة و لم يستكبر عن السجود لآدم و تبعه ولده على الإسلام ـ لأنعمنا عليهم و لوسّعنا رزقهم. و ذكر الماء الغدق ـ و هو الكثير ـ لأنّه أصل المعاش و سعة الرزق.(٦)

«و أن لو استقاموا». ابتداء حكم من الله. أي: لو استقام الجنّ و الإنس على طريقة الايمان. و قيل: أراد به مشركي مكّة. أي: لو استقاموا على الهدى، لأسقيناهم ماء كثيراً. و

١ـ الكافي ١ / ٤٣٣، ح ٩١.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٩، عن الباقرعليه السلام.

٣ـ الأنعام (٦) / ١.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٨.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٩، عن الباقرعليه السلام.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٢٨ ـ ٦٢٩.

ذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين. و عن أبي جعفرعليه السلام [في قوله تعالى: «إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا»[١] قال: هو ـ و الله ـ ما أنتم عليه. و لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً.][٢] و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: معناه: لأفدناهم علماً كثيراً يتعلّمونه من الأئمّة عليهم السلام.[٣]

و عن أبي جعفرعليه السلام في قوله: «و أن لو استقاموا»: يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان. «على الطريقة». يعني على الولاية في الأصل عند الأظلّة حين أخذ الله ميثاق ذرّيّة آدم. «أسقيناهم ماء غدقاً». يعني لكنّا وضعنا أظلّتهم في الماء الفرات العذبة.[٤]

عن أبي جعفرعليه السلام في «أن لو استقاموا» ـ الآية ـ قال: يعني لواستقاموا على ولاية أميرالمؤمنين و الأوصياء من ولده عليهم السلام، لأسقيناهم؛ أي: لأشربنا قلوبهم الايمان. و الطريقة هي الايمان بولاية عليّ و الأوصياء عليهم السلام.[٥]

[١٧] «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً».

أهل العراق عن أبي‌عمرو: «يسلكه» بالياء. و الباقون بالنون. «صعداً»: شاقّاً شديداً متصعّداً في العظم.[٦]

«لنفتنهم فيه»: لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خوّلوا منه. و يجوز أن يكون معناه: و أن لو استقام الجنّ الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع و لم‌ينتقلوا عنها إلى الإسلام، لوسّعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم أنفسهم لنفتنهم فيه ليكون النعمة سبباً في اتّباعهم شهواتهم و ازديادهم إثماً أو لنعذّبهم في كفران النعمة. «ذكر ربّه»؛ أي: عبادته، أو موعظته، أو وحيه. «يسلكه». [و قرئ بالنون مضمومة و مفتوحة.] أي: ندخله «عذاباً». و

١ـ فصّلت (٤١) / ٣٠.

٢ـ في النسخة: «ثمّ استقاموا على الطريقة قال: هو و الله ما أنتم عليه» بدل ما بين المعقوفتين.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٦٠.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩١.

٥ـ الكافي ١ / ٤١٩، ح ٣٩.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٥٧ و ٥٦٠.

الأصل: نسلكه في عذاب. فعدّي إلى المفعولين بتضمينه معنى ندخله. و الصعد مصدر صعد صعداً و صعوداً. فوصف به العذاب لأنّه يتصعّد المعذّب؛ أي: يعلوه و يغلبه فلايطيقه.[۱]

[۱۸] «وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلّٰهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً».

«و أنّ المساجد». من جملة الوحى. و قيل: معناه: و لأنّ المساجد [لله] فلاتدعوا، على أنّ اللّام متعلّقة بلاتدعوا. أي: فلاتدعوا مع الله أحداً في المساجد لأنّها لله خاصّة و لعبادته. [و عن الحسن:] يعني الأرض كلّها. لأنّها جعلت للنبيّ مسجداً. و قيل: المراد بها المسجد الحرام. لأنّه قبلة المساجد. و قيل: المساجد أعضاء السجود السبعة. و قيل: جمع مسجد و هو السجود.[۲]

«فلاتدعوا مع الله أحداً»؛ أي: لاتذكروا معه أحداً في المساجد كما تفعل النصارى في بيعهم و المشركون في الكعبة.[۳]

عن الرضا عليه السلام «و أنّ المساجد» قال: الأئمّة عليهم السلام.[٤]

[۱۹] «وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللّٰهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً».

«عبدالله»: النبيّ صلى الله عليه و آله. و لم يقل رسول الله أو النبيّ، لأنّ تقديره: و أوحي إليّ أنّه لمّا قام عبدالله. فلمّا كان واقعاً في كلام رسول الله عن نفسه، جيء به على ما يقتضيه التواضع و التذلّل. أو لأنّ المعنى أنّ عبادة عبدالله ليست بأمر مستبعد في العقل و لا مستنكر حتّى يكونوا عليه لبداً. و معنى قام يدعوه: قام يعبده. يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجنّ فاستمعوا لقراءته.[٥]

ابن‌عامر برواية هشام: «لبدا» بضمّ اللّام. «يكونون عليه لبداً»؛ أي: كاد الجنّ يركب

۱ـ الكشّاف ٤ / ٦۲۹.

۲ـ الكشّاف ٤ / ٦۲۹ ـ ٦۳۰.

۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥٦۰.

٤ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۳۹۰.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٦۳۰.

بعضهم بعضاً يزدحمون عليه حرصاً منهم على استماع القرآن. و قيل: هو من قول الجنّ لأصحابهم حين رجعوا إليهم. و المراد أنّ أصحاب النبيّ ﷺ يتزاحمون عليه لاستماع القرآن منه يودّ كلّ واحد منهم أن يكون أقرب من صاحبه فيتلبّد بعضهم على بعض. و قيل: هو من جملة ما أوحى الله إلى النبيّ بما كان من حرص الجنّ على استماع القرآن. و قيل: معناه: لمّا دعا قريشاً إلى التوحيد، كادوا يتراكبون عليه جماعات متكاثرات يزيلوه بذلك عن الدعوة و أبى الله إلّا أن يظهره و ينصره. و على هذا فيكون ابتداء كلام.(١)

«عبدالله». يعني محمّداً ﷺ يدعوهم إلى ولاية عليّ، كاد قريش تكون عليه لبداً يتعاونون.(٢)

[٢٠] «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً».

«قل إنّما أدعو ربّي». و ذلك أنّهم قالوا للنبيّ: إنّك جئت بأمر عظيم فارجع عنه. فأجابهم بهذا. أبوجعفر و عاصم و حمزة: «قل إنّما أدعو». و الباقون: «قال إنّما أدعو».(٣)

[٢١ ـ ٢٣] «قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَ لَا رَشَداً * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً * إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللهِ وَ رِسَالَاتِهِ وَ مَنْ يَعْصِ اللهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً».

«قل إنّي لا أملك»؛ أي: قل ـ يا محمّد ـ للمكلّفين. «ضرّاً و لا رشداً»؛ أي: لا أقدر على دفع الضرّ عنكم و لا إيصال الخير إليكم. و إنّما القادر على ذلك هو الله. «لن يجيرني من الله»؛ أي: لايمنعني أحد ممّا قدّره الله عليّ. «ملتحداً»؛ أي: ملجأ إليه أطلب به السلامة. «إلّا بلاغاً من الله»: إلّا تبليغ ما أنزل إليّ. فأمّا القبول و الايمان، فليس إليّ و إنّما ذلك إليكم.(٤)

عن الكاظم عليه السلام قال: إنّ رسول الله دعا الناس إلى ولاية عليّ فاجتمعت إليه قريش

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٥٧ و ٥٦١.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٩، عن الباقر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٥٧ و ٥٦١.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٦٢.

فقالوا: يا محمّد، أعفنا من هذا. فقال لهم رسول الله: هذا إلى الله؛ ليس إليّ. فاتّهموه و خرجوا من عنده. فأنزل الله: قل لا أملك ـ الآية ـ إلّا بلاغاً من الله و رسوله في عليّ. قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم. ثمّ قال توكيداً: و من يعص الله و رسوله في ولاية عليّ عليه السلام.(١)

«لا أملك لكم» ـ الآية ـ إن تولّيتم عن ولاية عليّ. «لن يجيرني من الله أحد» إن كتمت ما أمرت به. «ملتحداً». يعني مأوًى. «إلّا بلاغاً» أبلّغكم ما أمرني الله من ولاية عليّ. «و من يعص الله و رسوله» في ولاية عليّ. «فإنّ له نار جهنّم». قال النبيّ: يا عليّ، أنت قسيم النار. تقول: هذا لي، و هذا لك.(٢)

«إلّا بلاغاً». استثناء. أي: لا أملك إلّا بلاغاً. و «قل إنّي لن يجيرني» جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه و بيان عجزه، على معنى أنّ الله إن أراد به سوءاً من مرض أو موت أو غيرهما، لم يصحّ أن يجيره منه أحد.(٣)

[٢٤] «حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً».

«ما يوعدون» من العقاب في الدنيا. و قيل: عذاب الاستئصال. «فسيعلمون» عند ذلك «من أضعف ناصراً» المشركون أو المؤمنون. و فيه دلالة على أنّ المراد بقوله: «و من يعص الله» الكفّار. و كانوا يفتخرون على النبيّ بكثرة جموعهم و يصفونه بقلّة العدد، فبيّن سبحانه أنّ الأمر سينعكس عليهم.(٤)

قالوا: فمتى يكون [ما تعدنا] ـ يا محمّد ـ من أمر عليّ و النار؟ فأنزل الله: «حتّى إذا رأوا» ـ الآية. «أضعف ناصراً». يعني فلاناً و فلاناً [و فلاناً] و معاوية و ابن العاص و أصحاب الضغائن من قريش.(٥)

«حتّى إذا رأوا ما يوعدون». قال: القائم و أمير المؤمنين في الرجعة. «من أضعف ناصراً».

١ـ الكافي ١ / ٤٣٤، ح ٩١.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٩، عن الباقر عليه السلام.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٣١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٦٣.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٠، عن الباقر عليه السلام.

قال: هو قول أميرالمؤمنين لزفر: و الله ـ يابن صهاك ـ لولا عهد من رسول الله و كتاب من الله سبق، لعلمت أيّنا أضعف ناصراً و أقلّ عدداً.[١]

«ما يوعدون». يعني بذلك القائم و أنصاره.[٢]

[٢٥] «قُلْ إِنْ أَدْرِي أَ قَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً».

«قل» يا محمّد: «إن أدري»: لست أدري. «ما توعدون» من العذاب. «أمداً»: مهلة ينتهي إليها. أراد أنّه لا يعرف يوم القيامة إلّا الله وحده.[٣]

قال: فلمّا أخبرهم رسول الله ما يكون من الرجعة، قالوا: متى يكون هذا؟ قال الله: «قل يا محمّد إن أدري» ـ الآية.[٤]

[٢٦ ـ ٢٧] «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً».

«على غيبه»؛ أي: لايطلع على الغيب أحداً من عباده. [ثمّ] استثنى فقال: «إلّا من ارتضى من رسول». يعني الرسل؛ فإنّهم يستدلّ على نبوّتهم بالغيب فيكون معجزة لهم. و هو قوله: «فإنّه يسلك». «رصداً»؛ أي: طريقاً. أي: يجعل له إلى علم من كان قبله من الأنبياء و السلف و علم مايكون بعده طريقاً. [و قيل: معناه:][٥] يحفظ الله الذي يطلع عليه الرسل فيجعل بين يديه و خلفه رصداً من الملائكة يحفظون الوحي من أن يسترقه الشياطين فتلقيه إلى الكهنة. و قيل: رصداً من بين يدي الرسول و من خلفه و هم الحفظة من الملائكة يحرسونه من شرّ الأعداء و كيدهم فلايصل إليه شرّهم. و قيل: المراد به جبرئيل. أي: يجعل من بين يديه و من خلفه رصداً كالحجاب تعظيماً لما يتحمّله من

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩١، عن الرضا عليه السلام.
٢ـ الكافي ١ / ٤٣٤، ح ٩١، عن الكاظم عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٦٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩١، عن الرضا عليه السلام.
٥ـ في النسخة: «يسلك من بين يديه أي» بدل من ما بين المعقوفتين.

الرسالة، كما جرت عادة الملوك بأن يضمّوا إلى الرسول جماعة من خواصّهم تشريفاً له. و هذا كما روي أنّ سورة الأنعام نزلت و معها سبعون ألف ملك.(١)

«يديه»؛ أي: يدي من ارتضى للرسالة. «رصدا»: حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين حتّى يبلّغ ما أوحى به إليه.(٢)

«من رسوله». يعني عليّاً المرتضى من رسول الله و هو منه. «فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً». قال: في قلبه العلم و من خلفه الرصد يعلّمه علمه و يزقّه العلم زقّاً و يعلّمه الله إلهاماً. و الرصد التعليم من النبيّ.(٣)

[٢٨] «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً».

«ليعلم». أي النبيّ. «أن قد أبلغوا». أي الملائكة. قيل: ما نزل جبرئيل بشيء من الوحي إلّا و معه أربعة من الملائكة حفظة ليعلم الرسول أن قد أبلغ الرسالة على الوجه الذي أمر به. و قيل: ليعلم محمّد أنّ الرسل قبله قد أبلغ جميعهم رسالات ربّهم كما أبلغ هو إذ كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله. و قيل: ليعلم الله؛ أي: ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالماً به [و يعلمه] واقعاً كما كان يعلم أنّه سيقع. «و أحاط بما لديهم»؛ أي: أحاط الله علماً بما لدى الأنبياء و الخلائق و هم لا يحيطون إلّا بما يطلعهم الله عليه. «و أحصى كلّ شيء عدداً»؛ أي: أحصى ما خلق و عرف عدد ما خلق.(٤)

«عدداً». منصوب على الحال. أي: ضبط كلّ شيء معدوداً محصوراً. أو مصدر في معنى إحصاء.(٥)

«ليعلم» النبيّ «أن قد أبلغوا رسالات ربّهم و أحاط» عليّ عليه السلام بما لدى الرسول من العلم و أحصى ما كان و ما يكون منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة. «و من خلفه». قال: يخبر

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٦٣.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٣٣.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٠، عن الباقر عليه السلام.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٦٣ ـ ٥٦٤.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٣٣.

الله رسوله الذي يرتضيه بما كان قبله من الأخبار و ما يكون بعده من أخبار القائم و الرجعة و القيامة.[١]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٠، عن الرضا عليه السلام.

۷۳.
سورة المزّمّل

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة المزّمّل في العشاء الآخرة و في آخر اللّيل، كان له اللّيل و النهار شاهدين مع السورة و أحياه الله حياة طيّبة و أماته ميتة طيّبة.[۱]

من أدمن قراءتها، رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في نومه.[۲]

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، رفع عنه العسر في الدارين.[۳]

[۱ ـ ۲] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً».

«المزّمّل». أصله: المتزمّل. و هو من تزمّل في ثيابه؛ أي: تلفّف بها. أبدل التاء بالزاء و أدغم الزاء في الزاء. و كان رسول الله صلى الله عليه وآله نائماً باللّيل متزمّلاً في قطيفة، فنبّه و نودي بما يهجّن إليه الحالة التي كان عليها من التزمّل في قطيفته و استعداده للاستثقال في النوم ـ كما يفعل من لايهمّه أمر و لايعنيه شأن ـ فأمر بأن يختار على التزمّل التشمّر و التخفّف للعبادة. لا جرم أنّه قد تشمّر لذلك مع أصحابه و أقبلوا على إحياء لياليهم و ظهرت السيمى في وجوههم و ترامى حالهم إلى حدّ رحمهم له ربّهم فخفّف عنهم. و قيل: دخل على خديجة و قد فرغ من جبرئيل أوّل ما أتاه و بوادره ترعد فقال: زمّلوني، و حسب أنّه عرض له. فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبرئيل: «يا أيّها المزّمّل». و قيل: المعنى: يا أيّها الذي زمل أمراً عظيماً؛ أي: حمله. و هو أثقال النبوّة.[٤]

۱ـ ثواب الأعمال / ۱٤۸، ح ۱.

۲ـ المصباح / ٦۱۳.

۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥٦٥.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٦۳٤ و ٦۳٦.

عن أبي جعفرعليه السلام في قوله: «قم اللّيل» قال: أمره الله أن يصلّي كلّ ليلة إلّا أن يأتي عليه [ليلة] من اللّيالي لايصلّي فيها شيئاً. كذا في تهذيب الأحكام.(١)

و في تفسير عليّ بن إبراهيم: «المزّمّل» هو النبيّ صلى الله عليه وآله كان يتزمّل بثوبه و ينام فقال الله: «يا أيّها المزّمّل».(٢)

[٣ـ ٤] «نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً».

«نصفه». بدل من اللّيل. و «إلّا قليلاً» استثناء من النصف. فكأنّه قال: قم أقلّ من نصف اللّيل. و الضمير في «منه» و «عليه» للنصف. و المعنى التخيير بين أمرين: بين أن يقوم أقلّ من نصف اللّيل على البتّ و بين أن يختار أحد الأمرين و هما النقصان من النصف و الزيادة عليه. و إن شئت جعلت نصفه بدلاً من قليلاً و كان تخييراً بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه و بين قيام الناقص منه و بين قيام الزائد عليه. و إنّما وصف النصف بالقلّة بالنسبة إلى الكلّ. و هذا القيام أهو فرض أو نفل؟ قيل: إنّ الله جعله تطوّعاً بعد أن كان فريضة. و قيل: كان فرضاً قبل الصلوات الخمس ثمّ نسخ بهنّ إلّا ما تطوّعوا به.(٣)

«أو انقص منه». قال: انقص من القليل. «أو زد عليه»؛ أي: على القليل قليلاً. و في مجمع البيان: انّ نصفه بدل من القليل فيكون بياناً للمستثنى. و يؤيّده قول الصادقعليه السلام: القليل النصف. أو انقص من القليل قليلاً. أو زد على القليل قليلاً.(٤)

«أو انقص» بكسر الواو للساكنين حمزة و عاصم، و الباقون بضمّها للإتباع.(٥)

و في الكافي عن أبي عبدالله في قوله: «و رتّل القرآن ترتيلاً» قال: إذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة، فقف عندها و اسأل الله الجنّة. و إذا مررت بآية فيها ذكر النار، فقف و تعوّذ منها.(٦)

١ـ التهذيب ٢ / ٣٣٥، ح ١٣٨٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٢.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٣٧.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٦٨.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ٢٩ / ٦٧.
٦ـ الكافي ٢ / ٦١٧، ح ٢.

«و رتّل القرآن». و هو قراءته على ترسّل بإظهار الحروف و إشباع الحركات حتّى يجيء المتلوّ منه شبيهاً بالثغر المرتّل و هو المفلج المشبه بنور الأقحوان. و «ترتيلاً» تأكيد في إيجاب الأمر به.(١)

«و رتّل القرآن». عن قطرب: هو تحزين القلب(٢). أي: اقرأه بصوت حزين. و عن أبي عبدالله عليه السلام: هو أن تتمكّث فيه و تحسّن به صوتك.(٣)

[٥] «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً».

«إنّا سنلقي عليك». هذه الآية اعتراض. «قولاً ثقيلاً». و هو القرآن و ما فيه من التكاليف ثقيلة على المكلّفين خاصّة على رسول الله. لأنّه متحمّلها بنفسه و محمّلها أمّته. و أراد بهذا الاعتراض أنّ ما كلّفه من قيام اللّيل من جملة التكاليف الثقيلة التي ورد بها القرآن. لأنّ اللّيل وقت الراحة فلابدّ لمن أحياه من مضادّة لطبعه و مجاهدة لنفسه. و قيل: ثقيل على المنافقين. و قيل: كلام له وزن و رجحان.(٤)

و عنه عليه السلام «قولاً ثقيلاً» قال: قيام اللّيل. و قوله: «أقوم قيلاً» قال: أصدق القول.(٥)

«قولاً ثقيلاً»؛ أي: ثقيلاً نزوله. فإنّه صلى الله عليه وآله كان يتغيّر حاله عند نزوله و إذا كان راكباً ينزل عن راحلته و لايستطيع المشي. و [كان] قد ينزل عليه الوحي في اليوم الشديدة البرد فيرفض عرقاً. و لمّا نزلت عليه سورة المائدة، كان على بغلة فأدلت إلى الأرض. و هذا إذا كان الوحي بدون توسّط الملك كما في الأخبار.

[٦] «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلاً».

ابن‌عامر و أبوعمرو: «وطأ» بكسر الواو وسكون الطاء. و الآخرون بالمدّ مصدر

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٣٧.
٢ـ المصدر: تحزين القرآن.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٦٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٣٧ ـ ٦٣٨.
٥ـ ورد هذه الفقرة في النسخة في ضمن فقرة منقولة عن المجمع. و الظاهر زيادتها، حيث لم‌نجده في المجمع ولكن يوجد في تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٢: «قولاً ثقيلاً». قال: قيام اللّيل. و هو قوله: «إنّ ناشئة اللّيل ... و أقوم قيلاً». قال: أصدق القول.

واطأت.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام «و أقوم قيلاً» قال: قيام الرجل عن فراشه يـريد بـه الله لايـريد غيره.[٢]

«ناشئة اللّيل»: النفس الناشئة باللّيل التى تنشأ من مضجعها إلى العبادة؛ أي: تنهض و ترفع. من نشأت السحابة، إذا ارتفعت. أو قيام اللّيل، على أنّ الناشئة مصدر من نشأ إذا قام. أو العبادة التي تنشأ باللّيل. «هي أشدّ» خاصّة دون ناشئة النهار، أشدّ مواطأة[٣] يواطئ قلبها لسانها، إن أردت النفس، أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه، إن أردت القيام أو العبادة. أو: أشدّ موافقة لما يراد من الخشوع و الإخلاص. أو: أشدّ مـوافـقة بـين السرّ والعـلانية لانقطاع رؤية الخلق. و قرئ: «وطْأ» بالكسر و الفتح. أي: أشدّ ثبات قدم و أبعد من الزلل و أثقل على المصلّي من صلاة النهار. «و أقوم قـيلاً»: و أشـدّ مـقالاً و أثـبت قـراءة لهـدوّ الأصوات.[٤]

[٧] «إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً».

عن أبي جعفر عليه السلام «إنّ لك في النهار سبحاً طـويلاً»: يـعني: فـراغاً طـويلاً لنـومك و حاجتك.[٥]

«سبحاً طويلاً»: تصرّفاً و تقلّباً في مهمّاتك و شواغلك و لاتفرغ إلّا باللّيل. فـعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال. كلّفه قيام اللّيل، ثمّ ذكر الحكمة؛ و هو أنّ اللّيل أعون على المواطأة و أشدّ للقراءة و أجمع للقلب. و قيل: إن فاتك من اللّيل شيء، فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه.[٦]

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢٩ / ٦٧.

٢ـ تهذيب الأحكام ٢ / ٣٣٦، ح ١٣٨٥.

٣ـ هذا المعنى على قراءة: «وطاء» بكسر الواو و المدّ.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٣٨ ـ ٦٣٩.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٢.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٣٩.

[٨] «وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً».

«و اذكر اسم ربّك»: دم عليه في ليلك و نهارك. و هو يتناول مطلق الذكر حتّى دراسة العلوم و غير ذلك ممّا كان رسول الله يستغرق به ساعات ليله و نهاره. «و تبتّل إليه»: انقطع إليه. و قال: «تبتيلاً» مكان تبتّلاً مراعاة لحقّ الفواصل.(١)

«و تبتّل»؛ يعني: أخلص النيّة إخلاصاً.(٢)

و عن الكاظم عليه السلام: التبتّل أن تقلّب كفّيك في الدعاء إذا دعوت.(٣)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: التبتّل الدعاء بأصبع واحدة تشير بها.(٤)

و في حديث آخر عنه عليه السلام: التبتّل أن يرفع أصابعه مرّة و يضعها مرّة.(٥)

و قال أيضاً: التبتّل أن تحرّك السبّابة اليسرى ترفعها إلى السماء رسلاً و تضعها.(٦)

و عنه عليه السلام: التبتّل رفع اليدين في الصلاة.(٧)

[٩ ـ ١٠] «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً * وَ اصْبِرْ عَلىٰ مَا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً».

«ربّ المشرق». مرفوع على المدح. «وكيلاً»؛ أي: لاتتوكّل إلّا عليه. و قيل: كفيلاً بما وعدك من النصر و الإظهار. «هجراً جميلاً». و هو أن يجانبهم بقلبه و هواه و يخالفهم مع حسن المخالقة و المداراة و الإغضاء و ترك المكافاة. و قيل: هي منسوخ بآية السيف.(٨)

[١١] «وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلاً».

«و ذرني و المكذّبين». إذا عرف الرجل من صاحبه أنّه مستهمّ بخطب يريد أن يكفاه أو بعدوّ يشتهي أن ينتقم له منه قال: ذرني و إيّاه؛ أي: لاتحتاج إلى الظفر بمرادك إلّا أن تكل

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٣٩.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٢.
٣ـ معاني الأخبار / ٣٧، ح ٢.
٤ـ الكافي ٢ / ٤٧٩، ح ١.
٥ـ الكافي ٢ / ٤٨٠، ح ٣.
٦ـ الكافي ٢ / ٤٨٠، ح ٤.
٧ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٧١.
٨ـ الكشّاف ٤ / ٦٣٩ ـ ٦٤٠.

أمره إليّ. فإنّ فيّ ما يجلي همّك. [و ليس ثمّ منع حتّى يطلب إليه أن يذره و إيّاه إلّا تـرك الاستكفاء و التفويض.] كأنّه إذا لم يكل إليه أمره، فكأنّه منعه منه، و إذا وكله إليه، فقد أزال المنع و تركه و إيّاه. و النَّعمة: التنعّم. و بالكسر: الإنعام.(١)

عن أبي الحسن الماضي عليه السلام: «و ذرني يا محمّد و المكذّبين بوصيّك أولي النعمة». قلت: إنّ هذا تنزيل؟ قال: نعم.(٢)

[١٢] «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَ جَحِيماً».

«إنّ لدينا» ما يضادّ تنعّمهم من أنكال و هي القيود الثقال. قيل: إذا ارتفعوا استقلّت بهم.(٣)

[١٣] «وَ طَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَ عَذَاباً أَلِيماً».

«ذا غصّة». هو الذي ينشب في الحلوق فلايساغ. يعني الضريع و شجر الزقّوم.(٤)

[١٤] «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ وَ كَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً».

«يوم ترجف». منصوب بما في لدينا من معنى الفعل. و الرجفة: الزلزلة. و الكثيب: الرمل المجتمع. من كثب الشيء، إذا جمعه. كأنّه فعيل بمعنى مفعول. «مهيلاً». هيل مهيلاً؛ أي: نثر و أسيل.(٥)

«كثيباً مهيلاً». قال: مثل الرمل ينحدر.(٦)

[١٥] «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً».

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٤٠.
٢ـ الكافي ١ / ٤٣٤، ح ٩١.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٤٠.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٤٠.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٤١.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٢.

«إليكم». خطاب لأهل مكّة.(١)

«شاهداً عليكم» في الآخرة بما يكون منكم في الدنيا. «رسولاً». يعني موسى.(٢)

[١٦] « فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ».

«وبيلاً»: شديداً ثقيلاً مع كثرة جنوده و سعة ملكه. فاحذروا أن ينالكم ما ناله.(٣)

[١٧] « فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ».

«يوماً»؛ أي: عقاب يوم. «شيباً». جمع أشيب. وصف لذلك اليوم و شدّته؛ كما يقال: هذا أمر يشيب منه الوليد. أي: بأيّ شيء تتحصّنون من ذلك اليوم إن كفرتم؟(٤)

«يوماً». مفعول به. أي: كيف تقون أنفسكم يوم القيامة و هوله إن بقيتم على الكفر؟ أو يكون ظرفاً. أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا؟ و يجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم. أي: كيف تخشون الله إن جحدتم يوم القيامة و الجزاء؟ «يجعل الولدان شيبا». مثل في الشدّة. لأنّ الهموم و الأحزان [إذا تفاقمت على الإنسان، أسرع فيه] الشيب.(٥) و يجوز أن يوصف اليوم بالطول و أنّ الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة.(٦)

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: انّ الله يأمر ناراً يقال لها الفلق أشدّ شيء في عذاب جهنّم، فيخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل و الأغلال. فيأمر الله أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة. فمن شدّة نفختها تتقطّع السماء و تنطمس النجوم و تجمد البحار و تزول الجبال و تظلم الأبصار و تضع الحوامل حملها و تشيب الولدان من هولها يوم القيامة.(٧)

[١٨] « السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ».

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٤١.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٧٣.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٧٣.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٧٣.

٥ـ في النسخة: «شرع في» بدل ما بين المعقوفتين.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٤١ ـ ٦٤٢.

٧ـ التوحيد / ٣٩١، ح ١.

ثمّ زاد سبحانه في [وصف] شدّة ذلك اليوم فقال: «السماء منفطر به»؛ أي: السماء تنفطر و تنشقّ في ذلك اليوم من هوله. و قيل: بأمر الله و قدرته. و لم يقل منفطرة، لأنّ لفظ السماء مذكّر [و يجوز أن يذكّر و يؤنّث]. فمن ذكّر أراد السقف. «مفعولاً»؛ أي: لا خلف فيه.[1]

«السماء منفطر به». وصف لليوم بالشدّة أيضاً. فإنّ السماء على عظمها و إحكامها تنفطر فيه، فما ظنّك بغيرها من الخلائق. و المعنى ذات انفطار أو على تأويل السماء بالسقف. و الباء في «به» للآلة، مثلها في فطرت العود بالقدوم فانفطر به. يعني أنّها تنفطر بشدّة ذلك اليوم و هوله. و يجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالاً يؤدّي إلى انفطارها لعظمه عليها و خشيتها من وقوعه. كقوله: «ثقلت في السموات».[2] «وعده». من إضافة المصدر إلى المفعول. و الضمير لليوم. و يجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل و هو الله عزّ و علا.[3]

[۱۹] « إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ لِمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ».

«إنّ هذه» التي ذكرنا «تذكرة»؛ أي: عظة يذكّر بها.[4]

و معنى اتّخاذ السبيل إليه التقرّب و التوسّل بالطاعة.[5]

[۲۰] «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضىٰ وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَ آخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً وَ اسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥٧٤.
۲ـ الأعراف (۷) / ۱۸۷.
۳ـ الكشّاف ٤ / ٦٤٢.
٤ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥٧٤.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٤٢.

«أدنى»؛ أي: أقرب و أقلّ من ثلثي اللّيل و أقلّ من نصفه و ثلثه. و الهاء تعود إلى اللّيل. أي: نصف اللّيل و ثلث اللّيل. و المعنى: انّك تقوم في بعض اللّيالي قريباً من الثلثين و في بعضها قريباً من النصف و قريباً من ثلثه. و قيل: الهاء تعود إلى الثلثين. أي: أقرب من نصف الثلثين و من ثلث الثلثين. و إذا نصبت[1] فالمعنى: تقوم نصفه و ثلثه. «و» تقوم «طائفة من الذين معك» على الايمان. عن ابن‌عبّاس: هم عليّ و أبوذرّ. «يقدّر اللّيل»؛ أي: يقدّر أوقاتها لتعلموا فيها على ما يأمركم به. أو المراد أنّه يعلم مقاديرهما فيعلم القدر الذي تقومونه من اللّيل. «أن لن تحصوه». كان الرجل يصلّي اللّيل كلّه مخافة أن لايصيب ما أمر به من القيام. أي: لن تطيقوا معرفة ذلك. و قيل: قاموا حتّى انتفخت أقدامهم، فقال سبحانه: إنّكم لاتطيقون إحصاءه على الحقيقة. و قيل: معناه: لن تطيقوا المداومة على قيام اللّيل و يقع منكم التقصير. «فتاب عليكم» بأن جعله تطوّعاً لا فرضاً. [و قيل:] «فتاب عليكم»؛ أي: خفّف عليكم. «من القرآن». يعني في صلاة اللّيل. عن أكثر المفسّرين. و قيل: معناه: صلّوا ما تيسّر من الصلاة. و عبّر به عن الصلاة لأنّها تتضمّنه. و من قال المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة، حمله على الاستحباب. و قال بعضهم: هو محمول على الوجوب. لأنّ القارئ يقف على إعجاز القرآن و ما فيه من دلائل التوحيد و إرسال الرسل. و أمّا القدر [الذي تضمّنه هذا الأمر من القراءة][2] فقيل: خمسون آية. و [قال] ابن‌عبّاس: مائة آية. و قيل: ثلث القرآن. «سيكون منكم مرضى». و ذلك يقتضي التخفيف. «آخرون»؛ أي: و منكم قوم آخرون. «يضربون في الأرض»: يسافرون للتجارة و طلب الأرباح. «و آخرون»؛ أي: منكم قوم آخرون «يقاتلون في سبيل الله». كلّ ذلك يقتضي التخفيف عنكم. «فأقيموا الصلاة» بحدودها. «و آتوا الزكاة» المفروضة. «و أقرضوا الله»؛ أي: أنفقوا في سبيل الله.

١ـ قرأ ابن‌كثير و أهل الكوفة: «نصفه و ثلثه» بالنصب، و الباقون بالجرّ. (المجمع ١٠ / ٥٧٥)

٢ـ في النسخة: «الواجب» بدل ما بين المعقوفتين.

«فاقرؤوا ما تيسّر منه». عن الرضا عليه السلام قال: ما تيسّر لكم فيه خشوع القلب و صفاء السرّ. «من خير»؛ أي: طاعة، تجدوا ثوابه عند الله. «هو خيراً» لكم من الشحّ و التقصير و أعظم ثواباً. قال عبدالله بن مسعود: أيّما رجل طلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه، كان عند الله بمنزلة الشهداء. ثمّ قرأ: «و آخرون يضربون» ـ الآية. و قيل: إنّ هذه الآية مدنيّة. و يدلّ عليه أنّ الصلاة و الزكاة لم توجبا بمكّة. و قيل: أوجبتا، و الآية مكّيّة.(١)

«أدنى من ثلثي اللّيل»: أقلّ منهما. و قرئ: «ثلثه و نصفه» بالنصب، على: أنّك تقوم أقلّ من الثلثين و تقوم النصف و الثلث. و هو مطابق لـ[ما مرّ في] أوّل السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه و بين قيام الناقص منه و هو الثلث و بين قيام الزائد عليه و هو الأدنى من الثلثين. و قرئ: «و نصفه و ثلثه» بالجرّ. أي: تقوم أقلّ [من] الثلثين و أقلّ من النصف و الثلث. و هو مطابق للتخيير بين النصف و هو أدنى من الثلثين و الثلث و هو أدنى من النصف و الربع و هو أدنى من الثلث، و هو الوجه الأخير. «فتاب عليكم». عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدّر. أي: إنّه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب. «فاقرؤوا ما تيسّر». عبّر عن الصلاة بالقراءة لأنّها بعض أركانها. يريد: فصلّوا ما تيسّر عليكم من صلاة اللّيل. و هذا ناسخ للأوّل. ثمّ نسخا جميعاً بالصلوات الخمس. «علم أن سيكون». استئناف على طريق السؤال عن وجه النسخ. «و آتوا الزكاة». يعني الواجبة. و قيل: زكاة الفطرة. لأنّه لم يكن بمكّة زكاة. و من فسّرها بالزكاة الواجبة، جعل آخر السورة مدنيّاً. «و أقرضوا الله». يجوز أن يريد سائر الصدقات، و أن يريد أداء الزكاة على أحسن وجه من إخراج طيّب المال و أعوده على الفقراء و مراعاة النيّة و ابتغاء وجه الله، و أن يريد كلّ خير

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٧٥ ـ ٥٧٦.

يفعله ممّا يتعلّق بالنفس و المال.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: ثلاثة يشكون إلى الله ـ إلى قوله: ـ و مصحف معلّق يقع عليه الغبار لايقرأ فيه.[٢]

قيل: كان التهجّد و اجباً على التخيير المذكور، فعسر عليهم القيام به، فنسخ به، ثمّ نسخ هذا بالصلوات الخمس.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «إنّ ربّك» ـ الآية ـ قال: فعل النبيّ صلى الله عليه و آله ذلك فبشّر الناس به. فشقّ ذلك عليهم. و [قوله:] «علم أن لن تحصوه» كان الرجل يقوم و لايدري متى ينتصف اللّيل و متى يكون الثلثان، و كان الرجل يقوم حتّى يصبح مخافة ألّا يحفظه، فأنزل الله: «إنّ ربّك» إلى قوله: «علم أن لن تحصوه». يقول متى يكون النصف و الثلث. نسخت هذه الآية: «فاقرؤوا ما تيسّر من القرآن».[٤]

عن سماعة قال: سألته عن قول الله: «و أقرضوا الله قرضاً حسناً». قال: هو غير الزكاة.[٥]

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٤٣ ـ ٦٤٤.

٢ـ الخصال / ١٤٢، ح ١٦٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣٩.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٢.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٣.

۷٤.
سورة المدّثّر

من أدمن قرٰاءتها و سأل الله في آخرها حاجة قضيت أو حفظ القرآن حفظه.(١)

عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ سورة المدّثّر في فرائضه، كان حقّاً على الله عزّ و جلّ أن يجعله مع محمّد صلى الله عليه و آله في درجته و لايدركه في حياة الدنيا شقاء أبداً.(٢)

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأ سورة المدّثّر، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق محمّداً و كذّب به.(٣)

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ».

«المدّثّر» بثيابه. قيل: أوّل ما نزل يا أيّها المدّثّر. قال رسول الله: جاورت الحراء [شهراً] فنزلت الوادي فنوديت من بطن الوادي. فنظرت أمامي و خلفي و عن يميني و عن شمالي فلم‌أر أحداً. ثمّ نوديت، فرفعت رأسي، فإذا جبرئيل على العرش في الهواء، فخفت منه. ثمّ جئت إلى أهلي فقلت: دثّروني و صبّوا عليّ ماء. فأنزل الله: «يا أيّها المدّثّر * قم فأنذر»؛ أي: ليس بك ما تخافه من الشيطان. إنّما أنت نبيّ فأنذر الناس و ادعهم إلى التوحيد.(٤) و قيل: إنّ

١ـ المصباح / ٦١٣.

٢ـ ثواب الأعمال / ١٤٨، ح ١.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٧٧.

٤ـ ورد في المصدر بعده: و في هذا ما فيه. لأنّ الله تعالى لايوحي إلى رسوله إلّا بالبراهين النيّرة و الآيات البيّنة الدالّة على أنّ ما يوحى إليه إنّما هو من الله تعالى فلايحتاج إلى شيء سواها و لايفزع و لايفرق.

المراد الجدّ في الأمر و القيام بما أرسل به و ترك الهوينا[١] فيه. فكأنّه قيل: لاتنم عمّا أمرتك به. و هذا كما تقول العرب: فلان لا ينام في أمره إذا وصف بالجدّ و صدق العزيمة. [٢]

و قيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتمّ فتغطّى بثوبه مفكّراً كما يفعل المغموم، فأمر أن لايدع إنذارهم و إن أسمعوه و آذوه. [٣]

[٣] «وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ».

«و ربّك فكبّر»؛ أي: عظّمه و نزّهه عمّا لايليق به. و قيل: قل الله أكبر في الصلاة. [٤]

[٤] «وَ ثِيَابَكَ فَطَهِّرْ».

«فطهّر»؛ أي: طهّر ثيابك من النجاسة للصلاة و طهّر نفسك من الذنوب. و روي عن أبي عبدالله عليه السلام: و ثيابك فقصّر. لأنّ تقصير الثوب أبعد من النجاسة و لمخالفة العرب في تطويلهم الثياب و جرّهم الذيول. و قيل: معناه: [و] أزواجك فطهّرهنّ عن الكفر و المعاصي. و العرب تكنّي بالثياب عن النساء. و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: غسل الثياب يذهب الهمّ وهو طهور للصلاة. [٥]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «و ثيابك فطهّر»؛ يعني: شمّر ثيابك. [٦]

و عن أبي عبدالله عليه السلام إنّ عليّاً عليه السلام اشترى ثلاثة أثواب بدينار: القميص إلى فوق الكعب، والإزار إلى نصف الساق، و الرداء من بين يديه إلى ثدييه أو من خلفه إلى أليتيه. فحمد الله ثمّ قال: هذا اللّباس الذي ينبغي للمسلمين أن يلبسوه. قال أبوعبدالله عليه السلام: ولكن لاتقدرون أن تلبسوا هذا اليوم. و لو فعلنا لقالوا مجنون أو مراء. و الله يقول: «و ثيابك فطهّر»؛ يعني: ارفعها و لاتجرّها. فإذا قام قائمنا، كان هذا اللّباس. [٧]

١ـ ورد في هامش النسخة: و في الحديث: و ما هي بالهوينا؛ أي: و ما القصّة المعهودة بالهوينا السهلة. مجمع البحرين.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٧٩ ـ ٥٨٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٤٥.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨٠.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨٠ ـ ٥٨١.
٦ـ الخصال / ٦٢٣.
٧ـ الكافي ٦ / ٤٥٥ ـ ٤٥٦، ح ٢.

[٥] «وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ».

«و الرجز فاهجر»؛ أي: اهجر الأصنام و الأوثان. و قيل: معناه: جانب الفعل القبيح و الخلق الذميم. و قيل: معناه: أخرج حبّ الدنيا من قلبك لأنّه رأس كلّ خطيئة. «و الرجز». أبوجعفر و حفص بضمّ الراء، و الباقون بالكسر.(١)

[٦] «وَ لَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ».

«و لاتمنن تستكثر»؛ أي: لاتعط عطيّة لتعطى أكثر منها. و هذا للنبيّ خاصّة. أدّبه الله بأكرم الآداب. و قيل: لاتمنن بعطائك على الناس مستكثراً ما أعطيته. فإنّ متاع الدنيا قليل، و لأنّ المنّ يكدّر الصنيعة. و قيل: معناه: لاتمنن بإبلاغ الرسالة على أمّتك.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام في «و لاتمنن تستكثر» قال: و لاتستكثر ما عملت من خير لله.(٣)

[٧] «وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ».

«و لربّك»؛ أي: لوجه ربّك. «فاصبر» على أذى المشركين. و قيل: فاصبر عن المعاصي و على الطاعات.(٤)

[٨] «فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ».

«فإذا نقر»؛ أي: إذا نفخ في الصور. و هو كهيئة البوق. و قيل: إنّ ذلك في النفخة الأولى و هو أوّل الشدّة الهائلة. و قيل: النفخة الثانية. و عندها يحيي الله الخلق. و هي صيحة الساعة.(٥)

و عنه عليه السلام في قوله: «في الناقور» قال: إنّ منّا إماماً مستتراً. فإذا أراد [الله] إظهار أمره، نكت في قلبه فيظهر بأمر الله.(٦)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨١ و ٥٧٨.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨١.

٣ـ الكافي ٢ / ٤٩٩، ح ١.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨١.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨١.

٦ـ غيبة الشيخ / ١٠٣.

[۹ ـ ۱۰] «فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ».

«غير يسير»؛ أي: غير هيّن و لا سهل.[۱]

[۱۱ ـ ۱٦] «ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَ بَنِينَ شُهُوداً * وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً».

«ذرني و من خلقت وحيداً». نزلت الآيات في الوليد بن المغيرة المخزوميّ. و ذلك أنّه قال لقريش في دار الندوة: أنتم ذوو أحلام. و إنّ العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف. فاجمعوا أمركم على شيء واحد. فما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: شاعر. فعبس عندها [و] قال: ما يشبه قوله قول الشاعر. قالوا: كاهن. قال: لا يحدّث بما يحدّث به الكهنة. قالوا: مجنون. قال: تأتونه فما تجدونه مجنوناً. قالوا: ساحر. لأنّه يبغّض بين المتحابّين و يحبّب بين المتباغضين. قال: فهو ساحر. فاتّفقوا على ذلك، فكان لايلقى أحد منهم النبيّ إلّا قال له: يا ساحر. فاشتدّ ذلك عليه. فأنزلت السورة. «ذرني»؛ أي: دعني و هذا الكافر. دعني و من خلقته متوحّداً بخلقه. و إن حملته على صفة المخلوق، فمعناه: دعني و من خلقته في بطن أمّه وحده لا مال له و لا ولد. أي: خلّ بيني و بينه، فأنا أتفرّد بهلاكه. قال ابن‌عبّاس: كان الوليد يسمّى الوحيد في قومه. و عن أبي عبدالله أنّ الوحيد ولد الزنى.[۲]

إنّما سمّي الوليد وحيداً لأنّه قال لقريش: أنا أتوحّد بكسوة البيت سنة و عليكم في جماعتكم سنة.[۳]

«مالاً ممدوداً»: ما بين مكّة إلى الطائف من الإبل و الخيل المسوّمة و النعم المرحلة و المستغلّات [التي] لاتنقطع غلّتها و الجواري و العبيد. و قيل: الممدود الذي لاينقطع غلّته حتّى يدرك غلّة سنة أخرى فهو ممدود على الأيّام. و كان له بستان بالطائف لاينقطع خيره في صيف و لا شتاء. «و بنين شهوداً»: حضوراً معه بمكّة لايغيبون عنه لغناهم عن ركوب

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ۵۸۲.
۲ـ مجمع البيان ۱۰ / ۵۸۳ ـ ۵۸٤.
۳ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۳۹٤.

السفر للتجارة. كانوا ثلاثة عشر ولداً. قالوا: ما زال الوليد بعد هذه الآية في نقصان من ماله و ولده حتّى هلك. «و مهّدت له» [أي: بسطت له] في العيش بسطاً حتّى صار مكفيّ المؤونة من كلّ وجه. «ثمّ يطمع أن أزيد»؛ أي: لم يشكر على هذه النعم بل كفر نعمائي و هو مع ذلك يطمع أن أزيد في نعمائه. «كلّا»؛ أي: لا يكون كما ظنّ و لا أزيده مع كفره. «إنّه كان»؛ أي: لم أفعل ذلك به لأنّه كان لأدلّتنا معانداً منكرها مع معرفته بها.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام «و من خلقت وحيداً» قال: الوحيد ولد الزنى؛ و هو الثاني. «مالاً ممدوداً»: أجلاً إلى مدّة. «و بنين شهوداً»: أصحابه الذين شهدوا أن رسول الله لا يورّث. «و مهّدت له»: ملّكته الملك. «لآياتنا عنيداً». قال: لولاية أميرالمؤمنين عليه السلام جاحداً.(٢)

[١٧] «سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً».

«سأرهقه»؛ أي: سأكلّفه مشقّة من العذاب لا راحة فيه. و قيل: صعود جبل في جهنّم من نار يؤخذ بارتقائه فإذا وضع يده عليه ذابت فإذا رفعها عادت. و كذلك رجله. و قيل: هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلّف أن يصعدها [حتّى إذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها ثمّ يكلّف أيضاً أن يصعدها]. فذلك دأبه أبداً، يجذب من أمامه بسلاسل الحديد و يضرب من خلفه بمقاطع الحديد فيصعدها في أربعين سنة.(٣)

[١٨ ـ ٢٥] «إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ».

«فكّر» ماذا يقول في القرآن «و قدّر» القول في نفسه ليحتال به للباطل. قال: إن قلنا شاعر، كذّبتنا العرب باعتبار ما أتى به. و إن قلنا كاهن، لم يصدّقونا لأنّه لا يشبه كلام

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨٤ ـ ٥٨٥. ٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٥.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨٥.

الكهان. فنقول هو سحر يؤثر عن غيره. «فقتل»؛ أي: لعن و عذّب. و قيل: لعن بما يجري مجرى القتل. «و بسر». البسور: بدوّ التكرّه في الوجه. «إلّا سحر يؤثر»؛ أي: يروى عن السحرة. أو من الإيثار. أي: تؤثره النفوس و تختاره لحلاوته فيها.[١]

«و بسر»؛ أي: لوّى شدقه. «سحر يؤثر» عن أهل بابل. فتفرّقوا [متعجّبين] منه.[٢]

«فقتل كيف قدّر * ثمّ قتل». تعجيب من تقديره و إصابته فيه المحز و رميه الغرض الذي كان تنتحيه القريش. أو ثناء عليه على طريق الاستهزاء. و معنى قول القائل: قتله الله ما أشجعه، الإشعار بأنّه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد و يدعو عليه حاسده بذلك. «ثمّ نظر» الوليد في وجوه الناس. «ثمّ عبس»؛ أي: قطب وجهه. ثمّ زحف مدبراً و تشاوس مستكبراً لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء و همّ بأن يرمي بها وصف أشكاله التي تشاكل بها حتّى استنبط ما استنبط استهزاء به. و تلك الكلمة هي قوله، إنّ محمّداً ساحر. و هو أفسق الناس له. و قيل: قدّر ما يقوله. ثمّ نظر فيه. ثمّ عبس لمّا ضاقت عليه الحيل و لم يدر ما يقول. فإن قلت: ما معنى «ثمّ» الداخلة في تكرير الدعاء؟ قلت: الدلالة على أنّ الكرّة الثانية أبلغ من الأولى. و أمّا معنى المتوسّطة بين الأفعال التي بعدها، فهو الدلالة على أنّه قد تأتّى في التأمّل و تمهّل و كأنّ بين الأفعال المتناسقة تراخ و تباعد. فإن قلت: فلم قيل: «فقال» بالفاء بعد عطف ما قبله بثمّ؟ قلت: لأنّ الكلمة لمّا خطرت بباله بعد التطلّب، لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبّث. «إن هذا إلّا قول البشر». [إن قلت: فلم] لم يتوسّط حرف العطف بين الجملتين؟ قلت: لأنّ الأخرى منها جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكّد.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «ذرني و من خلقت وحيداً» ـ إلى آخر الآيات ـ: نزلت في عمر بن الخطّاب. «إنّه فكّر و قدّر»: [فكّر] فيما أمر به من الولاية و قدّر إن مضى رسول الله ألّا يسلّم لأمير المؤمنين عليه السلام البيعة التي بايعه بها على عهد رسول الله. « [فقتل كيف قدّر] *

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨٥ ـ ٥٨٦ و ٥٨٣. ٢ـ الجوامع / ٥١٨.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٤٩ ـ ٦٥٠.

ثمّ قتل كيف قدّر». قال: عذاب بعد عذاب يعذّبه القائمعليه السلام. «ثمّ نظر» إلى النبيّ و الوصيّ فعبس «و بسر» ممّا أمر به. «إلّا سحر يؤثر». قال عمر: إنّ النبيّ سحر الناس لعليّ. «قول البشر»؛ أي: ليس هو وحي من الله.(١)

[٢٦ ـ ٢٧] «سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ».

«سأصليه سقر». بدل من «سأرهقه صعوداً».(٢)

عن أبي عبداللهعليه السلام: انّ في جهنّم لوادياً للمتكبّرين يقال له سقر. شكا إلى الله شدّة حرّه و سأله أن يأذن له أن يتنفّس. فتنفّس فأحرق جهنّم.(٣)

[٢٨] «لَا تُبْقِي وَ لَا تَذَرُ».

«لاتبقي» شيئاً يلق فيها إلّا أهلكته، و إذا هلك لم تذره هالكاً حتّى يعاد. أو: لاتبقي على شيء و لاتدعه من الهلاك، بل كلّ ما يطرح فيها هالك لا محالة.(٤)

[٢٩] «لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ».

«لوّاحة للبشر»؛ أي: مغيّرة للجلود.(٥)

«لوّاحة للبشر». من لوح الهجير. قيل: تلفح الجلد لفحة فتدعه أشدّ سواداً من اللّيل. و البشر: أعالي الجلود. و قيل: تلوح للناس. كقوله: « ثمّ لترونّها عين اليقين»(٦).(٧)

[٣٠] «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ».

«تسعة عشر». هم خزنتها مالك و ثمانية عشر معه يخرج النار من أفواههم. تسع كفّ

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٥.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٠.
٣ـ الكافي ٢ / ٣١٠، ح ١٠.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٠.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨٦.
٦ـ التكاثر (١٠٢) / ٧.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٠.

أحدهم مثل ربيعة و مضر. يرفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنّم.[۱] و أمّا تخصيص التسعة عشر و الوجه فيه، فقد ذكره شيخنا الطبرسيّ و القاضي البيضاويّ. فارجع إليه إن أردت الاطّلاع عليه.

قال الطبرسيّ: قيل: إنّما خصّوا بهذا العدد ليوافق الخبر الخبر لما جاء به الأنبياء قبله و ما كان في الكتب المتقدّمة. و قال بعضهم في تخصيص هذا العدد: إنّ تسعة عشر يجمع أكثر القليل من العدد و أقلّ الكثير منه. لأنّ العدد آحاد، عشرات، مئات، ألوف. فأقلّ العشرات عشرة و أكثر الآحاد تسعة.[۲] (حسن)

«عليها تسعة عشر»؛ أي: يلي أمرها و يتسلّط على أهلها تسعة عشر ملكاً. و قيل: صنفاً من الملائكه.[۳]

[۳۱] «وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ يَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَ لَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَا ذَا أَرَادَ اللهُ بِهٰذَا مَثَلاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرىٰ لِلْبَشَرِ».

جعلهم ملائكة لأنّهم خلاف المعذّبين من الجنّ و الإنس فلايأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة و الرقّة. و روي أنّه لمّا نزل «عليها تسعة عشر» قال أبوجهل لقريش: ثكلتكم أمّهاتكم! أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر و أنتم الجمع الكثير. أيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ قال أبوالأشدّ الجمحيّ: أنا أكفيكم سبعة عشر. فاكفوني أنتم اثنين. فأنزل الله: «و ما جعلنا أصحاب النار إلّا ملائكة». [أي] ليخالفوا جنس

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ۵۸٦.
۲ـ مجمع البيان ۱۰ / ۵۸٦.
۳ـ الكشّاف ٤ / ٦٥۰.

المعذّبين فلايرقّوا لهم و لأنّهم أقوى الخلق بأساً فلايطاقون. «و ما جعلنا عدّتهم إلّا فتنة»؛ أي: ما جعلنا عددهم إلّا العدد الذي اقتضى فتنتهم و هو التسعة عشر. فعبّر بالأثر عن المؤثّر تنبيهاً على أنّه لاينفكّ منه. و افتتانهم به لاستقلالهم له و استهزائهم و استبعادهم أن يتولّى هذا العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين. و لعلّ المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله: «ليستيقن الذين أوتوا الكتاب»؛ أي: ليكتسبوا اليقين بنبوّة محمّد و صدق القرآن لمّا رأوا ذلك موافقاً لما في كتبهم. «و يزداد الذين آمنوا» بالايمان به و بتصديق أهل الكتاب له.[1]

فإن قلت: لم قال: «و لايرتاب الذين أوتوا الكتاب و المؤمنون» و الاستيقان و ازدياد الايمان دلّا[2] على انتفاء الارتياب؟ قلت: لأنّه إذا جمع لهم إثبات اليقين و نفي الشكّ، كان أبلغ و آكد لوصفهم بسكون النفس، و لأنّ فيه تعريضاً [بحال] من عداهم. كأنّه قال: و ليخالف حالهم حال الشاكّين من أهل النفاق و الكفر. فإن قلت: كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض و هم المنافقون و السورة مكّـيّة؟ و إنّما نجم النفاق بالمدينة. قلت: معناه: و ليقول المنافقون الذين يظهرون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة و الكافرون بمكّة. و يجوز أن يراد بالمرض الشكّ و الارتياب. لأنّ أهل مكّة كان أكثرهم شاكّين. «مثلاً». تميز لهذا أو حال منه. كقوله: «هذه ناقة الله لكم آية».[3] فإن قلت: لم سمّوه مثلاً؟ قلت: هو استعارة من المثل المضروب، لأنّه ممّا غرب من الكلام و بعد، استغراباً منهم لهذا العدد. و المعنى: أيّ شيء أراد الله بهذا العدد العجيب و أيّ غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء؟ و مرادهم إنكار أنّه من عند الله و إلّا لما جاء بهذا العدد الناقص. «كذلك يضلّ الله». الكاف نصب. و ذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال و الهدى. أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال و الهدى يضلّ الكافرين و يهدي المؤمنين. يعني يفعل فعلاً حسناً مبنيّاً على الحكمة فيراه المؤمنون حكمة فيذعنون له فيزيدهم إيماناً و ينكره الكافرون و

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٥١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٤٤.
٢ـ في النسخة: «دلالة». و في المصدر: دالّا».
٣ـ الأعراف (٧) / ٧٣.

يشكّون فيه فيزيدهم كفراً و ضلالاً. «و ما يعلم جنود ربّك» و ما عليه كلّ جند من العدد الخاصّ من كون بعضها على عدد كامل و بعضها على عدد ناقص و ما في اختصاص كلّ جند بعدده من الحكمة «إلّا هو». كما لايعرف الحكمة في أعداد السموات و الأرضين و أيّام السنة و الشهور و نحوها. أو: و ما يعلم جنود ربّك لفرط كثرتها إلّا هو. فلايعزّ عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاصّ حكمة هو يعلمها. و قيل: هو جواب لقول أبي‌جهل: أما لربّ محمّد أعوان إلّا تسعة عشر؟ «و ما جعلنا» إلى قوله: «إلّا هو» اعتراض. «و ما هي إلّا ذكرى» متّصل بوصف سقر و هي ضميرها ـ أي: و ما سقر و صفتها إلّا تذكرة للبشر ـ أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها.[۱]

و عن الكاظم عليه السلام في قوله: «ليستيقن الذين أوتوا الكتاب» قال: يستيقنون أنّ الله و رسوله و وصيّه حقّ. قلت: «و يزداد الذين آمنوا»؟ قال: يزدادون بولاية الوصيّ إيماناً. «و لايرتاب الذين أوتوا الكتاب و المؤمنون» بولاية عليّ. «و ما هي إلّا ذكرى للبشر». قال: ولاية عليّ عليه السلام.[۲]

[۳۲] «كَلَّا وَ الْقَمَرِ».

«كلّا». أقسم سبحانه على عظيم ما ذكر من الوعيد فقال: [«كلّا»]؛ أي: حقّاً. و قيل: معناه ليس الأمر على يتوهّمونه من أنّه يمكنهم دفع خزنة النار و غلبتهم. «و القمر». أقسم بالقمر لما فيه من الآيات العجيبة.[۳]

[۳۳] «وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ».

«إذا دبر».[٤] دبر بمعنى أدبر. و منه: صاروا كأمس الدابر. و قيل: هو من دبر اللّيل النهار،

۱ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٢ ـ ٦٥٣. ۲ـ الكافي ۱ / ٤٣٤، ح ۹۱.

۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ٥۹۰.

٤ـ قرأ نافع و... : «إذ» بغير ألف «أدبر» بالألف. و الباقون: «إذا» بالألف «دبر» بغير الألف. (المجمع ۱۰ / ٥۸۸)

إذا خلفه.(١)

[٣٤] «وَ الصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ».

«إذا أسفر»: أضاء و أنار. و قيل: التقدير في هذه الأقسام: و ربّ هذه الأشياء. لأنّ اليمين لايكون إلّا بالله.(٢)

[٣٥] «إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيراً لِلْبَشَرِ».

«إنّها لإحدى الكبر». هذا جواب القسم. يعني أنّ سقر التي هي النار لإحدى العظائم. و الكبر جمع الكبرى و هي العظمى. و قيل: معناه أنّ آيات القرآن لإحدى الكبر في الوعيد.(٣) و قيل: معناه: انّها إحدى البلايا و الدواهي الكبر. و معنى كونها إحداهنّ أنّها من بينهنّ واحدة في العظم لا نظيرة لها. كما تقول: هو أحد الرجال، و هي إحدى النساء. «نذيراً». تميز من إحدى على معنى أنّها لإحدى الدواهي إنذاراً. كما تقول: هي إحدى النساء عفافاً. و قيل: هي حال. و قيل: هو متّصل بأوّل السورة. يعني: قم نذيراً. و هو من بدع التفاسير.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام: «لإحدى الكبر» الولاية.(٥)

و عن أبي جعفر عليه السلام أنّها فاطمة عليها السلام.(٦)

[٣٧] «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ».

«أن يتقدّم» في موضع الرفع بالابتداء، و «لمن شاء» خبر مقدّم عليه. كقولك: لمن توضّأ أن يصلّي. ومعناه مطلق لمن شاء التقدّم أو التأخّر أن يتقدّم أو يتأخّر. و المراد بالتقدّم و التأخّر السبق إلى الخير و التخلّف عنه. و هو كقوله: «فمن شاء فليؤمن و من شاء

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٣.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٠.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٠.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٣.
٥ـ الكافي ١ / ٤٣٤، ح ٩١، عن الكاظم عليه السلام.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٦.

فليكفر».[۱] و يجوز ان يكون «لمن شاء» بدل من «للبشر» على أنّها منذرة للمكلّفين الممكّنين الذين إن شاؤوا تقدّموا ففازوا و إن شاؤوا تأخّروا فهلكوا.[۲]

«أن يتقدّم أو يتأخّر». من تقدّم إلى ولايتنا، أخّر عن سقر. و من تأخّر عنّا، تقدّم إلى سقر.[۳]

[۳۸ ـ ۳۹] «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ».

«رهينة». اسم بمعنى الرهن. كالشتيمه بمعنى الشتم. كأنّه قيل: كلّ نفس بما كسبت رهن بكسبها عند الله غير مفكوك «إلّا أصحاب اليمين». فإنّهم فكّوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم، كما يخلّص الراهن رهنه بأداء الحقّ. و عن عليّ عليه السلام: هم الأطفال. لأنّهم لا أعمال لهم يرتهنون بها. و عن ابن عبّاس: هم الملائكة.[٤]

«إلّا أصحاب اليمين». قال: هم ـ و الله ـ شيعتنا.[٥]

[٤٠ ـ ٤٢] «فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ».

«في جنّات» لا يكتنه وصفها «يتساءلون عن المجرمين»؛ أي: يسأل بعضهم بعضاً عنهم. أو يتساءلون غيرهم عنهم. كقولك: دعوته و تداعيناه. فإن قلت: كيف طابق قوله: «ما سلككم» و هو سؤال للمجرمين قوله: «يتساءلون عن المجرمين» و هو سؤال عنهم؟ و إنّما [كان] يتطابق ذلك لو قيل: يتساءلون المجرمين: ما سلككم؟ قلت: «ما سلككم» ليس ببيان للتساؤل عنهم. و إنّما هو حكاية قول المسؤولين عنهم. لأنّ المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم و بين المجرمين فيقولون: قلنا لهم: ما سلككم؟[٦]

[٤٣] «قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ».

۱ـ الكهف (۱۸) / ۲۹.

۲ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٤.

۳ـ الكافي ۱ / ٤٣٤، ح ۹۱، عن الكاظم عليه السلام.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٤ ـ ٦٥٥.

٥ـ الكافي ۱ / ٤٣٤، ح ۹۱، عن الكاظم عليه السلام.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٥.

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «لم نك من المصلّين» قال: عنى به: لم نك من أتباع الأئمّة الذين قال الله فيهم: «و السابقون السابقون * أولئك المقرّبون».(١) أما ترى الناس يسمّون الذي يلي السابق في الحلبة مصلّياً؟ فذلك الذي عنى حيث قال: لم نك من أتباع السابقين.(٢)

[٤٤] «وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ».

«و لم نك». قال: حقوق آل محمّد من الخمس لذوي القربى و المساكين و اليتامى و ابن السبيل و هم آل محمّد عليهم السلام.(٣)

[٤٥] «وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ».

«نخوض مع الخائضين». الخوض: الشروع في الباطل و ما لاينبغي. فإن قلت: لم يسألونهم و هم عالمون بذلك؟ قلت: توبيخاً لهم و تحسيراً، و ليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين.(٤)

[٤٦ ـ ٤٧] «وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ».

«نكذّب بيوم الدين». أخّر مع كونه أعظمها لأنّه أراد أنّهم بعد ذلك كلّه كانوا مكذّبين بيوم الدين، تعظيماً للتكذيب. «اليقين». هو الموت و مقدّماته.(٥)

[٤٨] «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ».

«شفاعة الشافعين» من الملائكة و الأنبياء و غيرهم. لأنّ الشفاعة لمن [ارتضاه الله](٦) و هم مسخوط عليهم.(٧)

١ـ الواقعة (٥٦) / ١٠ ـ ١١.

٢ـ الكافي ١ / ٤١٩، ح ٣٨.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٥.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٥.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٥.

٦ـ في النسخة: «ارتضى» بدل ما بين المعقوفتين.

٧ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٥.

«شفاعة الشافعين». قال: لو أنّ كلّ نبيّ مرسل و كلّ ملك مقرّب شفعوا في ناصب آل محمّد، ما شفّعوا فيه.[١]

«شفاعة الشافعين». عنه صلى الله عليه و آله قال: يقول الرجل من أهل الجنّة يوم القيامة: أي ربّ عبدك فلان سقاني شربة من ماء الدنيا. فشفّعني فيه. فيقول: اذهب فأخرجه من النار. فيذهب فيتجسّس في النار حتّى يخرجه منها. و إنّ من أمّتي من يدخل الجنّة بشفاعته أكثر [من] مضر.[٢]

[٤٩] «فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ».

عن أبي الحسن عليه السلام «عن التذكرة» قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.[٣]

«التذكرة»: التذكير، و هو العظة. يريد القرآن أو غيره من المواعظ. و «معرضين» نصب على الحال. كقولك: ما لك قائماً؟[٤]

[٥٠ ـ ٥١] «كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ».

«مستنفرة». أهل المدينة بفتح الفاء.[٥]

«حمر مستنفرة». أراد حمير الوحش. المستنفرة: شديدة النفار كأنّها تطلب النفار من نفوسها. و قرئ بالفتح و هي المحمولة على النفار. و القسورة: جماعة الرماة الذين يتصيّدونها. و قيل: الأسد. يقال: ليوث قساور. من القسر و هو القهر و الغلبة. شبّههم في إعراضهم عن القرآن و استماع الذكر و الموعظة و شرادهم بحمر جدّت في نفارها ممّا أفزعها.[٦]

[٥٢] «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُنَشَّرَةً».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٥.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٢.
٣ـ انظر: الكافي ١ / ٤٣٤، ح ٩١.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٦.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٨٨.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٦.

«صحفاً منشّرة»: قراطيس تنشر و تقرأ كالكتب التي يتكاتب بها. أو: كتباً كتبت في السماء و نزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشّرة على أيديها غضّة رطبة لم تطو بعد. و ذلك أنّهم قالوا لرسول الله ﷺ: لم نتّبعك حتّى تأتي كلّ واحد منّا بكتب من السماء عنوانها: من ربّ العالمين إلى فلان بن فلان، نؤمر فيها باتّباعك. و نحوه قوله: «لن نؤمن لرقيّك» ـ الآية ـ من سورة بني إسرائيل.[١] و قيل: كانوا يقولون: إن كان محمّد صادقاً، فليصبح عند رأس كلّ رجل منّا صحيفة فيها براءته و أمنه من النار.[٢]

و عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «صحفاً منشّرة»: و ذلك أنّهم قالوا: يا محمّد، بلغنا أنّ الرجل من بني إسرائيل إذا أذنب يصبح و ذنبه مكتوب عند رأسه و كفّارته. فنزل جبرئيل و قال: يسأل قومك سنّة بني إسرائيل في الذنوب. فإن شاؤوا فعلنا ذلك بهم و أخذناهم بما كنّا نأخذ به بني إسرائيل. فزعموا أنّ رسول الله كره ذلك لقومه.[٣]

[٥٣ ـ ٥٥] «كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ * كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ».

«كلّا». ردعهم عن تلك الإرادة و زجرهم عن اقتراح الآيات. «بل لا يخافون الآخرة». فلذلك أعرضوا عن التذكرة. [ثمّ ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة] و قال: «كلّا إنّه تذكرة». يعني تذكرة بليغة كافية مبهم أمرها. «فمن شاء» أن يذكره و لا ينساه و يجعله نصب عينه، فعل. و إنّ نفع ذلك راجع إليه. و الضمير في إنّه و ذكره للتذكرة و إنّما ذكّر لأنّها في معنى الذكر أو القرآن.[٤]

[٥٦] «وَ مَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ».

«إلّا أن يشاء الله». هذه المشيّة غير الأولى. إذ لو كانت واحدة، لتناقض. و الأولى مشيّة اختيار و الثانية مشيّة إجبار و إكراه. و المعنى: انّ هؤلاء الكفّار لا يذكرون إلّا أن يجبرهم الله

١ـ الإسراء (١٧) / ٩٣.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٦.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٦.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٦ ـ ٦٥٧.

على ذلك. و قيل: معناه: إلّا أن يشاء الله من حيث أمر به و نهى عن تركه و وعد الثواب على فعله و أوعد بالعقاب على تركه، فكانت مشيّته سابقة. أي: لاتشاؤون إلّا و الله قد شاء ذلك. «أهل التقوى»؛ أي: هو أهل أن يتّقى و أهل أن يغفر الذنوب. و عن رسول الله ﷺ: قال سبحانه: أنا أهل أن أتّقى فلايجعل معي إله. فمن اتّقى أن يجعل معي إلهاً، فأنا أهل أن أغفر له.[1]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٣.

٧٥.
سورة القيامة

عن أبي جعفرعليه السلام: من قرأ لا أقسم و كان يعمل بها، بعثه الله مع رسول الله صلى الله عليه وآله من قبره في أحسن صورة و يبشّره و يضحك في وجهه حتّى يجوز على الصراط و الميزان.[١]

القيامة: قراءتها يقوّي القلب. و شرب مائها يقوّي الضعيف.[٢]

و عنه صلى الله عليه وآله: من قرأ سورة القيامة، شهدت أنا و جبرئيل يوم القيامة أنّه كان مؤمناً بيوم القيامة، و جاء و وجهه مسفر على وجوه الخلائق.[٣]

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَ لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ».

قيل: إنّ لا صلة زائدة. و قيل: إنّ لا ردّ على منكري البعث. فكأنّه قال: ليس كما تظنّون، ثمّ ابتدأ القسم فقال: أقسم بيوم القيامة إنّكم مبعوثون. و قيل: معناه: «لا أقسم بيوم القيامة» لظهورها بالدلائل العقليّة و السمعيّة. و قيل: معناه: «لا أقسم بيوم القيامة» فإنّكم لاتقرّون بها. «و لا أقسم بالنفس اللّوّامة» فإنّكم لاتقرّون بالنفس تلوم صاحبها يوم القيامة. ولكن أستخبركم فأخبروني: هل أقدر على أن أجمع العظام المتفرّقة؟ و النفس اللّوّامة: الكثيرة اللّوم. و ليس من نفس برّة و لا فاجرة إلّا و هي تلوم نفسها يوم القيامة. إن كانت عملت خيراً قالت: هلّا ازددت؟ و إن كانت عملت سوءاً قالت: يا ليتني لم أفعل. و

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٨، ح ١.
٢ـ المصباح / ٦١٣.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٤.

قيل: هي النفس المؤمنة تلوم نفسها في الدنيا و تحاسبها.[١]

«لاأقسم بيوم القيامة»؛ يعني: أقسم. «اللوّامة». قال: نفس آدم التي عصت فلامها الله.[٢]

[٣] «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ».

«أيحسب الإنسان». معناه الإنكار على منكري البعث. أي: أيحسب الكافر بالبعث أنّا [لن نعيده إلى ما كان أوّلاً خلقاً جديداً بعد أن صار رفاتاً][٣].[٤]

[٤] «بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ».

«بلى»؛ أي: بل نجمعها «قادرين على أن نسوّي بنانه» على ما كانت و إن قلّ عظامها، فكيف بكبار العظام.[٥]

و قيل: «بنانه» أصابعه التي هي أطرافه و آخر ما يتمّ به خلقه. و قيل: معناه: بل نجمعها و نحن قادرون على أن نسوّي أصابع يديه و رجليه؛ أي: نجعلها مستوية شيئاً واحداً كخفّ البعير و حافر الحمار لانفرّق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئاً ممّا يعمل بأصابعه المفرّقة ذات المفاصل و الأنامل من فنون الأعمال و البسط و القبض.[٦]

[٥] «بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ».

«بل يريد». عطف على أيحسب. فيجوز أن يكون مثله استفهاماً و أن يكون إيجاباً، على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر، أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب. «ليفجر أمامه»: ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات و فيما يستقبله من الزمان لاينزع

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٦ ـ ٥٩٧.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٦.
٣ـ في النسخة: «لم نجمع عظامه بالبعث» بدل ما بين المعقوفتين.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٧.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٧.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٥٩ ـ ٦٦٠.

عنه.[١]

و قيل: «ليفجر أمامه»؛ أي: ليفكر[٢] بما قدّامه من البعث و يكذّب به. فالفجور هو التكذيب.[٣]

عن الأئمّة عليهم السلام في قوله تعالى: «بل يريد الإنسان ليفجر أمامه» قال: يريد أن يفجر أميرالمؤمنين عليه السلام بكيده.[٤][٥]

[٦] «يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ».

«يسأل» ذلك الذي يفجر سؤال متعنّت [مستبعد] لقيام الساعة في قوله: «أيّان يوم القيامة»؛ أي: متى يكون؟[٦]

[٧ ـ ٩] «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَ خَسَفَ الْقَمَرُ * وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ».

«برق البصر»؛ أي: شخص عند معاينة ملك الموت فلايطرف من شدّة الفزع و تحيّر لما يرى من أهوال القيامة ممّا كان يكذّب به في الدنيا. «و خسف القمر»: ذهب نوره وضوؤه. «و جمع الشمس و القمر»: جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف ليتكامل الظلام على أهل الأرض. و قيل: جمع بينهما في طلوعهما من المغرب.[٧]

عليّ بن مهزيار قال: قلت للقائم: متى يكون هذا الأمر؟ قال: إذا حيل بينكم و بين الكعبة و اجتمع الشمس و القمر و استدار بهما الكواكب و النجوم. فقلت: متى هذا يابن رسول الله؟ فقال: في سنة كذا و كذا يخرج دابّة الأرض من بين الصفا و المروة و معه عسى موسى و خاتم سليمان يسوق الناس إلى الحشر.[٨]

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٠.

٢ـ كذا في المصدر أيضاً. و الصحيح: ليكفر.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٧.

٤ـ المصدر: «يعني: يكيده».

٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٣٩، ح ٢.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٧، و الكشّاف ٤ / ٦٦٠.

٧ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٨.

٨ـ غيبة الشيخ / ١٦١. و في آخره: إلى المحشر.

[۱۰ ـ ۱۲] «يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ».

«يقول الإنسان» المكذّب بالقيامة: أين موضع الفرار؟ «لا وزر»؛ أي: لا مهرب و لا ملجأ لهم يلجؤون إليه. و منه الوزير، لأنّه يلجأ إليه في الأمور. «المستقرّ»؛ أي: المنتهى ينتهي الخلق يومئد إلى حكمه و أمره فلا أمر لغيره.[١]

[۱۳] «يُنَبَّؤُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ».

«ينبّأ الإنسان»؛ أي: يخبر الإنسان يوم القيامة بأوّل عمله و آخره، أو بما قدّم من العمل في حياته و ما سنّه فعمل به بعد موته.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام «بما قدّم و أخّر»: ما قدّم من خير و شرّ و ما أخّر. فما سنّ من سنّة يستنّ بها من بعده، فإن كان خيراً، كان له مثل أجورهم و لاينقص من أجورهم شيئاً؛ و إن كان شرّاً، كان عليه مثل وزرهم و لاينقص من وزرهم شيئاً.[٣]

[١٤] «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ».

«على نفسه بصيرة»؛ أي: جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه. و قال الأخفش: هي كقولك: فلان حجّة و عبرة. و قيل: معناه: انّ الإنسان بصير بنفسه و عمله. عن أبي عبدالله عليه السلام. و تلا هذه الآية فقال: ما يصنع الإنسان أن يعتذر إلى الناس خلاف ما يعلم الله؟ إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يقول: من أسرّ سريرة، ردّاه الله رداءها، إن خيراً فخير و إن شرّاً فشرّ.[٤]

«بصيرة»: حجّة بيّنة. وصف بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله:

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٨.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٨.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٨ ـ ٥٩٩.

«فلمّا جاءتهم آياتنا مبصرة».(١) أو: عين بصيرة. و المعنى: انّه ينبّأ بأعماله؛ و إن لم ينبّأ، ففيه ما يجزئ عن الإنباء، لأنّه شاهد عليها بما عملت، لأنّ جوارحه تنطق بذلك «يوم تشهد عليهم ألسنتهم» ـ الآية.(٢) (٣)

[١٥] «وَ لَوْ أَلْقىٰ مَعَاذِيرَهُ».

«و لو ألقى معاذيره»؛ أي: و لو اعتذر و جادل عن نفسه، لم ينفعه ذلك. و قيل: معناه: و لو أرخى الستور و أغلق الأبواب. و المعاذير بمعنى الستور. أي: و أسبل الستور ليخفي ما يعمل. فإنّ نفسه شاهدة عليه.(٤)

[١٦ ـ ١٧] «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ».

«لاتحرّك به لسانك». قال ابن عبّاس: كان النبيّ إذا نزل عليه القرآن، عجل بتحريك لسانه لحبّه إيّاه و حرصه على أخذه و ضبطه مخافة أن ينساه. فنهاه الله عن ذلك.(٥)

«لاتحرّك به»؛ أي: القرآن. و كان رسول الله إذا لقن الوحي نازع جبرئيل القراءة و لم يصبر إلى أن يتمّها مسارعة إلى الحفظ و خوفاً من أن يتفلّت منه. فأمر بأن يستنصت له ملقياً إليه بقلبه و سمعه حتّى يقضى إليه وحيه ثمّ يقفّيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. و المعنى: لاتحرّك لسانك بقراءة الوحي مادام جبرئيل يقرؤه «لتعجل به»: لتأخذه على عجلة لئلّا ينفلت منك. ثمّ علّل النهي عن العجلة بقوله: «إنّ علينا جمعه». تعليل للنهي عن العجلة. أي: إنّ علينا جمعه في صدرك و إثبات قراءته في لسانك.(٦)

عن أبي جعفر عليه السلام: ما ادّعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كلّه كما نزل إلّا كذب. و ما جمعه و ما حفظه إلّا عليّ بن أبي طالب و الأئمّة من بعده عليهم السلام.(٧)

١ـ النمل (٢٧) / ١٣.
٢ـ النور (٢٤) / ٢٤.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٦١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٩٩.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٠٠.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٦١.
٧ـ الكافي ١ / ٢٢٨، ح ١.

قوله: «إنّ علينا جمعه» قال: على آل محمّد جمع القرآن و قراءته.[١]

[١٨] «فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ».

«فإذا قرأناه»؛ أي: قرأه جبرئيل عليك بأمرنا «فاتّبع قرآنه». و المعنى: اقرأه إذا فرغ جبرئيل من قراءته. و كان النبيّ ﷺ بعد هذا إذا نزل عليه جبرئيل، أطرق. فإذا ذهب قرأ.[٢]

«فإذا قرأناه». جعل قراءة جبرئيل قراءته. و القرآن: القراءة. «فاتّبع قرآنه» فكن مقفّياً له فيه و لا تراسله و طأمن نفسك لأنّه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه.[٣]

[١٩] «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ».

«علينا بيانه» إذا أشكل عليك شيء من معانيه. كأنّه كان يعجل في الحفظ و السؤال عن المعنى جميعاً كما ترى بعض الحرّاص على العلم. و نحوه: «و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه»[٤].[٥]

[٢٠ ـ ٢١] «كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ».

«كلّا». ردع لرسول الله عن عادة العجلة و إنكار لها عليه و حثّ على الأناة. و قد بالغ في ذلك بإتباعه قوله: «بل تحبّون العاجلة». كأنّه قال: [بل أنتم] يا بني آدم، لأنّكم خلقتم من عجل و طبعتم عليه، تعجلون في كلّ شيء و من ثمّ تحبّون العاجلة «و تذرون الآخرة». فإن قلت: كيف اتّصل قوله: «لا تحرّك به لسانك» ـ اهـ ـ بذكر القيامة؟ قلت: اتّصاله به من جهة التخلّص منه إلى التوبيخ بحبّ العاجلة و ترك الاهتمام بالآخرة.[٦]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٧.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٠٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٦١.
٤ـ طه (٢٠) / ١١٤.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٦١.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٦١ ـ ٦٦٢.

[٢٢ ـ ٢٣] «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ».

«وجوه يومئذ». الوجه عبارة عن الجملة. و الناضرة من نضرة النعيم. «إلى ربّها ناظرة»: تنظر إلى ربّها خاصّة. و هذا معنى تقديم المفعول. كقوله: «إلى ربّك يومئذ المستقرّ». و معلوم أنّهم ينظرون إلى أشياء لايحيط بها الحصر في محشر الخلائق. فإنّ المؤمنين نظّارة ذلك اليوم، لأنّهم الآمنون. فاختصاصه بنظرهم إليه، لو كان منظوراً إليه، محال. فوجب حمله على معنًى يصحّ الاختصاص معه. و الذي يصحّ [معه] أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، يريد معنى التوقّع و الرجاء. و المعنى أنّهم لايتوقّعون الكرامة إلّا من ربّهم كما كانوا في الدنيا.(١)

عن أميرالمؤمنينعليه السلام في قوله: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة» قال: إنّ ذلك في موضع ينتهي إليه أولياء الله بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمّى الحيوان فيغتسلون فيه و يشربون فتنضر وجوههم إشراقاً فيذهب عنهم كلّ قذاء و وعث، ثمّ يؤمرون بدخول الجنّة. فمن هذا المقام ينظرون إلى ربّهم كيف يثيبهم و منه يدخلون الجنّة. فذلك قوله عزّ وجلّ في تسليم الملائكة: «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين».(٢) فعند ذلك أيقنوا بدخول الجنّة و النظر إلى ما وعدهم. فذلك قوله: «إلى ربّها ناظرة». و إنّما يعني بالنظر إليه النظرإلى ثوابه تبارك و تعالى.(٣)

[٢٤ ـ ٢٥] «وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ».

«باسرة»: شديدة العبوس. «تظنّ»؛ أي: تتوقّع «أن يفعل بها» فعل هو في شدّته و فظاعته «فاقرة»؛ أي: داهية تقصم فقار الظهر؛ كما توقّعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كلّ خير.(٤)

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٢.
٢ـ الزمر (٣٩) / ٧٣.
٣ـ التوحيد / ٢٦٢، ح ٥.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٢ ـ ٦٦٣.

[٢٦ ـ ٢٧] «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ».

«كلّا». ردع عن إيثار الدنيا. أي: ارتدعوا عن ذلك و تنبّهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنتقلون إلى دار الخلود. و الضمير في «بلغت» للنفس. لأنّ الكلام يدلّ عليها. «التراقي». هي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين و شمال. ذكّرهم صعوبة المـوت الذي هو أوّل مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي و دنا زهوقها و قال حاضرو صاحبها ـ و هو المحتضر ـ بعضهم لبعض. «من راق»: أيّكم يرقيه ممّا به؟ و قيل: هو كلام من كلام ملائكة الموت: أيّكم يرقى بروحه؟ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ [١]

[٢٨ – ٢٩] «وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ».

«و ظنّ أنّه الفراق». جاء في الحديث أنّ العبد يعالج كرب الموت و سكراته و مفاصله يسلّم بعضها على بعض يقول: عليك السلام؛ تفارقني و أفارقك إلى يوم القيامة. [٢]

«و ظنّ»؛ أي: ظنّ المحتضر أنّ هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة. «و التفّت» ساقه بساقه و التوت عليها عند الموت. و عن قتادة: ماتت رجلاه فلايحملانه و قد كان عليهما جوّالاً. و قيل: شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة؛ على أنّ الساق مثل في الشدّة. و قيل: هما ساقاه حين تلفّان في أكفانه. [٣]

[٣٠] «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ».

«المساق»؛ أي: يساق إلى الله و إلى حكمه. [٤]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «وقيل من راق» قال: ذاك ابن آدم إذا حلّ به الموت قال: [هل] من طبيب؟ و أيقن بمفارقة الأحبّة. «و التفّت الساق بالساق». قال: التفّت الدنـيا

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٣.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٠٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٣ ـ ٦٦٤.
٤ـ ف ٤ / ٦٦٤.

بالآخرة. «إلى ربّك يومئذ المساق». قال: المصير إلى ربّ العالمين.(١)

[٣١ ـ ٣٢] «فَلَا صَدَّقَ وَ لَا صَلّٰى * وَ لٰكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى».

«فلا صدّق و لا صلّى». يعني الإنسان في قوله: «أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه». ألا ترى إلى قوله: «أيحسب الإنسان أن يترك سدًى» و هو معطوف على قوله: «يسأل أيّان». أي: لا يؤمن بالبعث فلا صدّق بالرسول و القرآن و لا صلّى. و يجوز أن يراد: فلا صدّق ماله، بمعنى فلا زكّاه. و قيل: نزلت في أبي جهل.(٢)

«فلا صدّق و لا صلّى». كان سبب نزولها أنّ رسول الله ﷺ دعا إلى بيعة عليّ يوم الغدير، فلمّا بلّغ الناس و أخبرهم في عليّ ما أراد الله أن يخبرهم به، رجعوا الناس. فاتّكى معاوية على المغيرة بن شعبة و أبي موسى الأشعريّ ثمّ أقبل يتمطّى نحو أهله و يقول: ما نقرّ لعليّ بالولاية و لانصدّق محمّداً مقالته فيه. فأنزل الله: «فلا صدّق و لا صلّى» ـ الآيات. ثمّ ند(٣) الفاسق. فصعد رسول الله المنبر و هو يريد البراءة منه. فأنزل الله: «لاتحرّك به لسانك» فسكت رسول الله و لم يسمّه.(٤)

و في بعض الكتب أنّه لمّا نزل: «إنّما وليّكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون»(٥) تصدّق الثاني بمال كثير في الصلاة و ما نزل في حقّه إلّا هذه الآية: «فلا صدّق و لا صلّى * ولكن كذّب و تولّى». (حسن عفي عنه)

[٣٣] «ثُمَّ ذَهَبَ إِلىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطّٰى».

«يتمطّى»: يتبختر. و أصله: يتمطّط؛ أي: يتمدّد. لأنّ المتبختر يمدّ خطاه. و قيل: هو من المطا، و هو الظهر، لأنّه يلويه. يعني كذّب برسول الله و أعرض عنه، ثمّ ذهب إلى قومه

١ـ الكافي ٣ / ٢٥٩، ح ٢٣. ٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٤.

٣ـ كذا في النسخة مع زيادة نقطة تحت النون أيضاً. و في المصدر بعد ورود نصّ الآيات: «عبد الفاسق ك (وعيد الفاسق ط)».

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٧. ٥ـ المائدة (٥) / ٥٥.

يتبختر افتخاراً بذلك.[١]

[٣٤ ـ ٣٥] «أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ».

«أولى لك». بمعنى: ويل لك. و هو دعاء عليه بأن يليه ما يكره.[٢]

عن الجوادعليه السلام في قوله: «أولى لك فأولى * ثمّ أولى لك فأولى»: [يقول الله: بعداً لك من خير الدنيا. و بعداً لك من خير الآخرة.[٣]

و جاءت الرواية أنّ رسول الله أخذ بيد أبي جهل ثمّ قال له: أولى لك فأولى! ثمّ أولى لك فأولى!] فقال له أبوجهل: بأيّ شيء تهدّدني؟ لاتستطيع أنت و لا ربّك أن تفعل بي شيئاً. و إنّي لأعزّ أهل هذا الوادي. فأنزل الله: «أولى لك» كما قال له رسول الله.[٤]

[٣٦] «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً».

«سدًى»؛ أي: مهملاً لايؤمر و لاينهى.[٥]

[٣٧] «أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ».

«يمنى»؛ أي: يقدّر. و قيل: يصبّ في الرحم. «يمنى». حفص [و رويس بالياء] و الباقون بالتاء.[٦]

«يمنى». قال: إذا نكح أمناه.[٧]

[٣٨ ـ ٣٩] «ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَىٰ».

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٤. ٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٤.

٣ـ عيون الأخبار ٢ / ٥٤ ـ ٥٥، ح ٢٠٥.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٠٦. و قد ورد في النسخة هاهنا هذه الزيادة: «و جاءت الرواية... بأيّ شيء تهدّدني ـ الحديث. و قد مرّ آنفاً.» حيث نسب خطأ رواية المجمع إلى الجوادعليه السلام و ذكر بعده عبارة المجمع و جعل في آخر كلّ الفقرة رمز المجمع.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٠٦. ٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٠٧ و ٦٠٤.

٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩٧.

«فخلق» منها خلقاً في الرحم. «فسوّى» خلقه و صورته. أو: فسوّاه إنساناً بعد الولادة.[١]

«فخلق»: فقدّر. «فسوّى»: فعدل. «منه الزوجين»؛ أي: من الإنسان الصنفين.[٢]

[٤٠] «أَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ».

«أليس ذلك» الذي أنشأ هذا الإنشاء «بقادر» على الإعادة؟[٣]

عن الرضا عليه السلام كان إذا قرأ «لا أقسم بيوم القيامة» قال عند الفراغ: سبحانك اللّهمّ [و بلى].[٤]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٠٧.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٤.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٤.

٤ـ عيون الأخبار ٢ / ١٨١، ح ٥.

٧٦.
سورة الدهر

عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ سورة هل أتى في كلّ غداة خميس، زوّجه الله من الحور العين ثلاثمائة عذراء و أربعة آلاف ثيّب، و كان مع محمّد صلى الله عليه و آله.[١]

هل أتى: عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، كان جزاؤه على الله جنّة و حريراً.[٢]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ هَلْ أَتىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً».

معناه: قد أتى. أي: ألم يأت على الإنسان حين من الدهر و قد كان شيئاً إلّا أنّه لم يكن مذكوراً ـ لأنّه كان تراباً و طيناً ـ إلى أن نفخ فيه الروح؟ فيكون الاستفهام للتقرير. يعني: أيّها المنكر للصانع و قدرته، أليس قد أتى عليك دهور لم تك شيئاً مذكوراً ثمّ ذكرت؟ و المراد بالإنسان آدم عليه السلام. و قيل: كلّ إنسان. و قيل: إنّه أتى على آدم أربعون سنة لم يكن شيئاً مذكوراً لا في السموات و لا في الأرض، بل كان [جسداً] ملقًى من طين. و عن أبي عبدالله عليه السلام: كان مقدّراً و لم يكن مكوّناً. و فيه دلالة على أنّ المعدوم معلوم و أنّه يسمّى شيئاً.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «لم يكن شيئاً مذكوراً» قال: مقدّراً غير مذكور.[٤]

«لم يكن شيئاً مذكوراً». لمّا سمعها بعضهم قال: ليت هذه الحالة تمّت. و هي كونه غير

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٨ ـ ١٤٩، ح ١.
٢ـ المصباح / ٥٩٦.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦١٤.
٤ـ الكافي ١ / ١٤٧، ح ٥.

مذكور لم يخلق و لم يكلّف.[١]

[٢] «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً».

«من نطفة»: ماء الرجل وماء المرأة. «أمشاج»: ممزوجة من الماءين فأيّهما علا ماء صاحبه، كان الشبه له. و قيل: أمشاج أطوار، طوراً نطفة و طوراً علقة. «نبتليه» بما نكلّفه من الأعمال.[٢]

«نبتليه». في موضع الحال. أي: خلقناه مبتلين له، بمعنى: مريدين ابتلاءه. فيكون حالاً مقدّرة.[٣]

«أمشاج». أي اختلط فيها الماءان؛ ماء الرجل أبيض غليظ، و ماء المرأة أصفر رقيق. والأوّل يخرج من الصلب، و الثاني من الترائب. فما كان من عصب و عظم و قوّة، فمن نطفة الرجل. و ما كان من لحم و دم، فمن ماء المرأة.[٤]

[٣] «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً».

«السبيل»؛ أي: الطريق الخير و الشرّ. «إمّا شاكراً و إمّا كفوراً»؛ أي: إن شكر و إن كفر، على الجزاء.[٥]

«شاكراً» و «كفوراً» حالان من الهاء في «هديناه». أي: مكّنّاه و أقدرناه في حالتيه جميعاً.[٦]

[٤] «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَ أَغْلَالاً وَ سَعِيراً».

«سلاسل». يعني في جهنّم. «و سعيراً». نار موقدة. أهل المدينة و أبوبكر عن عاصم:

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢٩ / ١١٠.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦١٥.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٦.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ٢٩ / ١١٠.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦١٥.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٦.

«سلاسلاً» بالتنوين و يقفون بالألف.[١] و ابن‌كثير و خلف: «سلاسل» من غير تنوين و يقفان على «سلاسل». و قرأ حمزة و يعقوب بغير تنوين [٢] و يقفان بغير ألف. و قرأ أبوعمرو و ابن‌عامر و حفص بغير تنوين إلّا أنّهم يقفون على سلاسل بالألف.[٣]

و قراءة أبي‌بكر «سلاسلاً» بالتنوين للمناسبة.[٤]

قرئ «سلاسل» غير منوّن و «سلاسلاً» بالتنوين و فيه وجهان: أحدهما أن تكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق و يجري الوصل مجرى الوقف. و الثاني أن يكون صاحب القراءة ممّن ضرِي بالشعر و روايته و مرن لسانه على صرف غير المنصرف.[٥]

[٥ ـ ٦] «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً».

«إنّ الأبرار»؛ أي: المطيعين لله. و المراد بهم هنا عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام. «كأس»: إناء فيه شراب. «مزاجها»؛ أي: يمازجها. «كافوراً». و هو اسم عين ماء في الجنّة. و قيل: يمازجه ريح الكافور. «عباد الله»: أولياؤه. أي هذا الشراب من عين يشربها أولياء الله. «يفجّرونها»؛ أي: يقودون تلك العين حيث شاؤوا من منازلهم. و التفجير: تشقيق الأرض بجري الماء. و أنهار الجنّة تجري بغير أخدود. فإذا أراد المؤمن أن يجري نهراً، خطّه خطّاً فينبع الماء من ذلك الموضع و يجري من غير تعب.[٦]

الكأس: الزجاجة إذا كان فيها خمر. و تسمّى الخمر نفسها كأساً. «مزاجها»: ما تمزج به. «كافوراً»: ماء كافور. و هو اسم عين في الجنّة ماؤها في بياض الكافور و رائحته و برده. «عيناً». بدل منه.[٧]

١ـ في النسخة زيادة: على الجميع.

٢ـ في النسخة زيادة: في الجميع.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٠٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٥٢.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٧.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦١٦.

٧ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٧ ـ ٦٦٨.

روى الخاصّة و العامّة أنّ هذه الآيات: «إنّ الأبرار يشربون» إلى قوله: «مشكوراً» نزلت في عليّ و فاطمة و الحسنين عليهم السلام و فضّة. و ذلك أنّهم قالوا: مرض الحسنان. فعادهما جدّهما و وجوه العرب و قالوا: يا أبا الحسنين، لو نذرت على ولديك نذراً. فنذر صوم ثلاثة أيّام. فلمّا شفاهما الله و ليس عندهم شيء، استقرض أميرالمؤمنين عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير من يهوديّ. فطحنت فاطمة صاعاً فاختبزته فقرّبته إليهم وقت الإفطار. فأتاهم مسكين يدعو لهم، فأعطوه و لم يذوقوا إلّا الماء. و كذلك في اللّيلة الثانية و الثالثة في إعطائهم المسكين و اليتيم و الأسير و لم يذوقوا إلّا الماء. و روى هذه ابن شهرآشوب من طرق المخالفين بأسانيد متعدّدة. و في آخرها: فرآهم النبيّ اليوم الرابع جياعاً فنزل جبرئيل و معه صحفة من الذهب مملوءة من الثريد و عراق تفوح منها رائحة المسك و الكافور. فأكلوا حتّى شبعوا و لم ينقص منها. و خرج الحسين عليه السلام و معه قطعة عراق، فنادته سامرة اليهوديّة: يا أهل البيت النبوّة، الجوع! من أين لكم هذا؟ أعطنيها. فمدّ يده ليعطيها. فهبط جبرئيل و أخذها من يده و رفع الصحفة إلى السماء. فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: لولا ما أراد الحسين عليه السلام من إطعام الجارية، لبقيت تلك الصحفة في أهل بيتي يأكلون منها إلى يوم القيامة.[۱]

أقول: و كذلك روى الرواية الأولى صاحب الكشّاف و البيضاويّ[۲] ـ مع تعصّبه و عناده ـ و الواحديّ في تفسيره البسيط و الفاضل النيشابوريّ، إلّا أنّه قال في آخرها: و يروى أنّ السائل في اللّيالي الثالثة كان جبرئيل عليه السلام أراد بذلك ابتلاءهم بإذن الله. و السورة مدنيّة، كما هو المنصوص عليه في الأخبار الصحيحة من الطرفين و في تراجم سور القرآن أيضاً في أكثرها. و بعض النواصب طعن في القصّة بأنّ السورة مكّيّة و هذه القصّة مدنيّة فكيف تكون الآيات المذكورة إشارة إليها. وهذا جرأة على الله و عداوة لأهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم.

عن ابن عبّاس قال: أوّل ما أنزل بمكّة فاتحة، ثمّ اقرأ، ثمّ ن و القلم، ثمّ المزّمّل، ثمّ المدّثّر،

۱ـ مناقب آل أبي‌طالب ۳ / ۳۷۳ ـ ۳۷۵.

۲ـ ورد في النسخة: صاحب البيضاويّ.

ثمّ تبّت، ثمّ كوّرت، ثمّ الأعلى، ثمّ و اللّيل، ثمّ الفجر، ثمّ الضحى، ثمّ ألم نشرح، ثمّ و العصر، ثمّ و العاديات، ثمّ الكوثر، ثمّ التكاثر، ثمّ أرأيت، ثمّ الكافرون، ثمّ ألم تر، ثمّ الفلق، ثمّ الناس، ثمّ التوحيد، ثمّ و النجم، ثمّ عبس، ثمّ إنّا أنزلنا، ثمّ و الشمس، ثمّ البروج، ثمّ و التين، ثمّ لإيلاف، ثمّ القارعة، ثمّ القيامة، ثمّ الهمزة، ثمّ و المرسلات، ثمّ ق، ثمّ البلد، ثمّ الطارق، ثمّ ص، ثمّ الأعراف، ثمّ الجنّ، ثمّ يس، ثمّ الفرقان، ثمّ الملائكة، ثمّ مريم، ثمّ طه، ثمّ الواقعه، ثمّ الشعراء، ثمّ النمل، ثمّ القصص، ثمّ بني إسرائيل، ثمّ يونس، ثمّ هود، ثمّ يوسف، ثمّ الحجر، ثمّ الأنعام، ثمّ الصافّات، ثمّ لقمان، ثمّ القمر، ثمّ سبأ، ثمّ الزمر، ثمّ المؤمن، ثمّ حم السجدة، ثمّ عسق، ثمّ الزخرف، ثمّ الدخان، ثمّ الجاثية، ثمّ الأحقاف، ثمّ الذاريات، ثمّ الغاشية، ثمّ الكهف، ثمّ النحل، ثمّ النوح، ثمّ إبراهيم، ثمّ الأنبياء، ثمّ المؤمنون ، ثمّ ألم تنزيل، ثمّ الطور، ثمّ الملك، ثمّ الحاقّة، ثمّ المعارج، ثمّ النبأ، ثمّ النازعات، ثمّ انفطرت، ثمّ انشقّت، ثمّ الروم، ثمّ العنكبوت، ثمّ المطفّفين. فهذه ما أنزلت بمكّة و هي خمسة و ثمانون سورة. ثمّ أنزلت بالمدينة البقرة و الأنفال و آل عمران و الأحزاب و الممتحنة و النساء و إذا زلزلت و الحديد و سورة محمّد صلّى الله عليه و آله و الرعد و الرحمن و هل أتى و الطلاق و لم يكن و الحشر و النصر و النور و الحجّ و المنافقون و المجادلة و الحجرات و التحريم و الجمعة و التغابن و الصفّ و الفتح و المائدة و التوبة. فهذه ثمانية و عشرون سورة. و كانت إذا أنزلت سورة فاتحتها بمكّة كتبت بمكيّة ثمّ يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينة.[1] (نقله كاتب الحروف حسن بن عليّ أكبر بن عبدالله بن نورالدين بن نعمة الله الموسويّ مؤلّف الكتاب.)

[٧] «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً».

«يوفون بالنذر». أي الأبرار. «مستطيراً»؛ أي: منتشراً ذاهباً في الجهات بلغ أقصى المبالغ. و المراد بالشرّ هنا أهوال القيامة.[2]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦١٢ ـ ٦١٣.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦١٦ ـ ٦١٧.

«يوفون». جواب من عسى يقول: ما لهم يرزقون ذلك؟ و الوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات. لأنّ من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله، كان بما أوجبه الله عليه أوفى.[١]

[٨] «وَ يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً».

«حبّه»؛ أي: حبّ الطعام. [و المعنى: يطعمون الطعام] أشدّ ما يحتاجون إليه. وصفهم بالأثرة على أنفسهم. و قيل: الهاء كناية عن الله. أي: حبّ الله. «و أسيراً» مأخوذاً من أهل دار الحرب. و قيل: هو المحبوس من أهل القبلة. و قيل: الأسير المرأة.[٢]

[٩] «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُوراً».

«شكوراً». مصدر مثل القعود. و قيل: إنّهم لم يتكلّموا بذلك، ولكن علم الله سبحانه ما في قلوبهم فأثنى به عليهم. و المراد: لانطلب بهذا الإطعام مكافاة عاجلة و لانريد أن تشكرونا عند الخلق.[٣]

[١٠] «إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً».

«يوماً عبوساً»: تعبس فيه الوجوه. كما يقال: يوم صائم. قال ابن‌عبّاس: يعبس فيه الكافر حتّى يسيل بين عينيه عرق مثل القطران. «قمطريراً»: صعباً شديداً.[٤]

[١١] «فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً».

«فوقاهم الله»؛ أي: كفاهم. «و لقّاهم»؛ أي: استقبلهم [بذلك].[٥]

[١٢] «وَ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً».

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٦٨.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦١٧.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦١٧.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦١٧.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٠.

«و جزاهم»؛ أي: كافاهم «بما صبروا» على طاعاته و اجتناب معاصيه و تحمّل محن الدنيا و شدائدها «جنّة» يسكنونها «و حريراً» من لباس الجنّة يلبسونه و يفرشونه.(١)

[١٣] «مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَ لَا زَمْهَرِيراً».

«فيها»؛ أي: في الجنّة. «على الأرائك»؛ أي: الأسرّة في الحجال. «لايرون فيها»؛ أي: في الجنّة «شمساً» يتأذّون بحرّها «و لا زمهريراً» يتأذّون ببرده.(٢)

[١٤] «وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً».

«و دانية عليهم ظلالها». يعني أنّ أفياء أشجار تلك الجنّة قريبة منهم. و قيل: إنّ ظلال الجنّة لاتنسخها الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا. «و ذلّلت قطوفها تذليلاً»؛ أي: سخّرت و سهّل أخذ ثمارها تسخيراً إن قام ارتفعت بقدره و إن قعد نزلت عليه حتّى ينالها و إن اضطجع كذلك.(٣)

[١٥ ـ ١٦] «وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً».

«و يطاف» على هؤلاء الأبرار. «و أكواب». جمع كوب و هو إناء الشراب من غير عروة. قيل: الأكواب الأقداح. «كانت» تلك الأكواب «قوارير»؛ أي: زجاجاً. «قوارير من فضّة». قال الصادق عليه السلام: ينفذ البصر من فضّة الجنّة كما ينفذ من الزجاج. و المعنى أنّ أصلها من فضّة فاجتمع لها بياض الفضّة و صفاء القوارير. و قوارير الثاني بدل من الأوّل و ليست بتكرار. أهل المدينة و أبوبكر عن عاصم: «قواريراً [قواريراً] » بالتنوين، و يقفون بالألف عليها.(٤) و ابن‌كثير و حفص: «قواريراً قوارير» الأولى بالتنوين و الثانية بغير تنوين، و

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٠.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٠.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢١.
٤ـ في النسخة: «على الجميع» بدل «عليها».

يقفان على الثانية بغير ألف. و حمزة و يعقوب بغير تنوين فيهما[١] و يقفان بغير ألف عليهما[٢]. و أبوعمرو و ابن‌عامر [و حفص] بغير تنوين فيهما[٣] أيضاً إلّا أنّهم يقفون على قوارير الأولى بالألف و على الثانية بغيرها. «قدّروها»؛ أي: قدّروا الكأس على قدرهم لايزيد و لاينقص من الريّ. و الضمير في قدّروها للخدم الذين يسقون. فإنّهم يقدّرونها و يسقون. و قيل: قدّروها على قدر ملء الكفّ. أي: كانت الأكواب على قدر ما اشتهوا لم تعظم و لم يثقل الكفّ حملها.[٤]

«قوارير قوارير». قرئا غير منوّنين و بتنوين الأولى [و بتنوينهما] و هذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنّه فاصلة و في الثاني لإتباعه الأوّل.[٥]

[١٧ ـ ١٨] «وَ يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً».

«زنجبيلاً» لايشبه زنجبيل الدنيا. قال ابن‌عبّاس: ما ذكره الله في القرآن ممّا في الجنّة و سمّاه، ليس له مثل في الدنيا، ولكن سمّاه الله بالاسم الذي يعرف. و الزنجبيل ممّا كانت العرب تستطيبه فلذلك ذكره في القرآن و وعدهم أنّهم يسقون في الجنّة بالكأس الممزوجة بزنجبيل الجنّة. «سلسبيلاً». قيل: سمّيت سلسبيلاً لأنّها تسيل عليهم في الطرق و في منازلهم تنبع من أصل العرش من جنّة عدن إلى أهل الجنان.[٦]

«سلسبيلاً» لسلاسة انحدارها في الحلق و سهولة مساغها. يعني أنّها في طبع الزنجبيل و ليس فيها لذعه ولكن نقيض اللّذع و هو السلاسة. يقال: شراب [سلسل و سلسال و] سلسبيل. و قد زيدت الباء في التركيب حتّى صارت الكلمة خماسيّة و قد دلّت على غاية السلاسة. و قد عزوا إلى عليّ عليه السلام أنّ معناه: سل سبيلاً إليها. يعني أنّ جملة قول القائل: سل سبيلاً، جعلت علماً للعين ـ كتأبّط شرّاً ـ و سمّيت بذلك لأنّه لايشرب منها إلّا من سأل

١ـ في النسخة: «في الجميع» بدل «فيهما».
٢ـ في النسخة: «عليها» بدل «عليهما».
٣ـ في النسخة: «فيها» بدل «فيهما».
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢١ ـ ٦٢٢ و ٦٠٩.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٧١.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٢.

إليها سبيلاً بالعمل الصالح. و «عيناً» بدل من «زنجبيلاً».(١)

[١٩] «وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً».

«لؤلؤاً منثوراً» في الصفا و حسن المنظر و الكثرة. و قيل: شبّههم بالمنثور لانتشارهم في الخدمة. فلو كانوا صفّاً لشبّهوا بالمنظوم.(٢)

[٢٠] «وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً».

«و إذا رأيت ثمّ»؛ أي: إذا رميت ببصرك. يعني في الجنّة. و قيل: إنّ تقديره: و إذا رأيت الأشياء ثمّ «رأيت نعيماً» خطيراً «و ملكاً كبيراً» لايزول و لايفنى. عن الصادق عليه السلام. و قيل: الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم و تحيّتهم بالسلام. و قيل: هو أنّ أدناهم منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام.(٣)

«و إذا رأيت»؛ أي: أوجدت الرؤية، لم يتعلّق الإدراك إلّا بنعيم كثير؛ لما روي أنّ أدنى أهل الجنّة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه.(٤)

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه و آله عن قوله تعالى: «لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة»(٥) بما ذا بنيت؟ فقال: بناها [الله] لأوليائه بالدرّ و الياقوت و الزبرجد. سقوفها الذهب محبوكة بالفضّة. لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب، و على كلّ باب منها ملك موكّل به. فيها فرش مرفوعة و حشوها المسك و الكافور و العنبر. فإذا دخل المؤمن و جلس على سريره، اهتزّ السرير فرحاً. فيستأذن عليه الملك الموكّل بجنانه ليهنّيه بكرامة الله، فيقول له خدّام المؤمن: إنّ وليّ الله مع زوجته الحوراء. قال: فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمة لها تمشي مقبلة و حولها وصائفها و عليها سبعون حلّة منسوجة بالدرّ و الياقوت و الزبرجد.

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٧٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٢ ـ ٦٢٣.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٣.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٧٣.
٥ـ الزمر (٣٩) / ٢٠.

فإذا دنت من وليّ الله، يهمّ أن يقوم إليها شوقاً، فتقول: يا وليّ الله، ما هنا تعب اليوم[١] أنا لك و أنت لي. فيعتنقان مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا. فإذا فتر من غير ملال، نظر إلى عنقها و فيه لوح صفحته درّة مكتوب فيها: أنت يا وليّ الله حبيبي و أنا الحوراء حبيبتك. ثمّ يبعث الله إليه ألف ملك يهنّونه بالجنّة و يزوّجونه الحوراء. فيقولون للملك الموكّل بأوّل باب من جنانه: استأذن لنا على وليّ الله. فإنّ الله بعثنا إليه نهنّيه. فيقول الملك: حتّى أقول للحاجب. و بين الحاجب و وليّ الله جنّتان. فيقول الحاجب للقيّم: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العزّة يهنّون وليّ الله. فيعلمونه فيؤذن للملائكة فيدخلون عليه الغرفة و لها ألف باب و على كلّ باب ملك فيدخل كلّ ملك من باب. و ذلك قوله: «و الملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب» من أبواب الغرفة «سلام».[٢] و ذلك قوله: «و إذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً».[٣]

[٢١] «عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً».

«عاليهم ثياب سندس». من جعله ظرفاً، فهو بمنزلة قولك: فوقهم ثياب سندس. و من جعله حالاً، فهو بمنزلة: تعلوهم ثياب سندس. و هو ما رقّ من الثياب. عن الصادق عليه السلام: تعلوهم الثياب فيلبسونها. «و إستبرق». هو ما غلظ منها. و لا يراد بها الغلظ في السلك إنّما يراد به الثخانة في النسج. قال ابن عبّاس: أما رأيت الرجل عليه ثياب و الذي يعلوها أفضلها؟ «أساور من فضّة». هي التي يرى ما وراءها كما يرى من البلّورة. و هي أفضل من الدرّ و الياقوت، و هما أفضل من الذهب. فتلك الفضّة أفضل من الذهب. و قيل: إنّهم يحلّون بالذهب تارة و بالفضّة أخرى ليجمعوا محاسن الحلية. كقوله: «يحلّون فيها من أساور من ذهب»[٤]. «طهوراً»: طاهراً من الأقذار و الأقذاء لم تدنّسها الأيدي و الأرجل. و قيل:

١ـ المصدر: ليس هذا يوم تعب فلاتقم.

٢ـ الرعد (١٣) / ٢٣.

٣ـ الكافي ٨ / ٩٧ ـ ٩٨، ح ٦٩.

٤ـ الكهف (١٨) / ٣١.

طهوراً لايصير بولاً نجساً ولكن يصير رشحاً في أبدانهم كرشح المسك. و إنّ الرجل من أهل الجنّة يقسم له شهوة مائة رجل من أهل الدنيا. فإذا أكل ما شاء، سقي ماء طهوراً فيطهر بطنه و يصير ما أكل رشحاً يخرج من جلده و يضمر بطنه و تعود شهوته.[١]

و عن أبي‌الدرداء قال: كان رسول الله صلى الله عليه و آله يذكّر الناس الجنّة وما فيها من الأزواج و النعيم و في القوم أعرابيّ فجثا لركبتيه فقال: يا رسول الله، هل في الجنّة من سماع؟ قال: نعم يا أعرابيّ. إنّ في الجنّة نهراً حافتاه الأبكار من كلّ بيضاء يغنّين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قطّ. و ذلك من أفضل نعيم الجنّة.[٢]

فإن قلت: ذكر هاهنا أنّ أساورهم من فضّة وفي موضع آخر أنّها من ذهب. قلت: يسوّرون بالجنسين، إمّا على المعاقبة و إمّا على الجمع، كما تزاوج نساء الدنيا [بين] أنواع الحليّ و تجمع بينها. و ما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب و سوار من فضّة.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّه يأتي مع كلّ رجل من المتّقين ألف ملك يزفّونهم إلى باب الجنّة الأعظم. و على باب الجنّة شجرة الورقة منها يستظلّ تحتها ألف رجل من الناس. و عن يمين الشجرة عين[٤] مطهّرة فيسقون منها شربة فيطهّر الله بها قلوبهم من الحسد و يسقط عن أبشارهم الشعر. و ذلك قول الله: «و سقاهم ربّهم شراباً طهوراً» من تلك العين المطهّرة ثمّ ينصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة فيغتسلون فيها، و هي عين الحياة، فلايموتون أبداً.[٥]

[٢٢] «إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً».

«إنّ هذا». يعني ما وصف من النعيم. «سعيكم» في مرضاة الله. «مشكوراً»: مقبولاً

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٣.

٢ـ بحارالأنوار ٨ / ١٩٦.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٧٣ ـ ٦٧٤.

٤ـ في النسخة زيادة: منها.

٥ـ الكافي ٨ / ٩٥ ـ ٩٦، ح ٦٩.

مرضيّاً جوزيتم عليه، فكأنّه شكر لكم فعلكم.[١]

قال ابن عبّاس: بينا أهل الجنّة في الجنّة، إذ رأوا مثل الشمس أشرقت لها الجنان. فيقول أهل الجنّة: يا ربّ إنّك قلت في كتابك: «لا يرون فيها شمساً و لا زمهريراً»! فيرسل الله إليهم جبرائيل فيقول: ليس هذه شمس ولكنّ عليّاً و فاطمة عليهما السلام ضحكا فأشرقت الجنان من نور ضحكهما. و نزلت هل أتى فيهم إلى قوله: «مشكوراً».[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قيل له: كيف ينعم أهل الجنّة و ما منهم أحد إلّا وقد افتقد ابنه أو أباه أو حميمه؟ فإذا افتقدوهم في الجنّة، لم يشكّوا في مصيرهم إلى النار. فما يصنعون بالنعيم؟ قال عليه السلام: إنّ أهل العلم قالوا إنّهم ينسون ذكرهم. و قال بعضهم: انتظروا قدومهم و رجوا أن يكونوا بين الجنّة و النار في أهل الأعراف.[٣]

ذكر بعض المفسّرين أنّ النكتة في عدم ذكر حور العين في هذه السورة هو أنّها نزلت في شأن عليّ و فاطمة عليهما السلام فراعى الله جانبها حذراً من غيرة النساء.

[٢٣] «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً».

«نزّلنا عليك القرآن» فيه شرف و تعظيم لك. أو: فصّلناه في الإنزال آية بعد آية و لم ننزله جملة واحدة.[٤]

«إنّا نحن». تكرير الضمير بعد إيقاعه اسماً لإنّ، تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرّر في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه إذا كان هو المنزّل، لم يكن تنزيله على أيّ وجه نزل إلّا حكمة و صواباً. كأنّه قيل: ما نزّل عليك القرآن تنزيلاً منجّماً إلّا أنا لا غيري. و قد عرفتني حكيماً فاعلاً لكلّ ما أفعله بدواعي الحكمة. و لقد دعتني الحكمة البالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافّة و المصابرة، و سأنزل عليك الأمر بالقتال و الانتقام بعد حين.[٥]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٣.
٢ـ أمالي الصدوق / ٢١٦.
٣ـ الاحتجاج / ٣٥١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٥.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٧٤.

عن أبي‌الحسن الماضي عليه السلام في قوله: «إنّا نحن نزّلنا عليك القرآن» قال: بولاية عليّ «تنزيلاً». قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم ذا تأويل.(١)

[٢٤] «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً».

«فاصبر» على ما أمرتك به من تحمّل أعباء الرسالة «لحكم ربّك» أن تبلّغ الكتاب و تعمل به. «منهم»؛ أي: من مشركي مكّة. «آثماً». يعني عتبة بن ربيعة. «أو كفوراً». يعني الوليد بن مغيرة. فإنّهما قالا له: ارجع عن هذا الأمر و نحن نرضيك بالمال و التزويج. و قيل: الكفور أبوجهل؛ نهى النبيّ عن الصلاة و قال: لئن رأيت محمّداً يصلّي لأطأنّ عنقه. فنزلت الآية. و قيل: عامّ في كلّ عاص فاسق. أي: لاتطع من يدعوك إلى إثم أو فسق.(٢)

«فاصبر لحكم ربّك» الصادر عن الحكمة و تعليقه الأمور بالمصالح و تأخيره نصرتك على أعدائك من أهل مكّة. و لاتطع منهم أحداً قلّة صبر منك على أذاهم و ضجراً من تأخّر الظفر. و كانوا مع إفراطهم في العداوة و الإيذاء له و لمن معه، يدعونه إلى أن يرجع عن أمره و يبذلون له أموالهم. فإن قلت: كانوا كلّهم كفرة. فما معنى القسمة في قوله: «آثماً أو كفوراً»؟ قلت: معناه: لاتطع منهم راكباً لما هو إثم داعياً لك إليه، أو قائماً لما هو كفر داعياً لك إليه. لأنّهم إمّا أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر أو غير إثم و لا كفر، فنهي أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث.(٣)

[٢٥] «وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً».

«بكرة و أصيلاً»: صباحاً و مساء.(٤)

[٢٦] «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً».

١ـ الكافي ١ / ٤٣٥، ح ٩١.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٥.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٧٤.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٥.

«و من اللّيل فاسجد له». أي: في بعض اللّيل. لأنّه لم يأمره بقيام اللّيل كلّه. و قيل: «فاسجد له» يعني المغرب و العشاء. «ليلاً طويلاً»؛ أي: في ليل طويل. يريد التطوّع بعد المكتوبة. و عن الرضا عليه السلام أنّ ذلك التسبيح هو صلاة اللّيل.[١]

[٢٧] «إِنَّ هٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً».

«العاجلة». يعني لذّات الدنيا، و يتركون العمل ليوم القيامة الذي هو أمامهم. فالوراء بمعنى الأمام. و قيل: معنى وراءهم خلف ظهورهم.[٢]

[٢٨] «نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً».

«و شددنا أسرهم»؛ أي: قوّينا و أحكمنا خلقهم. و قيل: مفاصلهم. و قيل: أوصالهم بعضها على بعض بالعروق و العصب. و قيل: معناه: كلّفناهم فشددناهم بالأمر و النهي كيلا يجاوزوا حدود الله كما يشدّ الأسير بالقيد لئلّا يهرب. «و بدّلنا أمثالهم»؛ أي: أهلكناهم و أتينا بأشباههم فجعلناهم بدلاً منهم ولكن نبقيهم إتماماً للحجّة.[٣]

[٢٩] «إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً».

«إنّ هذه» السورة «تذكرة»: موعظة يتذكّر بها أمر الآخرة. «إلى ربّه سبيلاً». و هو العمل بطاعته. و فيه دلالة على أنّ الاستطاعة قبل الفعل.[٤]

و عنه عليه السلام «إنّ هذه تذكرة» قال: الولاية.[٥]

[٣٠] «وَ مَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً».

«و ما تشاؤون إلّا أن يشاء الله»؛ أي: وما تشاؤون اتّخاذ الطريق إلى مرضاة الله اختياراً

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٥ ـ ٦٢٦.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٦.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٦.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٦.
٥ـ الكافي ١ / ٤٣٥، ح ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

إلّا أن يشاء الله إجباركم و إلجاءكم إليه. فحينئذ تشاؤون و لاينفعكم ذلك. و لم يشأ الله هذه المشيّة بل شاء أن تختاروا الإيمان لتستحقّوا الثواب. قيل: معناه: و ما تشاؤون شيئاً من العمل بطاعة إلّا و الله يشاؤه و يريده. و ليس المراد بالآية أنّه سبحانه يشاء كلّ ما يشاء العبد من المعاصي و المباحات و غيرها. لأنّه سبحانه لايريد القبائح. ابن‌كثير و أبوعمرو و ابن‌عامر: «و ما يشاؤون» بالياء.[1]

[٣١] «يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً».

«في رحمته»؛ أي: في جنّته. يعني المؤمنين.[2]

و عنه عليه السلام «يدخل من يشاء في رحمته» قال: في ولايتنا.[3]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٦ و ٦٢٤.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٦.
٣ـ الكافي ١ / ٤٣٥، ح ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

٧٧.
سورة المرسلات

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ المرسلات، عرّف الله بينه و بين محمّد صلى الله عليه و آله.[١]

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، كتب أنّه ليس من المشركين.[٢]

المرسلات: من قرأها في خصومة، قهر خصمه. و يزيل الدمّل تعليقاً.[٣]

[١ ـ ٦] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً * وَ النَّاشِرَاتِ نَشْراً * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً * عُذْراً أَوْ نُذْراً».

«عرفاً». يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس. و قيل: الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله و نهيه. و قيل: الأنبياء جاءت بالمعروف. «فالعاصفات»: الرياح الشديدات الهبوب. «و الناشرات». هي الرياح التي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشراً للغيث. و قيل: الملائكة تنشر الكتب عن الله. و قيل: الأمطار تنشر النبات. «فالفارقات». يعني الملائكة تأتي بما تفرق بين الحقّ و الباطل. و قيل: الرياح تفرق بين السحاب. «فالملقيات ذكراً». يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء [و تلقيه الأنبياء] إلى الأمم. «عذراً أو نذراً» ؛ أي: للإعذار و الإنذار. أهل الحجاز و الشام: «عذْراً» ساكنة الذال و «نذراً» بضمّها.[٤]

«و المرسلات عرفاً». قال: آيات يتبع بعضها بعضاً. «فالعاصفات». قال: القبر. «و

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٩، ح ١.
٢ـ المصباح / ٥٩٦.
٣ـ المصباح / ٦١٣.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٨ ـ ٦٢٩ و ٦٢٧.

الناشرات». قال: نشر الأموات. «فالفارقات». قال: الدابّة. «فالملقيات». قال: الملائكة.[١]

«و المرسلات عرفاً». الكلمات الخمس في أوّل السورة يحتمل أن يكون المراد جنساً واحداً. فأمّا إن يكونوا الملائكة، أقسم ربّ العزّة بطوائف الملائكة الذين أرسلهم بأوامره حال كونهنّ عرفاً؛ أي: متتابعة كشعر العرف. و يجوز أن يكون العرف خلاف النكر. أي أرسلهنّ للإحسان و المعروف. و معنى الفاء في «فالعاصفات» أنّهنّ عصفن عقيب الأمر في مضيّهنّ كما تعصف الرياح، بداراً إلى امتثال الأمر. و المراد أنّهنّ حين أرسلن للعذاب، طرن بروح الكافر. «و الناشرات نشراً». يعني جماعة الملائكة نشرن أجنحتهنّ في الجوّ عند انحطاطهنّ بالوحي. «فالفارقات» يفرقن بين الحقّ و الباطل فألقين ذكراً إلى الأنبياء عذراً للمحقّين و نذراً للمبطلين. و يجوز أن يكون هذه الصفات كلّها للرياح. [أقسم الله سبحانه برياح عذاب] أرسلهنّ متتابعة فعصفن عصفاً و برياح الرحمة نشرن السحاب و صرن سبباً في حصول الذكر. لأنّ الإنسان إذا شاهد تلك الرياح التجأ إلى ذكر الله فيكون عذراً للّذين يعتذرون بالتوبة و الاستغفار و نذراً أي إنذاراً للّذين يغفلون عن الله. و يجوز أن يكون كلّ الصفات راجعة للقرآن و آياته؛ أرسلت متتابعة [أو] بكلّ معروف و خير فعصفت على سائر الملل و الأديان و نشرت بعد ذلك بالتدريج آثار الحكم و أنوار الهداية في قلوب العالمين ففرقت بين الحقّ و الباطل فألقت الذكر و الشرف إلى النبيّ و أمّته. و يجوز أن يكون كلّ الصفات عبارة عن الأنبياء عليهم السلام لأنّهم عصفوا و اشتدّوا في تبليغ الوحي و انتشرت دعوتهم ففرقوا بين المقرّ و الجاحد و ألقوا الذكر إلى الناس كافّة.[٢]

[٧] «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ».

«إنّما توعدون». جواب القسم. يعني: انّ الذي وعدكم الله من البعث و الثواب و العقاب لكائن لا محالة.[٣]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٠.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢٩ / ١٢٩ ـ ١٣٢.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٩.

[٨ ـ ١٠] «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَ إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ».

«طمست»؛ أي: ذهب صفاها. «فرجت»؛ أي: انشقّت و صدعت فصار فيها فـروج. «نسفت»؛ أي: قلعت من مكانها. و قيل: أذهبت بسرعة حتّى لايبقى لها أثر في الأرض.[١]

[١١ ـ ١٤] «وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ».

«أقّتت»؛ أي: جمعت لوقتها، و هو يوم القيامة، لتشهد على الأمم، و هو قوله: «لأيّ يوم أجّلت» أي: أخّرت و ضرب لهم الأجل لجـمعهم تـعجّب العـباد مـن ذلك اليـوم. قـال الصادق عليه السلام: «أقّتت»؛ أي: بعثت في أوقات مختلفة. ثمّ بيّن سبحانه ذلك اليوم فقال: «ليوم الفصل»؛ أي: [يوم] يفصل الرحمن بين الخلائق. ثمّ عظّم ذلك اليوم فقال: «و ما أدراك ما يوم الفصل». أبوبكر[٢]: «وقتت» بالواو و التخفيف، و أهل البصرة بالواو و التشـديد. و الباقون: «أقّتت» بالألف و التشديد.[٣]

«أقّتت »؛ أي: بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره في يوم القيامة. ثمّ عجّب العباد من هول ذلك اليوم فقال: لأيّ يوم أخّرت الأمور المتعلّقة بهؤلاء الرسل و هو تعذيب من كذّبهم و تعظيم من صدّقهم و ظهور ما كانوا يدعون الأمم إليه مـن العـرض و الحسـاب و نـشر الدواوين و وضع الموازين. ثمّ أجاب بأنّهم أجّلوا ليوم الفصل بين الخلائق. ثمّ عظّم ذلك ثانياً فقال: «و ما أدراك ما يوم الفصل».[٤]

[١٥] «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

«ويل يومئذ للمكذّبين» بيوم القيامة. و العامل في الظرف محذوف يـدلّ عـليه «إنّما توعدون لواقع». و التقدير: إذا طمست النجوم و فرجت السماء و نسفت الجبال و أقّـتت

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٩.

٢ـ المصدر: أبوجعفر.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٩ و ٦٢٨.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ٢٩ / ١٣٤ ـ ١٣٥.

الرسل، وقعت القيامة.[١]

عن أبي‌الحسن الماضي عليه السلام: «ويل يومئذ للمكذّبين» ـ يا محمّد ـ بما أوحيت إليك من ولاية عليّ عليه السلام.[٢]

[١٦ ـ ١٩] «أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

«ألم‌نهلك الأوّلين». ذكر سبحانه ما فعله بالمكذّبين الأوّلين ـ يعني عذابهم في الدنيا ـ مثل قوم نوح و عاد و ثمود حين كذّبوا رسلهم. «الآخرين»: قوم لوط و إبراهيم. «بالمجرمين» من أهل مكّة، كما فعلنا بمن تقدّم. و قد فعل بهم ذلك يوم بدر. «ويل يومئذ للمكذّبين». يعني يوم الجزاء.[٣]

«ألم‌نهلك الأوّلين»: الذين كذّبوا الأنبياء في طاعة الأوصياء. «كذلك نفعل بالمجرمين»: من أجرم إلى آل محمّد و ركب من وصيّه ما ركب.[٤]

عن أبي‌الحسن الرضا عليه السلام في قول الله: «ألم‌نهلك الأوّلين»: يعني الأوّل و الثاني. «ثمّ نتبعهم الآخرين». قال: الثالث و الرابع و الخامس. «كذلك نفعل بالمجرمين» من بني‌أميّة. و قوله: «ويل يومئذ للمكذّبين» ـ بأميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام.[٥]

[٢٠ ـ ٢٤] «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

«مهين»؛ أي: حقير. «في قرار مكين». يعني الرحم. «قدر معلوم». يعني مدّة الحمل. «فقدرنا». أهل المدينة و الكسائيّ: «فقدّرنا» بالتشديد، و الباقون بالتخفيف. «فقدّرنا»

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٢٩ ـ ٦٣٠.
٢ـ الكافي ١ / ٤٣٥، ح ٩١.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣١.
٤ـ الكافي ١ / ٤٣٥، ح ٩١، عن الكاظم عليه السلام.
٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٥٤، ح ١.

خلقه كيف يكون؛ قصيراً أم طويلاً، ذكراً أم أنثى. «فنعم القادرون» نحن. و يجوز أن يكون المعنى إذا خفّف من القدرة. أي: قدرنا على جميع ذلك، فنعم القادرون على تدبير [ذلك] و ما يقدر عليه إلّا نحن.[١]

[٢٥ ـ ٢٦] «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتاً».

«كفاتاً» للعباد تكفتهم «أحياء» على ظهورها في دورهم ومنازلهم و تكفتهم «أمواتاً» في بطنها؛ أي: تحوزهم و تضمّهم. ومنه قول [الشعبيّ]: الجبّانة كفات الأموات. و البيوت كفات الأحياء. و روي ذلك عن أميرالمؤمنين عليه السلام. و قيل: «كفاتاً»؛ أي: وعاء. و هذا كفته؛ أي: وعاؤه. فعلى هذا يكون أحياء و أمواتاً نصب على الحال، و على القول الأوّل على المفعول.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «ألم نجعل الأرض كفاتاً * أحياء و أمواتاً» قال: دفن الشعر و الظفر.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه نظر إلى المقابر فقال: هذه كفات الأموات، و نظر إلى البيوت فقال: هذه كفات الأحياء. ثمّ تلا هذه الآية: «ألم نجعل الأرض» ـ الآية.[٤]

[٢٧] «وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَ أَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً».

«رواسي شامخات»؛ أي: جبالاً ثابتة عالية. «فراتاً»؛ أي: عذباً.[٥]

[٢٨] «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

«ويل يومئذ للمكذّبين». أي بهذه النعم. و إنّما كرّر «ويل» ـ الآية ـ لأنّه عدّد النعم فذكره عند كلّ نعمة. فلا يعدّ ذلك تكراراً.[٦]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٠ ـ ٦٣٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٢.
٣ـ الكافي ٦ / ٤٩٣، ح ١.
٤ـ معاني الأخبار / ٣٤٢، ح ١.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٢.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٢.

[٢٩ ـ ٣١] «انطَلِقُوا إِلىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * انطَلِقُوا إِلىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَ لَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ».

«انطلقوا»؛ أي: يقول لهم الخزنة: اذهبوا و سيروا إلى النار التي كنتم تجحدونها و لاتعترفون بصحّتها في الدنيا. ثمّ ذكر الموضع الذي أمرهم بالانتقال إليه فقال: «انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلاث شعب»؛ أي: نار لها ثلاث شعب. سمّاها ظلّاً لسواد نار جهنّم. و قيل: هو دخان جهنّم له ثلاث شعب تحيط بالكافر ـ شعبة تكون فوقه و شعبة عن يمينه و شعبة عن يساره ـ فسمّى الدخان ظلّاً كما قال: «أحاط بهم سرادقها»[١] أي من الدخان الآخذ بالأنفاس. و قيل: يخرج من النار لسان فيحيط بالكافر كالسرادق فيتشعّب ثلاث شعب يكون فيها حتّى يفرغ من الحساب. ثمّ وصف سبحانه ذلك الظلّ فقال: «لا ظليل»؛ أي: غير مانع من الأذى بستره عنه. و ظلّ هذا الدخان لايغني الكفّار شيئاً من حرّ النار. و هو قوله: «لايغني من اللّهب». و اللّهب ما يعلو على النار إذا اضطرمت من أحمر و أصفر و أخضر. يعني أنّهم إذا استظلّوا بذلك الظلّ، لم يدفع عنهم حرّ اللّهب.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا لاذ الناس من العطش قيل لهم: «انطلقو إلى ما كنتم به تكذّبون». يعني أميرالمؤمنين عليه السلام فيقول: «انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلاث شعب * لا ظليل و لايغني من اللّهب». يعني الثلاثة فلان و فلان و فلان. معنى هذا أنّ أعداء آل محمّد عليهم السلام يوم القيامة يأخذهم العطش فيطلبون الماء فيقال لهم: انطلقوا إلى عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام الذي كنتم تكذّبون بولايته في الدنيا، فإنّه على الحوض الكوثر يسقي أولياءه فيأتون إليه و يطلبون منه الماء فيقول لهم: «انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلاث شعب» لكلّ شعبة منها ربّ و هم أصحاب الرايات الثلاثة يستظلّ بها أهل الضلال.[٣]

«انطلقوا إلى ظلّ». روي أنّ الشمس تقرب يوم القيامة من رؤوس الخلائق و ليس

١ـ الكهف (١٨) / ٢٩.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٣ ـ ٦٣٤.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٥٥، ح ٤.

عليهم يومئذ لباس فتأخذ بأنفاسهم فيحمي الله برحمته من يشاء الى ظلّ العرش و نحوه فيقولون: فمنّ الله علينا و وقانا عذاب السموم. و يقال للمكذّبين: «انطلقوا إلى ما كنتم به تكذّبون» من عذاب الله. فينطلقون بهم إلى دخان جهنّم يستظلّون به و لاينفعهم. و قيل: المراد بقوله: «ذي ثلاث شعب» التي ذكرها عقيبها و هي: «لا ظليل و لايغني من اللّهب».(١)

«إلى ظلّ». يعني ظلّ دخان جهنّم؛ كقوله: «و ظلّ من يحموم».(٢) «ذي ثلاث شعب» يتشعّب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرّق ذوائب. و خصوصيّة الثلاث إمّا لأنّ حجاب النفس عن أنوار القدس الحسّ و الخيال و الوهم، أو لأنّ المؤدّي إلى هذا العذاب هو القوّة الواهمة الحالّة في الدماغ و الغضبيّة التي في يمين القلب و الشهويّة التي في يساره. و لذلك قيل: شعبة يقف فوق الكافر، و شعبة عن يمينه، و شعبة عن يساره. «لا ظليل». تهكّم بهم ورد لما أوهم لفظ الظلّ.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام: إذا استوى أهل النار إلى النار، لينطلق بهم قبل أن يدخلوا النار فيقال لهم: ادخلوا إلى الظلّ ذي ثلاث شعب من دخان النار فيحسبون أنّها الجنّة ثم يدخلون النار أفواجاً و ذلك نصف النهار.(٤)

[٣٢ ـ ٣٣] «إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ».

ثمّ وصف النار فقال: «إنّها ترمي بشرر». وهو ما يتطاير من النار في الجهات. «كالقصر»؛ أي: مثله في عظمه يتطاير على الكافرين من كلّ جهة. و هو واحد القصور من البنيان. و العرب تشبّه الإبل بالقصور. ثمّ شبّهه [في] لونه بالجمالات فقال: «كأنّه جمالة صفر» ؛ أي: كأنّها أينق سود لما يعتري سوادها من الصفرة. و قال الفرّاء: لاترى سوداء من الإبل إلّا و هو مشرب صفرة. و بذلك سمّت العرب سود الإبل صفراً. و قيل: هو من الصفرة

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢٩ / ١٣٨ ـ ١٣٩.
٢ـ الواقعه (٥٦) / ٤٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٥٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٣.

لأنّ النار تكون صفراء.[١]

«إنّها ترمي بشرر كالقصر». وفيه تهكّم بهم و تعريض بأنّ ظلّهم غير ظلّ المؤمنين. أي ذلك الظلّ غير مانع من حرّ الشمس و لا حرّ اللّهب. «كالقصر». قال ابن عبّاس: هذا التشبيه إنّما ورد على ما هو المعتاد في بلاد العرب و قصورهم قصيرة السمك [جارية] مجرى الخيمة.[٢]

عنه ﷺ: و تزفر النار بمثل الجبال شرراً.[٣]

«كالقصر» في عظمها. و قيل: هو جمع قصرة و هو الشجرة العظيمة. «جمالة»: جمع جمل. أو «جمالات» جمع جمال. حمزة و الكسائيّ: «جمالة». و يعقوب: «جمالات» بضمّ الجيم.[٤] و الباقون: «جمالات» بكسرها.

[٣٤] «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

«ويل يومئذ للمكذّبين» بنار هذه صفتها.[٥]

[٣٥ ـ ٣٦] «هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ * وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ».

«لاينطقون». أي نطقاً ينتفعون به، فكأنّهم لم ينطقوا. أو يكون في القيامة مواقف ففي بعضها يختصمون و يتكلّمون و في بعضها يختم على أفواههم. «فيعتذرون»؛ أي: لايؤذن لهم فلايعتذرون.[٦]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «و لايؤذن لهم فيعتذرون» قال: الله أجلّ و أعظم و أعدل من أن يكون لعبده عذر لايدعه يعتذر. ولكنّه فلج فلم يكن له عذر.[٧]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٤.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢٩ / ١٣٩ و ١٤٢.
٣ـ الإرشاد / ٧٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٥٨. و ما يأتي بعدها من المجمع ١٠ / ٦٣٢.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٤.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٤.
٧ـ الكافي ٨ / ١٧٨، ح ٢٠٠.

[٣٧] «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

«للمكذّبين». أي بهذا الخبر.[١]

[٣٨ـ ٤٠] «هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ * فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

«يوم الفصل» بين أهل الجنّة و النار. و قيل: هذا يوم الحكم و القضاء بين الخلق و الانتصاف من الظالم. «كيد»؛ أي: حيلة، فاحتالوا لأنفسكم.[٢]

[٤١ـ ٤٢] «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَ عُيُونٍ * وَ فَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ».

«إنّ المتّقين» من الشرك «في ظلال» من أشجار الجنّة «و عيون» جارية بين أيديهم في غير أخدود.[٣]

«في ظلال». قال: في ظلال من نور أنور من الشمس.[٤]

[٤٣ـ ٤٥] «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

«كلوا و اشربوا». صورته صورة الأمر و المراد[٥] الإباحة. و قيل: إنّه أمر على الحقيقة و هو سبحانه يريد منهم الأكل و الشرب في الجنّة و إنّهم إذا علموا ذلك ازداد سرورهم فلايكون إرادته لذلك عبثاً. «هنيئاً». و هو الذي لا أذى يتبعه. «إنّا كذلك». ابتداء إخبار من الله. أو يقال ذلك لهم أيضاً. «للمكذّبين». أي بهذا الوعد.[٦]

[٤٦ـ ٤٧] «كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٤.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٤ ـ ٦٣٥.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٥.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٠.

٥ـ في النسخة: «إنّما الوارد» بدل «المراد».

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٥ ـ ٦٣٦.

«كلوا و تمتّعوا»؛ أي: يقال للمكذّبين: كلوا و تمتّعوا في الدنيا قليلاً، أو زماناً قليلاً، فإنّ الموت كائن لا محالة. «مجرمون»؛ أي: مشركون مستحقّون للعذاب. «للمكذّبين» بهذا الوعيد.(١)

«كلوا و تمتّعوا». ذكر أنّ هذا الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم في الآخرة: كلوا و تمتّعوا. أي: كنتم أحقّاء في حياتكم بأن يدعى لكم بهذا. و فيه توبيخ لهم و تذكير بحالهم السمجة و بما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم المقيم. و علّل ذلك بكونهم مجرمين إيعاداً لكلّ مجرم. و جوّز أن يكون «كلوا و تمتّعوا» كلاماً مستأنفاً للمكذّبين في الدنيا.(٢)

[٤٨ ـ ٤٩] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

«اركعوا»؛ أي: صلّوا، لا يصلّون. «للمكذّبين» بوجوب الصلاة و العبادات. نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله بالصلاة فقالوا: لا ننحني. فإنّ ذلك سبّة علينا. فقال‌ صلى الله عليه وآله: لا خير في دين ليس فيه ركوع و سجود.(٣)

[٥٠] «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ».

«بعده»؛ أي: بعد القرآن يصدّقون و لم يصدّقوا له مع إعجازه و حسن نظمه فلا يصدّقون بغيره.(٤)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٦.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢٩ / ١٤٩ ـ ١٥٠.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٦.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٦.

٧٨.
سورة النبأ

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة النبأ، لم تخرج سنته ـ إذا كان يدمنها في كلّ يوم ـ حتّى يزور بيت الله الحرام إن شاء الله.[١]

من كتبها في رقّ ظبي بزعفران و ماء ورد و حملها، قلّ نومه و سهر و حفظ و قلّ قمّله. و إن علّقت على الذراع، كان فيه قوّة عظيمة. و شرب مائها يزيل [مرض] البطن.[٢]

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، سقاه الله برد الشراب في القيامة.[٣]

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ».

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «عمّ يتساءلون» قال: هي في أمير المؤمنين عليه السلام. [كان أمير المؤمنين عليه السلام] يقول: ما لله عزّ و جلّ آية أكبر منّي. و ما لله من نبأ أعظم منّي.[٤]

قيل: النبأ العظيم القرآن. و اختلافهم فيه أنّ بعضهم جعلوه سحراً و بعضهم شعراً أو كهانة. و قيل: نبوّة محمّد صلى الله عليه و آله. كانوا يقولون: ما هذا الذي حدث؟ و عجبوا أن جاءهم منذر. و قالت الشيعة: هي عليّ عليه السلام. قال القائل في حقّه: هو النبأ العظيم و فلك نوح و باب الله. و انقطع الخطاب.[٥]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٦.

٢ـ المصباح / ٦١٣.

٣ـ المصباح / ٥٩٦.

٤ـ الكافي ١ / ٢٠٧، ح ٣.

٥ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٤ ـ ٥.

عن السدّيّ في قوله: «عن النبأ العظيم» قال: أقبل صخر بن حرب فقال: يا محمّد، هذا الأمر بعدك لمن؟ قال: يا صخر، لمن هو منّي بمنزلة هارون من موسى. فأنزل الله: «عمّ يتساءلون» [يعني أهل مكّة يتساءلون] عن خلافة عليّ بن أبي طالب منهم المصدّق و منهم المكذّب.(١)

و عن علقمة أنّه خرج رجل يوم صفّين عن عسكر الشام عليه سلاح و فوقه مصحف و هو يقرأ عمّ يتساءلون. فبرز إليه عليّ عليه السلام فقال له: أ تعرف النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون؟ قال: لا. قال له: أنا ـ و الله ـ النبأ العظيم الذي فيّ اختلفتم و على ولايتي تنازعتم. و يوم الغدير قد علمتم و يوم القيامة تعلمون ما عملتم. ثمّ ضرب عنقه.(٢)

و عن الأصبغ بن نباتة أنّ عليّاً عليه السلام قال: و الله أنا النبأ العظيم. «كلّا سيعلمون * ثمّ كلّا سيعلمون» حين أقف بين الجنّة و النار فأقول: هذا لي، و هذا لك.(٣)

«عمّ يتساءلون». قالوا: لمّا بعث رسول الله صلى الله عليه و آله و أخبرهم بالتوحيد و البعث و تلا عليهم القرآن، جعلوا يسأل بعضهم بعضاً على طريق الإنكار فيقولون: ماذا جاء به محمّد؟ فأنزل الله: عن أيّ شيء يتساءلون؟ قال الزجّاج: اللّفظ لفظ الاستفهام و المعنى تفخيم القصّة. ثمّ ذكر أنّ تساؤلهم عن ماذا فقال: «عن النبأ العظيم». و هو القرآن. و معناه: الخبر العظيم الشأن. لأنّه ينبئ عن التوحيد و الرسالة. و قيل: يعني نبأ يوم القيامة. و أيّده بقوله: «إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً».(٤) و قيل: النبأ العظيم ما كانوا يختلفون فيه من إثبات الصانع و صفاته و الملائكة و الرسل و البعث. فإنّ النبأ معرّف يتناول الكلّ. «الذي هم فيه مختلفون» فمصدّق و مكذّب.(٥)

[٤ ـ ٨] «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً * وَ الْجِبالَ

---

١ تأويل الآيات ٢ / ٧٥٨، ح ٤.

٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٥٩، ح ٥.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٥٩، ح ٦.

٤ـ النبأ (٧٨) / ١٧.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٩.

أَوْتَاداً * وَ خَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً».

ثمّ قال: «كلّا سيعلمون» بعدك أنّ ولايته حقّ. ثمّ قال تأكيداً: «ثمّ كلّا سيعلمون» أنّ ولايته حقّ إذا سئلوا عنها في قبورهم فلايبقى ميّت إلّا و منكر و نكير يسألانه عن ولايته عليه السلام بعد الموت.[١]

«كلّا سيعلمون»؛ أي: ليس الأمر كما قالوا؛ سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الأمور. «ثمّ كلّا سيعلمون». هذا وعيد على أثر وعيد. و قيل: كلّا؛ أي: حقّاً سيعلمون الكفّار عاقبة تكذيبهم و سيعلم المؤمنون تصديقهم. و قيل: كلّا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة. ثمّ كلّا سيعلمون ما ينالهم في جهنّم من العذاب. فعلى هذا لايكون تكراراً. ثمّ نبّههم على صحّة ذلك. فقال: «ألم نجعل الأرض مهاداً»؛ أي: قراراً مهيّأً للتصرّف فيه من غير أذيّة. «أوتاداً» للأرض لئلاتميد بأهلها. «أزواجاً»؛ أي: أشكالاً. و قيل: معناه: ذكراناً وإناثاً حتّى يصحّ منكم التناسل.[٢]

[٩] «وَ جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً».

«و جعلنا نومكم سباتاً»؛ أي: راحة و دعة لأجسادكم. أو المعنى: و جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم و تصرّفكم. و قيل: المعنى: جعلنا نومكم سباتاً ليس بموت على الحقيقة و لا مخرجاً عن الحياة و الإدراك. السبات: قطع العمل للراحة. و منه «يوم السبت»؛ أي: يوم قطع العمل على ماجرت به العادة في شرع موسى عليه السلام.[٣]

[١٠ ـ ١١] «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً».

«لباساً»؛ أي: غطاء و سترة يستر كلّ شيء بظلمة و سواد. «معاشاً»؛ أي: جعلناه وقت معاشكم لتتصرّفوا في معايشكم.[٤]

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٥٩، ح ٤، عن السدّيّ.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٩.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٩ و ٦٣٨.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٣٩ ـ ٦٤٠.

[۱۲ ـ ۱۳] «وَ بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً * وَ جَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً».

«سبعاً»؛ أي: سبع سموات. «شداداً»: محكمة أحكمنا صنعها و أتـقنّا بـناءها. «سراجاً وهّاجاً»: وقّاداً متلألأ بالنور يستضيئون به.(۱)

[۱٤ ـ ۱٦] «وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَ نَبَاتاً * وَ جَنَّاتٍ أَلْفَافاً».

«من المعصرات»؛ أي: الرياح ذوات الأعاصير. و مـن مـعناه البـاء. و ذلك أنّ الريح تستدرّ المطر. و قيل: المعصرات السحاب. «ثجّاجاً» يتلو بعضه بعضاً. «و جـنّات»؛ أي: بساتين «ألفافاً»: ملتفّة بالشجر. و إنّما سمّي جنّة لأنّ الشجر تجنّها؛ أي: تسترها.(۲)

«حبّاً و نباتاً»: ما يتقوّت به من نحو الحنطة و الشعير، و ما يتعلّف بـه مـن التـبن و الحشيش. كما قال: «كلوا وارعوا أنعامكم».(۳)

[۱۷] «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً».

«يوم الفصل»: يوم القضاء بين الخلائق. «كان مـيقاتاً» لمـا وعـد الله مـن الجـزاء و الحساب.(٤)

«ميقاتاً». أي كان في علم الله و تقديره حدّاً توقّت به الدنيا و تنتهي عنده.

[۱۸] «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً».

«أفواجاً»؛ أي: جماعة جماعة إلى أن تتكاملوا في القيامة. و قيل: كلّ فريق يأتي مع شكله. أو: كلّ أمة تأتي مع نبيّها فلذلك جاؤوا أفواجاً.(٥)

«يوم ينفخ». بدل من «يوم الفصل» أو عطف بيان له. «أفواجاً»: جماعات مختلفة كلّ

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦٤۰.

۲ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦٤۰.

۳ـ طه (۲۰) / ٥٤.

٤ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦٤۲.

٥ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦٤۲.

جماعة على صورة و هيئة. بعضهم على صورة القردة، و هم القتّات من الناس؛ و بعضهم على صورة الخنازير، و هم أهل السحت؛ و بعضهم منكّسون على أرجلهم يسحبون، و هم أكلة الرباء؛ و بعضهم عمياً، و هم الجائرون في الحكم؛ و بعضهم صمّاً بكماً، و هم المعجبون بأعمالهم؛ و بعضهم يمضغون ألسنتهم، و هم العلماء و القصّاص الذين خالف قولهم أعمالهم؛ و بعضهم مقطّعة أيديهم و أرجلهم، و هم الذين يؤذون الجيران؛ و بعضهم مصلّبون على جذوع من نار، و هم السعاة بالناس إلى السلطان؛ و بعضهم أشدّ نتناً من الجيف، و هم الذين يتّبعون الشهوات و يمنعون حقّ الله في أموالهم؛ و بعضهم يلبسون جباباً من قطران، و هم أهل الكبر و الفخر و الخيلاء. هكذا رواه معاذ عن النبيّ ﷺ من طرقنا و من طرق العامّة.(١)

[١٩] «وَ فُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً».

«و فتحت السماء»: شقّت لنزول الملائكة و كانت ذات أبواب. أهل الكوفة: «و فتحت» بالتخفيف، و الباقون بالتشديد.(٢)

«و فتحت السماء»؛ أي: كثرت أبوابها المفتّحة لنزول الملائكة كأنّها ليست إلّا أبواباً مفتّحة. كقوله: «و فجّرنا الأرض عيوناً»(٣). و قيل: الأبواب الطرق و المسالك. أي إنّها تكشط فينفتح مكانها فتصير طرقاً لايسدّها شيء.(٤)

[٢٠] «وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً».

«و سيّرت الجبال»: أزيلت عن أماكنها و ذهب بها فكانت كالسراب و ليست إيّاها.(٥)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٢، و الكشّاف ٤ / ٦٨٧ ـ ٦٨٨.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٢ و ٦٤٠.

٣ـ القمر (٥٤) / ١٢.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٨٨.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٢.

[٢١ ـ ٢٢] «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً * لِلطَّاغِينَ مَآباً».

«مرصاداً» معدّة لهم يرصد بها خزنتها الكفّار. و قيل: محبساً يحبس فيه الناس. و قيل: طريقاً منصوباً للعاصين فهو موردهم و منهلهم. «للطاغين»: الذين جاوزوا حدود الله. «مآباً»: مرجعاً إليه. كأنّ المجرم كان بإجرامه فيها ثمّ رجع إليها.[١]

المرصاد: الحدّ الذي فيه الرصد. و المعنى[٢]: إنّ جهنّم حدّ الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب و هي مآبهم. أو هي مرصاد لأهل الجنّة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأنّ مجازهم عليها و هي مآب للطاغين.[٣]

[٢٣] «لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً».

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «لابثين فيها أحقاباً» قال: هذه في الذين لايخرجون من النار.[٤]

و قوله: «لابثين» حمزة بغير الألف. «أحقاباً»؛ أي: أزماناً كثيرة لا انقطاع لها كلّما مضى حقب جاء بعده آخر. و الحقب ثمانون سنة من سني الآخرة.[٥]

«لابثين». قرئ: «لبثين». و اللّبث أقوى. لأنّ اللّابث من وجد منه اللّبث و لايقال لبث إلّا لمن شأنه اللّبث [كالّذي يجثم بالمكان] لاينفكّ منه.[٦]

[٢٤ ـ ٢٦] «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَ لَا شَرَاباً * إِلَّا حَمِيماً وَ غَسَّاقاً * جَزَاءً وِفَاقاً».

«لايذوقون» في الأحقاب[٧] «برداً و لا شراباً». البرد و الشراب النوم و الماء. و الحميم: الماء الحارّ. الغسّاق: صديد أهل النار. «جزاء وفاقاً». أي: وافق عذاب النار الشرك لأنّه [لا ذنب أعظم من الشرك و] لا عذاب أعظم من النار. و الوفاق: الجاري على المقدار.

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٢ ـ ٦٤٣.
٢ـ في النسخة: «و هم قوم كالحرس» بدل «و المعنى».
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٨٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٢.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤١ و ٦٤٢.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٨٨.
٧ـ لايوجد «في الأحقاب» في المصدر.

فالجزاء وفاق لأنّه [جار] على مقدار الأعمال في الاستحقاق.[١]

«برداً»؛ أي: روحاً ينفّس عنهم حرّ النار. «شراباً» يسكّن من عطشهم.[٢]

[٢٧ ـ ٢٨] «إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً * وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً».

«إنّهم كانوا لايرجون»؛ أي: فعلنا بهم ذلك العذاب لأنّهم كانوا لايؤمنون بالبعث و لا بالحساب. «بآياتنا»؛ أي: القرآن أو ما جاء به الأنبياء. «كذّابا»؛ أي: تكذيباً. و رووا عن عليّ عليه السلام: و كذبوا بآياتنا [كذاباً] » بالتخفيف. الكسائيّ: « كذاباً» بتخفيف الذال.[٣]

[٢٩] «وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً».

«أحصيناه»؛ أي: و كلّ شيء من الأعمال بيّنّاه في اللّوح المحفوظ. و قيل: معناه: كلّ شيء من أعمالهم حفظناه لنجازيهم به. ثمّ بيّن أنّ ذلك الإحصاء والحفظ وقع بالكتابة لأنّها أبلغ في الحفظ. و يجوز أن يكون كتاباً حالاً مؤكّدة. أي: أحصيناه في حال كونه مكتوباً عليهم. و الكتاب بمعنى المكتوب.[٤]

« كتاباً». مصدر في موضع إحصاء و أحصينا في موضع كتبنا لالتقاء الإحصاء و الكتبة في معنى الضبط و التحصيل.[٥]

[٣٠] «فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً».

«فذوقوا»؛ أي: يقال لهؤلاء الكفّار: ذوقوا ما أنتم فيه من العذاب. «فلن نزيدكم إلّا عذاباً». لأنّ كلّ عذاب بعد الوقت الأوّل فهو زائد عليه.[٦]

[٣١ ـ ٣٢] «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَ أَعْنَاباً».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٣.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٨٩.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٣ ـ ٦٤٤ و ٦٤١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٤.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٩٠.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٤.

«مفازاً»؛ أي: فوزاً و نجاة. أو: مكان فوز. ثمّ بيّن ذلك الفوز فقال: «حدائق و أعناباً». يعني أشجار الجنّة و أثمارها.[1]

[۳۳] «وَ كَوَاعِبَ أَتْرَاباً».

«و كواعب». الكواعب: جمع كاعب و هي الجارية التي نهد ثدياها. و «كواعب أتراباً»؛ أي: جواري تكعب ثديهنّ مستويات في الخلقة و القامة و الصورة.[2]

«أتراباً». قال: جوار أتراب لأهل الجنّة.[3]

[٣٤] «وَ كَأْساً دِهَاقاً».

«و كأساً دهاقاً»: مترعة مملوّة. و قيل: متتابعة على شاربيها.[4]

و عن عكرمة: «دهاقاً»؛ أي: صافية. و الدهاق على هذا القول يجوز أن يكون جمع دهق و هي خشبتان يعصر بهما. و الكأس: الخمر. أي: خمراً ذات دهاق و هي التى عصرت و صفّيت بالدهاق.[5]

[٣٥ ـ ٣٦] «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَ لَا كِذَّاباً * جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً».

«فيها»؛ أي: في الجنّة. «لغواً»؛ أي: كلاماً لا فائدة فيه. «و لا كذّاباً»؛ أي: لا يكذّب بعضهم بعضاً. ومن قرأ بالتخفيف يريد: و لا مكاذبة. «عطاء حساباً»؛ أي: كافياً. و قيل: حساباً على قدر الاستحقاق و بحسب العمل.[6]

«حساباً». صفة بمعنى كافياً. من أحسبه الشيء إذا كفاه حتّى قال: حسبي.[7]

[٣٧] «رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٦.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٦.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٢.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٦.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ١١.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٦.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٦٩٠.

أهل الحجاز و أبوعمرو: «ربّ السموات» بالرفع. و عاصم و ابن‌عامر: «الرحمن» بالجرّ، و الباقون بالرفع. «ربّ السموات»؛ أي: الذي يفعل بالمتّقين ما تقدّم هو ربّ السموات و الأرض؛ أي: مدبّرهما. «الرحمن»: المنعم على جميع خلقه. «لايملكون»؛ أي: لايملكون أن يسألوا إلّا فيما أذن لهم. كقوله: «و لايشفعون إلّا لمن ارتضى»[١].[٢]

«ربّ السموات» بالرفع ـ كما قرئ ـ على معنى: هو ربّ السموات الرحمن. أو ربّ السموات مبتدأ و الرحمن صفة و لايملكون خبر. «لايملكون». يعني أهل السموات و الأرض. أي: ليس في أيديهم ممّا يخاطب به الله في أمر الثواب و العقاب [خطاب واحد].[٣]

[٣٨] «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ قَالَ صَوَاباً».

«يوم يقوم الروح و الملائكة صفّاً». أي في ذلك اليوم. و الروح قيل: إنّه [خلق] من خلق الله على صورة بني‌آدم و ليسوا بناس و لا ملائكة يقومون صفّاً و الملائكة صفّاً. و قيل: هو ملك من الملائكة ما خلق الله خلقاً أعظم منه. فإذا كان يوم القيامة، قام وحده صفّاً و قامت الملائكة كلّهم صفّاً واحداً فيكون أعظم. و قيل: إنّه جبرئيل. عن الضحّاك. «صواباً». هو قولهم: لا إله إلّا الله. و روي عن الصادق عليه السلام أنّ الروح ملك أعظم من جبرئيل و ميكائيل. «صفّاً»؛ أي: مصطفّين. «لايتكلّمون إلّا من أذن له الرحمن». و هم المؤمنون و الملائكة. «و قال» في الدنيا «صواباً»؛ أي: شهد بالتوحيد و قال: لا إله إلّا الله. و قيل: إنّ الكلام هنا الشفاعة. أي: لايشفعون إلّا لمن أذن له الرحمن أن يشفع. و عن أبي عبدالله عليه السلام: نحن ـ و الله ـ المأذون لهم يوم القيامة و القائلون صواباً. قيل له: جعلت فداك؛ ما تقولون؟ قال: نحمد ربّنا و نصلّي على نبيّنا و نشفع لشيعتنا فلايردّنا ربّنا.[٤]

«يوم يقوم الروح ». قال: الروح ملك أعظم من جبرئيل و ميكائيل. و كان مع

١ـ الأنبياء (٢١) / ٢٨.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٥ ـ ٦٤٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٩١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٤٦ ـ ٦٤٧.

رسول الله صلى الله عليه وآله و هو مع الأئمّة عليهم السلام.(۱)

عن أبي جعفر عليه السلام: إذا كان يوم القيامة و جمع الله الخلائق من الأوّلين و الآخرين في صعيد واحد، خلع قول لا إله إلّا الله من جميع الخلائق إلّا من أقرّ بولايتنا. و هو قوله: «يوم يقوم» ـ الآية.(۲)

[۳۹] «ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ مَآباً».

«ذلك اليوم الحقّ» الذي لا شكّ في حصوله. يعني يوم القيامة. «مآباً»: أي: مرجعاً بالطاعة. أي: فمن شاء، عمل عملاً صالحاً يؤوب به إلى ربّه.(۳)

[٤٠ ـ ٤١] «إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً * يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً».

«إنّا أنذرناكم». يعني أهل مكّة. «عذاباً قريباً». يعني عذاب الآخرة. «ما قدّمت يداه»: أي: جزاء ما قدّمه. «يا ليتني كنت تراباً». يتمنّى لو كان لايعاد و لايحاسب ليتخلّص من عذاب ذلك اليوم. و في الأثر أنّ الحيوانات إذا حشرت و اقتصّت الجمّاء القرناء، يقول الله لها بعد الفراغ: ارجعوا إلى الذي كنتم. كونوا تراباً. فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً فيتمنّى فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا على صورة خنزير رزقي كرزقه و كنت اليوم تراباً في الآخرة. و قيل: المراد بالكافر هنا إبليس عاب آدم بأن خلق من تراب و هو افتخر بالنار، فيوم القيامة إذا رأى كرامة آدم و ولده المؤمنين قال: «يا ليتني كنت تراباً».(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام: «كنت تراباً» يعني علويّاً يوالي أباتراب.(٥)

ابن ربعيّ قال: قلت لابن عبّاس: لم كنّى رسول الله عليّاً عليه السلام أباتراب؟ قال: لأنّه

۱ـ تفسير القمّيّ ۲ / ٤۰۲.
۲ـ تأويل الآيات ۲ / ۷٦۱، ح ۹.
۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦٤۷.
٤ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦٤۷ ـ ٦٤۸.
٥ـ تأويل الآيات ۲ / ۷٦۱، ح ۱۰.

صاحب الأرض و حجّة الله على أهلها بعده و له بقاؤها و إليه سكونها. و لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّه إذا كان يوم القيامة و رأى الكافر ما أعدّ الله تبارك و تعالى لشيعة عليّ عليه السلام من الثواب و الزلفى و الكرامة، قال: يا ليتني كنت تراباً؛ أي: من شيعة عليّ. و ذلك قول الله: «و يقول الكافر» ـ الآية.[١]

١ـ علل الشرائع / ١٥٦، ح ٢.

٧٩.
سورة النازعات

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة النازعات، لم يمت إلّا ريّاناً.(١)

من قرأها مواجهاً لعدوّه أو سلطان، أمنهما.(٢)

و عن الصادق عليه السلام: من قرأها، لم يمت إلّا ريّان و لم يدخل الجنّة إلّا ريّان.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ النَّازِعَاتِ غَرْقاً».

«و النازعات». يعني الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفّار بالشدّة كما يغرق النازع في القوس فيبلغ فيها غاية المدّ. و روي ذلك عن عليّ عليه السلام. وقيل: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم. و قيل: هي الموت تنزع النفوس. و روي ذلك عن الصادق عليه السلام. و قيل: إنّها النجوم تنزع من أفق إلى أفق؛ أي: تطلع ثمّ تغيب. و قيل: تنزع من مطالعها و تغرق في مغاربها. و قيل: النازعات [القسيّ] تنزع بالسهم.(٤)

[٢] «وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطاً».

«و الناشطات»: الأوهاق. و بالفارسيّة: كمند. فيكون القسم بفاعلها و هم الغزاة في سبيل الله. «و الناشطات»: الملائكة تنشط أرواح الكفّار ما بين الجلد و الأظفار حتّى تخرجها من أجوافهم بالكرب و الغمّ. عن عليّ عليه السلام. و النشط: الجذب. و قيل: إنّها الملائكة

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٩، ح ١.
٢ـ المصباح / ٦١٣.
٣ـ المصباح / ٥٩٧.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥١ ـ ٦٥٢.

تنشط أنفس المؤمنين، تقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حلّ عنها. و قيل: إنّها أنفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج لما ترى من مكانها في الجنّة.[١]

[٣] «وَ السَّابِحَاتِ سَبْحاً».

«و السابحات»: الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلّونها سلّاً رفيقاً ثمّ يدعونها تستريح كالسابح [بالشيء] في الماء. عن عليّ عليه السلام. و قيل: إنّها النجوم تسبح في فلكها. و قيل: هي خيل الغزاة تسبح في عدوها. و قيل: السفن تسبح على الماء.[٢]

[٤] «فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً».

«فالسابقات»: الملائكة، لأنّها سبقت ابن آدم بالخير و الإيمان. و قيل: إنّها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنّة. عن عليّ عليه السلام. و قيل: إنّها خيل الغزاة تسبق بعضها بعضاً في الحرب.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام «فالسابقات»: يعني أرواح المؤمنين؛ تسبق أرواحهم إلى الجنّة و أرواح الكافرين بمثل ذلك إلى النار.[٤]

[٥] «فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً».

«فالمدبّرات»: الملائكة تدبّر أمر العالم من السنة إلى السنة. عن عليّ عليه السلام. و قيل: إنّها الأفلاك يقع فيها أمر الله فيجري به القضاء. رواه عليّ بن إبراهيم. أقسم تعالى بهذه الأشياء التي عدّدها، و جواب القسم محذوف. فكأنّه قال: و حقّ هذه الأشياء لتبعثنّ و لتحاسبنّ.[٥]

عن الصادق عليه السلام قيل له في ليلة مقمرة: ما أحسن أديم هذه السماء و أنوار هذه النجوم! فقال عليه السلام: إنّ المدبّرات الأربعة جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت عليهم السلام ينظرون

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٢.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٢.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٣.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٢ ـ ٦٥٣.

إلى الأرض فيرونكم في أقطار الأرض و نوركم إلى السماء أحسن من نور هذه الكواكب و إنّهم ليقولون كما تقولون.(١)

[٦ ـ ٧] «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ».

«يوم ترجف الراجفة». يعني النفخة الأولى التي يموت فيها جميع الخلق. و الرجفة: صيحة عظيمة فيها تردّد و اضطراب كالرعد. «الرادفة». يعني [النفخة] الثانية تعقب الأولى. و هي التي يبعث معها الخلائق.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: «الراجفة» خروج الحسين عليه السلام. «و الرادفة» خروج أميرالمؤمنين عليه السلام.(٣)

[٨ ـ ٩] «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ».

«واجفة»؛ أي: خائفة. و المراد أصحاب القلوب. «خاشعة»: ذليلة من هول ذلك اليوم.(٤)

«واجفة »: شديدة الاضطراب. من الوجيف. و هي صفة القلوب و الخبر «أبصارها خاشعة».(٥)

[١٠] «يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ».

«يقولون» ـ أي المنكرون للبعث إذا قيل لهم إنّكم مبعوثون من بعد الموت ـ: أ نردّ إلى أوّل حالنا فنصير أحياء كما كنّا؟ و الحافرة اسم لأوّل الشيء. قال ابن عبّاس: الحافرة الحياة الثانية. و قيل: الأرض المحفورة. أي: أ نردّ في قبورنا بعد موتنا أحياء؟(٦)

١ـ عيون الأخبار ٢ / ٢، ح ٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٣.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٦٢، ح ١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٦٥.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٣.

«في الحافرة»: في الحالة الأولى. يعنون الحياة بعد الموت.[۱]

[۱۱ ـ ۱۲] «أَ إِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ».

«أ إذا كنّا عظاماً نخرة»: بالية. «أ إذا كنّا»؛ أي: أ نردّ أحياء إذا بليت عظامنا؟ «تلك إذاً»؛ يعني: يقول الكفّار: إذا كان الأمر كما قاله محمّدﷺ من أنّا نبعث و نعاقب، فتلك كرّة ذات خسران علينا.[۲]

عن أبي جعفرؑ: الكرّة الخاسرة عداوة عليّ و الأوصياء من بعدهؑ.[۳]

«كرّة خاسرة». قالوه على وجه الاستهزاء. فقال الله: «إنّما هي زجرة واحدة».[٤]

«أ إذا كنّا». نافع و ابن‌عامر و الكسائيّ: «إذا» على الخبر. و قرأ الحجازيّان: «نأخرة». و الباقون: «نخرة». «خاسرة»: ذات خسران. و المعنى: انّها إن صحّت، فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها. و هو استهزاء منهم.[٥]

[۱۳ ـ ۱٤] «فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ».

ثمّ أعلم سبحانه سهولة البعث عليه فقال: «فإنّما هي» يعني النفخة الآخرة «زجرة واحدة»؛ أي: صيحة واحدة من إسرافيل يسمعونها و هم أموات في بطون الأرض فيحيون. و هو قوله: «فإذا هم بالساهرة». و هي وجه الأرض و ظهرها. و قيل: سمّيت الأرض بالساهرة لأنّ عملها بالنبت باللّيل و النهار دائب. و قيل: المراد بذلك عرصة القيامة لأنّها أوّل موقف الجزاء و هم في سهر لانوم فيه.[٦]

«فإنّما هي زجرة واحدة»؛ أي: لايستصعبوها، فما هي ـ يعني النفخة الثانية ـ إلّا صيحة فإذا هم أحياء على وجه الأرض. و الساهرة: الأرض البيضاء المستوية. سمّيت بذلك لأنّ

۱ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٥٦٥.

۲ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦٥۳.

۳ـ تأويل الآيات ۲ / ۷٦۲ ـ ۷٦۳، ح ۲.

٤ـ تفسير القمّيّ ۲ / ٤۰۳.

٥ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٥٦٥.

٦ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦٥٤ ـ ٦٥٥.

السراب يجري فيها. من قولهم: عين ساهرة، للّتي يجري ماؤها.(١)

قال: الزجرة النفخة الثانية في الصور. و الساهرة موضع بالشام عند بيت المقدس. و عن أبي جعفر عليه السلام: الساهرة الأرض. كانوا في القبور، فلمّا سمعوا الزجرة، خرجوا من قبورهم.(٢)

فإن قلت: بم تعلّق قوله: «فإنّما هي زجرة واحدة»؟ قلت: بمحذوف. معناه: لايستصعبوها، «فإنّما هي زجرة واحدة». يعني: لاتحسبوا تلك الكرّة صعبة على الله. فإنّها سهلة هيّنة في قدرته؛ ما هي إلّا صيحة واحدة. يريد النفخة الثانية.(٣)

[١٥ ـ ١٦] «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى».

أهل الحجاز و البصرة: «طوى» غير منوّنة. و الباقون بالتنوين. «هل أتاك» يا محمّد «حديث موسى». استفهام يريد به التقرير حين دعاه الله و قال له: يا موسى. «بالواد المقدّس»؛ أي: المطهّر. «طوى» اسم الوادي. و قيل: طوي بالتقديس مرّتين. و هو الموضع الذي كلّم الله فيه موسى.(٤)

[١٧ ـ ١٩] «اذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلىٰ أَنْ تَزَكّٰى * وَ أَهْدِيَكَ إِلىٰ رَبِّكَ فَتَخْشىٰ».

«طغى»: تجاوز الحدّ في الاستعلاء. «و تزكّى»: تطهّر من الشرك. و هذا تلطّف في الاستدعاء. أي: هل لك رغبة إلى أن تسلم و تصلح أحوالك؟ «و أهديك إلى ربّك»؛ أي: أدلّك إلى معرفة ربّك و أنّه خلقك و ربّاك. «فتخشى»؛ أي: تفارق ما نهاك عنه.(٥)

[٢٠ ـ ٢٢] «فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرىٰ * فَكَذَّبَ وَ عَصىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعىٰ».

«فأراه الآية الكبرى»؛ يعني: أتى إليه و دعاه فأراه العصا أو اليد البيضاء. «فكذّب»

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٦٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٣.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٩٤.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٤ ـ ٦٥٥.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٥.

بأنّها من الله و جحد نبوّته. «ثمّ أدبر يسعى»؛ أي: ولّى الدبر يطلب ما يكسر به حجّة موسى فما ازداد إلّا السعي في الفساد. و قيل: إنّه لمّا رأى الحيّة في عظمها، خاف منها فسعى هارباً.[١]

[٢٣ ـ ٢٥] «فَحَشَرَ فَنادىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ * فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولىٰ».

«فحشر» جميع جنوده و نادى فيهم: «أنا ربّكم الأعلى» لا ربّ فوقي. و قيل: إنّه جعل الأصنام أرباباً فقال: أنا ربّها و ربّكم. «نكال الآخرة». نكال مصدر مؤكّد. لأنّ معنى أخذه الله: نكل الله به نكال الآخرة و الأولى بأن أغرقه في الدنيا و يعذّبه في الآخرة. و قيل: عاقبه الله بكلمته الأخرى وكلمته الأولى. فالآخرة قوله: «أنا ربّكم الأعلى» و الأولى قوله: «ما علمت لكم من إله غيري».[٢] فنكل بها نكال هاتين الكلمتين. و عن أبي جعفر عليه السلام: كان بين الكلمتين أربعون سنة. عن ابن‌عبّاس: قال موسى عليه السلام: يا ربّ أمهلت فرعون أربعمائة سنة و هو يقول: «أنا ربّكم الأعلى»! فأوحى الله إليه أنّه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأردت أن أكافيه.[٣]

عن ابن‌عبّاس أنّ جبرئيل قال: يا محمّد، لو رأيتني و فرعون يدعو بكلمة الإخلاص: آمنت أنّه لا إله إلّا الله،[٤] و أنا أدسّه في الماء و الطين لقوله: «أنا ربّكم الأعلى». و هي كلمته الآخرة قالها حين انتهى إلى البحر. و كلمته الأولى: «ما علمت لكم من إله غيري». و إنّما قال لقومه: «أنا ربّكم الأعلى» حين انتهى إلى البحر فرآه قد يبست فيه الطريق فقال لقومه: ترون البحر قد يبست من خوفي! فصدّقوه لمّا رأوا ذلك. فذلك قوله: «و أضلّ فرعون قومه و

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٥.
٢ـ القصص (٢٨) / ٣٨.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٥ ـ ٦٥٦.
٤ـ ورد في المصدر الآية ٩٠ من سورة يونس بدل هذه العبارة.

ما هدى»[١][٢].

قال فخرالدين الرازيّ: إنّ العاقل لايشكّ في نفسه أنّه ليس خالق السموات و الأرض. فالوجه أن يقال: إنّ فرعون كان دهريّاً منكراً للصانع و الحشر و الجزاء و كان يقول: ليس لأحد عليكم أمر و لا نهي سواى، فأنا مربّيكم و المحسن إليكم. أقول: كما أنّ نسبة الإنسان خلق العالم إلى نفسه يوجب الحكم عليه بالجنون، فالقول بنفي الصانع و نسبة [وجـود] الأشياء إلى ذواتها يوجب الحكم عليه بعدم العقل. فلا فرق بين الأمرين.[٣]

[٢٦] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ».

«لعبرة»؛ أي: لعظة لمن يخشى الله و يخاف عقابه.[٤]

[٢٧ ـ ٢٩] «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا».

«أأنتم». أي المنكرون للبعث. يعني أخلقكم بعد الموت أشدّ عندكم أم خلق السماء؟ و هما في قدرة الله واحد. و هذا كقوله: «لخلق السموات و الأرض أكبر من خلق الناس».[٥] «سمكها»؛ أي: سقفها. «فسوّاها». أي بلا فطور و بلا شقوق. «و أغطش»؛ أي: أظـلم. «و أخرج ضحاها»: أبرز نهارها.[٦]

[٣٠ ـ ٣٣] «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا * وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ».

«بعد ذلك»؛ أي: بعد خلق السموات. «دحاها»؛ أي: بسطها. قال ابـن عبّاس: إنّ الله تعالى دحا الأرض بعد السموات. و كانت الأرض خلقت قبل السموات و كـانت ربـوة

١ـ طه (٢٠) / ٧٩.
٢ـ سعد السعود / ٢١٨.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٢٠.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٦.
٥ـ غافر (٤٠) / ٥٧.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٩.

مجتمعة تحت الكعبة فبسطها. «أخرج منها ماءها»؛ أي: فجرّها بالأنهار و العيون.[١]

«أخرج منها». فإن قلت: هلّا أدخل حرف العطف على أخرج قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يكون معنى دحاها: بسطها و مهّدها للسكنى. ثمّ فسّر التمهيد بما لابدّ منه في تأتّي سكناها من تسوية أمر المأكل و المشرب و إمكان القرار و السكون عليها بإخراج الماء و المرعى و إرساء الجبال أوتاداً. و ثانيها أن يكون أخرج حالاً بإضمار قد. و أراد بمرعاها ما يأكل الناس و الأنعام. «متاعاً لكم»؛ أي: فعل ذلك تمتيعاً لكم و لأنعامكم.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام: كان الله ولا شيء غيره. فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه، و هو الماء فجعل نسب كلّ شيء إليه. و خلق الريح من الماء فسلّط الريح على الماء فشقّقت الريح متن الماء حتّى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء الله أن يثور. فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقيّة ليس فيها صدع و لا ثقب، ثمّ طواها فوضعها فوق الماء. ثمّ خلق الله النار من الماء فشقّقت النار متن الماء حتّى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله. فخلق من ذلك الدخان سماء صافية ليس فيها صدع و لا ثقب. و ذلك قوله: «السماء بناها» ـ الآية. ثمّ طواها فوضعها فوق الأرض. ثمّ دحا الأرض ـ الحديث.[٣]

[٣٤] «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرىٰ».

و دلّ سبحانه بخلق هذه الأشياء على صحّة البعث فقال: «فإذا جاءت الطامّة الكبرى».[٤]

الطامّة»: الداهية التي تطمّ على الدواهي؛ أي: تعلو و تغلب. و هي القيامة. و قيل: النفخة الثانية. و قيل: الساعة التي يساق فيها أهل الجنّة إلى الجنّة و أهل النار إلى النار.[٥]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٩.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٩٧.

٣ـ الكافي ٨ / ٩٤ ـ ٩٥، ح ٦٧.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٩.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٦٩٧.

[۳۵ ـ ۳۹] «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعىٰ * وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ * فَأَمَّا مَنْ طَغىٰ * وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ».

«يوم يتذكّر». بدل من «إذا جاءت». يعني: إذا رأى أعماله مدوّنة في كتابه تذكّرها، و كان قد نسيها لقوله: «أحصاه الله و نسوه».[1] «و برّزت»؛ أي: أظهرت لكلّ أهل الساهرة. «فأمّا». جواب «فإذا». «هي المأوى» يعني: مأواه.[2]

[۴۰ ـ ۴۱] «وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ».

«و نهى النفس». قيل: إنّه الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها.[3]

«و نهى النفس» الأمّارة بالسوء عن اتّباع الشهوات. قيل: الآيتان نزلتا في أبي عزير بن عمير و مصعب بن عمير و قد قتل مصعب أخاه أباعزير يوم أحد و وقى رسول الله بنفسه حتّى نفذت المشاقص في جوفه.[4]

«و أمّا من خاف» قال: هو العبد إذا وقف على معصية الله و قدر عليها، ثمّ تركها مخافة الله و نهى النفس عنها، فمكانه الجنّة.[5]

[۴۲ ـ ۴۴] «يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا».

«مرساها»؛ أي: منتهاها. «أيّان مرساها»: متى إرساؤها؛ أي: إقامتها. أرادوا: متى يقيمها الله و يكوّنها؟ «فيم أنت من ذكراها». تعجّب من كثرة ذكره لها كأنّه قيل: في أيّ شغل و اهتمام أنت من ذكراها و السؤال عنها؟ و المعنى: انّهم يسألونك عنها، فلحرصك على

۱ـ المجادلة (۵۸) / ۶.
۲ـ الكشّاف ۴ / ۶۹۷ ـ ۶۹۸.
۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ۶۶۰.
۴ـ الكشّاف ۴ / ۶۹۸.
۵ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۴۰۴.

جوابهم، لاتزال تذكرها و تسأل عنها. «منتهاها»؛ أي: منتهى علمها، لم يؤت علمها أحداً من خلقه. و قيل: فيم إنكار لسؤالهم. أي: فيم هذا السؤال؟ ثمّ قيل: أنت من ذكراها. أي: إرسالك ـ و أنت خاتم الأنبياء و آخر الرسل المبعوث في أوّل أوقات الساعة ـ ذكر من ذكراها و علامة من علاماتها. فكفاهم بذلك دليلاً على دنوّها و وجوب الاستعداد لها، و لا معنى لسؤالهم عنها.(١)

«فيم أنت»؛ أي: ليس عندك علم بوقتها، و إنّما تعلم أنّها تكون لا محالة. و قيل: إنّ هذا من حكاية قولهم. و المعنى: انّك قد أكثرت من ذكراها. متى تكون؟ فقل لهم إلى ربّك منتهى أمرها و متى تكون.(٢)

«ذكراها»؛ أي: في أيّ شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم؟ أي: ما أنت من ذكراها لهم و تبيين وقتها في شيء. فإنّ ذكرها لايزيدهم إلّا غيّاً.(٣)

[٤٥] «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا».

«إنّما أنت منذر»؛ أي: لم تبعث لتعلمهم بوقتها الذي لا فائدة لهم في علمه. و إنّما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون إنذارك لطفاً له في الخشية منها.(٤)

أبوجعفر: «منذر» بالتنوين. و الباقون بغير التنوين.(٥)

[٤٦] «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا».

«كأنّهم يوم يرونها»؛ أي: يعاينون القيامة «لم يلبثوا» في الدنيا «إلّا عشيّة أو ضحاها»؛ أي: إلّا قدر آخر نهار أو أوّله. و قيل: معناه إنّهم إذا رأوا الآخرة، صغرت الدنيا في أعينهم حتّى كأنّهم لم يقيموا بها إلّا مقدار عشيّة أو مقدار ضحى تلك العشيّة.(٦)

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٩٨ ـ ٦٩٩.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٦٧.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٩٩.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٥٧.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٠.

«أو ضحاها». أقول: يحتمل أن يقال: إنّ مبدأ اليوم بليلته كان قبل شرعنا في أكثر الأديان من نصف النهار و قد صار في شرعنا من أوّل الفجر. فكأنّهم حين أرادوا التعبير عن بعض اليوم قالوا: إن كان المبدأ من نصف النهار، فنحن لم‌نلبث إلّا عشيّة و هو ما بعد الزوال إلى الغروب. و إن كان [المبدأ] من أوّل الفجر، لم‌نلبث إلّا من الفجر إلى الضحى. و لعلّ هذا هو السرّ في تقديم العشيّة على الضحى مع رعاية الفواصل.[1]

١ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٢٣ ـ ٢٤.

٨٠.

سورة عبس

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، جاء يوم القيامة و وجهه ضاحك مستبشر.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ عبس و كوّرت، كان تحت جناح الله من الجنان و في ظلّ الله و كرامته. و لايعظم ذلك على الله.[٢]

من حملها، أصاب الخير في طريقه و كفي ما أهمّه. ومن قرأها على عين قد نضبت ثلاثة أيّام كلّ يوم سبعاً، غزرت. و من قرأها على مدفون قدّ ضلّ عنه، أرشده الله إليه.[٣]

قيل: نزلت في ابن أمّ مكتوم. و ذلك أنّه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يناجي عتبة بن ربيعة و أباجهل و العبّاس بن عبدالمطّلب و جماعة من المشركين يدعوهم إلى الإسلام فقال: يا رسول الله، أقرئني و علّمني ممّا علّمك الله. فجعل يكرّر النداء و لايدري أنّه مقبل على غيره، حتّى ظهرت الكراهة على وجه رسول الله لقطعه كلامه و قال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنّما أتباعه العميان و العبيد. فأعرض و أقبل على القوم كلّمهم، فنزلت الآيات. و كان رسول الله يكرمه إذا رآه و يقول: مرحباً بمن عاتبني به ربّي، و يقول له: هل لك من حاجة؟ و استخلفه على المدينة مرّتين في غزوتين. قال أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسيّة و عليه درع ومعه راية سوداء. قال علم الهدى رحمه الله: ليس في ظاهر الآية دلالة على توجّهها إلى النبيّ، بل هو خبر محض لم يصرّح بالمخبر عنه. و فيها مايدلّ على أنّ المعنيّ بها غيره. لأنّ

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦١.

٢ـ ثواب الأعمال / ١٤٩، ح ١.

٣ـ المصباح / ٦١١.

العبوس ليس من صفات النبيّ مع الأعداء فكيف مع المؤمنين المسترشدين. ثمّ الوصف بأنّه يتصدّى للأغنياء و يتلهّى عن الفقراء، لايشبه أخلاقه الكريمة؛ لقوله سبحانه: «و إنّك لعلى خلق عظيم».[١] و الظاهر أنّ المراد بقوله: «عبس و تولّى» غيره. و روي عن الصادقعليه السلام: انّها نزلت في رجل من بني أميّة كان عند النبيّ فجاء ابن أمّ مكتوم فلمّا رآه تقذّر منه و عبس في وجهه و جمع نفسه. فحكى الله عنه ذلك و أنكره عليه. فإن قيل: لو صحّ الخبر الأوّل، هل يكون العبوس ذنباً أم لا؟ الجواب: انّ العبوس و الانبساط مع الأعمى سواء ـ لأنّه لايشقّ عليه ذلك، فلايكون ذنباً. فيجوز أن يكون إنّما عاتبه ليأخذه بأوفر محاسن الأخلاق و ينبّهه على عظم حال المؤمن المسترشد و يعرّفه أنّ تأليف المؤمن ليقيم على إيمانه أولى من تأليف المشرك طمعاً في إسلامه. و قال الجبّائيّ: و في هذا دلالة على أنّ الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان النهي. فأمّا في الماضي، فلايدلّ على أنّه كان معصية قبل ان ينتهى عنه. و قيل: إنّ ما فعل الأعمى كان من سوء الأدب، فحسن تأديبه بالإعراض عنه إلّا أنّه كان يجوز أن يتوهّم أنّه إنّما أعرض عنه لفقره و أقبل عليهم لرئاستهم تعظيماً لهم، فعاتبه الله على ذلك.[٢]

[١ ـ ٤] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * عَبَسَ وَ تَوَلّٰى * أَنْ جٰاءَهُ الْأَعْمىٰ * وَ مٰا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّٰى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرىٰ».

قال: نزلت في عثمان و ابن أمّ مكتوم. و كان ابن أمّ مكتوم مؤذّناً لرسول اللهصلى الله عليه وآله و كان أعمى. و جاء إلى رسول الله و عنده أصحابه. فقدّمه رسول الله على عثمان، فعبس عثمان وجهه و تولّى. فأنزل الله: «عبس و تولّى». يعني عثمان. «يزّكّى»؛ أي: يكون طاهراً أزكى «أو يذّكّر». قال: يذكّره رسول الله.[٣]

«أن جاءه الأعمى»: لأن جاءه الأعمى. كأنّه يقول: قد استحقّ عنده العبوس و

١ـ القلم (٦٨) / ٤.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٣ ـ ٦٦٤.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

الإعراض لأنّه أعمى و كان يجب أن يزيده لعماه تعطّفاً و تقريباً و ترحيباً. و لقد تأدّب الناس في هذا بأدب الله تأدّباً حسناً. فقد روي عن الثوريّ أنّ الفقراء كانوا في مجلسه أمراء. «الذكرى»؛ أي: موعظتك له. و قيل: الضمير في «لعلّه» للكافر. يعني: انّك طمعت في أن يتزكّى بالإسلام [أو يتذكّر] فتقرّبه الذكرى إلى قبول الحقّ. و ما يدريك أنّ ما طمعت فيه كائن؟ (١)

«عبس»؛ أي: قبض وجهه. «يزّكّى» بالعمل الصالح و ما يتعلّمه منك. «أو يذّكّر»: يتّعظ بما تعلّمه من القرآن. قالوا: و في هذا لطف بنبيّه صلى الله عليه و آله إذ لم يقل عبست، فلمّا جاوز العبوس، عاد إلى الخطاب فقال: «و ما يدريك». (٢)

[٥ ـ ٧] «أَمَّا مَنِ اسْتَغْنىٰ * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّٰى * وَ مَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكّٰى».

ثمّ خاطب عثمان فقال: «أمّا من استغنى». قال: أنت إذا جاءك غنيّ تتصدّى له و ترفعه. «و ما عليك ألّا يزّكّى»؛ أي: لاتبالي أ زكيّاً كان أو غير زكيّ إذا كان غنيّاً. (٣)

«من استغنى» بالمال، أو كان عظيماً في قومه. «تصدّى»: تقبل عليه بوجهك. قرأ الباقر عليه السلام بضمّ التاء: «تُصَدّىٰ». «و ما عليك»: أيّ شيء يلزمك إن لم يتطهّر من الكفر؟ إذ ليس عليك إلّا البلاغ. (٤)

[٨ ـ ١٠] «وَ أَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعىٰ * وَ هُوَ يَخْشىٰ * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰى».

«يسعى»؛ أي: يعمل في الخير. يعني ابن أمّ مكتوم. «و هو يخشى» الله. «تلهّى»: تشتغل عنه بغيره. قرأ الباقر عليه السلام بضمّ التاء: «تُلهىٰ». (٥)

«يسعى». يعني ابن أمّ مكتوم. «تلهّى»: تلهو و لاتلتفت إليه. (٦)

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٠١.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٤.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٥.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٤ ـ ٦٦٥ و ٦٦٢.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٥ و ٦٦٢.

٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٥.

«يخشى». قيل: جاء و ليس معه قائد فهو يخشى الكبوة.[١]

[١١ ـ ١٢] «كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ».

«كلّا»؛ أي: لاتعد لذلك و انزجر عنه. «إنّها»؛ أي: آيات القرآن «تذكرة» و موعظة للخلق. «ذكره»؛ أي: القرآن أو الوعظ. أي: فمن شاء أن يذكره ذكره.[٢]

«ذكره»؛ أي: كان حافظاً له غير ناس. و ذكّر الضمير لأنّ التذكرة في معني الذكر.[٣]

[١٣ ـ ١٦] «فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ».

ثمّ أخبر سبحانه بجلالة قدر القرآن عنده فقال: «في صحف»؛ أي: القرآن أو هذه التذكرة في كتب معظّمة عند الله، و هي اللّوح المحفوظ. عن ابن‌عبّاس. «مرفوعة». أي في السماء السابعة. أو رفعها الله عن الأدناس. «لايمسّه إلّا المطهّرون».[٤] «بأيدي سفرة». يعني الكتبة من الملائكة، أو السفرة بالوحي بين الله و بين رسوله. عن الصادق عليه السلام: الحافظ للقرآن العامل به، مع السفرة الكرام البررة. «كرام» على ربّهم. «بررة»: مطيعين.[٥]

«سفرة»: الأئمّة عليهم السلام.[٦]

[١٧ ـ ٢٣] «قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ».

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «قتل الإنسان»؛ أي: لعن.[٧]

«قتل الإنسان». عن أبي جعفر عليه السلام: نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام. [«ما أكفره». يعني

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٠٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٥.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٠٢.
٤ـ الواقعة (٥٦) / ٧٩.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٥.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٥.
٧ـ الاحتجاج / ٢٥٠.

بقتلكم إيّاه.][١] ثمّ نسب أميرالمؤمنين عليه السلام و ما أكرمه الله به فقال: «من أيّ شيء «خلقه». قال: من طينة الأنبياء. «فقدّره» للخير. «ثمّ السبيل». يعني سبيل الهدى. «يسّره»: يسّر له طريق الخير. «أماته» ميتة الأنبياء. «أنشره». قال: يمكث بعد قتله في الرجعة فيقضي ما أمره.[٢]

«قتل الإنسان»؛ أي: لعن. و هو إشارة إلى كلّ كافر. و قيل: عتبة؛ إذ قال: كفرت بربّ النجم إذا هوى. «ما أكفره»: و ما أشدّ ضلاله.[٣] «من أيّ شيء خلقه»؛ أي: لم لاينظر إلى أصل خلقه ليدلّه على وحدانيّة الله. ثمّ فسّره فقال: «من نطفة خلقه فقدّره» أطواراً نطفة و علقة إلى آخر خلقه. «السبيل»؛ أي: سبيل الخروج من بطن أمّه. و ذلك أنّه كان واقفاً في بطن أمّه ثمّ قلبه ليسهل عليه الخروج. و قيل: المراد سبيل الذين و الخير و الشرّ مكّنه منه. «و هديناه النجدين».[٤] «فأقبره»؛ أي: جعله ممّن يقبر و لم يجعله ممّن يلقى إلى السباع و الطير. «أنشره»: أحياه من قبره إذا شاء أن يحييه للجزاء. «كلّا»؛ أي: حقّاً. «ما أمره» الله به من إخلاص عبادته. «لمّا يقض»؛ أي: لم يؤدّ حقّ الله مع كثرة نعمه.[٥]

[٢٤ ـ ٣٢] «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلىٰ طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَ عِنَباً وَ قَضْباً * وَ زَيْتُوناً وَ نَخْلاً * وَ حَدَائِقَ غُلْباً * وَ فَاكِهَةً وَ أَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ».

«فلينظر الإنسان». لمّا ذكر خلقه، ذكر رزقه و كيف مكّنه الله من تحصيله و هيّأه له فقال: «إنّا صببنا الماء»؛ أي: أنزلنا الغيث إنزالاً. أهل الكوفة: «أنّا صببنا» بالفتح والباقون بالكسر. «ثمّ شققنا الأرض» بالنبات. «و قضباً». و هو القتّ الرطب يقضب مرّة بعد أخرى

١ـ في النسخة: « قال: «ما أكفره»: أي : ما فعل و أذنب حتّى قتلوه» بدل ما بين المعقوفتين. و ورد في المصدر هذه العبارة في تفسير الآية قبل رواية الباقر عليه السلام.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٦.

٣ـ المصدر: «أي: ما أشدّ كفره و ما أبين ضلاله».

٤ـ البلد (٩٠) / ١٠.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٥ ـ ٦٦٦.

يكون علفاً للدوابّ. «و حدائق غلباً»؛ أي: بساتين محوّطة يشتمل على أشجار غلاظ عظام مختلفة. و قيل: «غلباً»: ملتفّة الشجر. «و أبّاً». و هو المرعى و الكلأ الذي لم يزرعه الناس ممّا تأكل الأنعام. و قيل: إنّ الأبّ للأنعام كالفاكهة للناس. «متاعاً»؛ أي: منفعة «لكم و لأنعامكم».[1]

روي أنّ أبابكر سئل عن قول الله: «و فاكهة و أبّاً» فلم يعرف معنى الأبّ و قال: أيّ سماء تظلّني أم أيّ أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم؟ فبلغ أميرالمؤمنينعليه السلام مقاله ذلك فقالعليه السلام: أما علم أنّ الأبّ هو الكلأ و المرعى؟ و إنّ الله امتنّ على عباده بما خلق لهم و لأنعامهم.[2]

أقول: نقل صاحب الكشّاف أنّ أبابكر و عمر لم يعرفا معنى الأبّ.[3] و هذا يدلّ على قصور منهما في معرفة لغة العرب و لسانها. و قد اعتذر لهما في الكشّاف بما لايفيد. فارجع إليه.

[٣٣] «فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ».

«الصاخّة». يعني صيحة القيامة. و الصاخّة: الصاكّة لشدّة صوتها الآذان فتصمّها. و قيل: لأنّها تصيخ لها الخلائق؛ أي: تستمع.[4]

[٣٤ ـ ٣٦] «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ * وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ».

«و صاحبته»: زوجته. «و بنيه»: أولاده الذكور. أي: لايلتفت إلى أحد من هؤلاء لما هو فيه من شغل نفسه. و قيل: يفرّ منهم حذراً من مطالبتهم إيّاه بما بينه و بينهم من التبعات و المظالم. و قيل: لعلمه بأنّهم لاينفعونه و لايغنون عنه شيئاً. و يجوز أن يكون مؤمناً و أقرباؤه

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٦ ـ ٦٦٨.
٢ـ الإرشاد / ٩٥ ـ ٩٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٠٤ ـ ٧٠٥.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٨ و ٦٦٧.

من أهل النار [فيعاديهم أو يفرّ منهم] لئلّا يرى ما نزل بهم من الهوان.[١]

روي عن الرضا عليه السلام أنّ رجلاً سأل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرنا عن قول الله: «يوم يفرّ المرء» ـ الآية. فقال: قابيل يفرّ من هابيل. و الذي يفرّ من أمّه موسى. و الذي يفرّ من أبيه إبراهيم. يعني الأب المربّي لا الوالد. و الذي يفرّ من صاحبته لوط. و الذي يفرّ من ابنه نوح. و ابنه كنعان. قال مصنّف هذا الكتاب: إنّما يفرّ موسى من أمّه خشية أن يكون قصّر فيما وجب عليه من حقّها. أو إبراهيم إنّما يفرّ من الأب المربّي لا الوالد و هو تارخ.[٢] أقول: و يجوز كما قاله جماعة من المعاصرين أن يكون المراد من أمّ موسى هنا المربّية الكافرة التي أرضعته أو ربّته في بيت فرعون.

أقول: لا يخفى أنّ موسى لم يرضع إلّا من أمّه الوالدة له؛ كما قال: «و حرّمنا عليه المراضع».[٣] و متون الكتب مشحونة بأنّ موسى لم يقبل ثدي امرأة حتّى ردّه الله تعالى على والدته. فتأمّل. (حسن عفي عنه)

[٣٧] «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ».

«شأن يغنيه»؛ أي: أمر عظيم يشغله عن الأقرباء. و معنى «يغنيه» أنّه ليس فيه فضل لغيره لما هو فيه من الأهوال. و عن سودة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: يبعث الناس حفاة عراة عزلاً يلجمهم العرق و يبلغ شحمة الأذن. قلت: يا رسول الله، وا سوأتاه! ينظر بعضنا إلى بعض؟ قال: شغل الناس عن ذلك. و تلا هذه الآية: «لكلّ امرئ» ـ اه.[٤]

[٣٨ ـ ٣٩] «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ».

«مسفرة»؛ أي: مشرقة مضيئة. و أراد بالوجوه أصحابها.[٥]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٨.

٢ـ الخصال / ٣١٨، ح ١٠٢، و عيون الأخبار ١ / ١٩٢، ح ١.

٣ـ القصص (٢٨) / ١٢.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٨.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٨.

[٤٠ ـ ٤٢] «وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَـتَرَةٌ * أُولٰـئِكَ هُـمُ الْكَـفَرَةُ الْفَجَرَةُ».

«ترهقها»؛ أي: تعلوها. «قترة»؛ أي: سواد و كسوف عند معاينة النار. «هم الكفرة» في أديانهم «الفجرة» في أفعالهم.[١]

«غبرة»: غبار يعلوها. «قترة»: سواد كالدخان و لاترى أوحش من اجتماع الغبرة و السواد في الوجه، كما ترى في وجوه الزنوج إذا أغبرت. و كان الله يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر.[٢]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٦٨ ـ ٦٦٩.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٠٦.

٨١.
سورة التكوير

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ عبس و كوّرت ـ و قد مرّ آنفاً.[١]

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأ إذا الشمس كوّرت، أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته.[٢]

كوّرت: قراءتها على العينين يقوّي بصرهما و يزيل الرمد و الغشاوة.[٣]

و من أحبّ أن ينظر إليّ يوم القيامة، فليقرأ التكوير. كذا في الحديث [عن النبيّ صلى الله عليه و آله].[٤]

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ».

عنه صلى الله عليه و آله: انّ الشمس تغيب في السماء ثمّ ترفع من سماء إلى سماء إلى تحت العرش فتسجد و تسجد معها الملائكة الموكّلون بها ثمّ تقول: يا ربّ من أين أطلع؟ من مغربي أم من مطلعي؟ فذلك قوله: «الشمس تجري» ـ الآية.[٥] فيأتيها جبرئيل بحلّة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار فتلبس تلك الحلّة و تنطلق و تطلع عن مطلعها. و كأنّي بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثمّ لاتكسى ضوءاً و تؤمر أن تطلع من مغربها. فذلك قوله: «إذا الشمس كوّرت * و إذا النجوم انكدرت». و القمر كذلك من مطلعه و مجراه [في أفق السماء و مغربه] و ارتفاعه إلى السماء السابعة و يسجد تحت العرش ثمّ يأتيه جبرئيل بالحلّة من نور

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٩، ح ١.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٠.

٣ـ المصباح / ٦١٣.

٤ـ المصباح / ٥٩٧.

٥ـ يس (٣٦) / ٣٨.

الكرسيّ. فذلك قوله: «جعل الشمس ضياء و القمر نوراً»[۱] [۲]

«إذا الشمس كوّرت». في التكوير وجهان: أن يكون من كوّرت العمامة، إذا لففتها. أي: يلفّ ضوؤها لفّاً فيذهب انبساطه في الآفاق. و هو عبارة عن إزالتها. لأنّها ما دامت باقية، يكون ضوؤها غير ملفوف. أو يكون من طعنه فكوّره، إذا ألقاه. أي: تطرح عن فلكها. «انكدرت»: انقضّت. و يروى في الشمس و النجوم أنّها تطرح في جهنّم ليراها من يعبدها.[۳]

[۳] «وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ».

«سيّرت». أي عن وجه الأرض و أبعدت. أو سيّرت في الجوّ تيسير السحاب. كقوله: «و هي تمرّ مرّ السحاب»[٤] [٥]

[٤] «وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ».

«العشار عطّلت». قال: الإبل تتعطّل إذا مات الخلق فلايكون من يحلبها.[٦]

«العشار»: جمع عشراء، الناقة التي [أتى] على حملها عشرة أشهر. ثمّ هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة و هي أعزّ ما تكون عند أهلها. «عطّلت» عن الحلب، لاشتغالهم بأنفسهم.[۷]

[٥] «وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ».

«حشرت»: جمعت من كلّ ناحية. قيل: يحشر كلّ شيء حتّى الذباب للقصاص. و قيل: إذا قضي بينها، ردّت تراباً فلايبقى منها إلّا ما فيه سرور لبني آدم كالطاووس و نحوه. و عن

۱ـ يونس (۱۰) / ٥.

۲ـ التوحيد / ۲۸۰ ـ ۲۸۱، ح ۷.

۳ـ الكشّاف ٤ / ۷۰٦ ـ ۷۰۷.

٤ـ النمل (۲۷) / ۸۸.

٥ـ الكشّاف ٤ / ۷۰۷.

٦ـ تفسير القمّيّ ۲ / ٤۰۷.

۷ـ الكشّاف ٤ / ۷۰۷.

ابن‌عبّاس: حشرها عبارة عن موتها.(١)

[٦] «وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ».

«سجّرت». أهل البصرة: «سجرت» بالتخفيف.(٢)

«البحار». قال: تتحوّل البحار التي حول الدنيا كلّها نيراناً.(٣)

«سجّرت». من سجّر التنّور، إذا ملأه حطباً. أي: ملئت و فجر بعضها إلى بعض حتّى تعود بحراً واحداً. و قيل: ملئت نيراناً تضطرم لتعذيب أهل النار.(٤)

[٧] «وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ».

«زوّجت»: قرنت كلّ نفس بشكلها. و قيل: قرنت الأرواح بالأجساد.(٥)

«زوّجت». عن أبي‌جعفر عليه السلام: أمّا أهل الجنّة، فزوّجوا الخيرات الحسان. و أمّا أهل النار، فمع كلّ إنسان منهم شيطان فهم قرناؤهم.(٦)

[٨ ـ ٩] «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ».

عن أبي جعفر عليه السلام «و إذا الموؤودة» قال: من قتل في مودّتنا.(٧)

و عن أميرالمؤمنين و أبي جعفر عليهما السلام (٨): «و إذا المودّة سئلت». و المراد بذلك الرحم و القرابة. و عن أبي جعفر عليه السلام: يراد قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله و من قتل في جهاد ومن قتل في مودّتنا و ولايتنا. «قتلت». أبوجعفر بالتشديد.(٩)

«الموؤدة» و وأد، إذا أثقل. قال سبحانه: «و لايؤوده حفظهما».(١٠) لأنّه إثقال بالتراب.

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٠٧.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧١.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٧.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٠٧.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٠٧.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٧.
٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٧.
٨ـ المصدر: و روي عن أبي جعفر و أبي عبدالله (ع).
٩ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧١ ـ ٦٧٢.
١٠ـ البقرة (٢) / ٢٥٥.

كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها، ألبسها جبّة من صوف ترعى له الإبل و الغنم. و إن أراد قتلها، تركها حتّى إذا كانت سداسيّة فيقول لأمّها: زيّنيها. و قد حفر لها بئراً فيقول لها: انظري فيها، ثمّ يدفعها من خلفها و يهيل عليها التراب. فإن قلت: ما حملهم على وأد البنات؟ قلت: الخوف من لحوق العار بهم من أجلهنّ، أو الخوف من الإملاق. و كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، فهو أحقّ بهنّ. فإن قلت: ما معنى سؤال الموؤودة و هلّا سئل الوائد من موجب قتله لها؟ قلت: سؤالها و جوابها تبكيت لقاتلها. مثلها في قوله تعالى لعيسى: «أأنت قلت للناس اتّخذوني و أمّي» ـ الآية.[١] و فيه دليل بيّن على أنّ أطفال المشركين لايعذّبون.[٢]

[١٠] «وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ».

ابن‌كثير و أبوعمرو و حمزة و الكسائيّ: «نشّرت» بالتشديد. و الباقون بالتخفيف. «الصحف». يعني صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها أعمال أهلها من خير و شرّ، تنشر ليقرأها أصحابها و تظهر الأعمال فيجازوا. أبوعمرو: «نشّرت» بالتشديد مبالغة في النشر أو لكثرة الصحف أو شدّة التطاير.[٣]

[١١] «وَ إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ».

«كشطت»: قلعت و أزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة.[٤]

[١٢] «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ».

«سعّرت»: أوقدت حتّى ازدادت شدّة على شدّة. و قيل: سعّرها [غضب] الله و خطايا بني آدم.[٥]

١ـ المائدة (٥) / ١١٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٠٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧٣، و مجمع البيان ١٠ / ٦٧٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧٣.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٥.

«سعّرت». نافع و ابن‌عامر بالتخفيف، و حفص بالتشديد.[١]

[١٣] «وَ إِذَا الْجَـنَّةُ أُزْلِفَتْ».

«أزلفت»: قربت من أهلها للدخول.[٢]

[١٤] «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ».

«علمت»، جواب إذا. و إنّما صحّ، و المذكور في سياقها اثنتاعشرة خصلة ستّ منها في مبادئ قيام الساعة قبل فناء الدنيا و ستّ بعدها، لأنّ المراد زمان متّسع شامل لها و لمجازاة النفوس على أعمالها. و «نفس» في معنى العموم. «ما أحضرت»؛ أي: ما أحضرته من الأعمال.[٣]

[١٥ ـ ١٦] «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ».

«فلاأقسم». لا زائدة. «بالخنّس». و هي النجوم تخنس بالنهار و تبدو باللّيل. و «الجوار» صفة لها، لأنّها تجري في أفلاكها. «الكنّس». من صفتها أيضاً، لأنّها تكنس؛ أي: تتوارى في بروجها كما تتوارى الظباء في كناسها، و هو بيتها المتّخذ من أغصان الشجر. و هي خمسة أنجم: زحل و المشترى و المرّيخ و الزهرة و عطارد.[٤]

عن الباقر عليه السلام في قوله: «فلاأقسم» ـ الآية ـ قال: إمام يخنس في زمانه عند انقطاع من علمه عند الناس سنة ستّين و مائتين ثمّ يبدو كالشهاب الثاقب في ظلمة اللّيل.[٥]

[١٧ ـ ١٨] «وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧٣. و فيه: و قرأ نافع و ابن‌عامر و حفص و رويس بالتشديد.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧٣.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٧.

٥ـ الكافي ١ / ٣٤١، ح ٢٢.

«عسعس»: أدبر بظلامه. عن عليّ عليه السلام.[١] و قيل: أقبل بظلامه. و قيل: أظلم. «تنفّس»؛ أي: أسفر و أضاء.[٢]

[١٩ ـ ٢١] «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ».

«إنّه لقول رسول». جواب القسم. أي: إنّ القرآن قول رسول كريم على ربّه. و هو جبرئيل عليه السلام. ثمّ وصف جبرئيل بقوله: «ذي قوّة» فيما أمر به من العلم و العمل و تبليغ الرسالة. و من قوّته قلعه ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتّى بلغ به السماء ثمّ قلبها. «مكين»؛ أي: صاحب مكانة و منزلة عند الله صاحب العرش. «مطاع» في السماء تطيعه الملائكة. «أمين» على وحي الله و رسالاته.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «ذي قوّة عند ذي العرش مكين» قال: يعني جبرئيل. قلت: «مطاع ثمّ أمين»؟ قال: يعني رسول الله؛ هو المطاع عند ربّه، الأمين يوم القيامة.[٤]

«إنّه لقول» إلى قوله: «بمجنون». واستدلّ به صاحب الكشّاف على فضل جبرئيل حيث عدّ فضائل جبرئيل و اقتصر على نفي الجنون عن النبيّ. و هو ضعيف؛ إذ المقصود منه نفي قولهم: «إنّما يعلّمه بشر»[٥] «أفترى على الله كذباً أم به جنّة»[٦] لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما. و قال الفاضل النيشابوريّ: التحقيق أنّ ذكر جبرئيل و مدحه وقع استطراداً لبيان مدح النبيّ صلى الله عليه وآله و المبالغة في صدقه. فإنّ الكفرة زعموا أنّ القرآن إفك افتراه مجنون، فلم يكن بدّ من نفي الجنون و وصف جبرئيل بهذه الأوصاف. فإنّ شرف الرسول يدلّ على شرف المرسل إليه و صدقه. و العجب من الإمام الرازيّ كيف ذكر حجّة جار الله و لم يتعرّض

١ـ بحارالأنوار ٥٥ / ١٣٩.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٧.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٨.
٥ـ النحل (١٦) / ١٠٣.
٦ـ سبأ (٣٤) / ٨.

للجواب عنها.(١)

[٢٢ ـ ٢٤] «وَ مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ».

ثمّ خاطب الله سبحانه الكفّار فقال: «و ما صاحبكم» الذي يدعوكم إلى الله «بمجنون». ردّ لقولهم: «أفترى على الله كذباً أم به جنّة».(٢)

«و لقد رآه»؛ أي: رأى محمّدﷺ جبرئيل على صورته التي خلقه الله عليها حيث تطلع الشمس و هو بالأفق الأعلى من ناحية المشرق. «بظنين»؛ أي: ليس هو على وحي الله و ما يخبر به من الأخبار بمتّهم. فإنّ أحواله ناطقة بالصدق و الأمانة. و من قرأ بالضاد، فهو من الضنّ بمعنى البخل. أي: لايبخل بالتعليم و التبليغ.(٣)

و عنهعليه السلام: «و ما صاحبكم بمجنون» في نصبه أميرالمؤمنينعليه السلام علماً للناس. «بضنين»: ما هو تبارك و تعالى على نبيّه بغيبه بضنين عليه.(٤)

«بضنين». نافع و ابن‌عامر و عاصم: «بضنين» بالضاد. و الباقون: «بظنين» بالظاء.(٥)

في مصحف عبدالله بالظاء. و في مصحف أبيّ بالضاد. و الفرق أنّ مخرج الضاد من أصل حافة اللّسان و ما يليها من الأضراس من يمين اللّسان أو يساره، و أمّا الظاء و مخرجها من طرف اللّسان و أصول الثنايا العليا. و وضع المصلّي أحد الحرفين مكان صاحبه مبطل للصلاة.(٦)

[٢٥] «وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ».

«بقول شيطان رجيم»: رجمه الله باللّعنة أو الشهب، طرداً من السماء. أي: ليس القرآن

١ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٣٧.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧٣.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٧ ـ ٦٧٨.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٨.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧٤.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٧١٣.

بقول الشيطان ألقاه إليه كما قال المشركون إنّ الشيطان يلقي إليه كما يلقي إلى الكهنة.[١]

[٢٦ ـ ٢٨] «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ».

ثمّ بكّتهم الله فقال: «فأين تذهبون»؛ أي؛ أيّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بيّنت لكم؟ و قيل: معناه: فأين تعدلون عن هذا القرآن و هو الشفاء و الهداية؟ «إلّا ذكر»؛ أي: ليس هذا القرآن إلّا عظة و تذكرة للخلق يمكّنهم أن يتوصّلوا به إلى الحقّ. «أن يستقيم» على أمر الله و طاعاته. ذكر سبحانه أنّه ذكر لجميع الخلق على العموم، ثمّ خصّ المستقيم لأنّ المنفعة راجعة إليهم؛ كما قال: «إنّما تنذر» ـ الآية[٢].[٣]

«فأين تذهبون» في ولاية عليّ؟ أي: أين تفرّون منها. «إن هو إلّا ذكر للعالمين» لمن أخذ الله [ميثاقه] على ولايته. «أن يستقيم» في طاعة عليّ و الأئمّة عليهم السلام.[٤]

[٢٩] «وَ مَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

«و ما تشاؤون». قال: لأنّ المشيّة إليه لا إلى الناس. و عن أبي الحسن عليه السلام: انّ الله جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته. فإذا شاء الله شيئاً، شاؤوه. و هو قوله: «و ما تشاؤون» ـ الآية.[٥]

«و ما تشاؤون» الاستقامة على الحقّ «إلّا أن يشاء الله» ذلك من قبل حيث خلقكم لها و كلّفكم بها. فمشيّته بين [يدى] مشيّتكم. أو إنّه خطاب للكفّار و المراد: [و ما تشاؤون] الإسلام إلّا أن يشاء الله أن يلطف لكم في الاستقامة، لما في الكلام من معنى النعمة.[٦]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٨.

٢ـ يس (٣٦) / ١١.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٨.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٨، عن الصادق عليه السلام.

٥ـ تفسير القمّيّ / ٤٠٨، عن الصادق عليه السلام.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٨.

٨٢.
سورة الانفطار

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ إذا السماء انفطرت و إذا السماء انشقّت في صلاة النـافلة و الفريضة و جعلها نصب عينيه، لم يحجبه الله من حاجة، و لم يزل ينظر الله إليه و ينظر إلى الله حتّى يفرغ من الحساب.(١)

و عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، أعطاه الله من الأجر بعدد كلّ قبر حسنة و عدد كلّ قطرة حسنة و أصلح الله شأنه يوم القيامة.(٢)

الانفطار: قراءتها تخرج المسجون و تفكّ المأسور و تؤمن الخائف.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ».

«انفطرت»؛ أي: انشقّت. و فيه إبطال قول من زعم أنّ الفلكيّات تنخرق. أمّا الدليل العقليّ الذي ذكره الرازيّ، و هو أن الأجسام متماثلة في الجسميّة فيصحّ على كلّ واحد منها ما يصحّ على الباقي لكنّ السفليّات يصحّ عليها الانخراق فيصحّ على العلويّات، فغير مفيد. لأنّ للخصم أن يقول: الصورة الفلكيّة مانعة.(٤)

[٢] «وَ إِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ».

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٩، ح ١. و فيه: من قرأ هاتين السورتين و جعلهما نصب عينيه في الفريضة و النافلة....

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٧٩.

٣ـ المصباح / ٦١٣.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٣٩.

«انتثرت»: أي: سقطت سوداء لا ضوء لها.(١)

[٣] «وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ».

و أمّا تفجير البحار، فهو فتح بعضها إلى بعض حتّى يصير الكلّ بحراً واحداً. و ذلك لتزلزل الأرض و تصدّعها حتّى يرتفع الحاجز [الذي] بينهما.(٢)

«فجّرت»: اختلطت عذبها في ملحها. و قيل: معناه: ذهب ماؤها.(٣)

[٤] «وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ».

«بعثرت»: قلبت ترابها و أخرج موتاها. و لأهل التأويل أن يحملوا بعثة القبور على كشف الأسرار و الأحوال الخفيّة.(٤)

[٥] «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ».

«ما قدّمت» من خير أو شرّ. «و ما أخّرت» من سنّة [حسنة] استنّت بها بعده [فله أجر من اتّبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء، أو سنّة سيّئة عمل بها بعده، فعليه وزر من] يعمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.(٥)

«قدّمت و أخّرت». يعني جميع أعمالها لمشاهدتها له من الصحائف.(٦)

ذكر عليّ بن إبراهيم أنّها نزلت في الثاني. [يعني ما قدّمت] من ولاية أبي فلان و من ولاية نفسه [و ما أخّرت] من ولاية الأمر من بعده.(٧)

[٦] «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨١.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٣٩.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨١.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٣٩.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٢.

٦ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٣٩ ـ ٤٠.

٧ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٧٠.

«يا أيّها الإنسان». مطلق الكافر، أو الوليد بن المغيرة، [أو الأشدّ بن كلدة،] فإنّه ضرب النبيّ و لم يعاقبه الله و أنزل الآية.[١]

روي أنّه ﷺ لمّا تلا هذه الآية: «ما غرّك بربّك الكريم» قال: غرّه جهله. و إنّما قال: «الكريم» دون سائر أسمائه لأنّه كأنّه لقّنه الإجابة حتّى يقول: غرّني كرم الكريم.[٢]

و هاهنا سؤال و هو: انّه تعالى وصف نفسه هنا بالكرم. و هذا الوصف يقتضي الاغترار به؛ حتّى قالت العقلاء: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. قال مؤلّف الكتاب: إنّي رأيت في عنفوان شبابي في المنام أنّ القيامة قد قامت و دار في خلدي أنّ الله لو خاطبني بقوله: «يا أيّها الإنسان» ـ الآية ـ فما ذا أقول. ثمّ ألهمني في المنام أن أقول: غرّني كرمك يا ربّ. ثمّ إنّي رأيت هذا المعنى في بعض التفاسير. و إذا ثبت أنّ الكرم يقتضي أن يغترّ بصاحبه، فكيف وقع الإنكار عليه؟ و الجواب من وجهين. الأوّل: انّه كريم و حكيم. لأنّ إيصال النعم إلى الغير، لو لم يكن مبنيّاً على الحكمة، لكان تبذيراً لا كرماً. فكأنّه قال: كيف اغتررت بكرمي و هو صادر عن الحكمة و هي تقتضي أن أنتقم للمظلوم عن الظالم و لو بعد حين و أن أعيد الناس للجزاء؟ و الحاصل أنّ الكرم بالخلق و التسوية و هي انتصاب القامة و سلامة الأعضاء و بالتعديل و هو تناسبها أو جعله مستعدّاً لقبول الكمالات، [لا يقتضى أن لا يعيده إلى الحالة الأولى لأجل المجازاة بل] يجب أن يعيده لأجل المجازاة تتميماً للنعمة و إظهاراً للحكمة. الثاني: انّ كرمه السابق بالخلق و غيره لا يوجب كرماً لاحقاً بالعفو عن جميع المعاصي. لأنّ غاية الكرم أن يبتدئ بالنعم من غير عوض و لا غرض. أمّا الكريم إذا أمر المنعم عليه بشيء و تلقّاه بالعصيان، فليس من الكرم أن يغمض عن جرمه، بل قد يعدّ ذلك ضعفاً و ذلّة و لا سيّما إذا كان المأمور به هو معرفة المنعم.[٣]

[٧] «الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ».

١ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٤٠.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٢.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٤٠ ـ ٤١.

«خلقك». يعني من نطفة. «فسوّاك» إنساناً «فعدلك»: جعلك معتدلاً أو ناسب بين أعضائك.(١)

قرئ: «فعدلك» بالتخفيف. و فيه وجهان: أحدهما أن يكون بمعنى المشدّد. أي: عدّل بعض أعضائك ببعض حتّى اعتدلت. و الثاني: «فعدلك»: فصرفك. يقال: عدله عن الطريق. يعني فعدلك عن خلقة غيرك و خلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق، أو فعدلك إلى بعض الأشكال.(٢)

[٨] «فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ».

«ما شاء ركّبك»: أي في شبه من أب أو أمّ أو خال أو عمّ. و عن الرضا عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال [لرجل]: ما ولد لك؟ قال: يا رسول الله، ما عسى أن يولد لي؟ إمّا غلام و إمّا جارية. قال: فمن يشبه؟ قال: أمّه أو أباه. فقال: لاتقل هكذا. إنّ النطفة إذا استقرّت في الرحم، أحضر الله كلّ نسب بينه و بين آدم. أما قرأت هذه الآية: «في أيّ صورة» ـ الآية ؟(٣)

عن الحسن عليه السلام في قوله: «في أيّ صورة» ـ الآية ـ قال: صوّر الله عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام في ظهر أبي‌طالب على صورة محمّد صلى الله عليه و آله. فكان عليّ أشبه الناس برسول الله. و كان الحسين بن عليّ أشبه الناس بفاطمة. و كنت أشبه الناس بخديجة الكبرى.(٤)

قال النحويّون: ما في «ما شاء» مزيدة. قلت: و ذلك بالنظر إلى أصل المعنى، و إلّا فهي مفيدة للتأكيد. أي: في كلّ صورة من الصور شاء. كقوله: «هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء»(٥).(٦)

[٩] «كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٢.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٧١٦.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٢.

٤ـ مناقب آل أبي‌طالب ٤ / ٢.

٥ـ آل عمران (٣) / ٦.

٦ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ٤١.

«كلّا»؛ أي: ليس الأمر كما تزعمون من نفي المعاد و ليس هنا موضع الإنكار مع وضوح الدلائل، «بل تكذّبون» معاشر الكفّار «بالدين»؛ أي: الجزاء لإنكاركم البعث. و قيل: دين الإسلام.(١)

«تكذّبون بالدين»؛ أي: بالولاية.(٢)

«بالدين». قال: برسول الله ﷺ و أميرالمؤمنين عليه السلام.(٣)

«كلّا». أي ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله و التسلّق به ـ و هو موجب الشكر و الطاعة ـ إلى عكسها الذي هو الكفر و المعصية. ثمّ قال: «بل تكذّبون بالدين» أصلاً ـ و هو الجزاء أو دين الإسلام ـ فلاتصدّقون ثواباً و لا عقاباً و هو شرّ من الطمع المنكر.(٤)

[١٠ ـ ١٢] «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ».

«لحافظين» من الملائكة يحفظون أعمالكم.(٥)

عن أبي‌الحسن الأوّل عليه السلام أنّه سئل عن الملكين: هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله أو الحسنة؟ فقال: ريح الطيب و الكنيف سواء؟ قيل: لا. قال: إنّ العبد إذا همّ بالحسنة، خرج نفسه طيّب الريح، فيقول صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم. فإنّه قد همّ بالحسنة. فإذا فعلها، كان لسانه قلمه و ريقه مداده فأثبتها له. و إذا همّ بالسيّئة، خرج نفسه منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف. فإنّه قد همّ بالسيّئة. فإذا هو فعلها، كان لسانه قلمه و ريقه مداده و أثبتها عليه.(٦)

[١٣ ـ ١٦] «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَ مَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٣.

٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٧٠.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٠٩.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٧١٦.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٣.

٦ـ الكافي ٢ / ٤٢٩، ح ٣.

«و إنّ الفجّار»؛ أي: الكفّار.[۱]

و قوله: «إنّ الابرار» عن أبي جعفر عليه السلام: الأبرار نحن. و الفجّار عدوّنا.[۲]

و قال جعفر الصادق عليه السلام: النعيم المعرفة و المشاهدة. و الجحيم ظلمات الشهوات.[۳]

«و ما هم عنها بغائبين». كقوله: «و ما هم بخارجين منها».[٤] و يجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين و ما يغيبون عنها قبل ذلك، يعني في قبورهم.[٥]

[۱۷ ـ ۱۸] «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ».

[ثمّ عظّم سبحانه يوم القيامة فقال:] «و ما أدراك ما يوم الدين» تعظيماً لشدّته. ثمّ كرّره تأكيداً لذلك. و قيل: أراد: ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم؟ و ما أدراك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار؟[٦]

[۱۹] «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ».

«يوم». قرئ: «يومٌ» بالرفع على أنّه بدل من «يوم الدين».[۷]

«لاتملك نفس»؛ أي: لايملك أحد الدفاع عن غيره ممّن يستحقّ العقاب كما يملك كثير من الناس في الدنيا. «و الأمر يومئذ لله»؛ أي: لا حاكم يومئذ إلّا الله. ابن‌كثير و أهل البصرة: «يوم» برفع يوم، و الباقون بالنصب.[۸]

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦۸۳.
۲ـ تأويل الايات ۲ / ۷۷۱، ح ۱.
۳ـ تفسير النيسابوريّ ۳۰ / ٤۲.
٤ـ المائدة (٥) / ۳۷.
٥ـ الكشّاف ٤ / ۷۱۷.
٦ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦۸۳.
۷ـ ف ٤ / ۷۱۷.
۸ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦۸۳ و ٦۸۰.

٨٣.
سورة المطفّفين

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ في الفريضة ويل للمطفّفين، أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النار و لم تره و لم يراها و لم يمرّ على جسر جهنّم و لايحاسب يوم القيامة.(١)

عن النبي صلى الله عليه وآله: من قرأها، سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة.(٢)

التطفيف: يقرأ على المخزون يحفظ.(٣)

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَ إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ».

عن أبي جعفر عليه السلام: و أنزل في الكيل: «ويل للمطفّفين». و لم يجعل الويل لأحد حتّى يسمّيه كافراً. قال الله: «فويل للّذين كفروا من مشهد يوم عظيم».(٤) (٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام: «ويل للمطفّفين»؛ يعني: الناقصين لخمسك يا محمّد. «الذين إذا اكتالوا على الناس»؛ أي: إذا صاروا إلى حقوقهم «يستوفون». «و إذا كالوهم»: إذا سألوهم خمس آل محمّد نقصوهم.(٦)

«للمطفّفين». و هم الذين ينقصون المكيال و الميزان. و ذلك أنّه لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله هذه السورة فأحسنوا الكيل بعد ذلك. و قيل:

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٩، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٥.
٣ـ المصباح / ٦١٣.
٤ـ مريم (١٩) / ٣٧.
٥ـ الكافي ٢ / ٣٢، ح ١.
٦ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٧١، ح ١.

إنّه عليه السلام لمّا قدم المدينة و فيها رجل يقال له أبوجهينة و معه صاعان يكيل بأحدهما و يكتال بالآخر، فنزلت. قال الزجّاج: و إنّما قيل: مطفّف، لأنّه لايكاد يسرق في المكيال و الميزان إلّا الشيء اليسير و الطفيف: الشيء القليل. «يخسرون»؛ أي: ينقصون. و عن ابن مسعود: الصلاة مكيال. من وفى، وفى الله له. و من طفّف، سمعتم ما قال الله في المطفّفين.(۱)

«إذا اكتالوا على الناس». لمّا كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يضرّ بهم و يتحامل فيه عليهم، أبدل على مكان من للدلالة على ذلك. و يجوز أن يتعلّق على بيستوفون و تقديم المفعول لإفادة الخصوصيّة. أي: على الناس خاصّة، فأمّا أنفسهم فيستوفون لها.(۲)

[٤ ـ ٦] «أَلَا يَظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ».

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: ربّ شيء من كتاب الله تأويله على غير تنزيله و لايشبه تأويل كلام البشر ـ إلى قوله: ـ و مثله: «ألايظنّ أولئك»؛ أي: أليس يوقنون أنّهم مبعوثون؟(۳)

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: الظنّ ظنّان: ظنّ يقين و ظنّ شكّ. فما كان من أمر المعاد من الظنّ، فهو من يقين. و ما كان من أمر الدنيا، فهو على الشكّ.(٤)

«ألايظنّ»؛ أي: ألايعلم «أولئك أنّهم مبعوثون ليوم عظيم»: ليوم القيامة فيحاسبهم على هذا الفعل. «لربّ العالمين»؛ أي: لجزائه و أمره. أو يكون الظنّ بمعناه. فإنّ من ظنّ العطب في سلوك طريق، فواجب عليه أن يتجنّب سلوكه.(٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام: مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لربّ العالمين مثل السهم من الكنانة ليس له من الأرض إلّا موضع قدميه.(٦)

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦۸۷.
۲ـ الكشّاف ٤ / ۷۱۹.
۳ـ الاحتجاج / ۲٥۰.
٤ـ الاحتجاج / ۲٤٤.
٥ـ مجمع البيان ۱۰ / ٦۸۷.
٦ـ الكافي ۸ / ۱٤۳، ح ۱۱۰.

[٧ـ ٩] «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ».

«كلّا». زجر عن المعاصي. أي: ليس الأمر على ما أنتم عليه. و تمام الكلام هاهنا. أو إنّه يتّصل بما بعده على معنى حقّاً. «إنّ كتاب الفجّار». يعني كتابهم الذي فيه أعمالهم من الفجور. و قيل: معناه أنّه كتب في كتابهم أنّهم يكونون في سجّين و هي في الأرض السابعة السفلى. عن ابن‌عبّاس. [و عن كعب الأحبار] انّ أرواح الفجّار يصعد بها إلى السماء فلاتقبلها. ثمّ يهبط بها إلى الأرض فلاتقبلها. فتدخل سبع أرضين حتّى ينتهى بها إلى سجّين و هو موضع جند إبليس. و المعنى أنّ كتاب عملهم يوضع هناك. و قيل: إنّ سجّين جبّ في جهنّم مفتوح. و الفلق جبّ فيها مغطًّى. و قيل: سجّين اسم كتابهم. و هو ظاهر التلاوة. أي ما كتبه على الكفّار ـ بمعنى أوجبه ـ من الجزاء في هذا الكتاب المسمّى سجّيناً. ثمّ قال مفسّراً لذلك الكتاب: «كتاب مرقوم»؛ أي: مكتوب معلوم كتب فيه ما يسوؤهم. و الوجه الصحيح أنّ قوله: «كتاب مرقوم» ليس تفسيراً لسجّين. لأنّه ليس السجّين من الكتاب المرقوم في شيء و إنّما هو تفسير لقوله: «إنّ كتاب الفجّار» على تقدير: و هو كتاب مرقوم؛ أي: مكتوب بيّنت حروفه.(١)

عن الباقر عليه السلام: أمّا المؤمنون، فترفع أرواحهم و أعمالهم إلى السماء فتفتح لهم أبوابها. و أمّا الكافر، فيصعد بعمله و روحه حتّى إذا بلغ إلى السماء نادى مناد: اهبطوا به إلى سجّين. و هو واد بحضرموت يقال له برهوت.(٢)

فإن قلت: أخبر الله عن كتاب الفجّار بأنّه في سجّين و فسّر سجّيناً بكتاب مرقوم. فكأنّه قال: إنّ كتابهم في كتاب مرقوم. فما معناه؟ قلت: سجّين كتاب جامع هو ديوان الشرّ دوّن الله فيه أعمال الكفّار و الشياطين. و هو كتاب مرقوم مسطور بيّن الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنّه لا خير فيه. فالمعنى أنّ ما كتب من أعمال الفجّار مثبت في ذلك الديوان. و سمّي سجّيناً من السجن و هو الحبس و التضييق، لأنّه سبب الحبس في جهنّم أو لأنّه مطروح

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٨.

٢ـ انظر: الكافي ٣ / ٢٤٦ و ٢٤٧.

تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم استهانة به و ليشهده الشياطين كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقرّبون. و سجّين اسم علم منقول من وصف ـ كحاتم ـ و هو منصرف لأنّ ما فيه إلّا التعريف.(١)

و عن أبي عبدالله عليه السلام «إنّ كتاب الفجّار»: هو فلان و فلان.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله خلقنا من أعلى علّيّين. و خلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا و خلق أبدانهم من دون ذلك. فقلوبهم تهوى إلينا، لأنّها خلقت ممّا خلقنا. ثمّ تلا: «إنّ كتاب الأبرار» ـ الآية. و خلق عدوّنا من سجّين. و خلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه و أبدانهم من دون ذلك. فقلوبهم تهوى إليهم، لأنّها خلقت ممّا خلقوا منه. ثمّ تلا: «كلّا إنّ كتاب الفجّار» ـ الآية.(٣)

عن الحسن عليه السلام قال: يحشر الناس عند صخرة بيت المقدس. فيحشر أهل الجنّة عن يمين الصخرة، و تصير جهنّم عن يسار الصخرة في تخوم الأرض السابعة و فيها الفلق و السجّين.(٤)

[١٠ ـ ١٣] «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَ مَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

عن أبي جعفر عليه السلام: الذي يكذّب بيوم الدين الأوّل و الثاني. «قال أساطير الأوّلين». الأوّل و الثاني؛ كانا يكذّبان رسول الله صلى الله عليه وآله.(٥)

«أثيم»: كثير الإثم، مبالغ في ارتكابه. «أساطير الأوّلين»: ما سطره الأوّلون و كتبوه ممّا لا أصل له.(٦)

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٢١.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١١.

٣ـ الكافي ١ / ٣٩٠، ح ٤.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٢.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٨.

[١٤] «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«كلّا»: أي: ليس الأمر على ما قالوه. «بل ران على قلوبهم»: أي: غلب عليها. يعني غلب رين ذنوبهم على قلوبهم. و قيل: معنى الرين الذنب على الذنب حتّى يموت القلب. و عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من عبد مؤمن إلّا و في قلبه نكتة بيضاء. فإذا أذنب ذنباً، خرج في تلك النكتة نكتة سوداء. فإذا تاب، ذهب ذلك السواد. و إن تمادى في الذنوب، زاد ذلك السواد حتّى يغطّي البياض. فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير قطّ. و هو قول الله: «كلّا بل ران» ـ الآية. أهل الكوفة غير عاصم: «ران» بكسر الراء و الباقون بفتحها.(١)

قرأ حفص: «بل ران» بإظهار اللّام.(٢)

[١٥ ـ ١٧] «كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ».

«عن ربّهم»: أي: عن رحمة ربّهم. «لصالو الجحيم»: ملازموها لايغيبون عنها. و قيل: لصائرون صلاها؛ أي: وقودها. «ثمّ يقال» لهم على وجه التوبيخ: «هذا الذي» فعل بكم من الثواب و العقاب الذي «كنتم به تكذّبون» في دار الدنيا.(٣)

عن أبي‌الحسن الماضي عليه السلام «هذا الذي كنتم به تكذّبون» قال: يعني أميرالمؤمنين عليه السلام. قلت: تنزيل؟ قال: نعم.(٤)

[١٨ ـ ٢١] «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَ مَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ».

«كلّا». أي لايؤمنون بالعذاب الذي يصلونه. فيتّصل [بما قبله]. و قيل: معناه: حقّاً، [و] يتّصل بما بعده. «علّيّين»: مراتب عالية محفوفة بالجلالة. قيل: في السماء السابعة و فيها

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٨ ـ ٦٨٩ و ٦٨٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧٨.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٨٩.

٤ـ الكافي ١ / ٤٣٥، ح ٩١.

أرواح المؤمنين. و قيل: في سدرة المنتهى. و هي التي ينتهي إليها كلّ شيء من أمر الله. و قيل: علّيّون الجنّة. و عن ابن‌عبّاس: إنّه لوح من زبرجد خضراء معلّق تحت العرش أعمالهم مكتوب فيه. «و ما أدراك». تعظيم لشأنه و أنّه لايمكن العلم به إلّا بالمشاهدة. «كتاب مرقوم»: مكتوب فيه جميع طاعاتهم. «يشهده المقرّبون». يعني الملائكة الذين هم في علّيّن يحضرون ذلك المكتوب أو الكتاب إذا صعد به إلى علّيّين. و عن بعضهم أنّ أهل علّيّين لينظرون إلى أهل الجنّة من كذا فإذا أشرف رجل منهم، أشرقت الجنّة و قالوا: قد اطّلع علينا رجل من أهل علّيّين.[١]

«علّيّون»: علم لديوان الخير الذي دوّن فيه كلّ ما عمله الملائكة و صلحاء الثقلين، منقول من جمع عليّ فعّيل من العلوّ، كسجّين من السجن. سمّيت بذلك إمّا لأنّه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنّة، و إمّا لأنّه مرفوع في السماء السابعة.

[٢٢ ـ ٢٤] «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ».

«على الأرائك»: جمع أريكة و هي الحجلة إذا كان فيها سرير. «ينظرون» إلى ما أعطوا من الكرامة. و قيل: ينظرون إلى أعدائهم يعذّبون في النار. «نضرة النعيم»؛ أي: إذا رأيتهم عرفت أنّهم من أهل النعمة بما ترى في وجوههم من النور و الحسن. و ذلك أنّ الله تعالى قد زاد في جمالهم ما لايصفه واصف. قرأ أبوجعفر و يعقوب: «تعرف» بضمّ التاء و فتح الراء «نضرة» بالرفع. و الباقون بفتح التاء و كسر الراء و «نضرة» بالنصب.[٢]

[٢٥ ـ ٢٦] «يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ».

قال صلّى الله عليه و آله لعليّ: يا عليّ، من ترك الخمر لغير الله، سقاه الله من الرحيق المختوم. فقال

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٢ و ٦٩٠.

عليّ عليه السلام: لغير الله؟ قال: نعم و الله صيانة لنفسه فيشكره [الله] على ذلك.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: من سق مؤمناً شربة ماء، سقاه الله من الرحيق المختوم.(٢)

«من رحيق»؛ أي: خمر صافية خالصة من كلّ غش «مختوم» بخاتم ساقيه(٣). و قيل: مختوم في الآنية بالمسك. و هو غير الخمر التي تجري في الأنهار. ثمّ فسّر المختوم بقوله: «ختامه مسك»؛ أي: آخر طعمه ريح المسك، إذا رفع الشارب فاه عن آخر شرابه، وجد ريحه كريح المسك. عن ابن‌عبّاس. و قيل: ختم إناؤه بالمسك بدلاً من الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا. «فليتنافس المتنافسون»: ليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله. أو معناه: فلينازع المتنازعون. و في الحديث: من صام لله في يوم صائف، سقاه الله من الظمأ من الرحيق المختوم. و قرأ الكسائيّ وحده: «خاتمه مسك». و هي قراءة عليّ عليه السلام. و الباقون: «ختامه».(٤)

[٢٧] «وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ».

«و مزاجه»؛ أي: مزاج ذلك الشراب الموصوف ـ و هو ما يمازج به ـ «من تسنيم». و هو عين في الجنّة [و هو] أشرف شرابها. و قيل: هو نهر يجري في الهواء فينصبّ في أواني أهل الجنّة بحسب الحاجة. ثمّ فسّره فقال: «عيناً يشرب بها المقرّبون». أي هي خالصة للمقرّبين يشربونها صرفاً و تمزج لسائر أهل الجنّة.(٥)

«تسنيم»: علم لعين بعينها. سمّيت بالتسنيم الذي هو مصدر سنّم إذا رفعه، إمّا لأنّها أرفع شراب في الجنّة، و إمّا لأنّها تأتيهم من فوق، على ما روي أنّها تجري [في الهواء] متسنّمة فتنصبّ في أوانيهم. و «عيناً» نصب على الحال. و قيل: نصب على المدح.(٦)

«تسنيم». مصدر سنّمه إذا رفعه. لأنّها أرفع شراب أهل الجنّة أو لأنّها تأتيهم من فوق.

١ـ الفقيه ٤ / ٢٥٥، ح ٨٢١.
٢ـ الكافي ٢ / ١٩٩، ح ٣.
٣ـ لايوجد في المصدر «بخاتم ساقيه».
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٢ ـ ٦٩٣ و ٦٩٠.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٣.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٣.

و هي عين يشرب بها المقرّبون و هم آل محمّد عليهم السلام.[١]

[٢٩] «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ».

عن ابن عبّاس: «الذين أجرموا». يعني كفّار قريش. «الذين آمنوا». يعني أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله و فقراءهم. [كانوا] يضحكون منهم استهزاء بهم، أو تعجّباً من قولهم بالإعادة و إحياء العظام الرميم.[٢]

«إنّ الذين أجرموا»: الأوّل و الثاني و من تابعهما. كانوا يضحكون برسول الله صلى الله عليه و آله.[٣]

[٣٠] «وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ».

«يتغامزون»: يشير بعضهم إلى بعض بالأعين و الحواجب استهزاء بالمؤمنين. قيل: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام. و ذلك أنّه كان في نفر من المسلمين جاؤوا إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فسخر منهم المنافقون و ضحكوا و تغامزوا، ثمّ رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه. فنزلت الآية قبل أن يصل عليّ إلى النبيّ عليهما السلام.[٤]

[٣١] «وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ».

«و إذا انقلبوا»: إذا رجع هؤلاء الكفّار إلى أهلهم، رجعوا معجبين بما هم يتفكّهون بذكرهم. و قرأ أبوجعفر و حفص: «فكهين» بغير ألف، و الباقون «فاكهين» بالألف.[٥]

[٣٢] «وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ».

«لضالّون» عن طريق الحقّ و الصواب، تركوا التنعّم رجاء ثواب لا حقيقة له خدعهم به محمّد.[٦]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١١.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١١، عن الصادق عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٣.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٤ و ٦٩٠.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٤.

[۳۳] «وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ».

«حافظين»؛ أي: لم يرسل هؤلاء الكفّار حافظين على المؤمنين ما هم عليه. و لو اشتغلوا بما كلّفوه، لكان أولى بهم. و قيل: معناه: و ما أرسلوا عليهم شاهدين. لأنّ شهادة الكفّار لاتقبل على المؤمنين بل المؤمنين شهداء على الكفّار يوم القيامة.(١)

[٣٤ ـ ٣٥] «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ».

«فاليوم». يعني يوم القيامة. «من الكفّار يضحكون» كما ضحك الكفّار منهم في الدنيا. و ذلك أنّه يفتح للكفّار باب إلى الجنّة و يقال لهم: اخرجوا إليها. فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم. يفعل بهم ذلك مراراً فيضحك منهم المؤمنون. «ينظرون». أي إلى عذاب أهل النار.(٢)

عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: إذا كان يوم القيامة، أخرجت أريكتان من الجنّة فبسطتا على شفير جهنّم، ثمّ يجيء عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى يقعد عليهما. فإذا قعد ضحك. و إذا ضحك، انقلب جهنّم فصار عاليها سافلها. ثمّ يخرجان فيوقفان بين يديه فيقولان: يا أميرالمؤمنين، يا وصيّ رسول الله، ألا ترحمنا؟ ألا تشفع لنا عند ربّك؟ قال: فيضحك منهما. ثمّ يقوم فتدخل الأريكتان و يعادان إلى موضعهما. فذلك قوله: «فاليوم الذين آمنوا» ـ الآية.(٣)

أقول: قوله: «فيخرجان فيوقفان» ـ الحديث ـ يعني الأوّل و الثاني. و ترك التصريح بهما للتقيّة كما لايخفى على العارف. (حسن)

[٣٦] «هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ».

«هل ثوّب»؛ أي: هل جوزي الكفّار إذا فعل بهم الذي ذكر جزاء استهزائهم بالمؤمنين في الدنيا؟ و هو استفهام يراد به التقرير. و ثوّب بمعنى أثيب. و قيل: معناه يتّصل بما قبله و يكون

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٤.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٤.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٨١ ـ ٧٨٢، ح ١٧.

التقدير: انّ الذين آمنوا ينظرون و يقولون: هل جوزي الكفّار بأعمالهم؟ و يكون الجملة متعلّقة بينظرون. و على القول الأوّل استئناف كلام. و إنّما استعمل لفظ الثواب في العقوبة، لأنّ الثواب في أصل اللّغة الجزاء الذي يرجع إلى العامل بعمله و إن كان في العرف اختصّ بجزاء النعيم، فاستعمل هنا على أصله. و قيل: وقع في مقابلة ما فعل بالمؤمنين. و هذا القول يكون من قبل الله، أو تقوله الملائكة للمؤمنين تنبيهاً لهم على أنّ الكفّار جوزوا على كفرهم و استهزائهم بالمؤمنين ما استحقّوه من أليم العذاب ليزدادوا بذلك سروراً إلى سرورهم. و يحتمل أن يكون يقوله المؤمنون بعضهم لبعض سروراً بما ينزل بالكفّار. و كلّ هذه الوجوه إنّما يتّجه على القول الأوّل إذا كان الجملة كلاماً مستأنفاً. حمزة و الكسائيّ: «هثّوّب الكفّار» بإدغام اللّام في الثاء، و الباقون بالإظهار.[١]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٠.

٨٤.
سورة الانشقاق

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأ الانشقاق، لم يعط كتابه وراء ظهره.[١]

الانشقاق: تسهّل الولادة تعليقاً. فإذا وضعت، فانزعها عنها سريعاً. و قراءتها على الدابّة يحفظها، و على اللّسعة يسكّنها. و إذا كتبت على حائط منزل، ذهب هوامّه.[٢]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ».

«إذا السماء». حذف جواب إذا، ليذهب المقدّر كلّ مذهب، أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير و الانفطار. و قيل: جوابها ما دلّ عليه «فملاقيه». أي: إذا السماء انشقّت، لاقى الإنسان كدحه. و معناه: إذا السماء انشقّت بالغمام. كقوله: «يوم تشقّق السماء بالغمام».[٣] و عن عليّ عليه السلام: تنشق من المجرّة.[٤]

«انشقّت»؛ أي: تصدّعت و انفرجت. و انشقاقها من علامات القيامة.[٥]

[٢] «وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُقَّتْ».

«و أذنت». يقال: أذن له: استمع له. أي: إنّها فعلت في انقيادها لله فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له و أذعن و لم يأب. كقوله: «أتينا طائعين».[٦] [٧]

١ـ المصباح / ٥٩٧.
٢ـ المصباح / ٦١٣.
٣ـ الفرقان (٢٥) / ٢٥.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٥.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٩.
٦ـ فصّلت (٤١) / ١١.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٥.

«أذنت»؛ أي: سمعت و أطاعت في الانشقاق. «و حقّت»؛ أي: حقّ لها أن تأذن بالانقياد.[١]

[٣] «وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ».

«مدّت» أي: بسطت باندكاك جبالها حتّى صارت كالصحيفة الملساء. و قيل: إنّها تمدّ مدّ الأديم و يزاد في سعتها. عن ابن‌عبّاس.[٢]

«و إذا الأرض مدّت». قال: تمدّ الأرض فتنشقّ فتخرج الناس منها.[٣]

«مدّت» كمدّ الأديم. [لأنّ الأديم] إذا مدّ، زال كل انثناء فيه و استوى.[٤]

[٤] «وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ».

«تخلّت»؛ أي: خلت غاية الخلوّ حتّى لم‌يبق شيء في باطنها كأنّها تكلّفت أقصى جهدها في الخلوّ. كما يقال: تكرّم الكريم، إذا بلغ جهده في الكرم.[٥]

«و ألقت ما فيها» من الموتى و الكنوز. مثل: «و أخرجت الأرض أثقالها».[٦] «و تخلّت»؛ أي: خلت فلم‌يبق في بطنها شيء. و قيل: معناه: و ألقت ما في بطنها من كنوزها و معادنها و تخلّت ممّا على ظهرها من جبالها و بحارها.[٧]

[٥] «وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُقَّتْ».

«و أذنت لربّها» في إلقاء ما في بطنها و تخلّيها.[٨]

«و أذنت لربّها». ليس بتكرار. لأنّ الأوّل في صفة السماء و الثاني في صفة الأرض. و هذا كلّه من أشراط الساعة. و التقدير: إذا كانت هذه الأشياء المذكورة، رأى الإنسان ما قدّم من

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٩.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٩.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٦.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٦.
٦ـ الزلزلة (٩٩) / ٢.
٧ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٩.
٨ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٦.

خير و شرّ. و يدلّ على المحذوف قوله: «يا أيّها الإنسان». و قال ابن‌الأنباريّ و البلخيّ: جواب «إذا» قوله: «أذنت» و الواو زائدة. كقوله: «حتّى إذا جاؤوها و فتحت أبوابها».[١] و هذا ضعيف.[٢]

[٦] «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ».

الكدح: جهد النفس في العمل و الكدّ فيه حتّى يؤثّر فيها. من كدح جلده، إذا خدشه. و معنى «كادح إلى ربّك»: جاهد إلى لقاء ربّك و هو الموت و ما بعده من الحال الممثّلة باللّقاء.[٣]

«كادح»؛ أي: ساع إليه في عملك. أي: يا أيّها الإنسان، إنّك عامل عملاً فيه مشقّة لتحمله إلى الله و توصله إليه. «فملاقيه»؛ أي: ملاقي جزائه. و قيل: معنى «فملاقيه» أي: صائر إلى حكمه حيث لا حكم إلّا حكمه.[٤]

[٧ ـ ٩] «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَ يَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً».

«حساباً يسيراً»؛ أي: لايناقش فيه. و قيل: هو التجاوز عن السيّئات و الإثابة على الحسنات. «و ينقلب» بعد الفراغ من الحساب «إلى أهله مسروراً» بما أوتي من النعمة. و المراد بالأهل هنا الحور العين. و قيل: أهله و أزواجه و أولاده الذين سبقوه إلى الجنّة.[٥]

[١٠ ـ ١٢] «وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً * وَ يَصْلَىٰ سَعِيراً».

«وراء ظهره». قيل: تغلّ يمناه إلى عنقه و تجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من

١ـ الزمر (٣٩) / ٧٣.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٦.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٩.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٦٩٩.

وراء ظهره.[١]

«وراء ظهره». أمارة لصاحبه أنّه من أهل النار. «ثبوراً»؛ أي: هلاكاً إذا قرأكتابه و هو يقول: وا ثبوراه! وا هلاكاه! «و يصلى سعيراً»: يدخل النار. و قيل: يصير صلاء للنار المسعرة. أبوجعفر و أهل العراق غير الكسائيّ: «يصلى» بالتخفيف، و الباقون بضمّ الياء و التشديد.[٢]

[١٣] «إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً».

«مسروراً» في الدنيا ناعماً لايهمّه أمر الآخرة و لايتحمّل مشقّة العبادة. فأبدله الله بسروره غمّاً باقياً. و كان المؤمن مهتمّاً بأمور الآخرة، فأبدله الله سروراً لايزول.[٣]

[١٤] «إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ».

«لن يحور»؛ أي: ظنّ في دار التكليف أنّه لن يرجع إلى حال الحياة في الآخرة للجزاء فارتكب المعاصي.[٤]

[١٥] «بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً».

«بلى»؛ أي: بلى ليبعثنّ و ليس الأمر على ما ظنّه. «بصيراً»؛ أي: عالماً بأنّ مرجعه إليه.[٥]
«به بصيراً»؛ أي: بأعماله لاينساها و لايخفى عليه فلابدّ أن يرجعه و يجازيه عليها.[٦]

[١٦ ـ ١٨] «فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ * وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ».

«بالشفق»؛ أي: الحمرة التي تبقى بعد المغرب في الأفق. «و اللّيل و ما وسق»؛ أي: و ما جمع ممّا كان منتشراً بالنهار في تصرّفه. و ذلك أنّ اللّيل إذا أقبل، رجع كلّ شيء إلى مأواه. و

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٦.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٠ و ٦٩٦.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٠.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٠.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٠.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٧.

قيل: «و ما وسق»؛ أي: طرد من الكواكب. فإنّها تظهر باللّيل و تخفى بالنهار. و أضاف ذلك إلى اللّيل لأنّ ظهورها فيه. «إذا اتّسق»؛ أي: تكامل لثلاث عشرة إلى ستّ عشرة.[١]

[١٩] «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ».

«لتركبنّ». جواب القسم. أي: لتركبنّ ـ يا محمّد ـ سماء بعد سماء تصعد فيها. عن ابن‌عبّاس. و يجوز أن يراد: درجة بعد درجة و رتبة بعد رتبة في القرب إلى الله. و قرأ ابن‌كثير: «لتركبنّ» بفتح الباء، و الباقون بضمّ الباء.[٢]

«لتركبنّ». على خطاب الجنس. و الطبق: ما طابق غيره. «طبقاً عن طبق»؛ أي: حالاً بعد حال كلّ واحدة مطابقة لأختها في الشدّة و الهول. «عن طبق». حال من الضمير في لتركبنّ. أي: لتركبنّ طبقاً مجاوزين لطبق. أو[٣] صفة لطبقاً. أي: طبقاً مجاوزاً لطبق.[٤]

«طبقاً عن طبق»: حالاً بعد حال. قال رسول الله ﷺ: لتركبنّ سنّة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل و القذّة بالقذّة، لاتخطؤون طريقهم شبر بشبر و ذراع بذراع و باع بباع. حتّى لو كان من قبلكم دخل جحر ضبّ، لدخلتموه. قالوا: اليهود و النصارى تعني يا رسول الله ﷺ؟ قال: فمن أعني؟ قال: لتنقضنّ عرى الإسلام عروة عروة فيكون أوّل ما تنقضون من دينكم الأمانة و آخره الصلاة.[٥]

زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «لتركبنّ طبقاً عن طبق» قال: يا زرارة، أو لم تركب هذه الأمّة بعد نبيّها طبقاً عن طبق في أمر فلان و فلان؟[٦]

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ للقائم عليه السلام غيبة يطول أمدها. فقيل: لم ذلك؟ قال: لأنّ الله أبى أن لايجري[٧] فيه سير الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم و أنّه لابدّ له من انتهاء غيباتهم[٨]. قال الله:

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٠.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٠ و ٦٩٦.

٣ـ في النسخة زيادة: «على أنّه».

٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٨.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٣.

٦ـ الكافي ١ / ٤١٥، ح ١٧.

٧ـ المصدر: أبى إلّا أن يجري.

٨ـ المصدر: لابدّ له من استيفاء مدد غيباتهم.

«لتركبنّ طبقاً عن طبق». أي سير من كان قبلكم.(۱)

[۲۰] «فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ».

«فما لهم». يعني كفّار قريش. «لايؤمنون» بمحمّد و القرآن. أي: أيّ شيء لهم إذا لم يؤمنوا؟ و هو استفهام إنكاريّ. أي: لا شيء لهم من النعم و الكرامة إذا لم يؤمنوا. و قيل: معناه: فما وجه الارتياب الذي يصرفهم عن الإيمان؟ و هو تعجّب منهم في تركهم الإيمان. و المراد: أيّ مانع لهم في ترك الإيمان مع وضوح الدلائل. «و إذا قرئ». عطف على قوله: «فما لهم لايؤمنون». أي: ما الذي يصرفهم عن الإيمان و عن السجود لله إذا تلي عليهم القرآن؟ و قيل: معنى لايسجدون: لايصلّون.(۲)

[۲۲ ـ ۲۳] «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ».

«بل الذين كفروا»؛ أي: لم يتركوا الإيمان لقصور في البيان، ولكنّهم قلّدوا أسلافهم في التكذيب بالرسول و القرآن.(۳)

«يوعون»؛ أي: يجمعون في قلوبهم من التكذيب و الشرك. و أصل الإيعاء جعل الشيء في وعاء. و [في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ هذه] القلوب أوعية، فخيرها أوعاها.(٤)

[۲٤ ـ ۲٥] «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ».

«إلّا الذين آمنوا». استثناء منقطع.(٥) أو متّصل، و المراد من تاب و من آمن منهم.(٦)

«غير ممنون»؛ أي: غير مقطوع. و قيل: غير مكدّر بالمنّ.(۷)

۱ـ كمال الدين / ٤۸۰ ـ ٤۸۱، ح ٦.

۲ـ مجمع البيان ۱۰ / ۷۰۱ ـ ۷۰۲.

۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ۷۰۲.

٤ـ مجمع البيان ۱۰ / ۷۰۲.

٥ـ الكشّاف ٤ / ۷۲۸.

٦ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٥۸۳.

۷ـ مجمع البيان ۱۰ / ۷۰۲.

٨٥.
سورة البروج

عن النبيّ ﷺ: من قرأها، أعطاه الله من الأجر بعدد كلّ يوم جمعة و كلّ يوم عرفة في دار الدنيا عشر حسنات.[١]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأها في فرائضه، فإنّها سورة النبيّين، كان محشره و موقفه مع النبيّين و المرسلين عليهم السلام.[٢]

البروج: من قرأها على فراشه أو على منزله عند خروجه، حرس هو ومن في البيت من الأهل و المال. و من قرأها من أوّلها إلى قوله: «الأخدود» كفي شرّ الزنابير.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: انّ للشمس ثلاثمائة و ستّين برجاً كلّ برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب و تنزل كلّ يوم على برج منها. فإذا غابت، انتهت إلى حدّ بطانة العرش فلم تزل ساجدة إلى الغد، ثمّ تردّ إلى موضع مطلعها و معها ملكان يهتفان معها.[٤]

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَ شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ».

«ذات البروج»: قصور السماء لأنّها تنزلها السيّارات.[٥]

«ذات البروج». هي البروج الاثنى عشر. و هي قصور السماء على التشبيه. «و شاهد و

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٣.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٣.
٣ـ المصباح / ٦١٣.
٤ـ الكافي ٨ / ١٥٧، ح ١٤٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٨٤.

مشهود». يعني: شاهد في ذلك اليوم و مشهود فيه. و المراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلّهم، و المشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه.[١]

«ذات البروج». هي منازل الشمس و القمر و الكواكب. «و اليوم الموعود». يعني يوم القيامة. «و شاهد و مشهود». عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام: الشاهد يوم الجمعة. و المشهود يوم عرفة. و سمّي الجمعة شاهداً لأنّه يشهد على كلّ عامل بعمله فيه. و يوم عرفة [مشهود] يشهد الناس فيه موسم الحجّ و يشهده الملائكة. و قيل: شاهد محمّد صلى الله عليه وآله. و المشهود يوم القيامة. و هو المرويّ عن الحسن عليه السلام. لقوله: «يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً»[٢] و قوله: «ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود».[٣] و قيل: الشاهد الحجر. و المشهود الحاجّ. و فيه أقوال كثيره.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «و شاهد و مشهود» قال: النبيّ و أميرالمؤمنين عليهما السلام[٥]

[٤] «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ».

«قتل أصحاب الأخدود»؛ أي: لعنوا بتحريقهم الناس في النار في الدنيا. و المراد به الكافرون الذين حفروا الأخدود و عذّبوا المؤمنين بالنار. و يحتمل أن يكون إخباراً عن المسلمين الذين عذّبوا بالنار في الأخدود. ذكرهم الله و أثنى عليهم بحسن صبرهم. عن سعيد بن جبير قال: لمّا انهزم أهل استبدهان[٦] قال ابن الخطّاب: ما هم يهود و لا نصارى و لا لهم كتاب. و كانوا مجوساً. فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: قد كان لهم كتاب ولكنّه رفع. و ذلك أنّ ملكاً لهم سكر فوقع على ابنته ـ أو قال: على أخته ـ فلمّا أفاق قال لها: كيف المخرج ممّا وقعت فيه؟ قالت: تجمع أهل مملكتك و تخبرهم أنّك ترى نكاح البنات و تجعلهم[٧] أن

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٩.
٢ـ الأحزاب (٣٣) / ٤٥.
٣ـ هود (١١) / ١٠٣.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٧ـ ٧٠٨.
٥ـ معاني الأخبار / ٢٩٩، ح ٧.
٦ـ المصدر: اسفندهان.
٧ـ المصدر: تأمرهم.

يحلّوه. فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه فخدّ لهم أخدوداً في الأرض أوقد فيه النيران و عرضهم عليها، فمن أبى قبول ذلك، رماه في النار، و من أجاب، خلّى سبيله. و روى العيّاشيّ بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: أرسل عليّ عليه السلام إلى أسقف نجران يسأله عن أصحاب الأخدود، فأخبره بشيء. فقال عليه السلام: ليس كما ذكرت، ولكن سأخبرك عنهم. إنّ الله بعث رجلاً حبشيّاً نبيّاً و هم حبشة فكذّبوه. فقاتلهم، فقتلوا أصحابه و أسروه مع أصحابه. ثمّ بنوا له حيراً فملؤوه ناراً و جمعوا الناس فقال: من كان على ديننا و أمرنا، فليعتزل. و من كان على دين هؤلاء، فيلرم نفسه في النار معه. فجعل أصحابه يتهافتون في النار. فجاءت امرأة معها صبيّ لها ابن شهر. فلمّا هجمت على النار، هابت. فنادى الصبيّ: لاتهابي و ارميني و نفسك في النار. فإنّ هذا في الله ـ و الله ـ قليل. فرمت نفسها في النار و صبيّها. و كان ممّن تكلّم في المهد.[1]

فإن قلت: أين جواب القسم؟ قلت: محذوف يدلّ عليه «قتل أصحاب الأخدود». كأنّه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنّهم ملعونون ـ يعني كفّار قريش ـ كما لعن أصحاب الأخدود. و ذلك أنّ السورة وردت في تثبيت المؤمنين و تصبيرهم على أذى أهل مكّة و تذكيرهم بما جرى على من تقدّمهم من التعذيب على الإيمان حتّى يأتسوا بهم و يصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم و يعلموا أنّ كفّارهم عند الله بمنزلة أولئك المحرقين أحقّاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش كما قتل أصحاب الأخدود. و قيل: وقع إلى نجران رجل ممّن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه. فسار إليهم ذونواس اليهوديّ بجنود من حمير فخيّرهم بين النار و اليهوديّة. فأبوا، فأحرق منهم اثني عشر ألفاً في الأخاديد. و قيل: سبعين ألفاً. و ذكر أنّ طول الأخدود أربعون ذراعاً و عرضه اثناعشر ذراعاً.[2]

«قتل أصحاب الأخدود». قيل: إنّه جواب القسم على تقدير: لقد قتل.[3]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٩ و ٧٠٦ ـ ٧٠٧. ٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٢٩ ـ ٧٣١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٨٤.

عنه ﷺ: لمّا مات بخت نصّر و ملك بعده ابنه، أخذ عند ذلك دانيال و حفر له جبّاً في الأرض و طرح فيه دانيال ﷺ و أصحابه و شيعته من المؤمنين فألقى عليهم النيران. فلمّا رأى أنّ النار لاتقربهم و لاتحرقهم، استودعهم الجبّ و فيه الأسد و السباع و عذّبهم بكلّ لون من العذاب حتّى خلّصهم الله منه. و هم الذين ذكر الله في كتابه: «قتل أصحاب الأخدود» ـ الآيات.[١]

[٥] «النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ».

«النار»؛ أي: أصحاب النار أوقدوها لإحراق المؤمنين. و قوله: «ذات الوقود» إشارة إلى كثرة حطب هذه النار و تعظيم لأمرها. فإنّ النار لاتخلو عن وقود.[٢]

«النار». بدل اشتمال من الأخدود. «ذات الوقود». وصف لها بأنّها نار عظيم لها ما يرفع به لهبها من الحطب الكثير و أبدان الناس.[٣]

[٦ ـ ٧] «إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَ هُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ».

«إذ هم عليها». يعني الكفّار على أطراف النار جلوس يعذّبون المؤمنين، أو هم عندها قعود يعرضون [المؤمنين على] الكفر. «و هم»؛ أي: الملك و أصحابه الذين حفروا الأخدود. «شهود»؛ أي: حضور عند النار لتعذيب المؤمنين و إرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم. و قيل: لمّا ألقوا في النار نجّى الله المؤمنين بأن أخذ أرواحهم قبل أن يمسّهم النار و خرجت النار [إلى] من على شفير الأخدود فأحرقت الكفّار.[٤]

و معنى شهادتهم على إحراق المؤمنين أنّهم وكّلوا بذلك و جعلوا شهوداً يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنّ أحداً منهم لم يفرّط فيما أمر به و فوّض إليه من التعذيب. و يجوز أن يراد أنّهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدّون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم

١ـ كمال الدين / ٢٢٦، ح ٢٠.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٣١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٩.

ألسنتهم.[١]

[٨ ـ ٩] «وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

«و ما نقموا منهم»؛ أي: ما أنكروا عليهم ذنباً و ما عابوا منهم شيئاً إلّا إيمانهم. «العزيز»: القادر الذي لايمتنع عليه شيء. «شهيد»: شاهد عليهم لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين فهو ينتصف للمؤمنين منهم.[٢]

[١٠] «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ».

«فتنوا المؤمنين»؛ أي: أحرقوهم و عذّبوهم بالنار. يقال: فتنت الشيء: أحرقته. و الفتين: حجارة سوداء كأنّها محرقة. و أصل الفتنة الامتحان، ثمّ يستعمل في العذاب. «ثمّ لم يتوبوا» من فعلهم ذلك و من الشرك الذي كانوا عليه. «فلهم عذاب جهنّم» بكفرهم «و عذاب الحريق» بما أحرقوا المؤمنين. و يكون المراد بعذاب جهنّم [ألوان العذاب] سوى الإحراق مثل الزقّوم و الغسلين. فيكون ذلك لهم و لهم مع ذلك الإحراق. و قيل: لهم عذاب جهنّم في الآخرة و عذاب الحريق في الدنيا. و ذلك أنّ النار ارتفعت من الأخدود فأحرقتهم.[٣]

[١١] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ».

«إنّ الذين آمنوا». و هم أصحاب الأخدود الذين عذّبوا فيه من المؤمنين. «الفوز

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٣١.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٠٩ ـ ٧١٠.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧١٠ و ٧٠٥.

الكبير»: النجاة العظيم.[۱]

[۱۲] «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ».

«إنّ بطش ربّك» يا محمّد، و هو أخذه الظلمة بالعذاب.[۲]

«إنّ بطش». البطش: الأخذ بالعنف. فإذا وصف بالشدّة فقد تضاعف و هـو بـطشه بالجبابرة.[۳]

[۱۳] «إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ».

«يبدئ» الخلق؛ يخلقهم [أوّلاً في الدنيا] و يعيدهم أحياء بعد الموت للحساب. فليس إمهاله لمن يعصيه لإهماله إيّاه.[٤]

«يبدئ و يعيد»؛ يعني: يبدئ البطش و يعيده. يعني يبطش بهم في الدنيا و في الآخرة. أو دلّ باقتداره على الإبداء و الإعادة على شدّة بطشه.[٥]

[۱٤ ـ ۱٦] «وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ».

«الغفور»: كثير الغفران. «الودود»: يحبّ أولياءه. أو يكون ودود فعول بمعنى مفعول، لأنّ عباده الصالحين يودّونه. «المجيد». بالرفع صفة الله. و هو الأكثر في القراءة. و من كسره، جعله صفة العرش لأنّ المجد معناه الكمال و العلوّ و الرفعة و العرش أكمل [كلّ] شيء. و أهل الكوفة: المجيد بالجرّ، و الباقون بالرفع.[٦]

[۱۷ ـ ۱۸] «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ».

«الجنود»: الذين تجنّدوا على أنبياء الله. أي: هل بلغك أخبارهم؟ و قيل: هل بمعنى قد.

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ۷۱۰.

۲ـ مجمع البيان ۱۰ / ۷۱۰.

۳ـ الكشّاف ٤ / ۷۳۲.

٤ـ مجمع البيان ۱۰ / ۷۱۰.

٥ـ الكشّاف ٤ / ۷۳۲.

٦ـ مجمع البيان ۱۰ / ۷۱۰ ـ ۷۱۱ و ۷۰٤.

«فرعون و ثمود»؛ أي: تذكّر ـ يا محمّد ـ حديثهم تذكّر معتبر كيف كذّبوا أنبياءهم و كيف نزل بهم العذاب و كيف صبر الأنبياء، فاصبر كما صبروا ليأتينّك النصر كما أتاهم.[١]

[١٩ ـ ٢٠] «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَ اللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ».

«بل الذين كفروا» من قومك «في تكذيب» و استيجاب للعذاب. و معنى الإضراب أنّ أمرهم أعجب من أمر أولئك لأنّهم سمعوا بقصصهم و رأوا آثار هلاكهم و لم يعتبروا و كذّبوا أشدّ من تكذيبهم.[٢]

«الذين كفروا» يعني مشركي قريش «في تكذيب» لك. «من ورائهم محيط». معناه أنّهم في قبضة الله و سلطانه لا يفوتونه، كالمحاصر المحاط به من جوانبه لا يمكنه الفوات و الهرب.[٣]

[٢١] «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ».

«مجيد»؛ أي: كريم، لأنّه من كلام الربّ. أي ليس كما يقولون من أنّه شعر و كهانة. «في لوح محفوظ» عند الله. و هو أمّ الكتاب منه ينسخ القرآن و الكتب. و هو الذي يعرف باللّوح المحفوظ. و هو من درّة بيضاء طوله ما بين السماء و الأرض و عرضه ما بين المشرق إلى المغرب. عن ابن عبّاس. و قيل: محلّه عن يمين العرش. نافع: «محفوظ» بالرفع، و الباقون بالجرّ.[٤]

محمّد بن يعقوب النشهليّ قال: حدّثني عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه موسى، عن أبيه محمّد الباقر، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه و آله، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللّوح، عن القلم، قال: يقول الله: ولاية عليّ بن أبي طالب حصني. فمن دخل حصني، أمن من ناري.[٥]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧١١.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٣.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧١١.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧١١ و ٧٠٤.

٥ـ أمالي الصدوق / ١٩٥، ح ٩.

كتب ملك الروم إلى عبدالملك: أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة. لأغزونّك بجنود مائة ألف و مائة ألف و مائة ألف. فكتب عبد الملك إلى الحجّاج أن يبعث إلى زين العابدين عليه السلام بتوعّده و يكتب إليه ما يقول. ففعل، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ لله لوحاً محفوظاً يلحظه في كلّ يوم ثلاثمائة لحظة، ليس فيها لحظة إلّا يحيي فيها و يميت و يعزّ و يذلّ [و يفعل] ما يشاء. و إنّي لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة. فكتب بها الحجّاج إلى عبدالملك، فكتب عبدالملك بذلك إلى ملك الروم. فلمّا قرأه قال: ما خرج هذا إلّا من كلام النبوّة.[1]

«في لوح محفوظ». قال: اللّوح له طرفان؛ طرف عن يمين العرش، و طرف على جبهة إسرافيل. فإذا تكلّم الربّ بالوحي، ضرب اللّوح جبين إسرافيل فينظر في اللّوح فيوحي بما في اللّوح إلى جبرئيل.[2]

١ـ مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٦١.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٤ ـ ٤١٥.

٨٦.
سورة الطارق

عن أبي عبدالله عليه السلام: من كانت قراءته في فرائضه بالسماء و الطارق، كان له عند الله يوم القيامة جاه و منزلة و كان من رفقاء النبيّين و أصحابهم في الجنّة.(١)

و عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطي بعدد كلّ نجم عشر حسنات.(٢)

الطارق: من غسل بمائها الجراح، سكنت و لم تقيّح. و من قرأها على أيّ مشروب كان، أمن فيه من القيء.(٣)

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ * وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ».

«و السماء و الطارق». قال: الطارق النجم الثاقب، و هو نجم العذاب و نجم القيامة، و هو زحل في أعلى المنازل. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: السماء في هذا الموضع أميرالمؤمنين. و الطارق الذي يطرق الأئمّة من عند الله ممّا يحدث باللّيل و النهار، و هو الروح الذي مع الأئمّة يسدّدهم. قلت: «النجم الثاقب» قال: ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه دخل رجل من أهل اليمن فقال له: ما زحل عندكم في النجوم؟ قال اليمانيّ: نجم نحس. فقال عليه السلام: لاتقولنّ هذا. فإنّه نجم الأوصياء عليهم السلام. و هو «النجم الثاقب». فقال له اليمانيّ: فما يعني بالثاقب؟ قال: لأنّ مطلعه في السماء السابعة و أنّه ثقب

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٠، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧١٢.
٣ـ المصباح / ٦١٤.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٥.

بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا. فمن ثمّ سمّاه الله النجم الثاقب.[١]

«النجم الثاقب»: المضيء كأنّه يثقب الظلام بضوئه [فينفذ] فيه. سمّي طارقاً لأنّه يدور باللّيل ـ كما يقال للآتي ليلاً طارق ـ أو لأنّه يطرق الجني؛ أي: يصكّه. و المراد جنس النجوم و جنس الشهب التي يرجم بها. فإن قلت: ما يشبه قوله: «و ما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب» إلّا ترجمة كلمة بأخرى فبيّن لي أيّ فائدة تحته. قلت: أراد الله أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيماً له لما فيه من عجيب القدرة و أن ينبّه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه و بين غيره و هو الطارق، ثمّ فسّره بقوله: «النجم الثاقب». كلّ هذا إظهار لفخامة شأنه. روي أنّ أباطالب كان عند رسول الله ﷺ فانحطّ نجم فامتلأ ما ثمّ نوراً. ففزع أبوطالب و قال: أيّ شيء هذا؟ فقال ﷺ: هذا نجم رمي به. و هو من آيات الله. فنزلت الآية.[٢]

[٤] «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ».

«إن كلّ نفس». هو جواب القسم. لأنّ «لما» إن قرئت مشدّدة، تكون «إن» نافية، و من قرأها مخفّفة، تكون «إن» مخفّفة من المثقّلة و ما زائدة. «عليها حافظ». عنه ﷺ: وكّل بالمؤمن مائة و ستّون ملكاً يذبّون عنه كما يذبّ عن قصعة العسل الذباب. و لو وكّل العبد إلى نفسه طرفة عين، لاختطفه الشياطين.[٣]

[٥ ـ ٦] «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ».

«فلينظر الإنسان». وجه اتّصاله بما قبله هو أنّه لمّا ذكر [أنّ] على كلّ نفس حافظاً أتبعه توصية الإنسان بالنظر في نشأته الأولى حتّى يعلم أنّ من أنشأه قادر على إعادته و جزائه فيعمل ليوم الإعادة و لايملي على حافظه إلّا ما يسرّه في عاقبته. «ممّ خلق». استفهام جوابه: «خلق من ماء دافق». و الدفق: صبّ فيه دفع. و معنى دافق النسبة إلى الدفق الذي

١ـ الخصال / ٤٨٩ ـ ٤٩٠، ح ٦٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٤.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٤.

هو مصدر دفق كاللّابن و التامر، أو الإسناد المجازيّ و الدفق لصاحبه. و لم يقل: ماءين، لاتّحادهما في الرحم.(١)

عنه صلى الله عليه و آله: أمّا العظام و العصب و العروق، فمن الرجل. و أمّا اللّحم و الدم و الشعر، فمن المرأة(٢). ثمّ قال: ماء الرجل أبيض غليظ. و ماء المرأة أصفر رقيق. فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة، كان الولد ذكراً بإذن الله و من قبل ذلك يكون الشبه. و إذا علا ماء المرأة ماء الرجل، خرج الولد أنثى بإذن الله و من قبل ذلك يكون الشبه.(٣)

«من ماء دافق». أهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول. أي: مدفوق؛ نحو كاتم.(٤)

[٧] «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ».

«الصلب»: صلب الرجل. «و الترائب»: ترائب المرأة؛ و هي عظام الصدر حيث تكون القلادة. و قيل: العظم و العصب من الرجل. و اللّحم و الدم من المرأة.(٥)

[٨ ـ ١٠] «إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ».

«إنّه». الضمير للخالق لدلالة «خلق» عليه. «يوم تبلى». منصوب برجعه. و من جعل الضمير في رجعه للماء، فسّره برجعه إلى مخرجه من الصلب و الترائب أو الإحليل أو الحالة الأولى، نصب الظرف بمضمر. «السرائر»: ما أسرّ في القلوب من العقائد و النيّات و غيرهما و ما أخفي من الأعمال. و بلاؤها تصفّحها و التمييز بين ما طاب منها و ما خبث. «فما له»؛ أي: للإنسان «من قوّة»: من منعة في نفسه يمتنع بها «و لا ناصر» ينصره.(٦)

«تبلى السرائر». قيل: يظهر الله أعمال كلّ أحد لأهل القيامة حتّى يعلموا [على أيّ شيء أثابه و يكون فيه زيادة سرور له. و إن كان من أهل العقوبة يظهر عمله ليعلموا] على أيّ

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٥.
٢ـ الاحتجاج / ٤٣.
٣ـ الاحتجاج / ٥٠. جمع المصنّف رحمه الله بين فقرتين من روايتين مختلفتين عن النبيّ صلى الله عليه و آله.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧١٥.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٥.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٥ ـ ٧٣٦.

شيء عاقبه و يكون ذلك زيادة غمّ له. روى معاذ بن جبل عنه صلى الله عليه و آله: ضمن الله الخلق أربع خصال: الصلاة و الزكاة و صوم شهر رمضان و الغسل من الجنابة. و هي السرائر التي قال الله: «تبلى السرائر». و في حديث آخر عنه صلى الله عليه و آله قال: سرائركم هي أعمالكم. لأنّ الأعمال كلّها سرائر خفيّة. فإن شاء الرجل قال: صلّيت، و لم يصلّ. و إن شاء قال: توضّأت، و لم يتوضّأ. فذلك قوله: «يوم تبلى السرائر».(١)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير: و هذا يوم كمال الدين و يوم ابتلاء السرائر.(٢)

[١١ ـ ١٢] «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ».

«ذات الرجع»: ترجع في كلّ دورة إلى الموضع الذي تحرّك عنه.(٣)

«ذات الرجع». مصدر رجع. سمّي المطر رجعاً لأنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثمّ ترجعه إلى الأرض و أرادوا التفوّل فسمّوه رجعاً ليرجع. أو لأنّ الله يرجعه وقتاً فوقتاً. «الصدع»: ما يتصدّع عنه الأرض من النبات.(٤)

[١٣ ـ ١٤] «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ».

«إنّه»؛ أي: القرآن «لقول فصل»: فاصل بين الحقّ و الباطل. «بالهزل». يعني أنّه جدّ كلّه لا رفق و لا لين و لا ميل فيه. وصفه بذلك ليكون مهيباً في الصدور معظماً في القلوب يترفّع به قارئه و سامعه أن يلمّ بهزل أو يتفكّه بمزاح. فقد نعى على المشركين في قوله: «و تضحكون و لا تبكون»(٥).(٦)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧١٥. و قد روي فيه الحديث الأوّل عن أبي‌الدرداء و الثاني عن معاذ.

٢ـ المصباح للكفعمي / ٩٢٣ ـ ٩٢٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٨٨.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٦.

٥ـ النجم (٥٣) / ٦٠.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٦ ـ ٧٣٧.

[١٥ ـ ١٧] «إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَ أَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً».

«إنّهم يكيدون». يعني أهل مكّة يعملون المكايد في إبطال أمر الله و إطفاء نور الحقّ و أنا أقابلهم بكيدي من استدراجي لهم و انتظاري بهم الميقات الذي وقّته للانتصار منهم. «فمهّل الكافرين»؛ يعني: لاتدع بهلاكهم و لاتستعجل به. «رويداً»؛ أي: إمهالاً يسيراً.[١]

«يكيدون كيداً». قال: كادوا رسول الله و عليّاً و فاطمة عليهم السلام. «فمهّل» يا محمّد. «أمهلهم رويداً» لوقت بعث القائم فينتقم لي من الجبّارين و الطواغيت من بني أميّة و قريش و سائر الناس.[٢]

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٧.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٦.

٨٧.
سورة الأعلى

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الأعلى في فريضة أو نافلة، قيل له يوم القيامة: ادخل الجنّة من أيّ باب شئت، إن شاء الله تعالى.[١] و الواجب على كلّ مؤمن إذا كان لنا شيعة أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة و سبّح اسم ربّك.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام[٣] أنّه قرأ في صلاته عشرين ليلة سبّح اسم ربّك و قال: لو تعلمون ما فيها، لقرأها الرجل كلّ يوم عشرين مرّة. و إنّ من قرأها فكأنّها قرأ صحف إبراهيم و موسى.[٤]

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ حرف أنزل على إبراهيم و موسى و عيسى و محمّد صلوات الله عليهم.[٥]

الأعلى: تقرأ على الأذن الدويّة و على البواسير و على الموضع المنتفخ يزول ذلك.[٦]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى».

سئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن قول الله: «سبّح اسم ربّك الأعلى» فقال: مكتوب على قائم العرش قبل أن يخلق الله السموات و الأرض بألف عام: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له و أنّ

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٠، ح ١.

٢ـ ثواب الأعمال / ١٤٦، ح ١.

٣ـ المصدر: عن أبي حميصة عن عليّ عليه السلام.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧١٧.

٥ـ المصباح / ٥٩٨.

٦ـ المصباح / ٦١٤.

محمّداً عبده و رسوله فاشهدوا بهما و انّ عليّاً وصيّ محمّد عليه السلام.[١]

«سبّح اسم ربّك». تسبيح اسمه تنزيهه عمّا لايصحّ فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالجبر و التشبيه؛ مثل أن يفسّر الأعلى بمعنى العلوّ الذي هو القهر و الاقتدار لا بمعنى العلوّ في المكان و الاستواء على العرش حقيقة، و أن يصان عن الابتذال و الذكر لا على وجه الخشوع و التعظيم. و يجوز أن يكون الأعلى صفة للربّ و الاسم. و قرأ علي عليه السلام: «سبحان ربّي الأعلى».[٢]

[٢ ـ ٣] «الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ».

«خلق» كلّ شيء «فسوّى» خلقه تسوية و لم يأت بها متفاوتاً ولكن على إحكام و اتّساق و دلالة على أنّه صنعة حكيم. « قدّر فهدى »: قدّر لكلّ حيوان ما يصلحه فهداه إليه و عرّفه وجه الانتفاع به.[٣]

[٤ ـ ٥] «وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ».

«أخرج المرعى»: أنبته «فجعله» بعد خضرته و رفيفه «غثاء»؛ أي: هشيماً «أحوى»؛ أي: أسود. و يجوز أن يكون أحوى حالاً من المرعى. أي: أخرجه أسود من شدّة الخضرة فجعله غثاء بعد حويّه.[٤]

[٦ ـ ٧] «سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مَا يَخْفَىٰ».

«سنقرئك فلاتنسى» بشّره الله بإعطاء آية بيّنة وهي أن يقرأ عليه جبرئيل ما يقرأ عليه من الوحي و هو أمّيّ لايقرأ فيحفظه و لاينساه. «إلّا ما شاء الله» فذهب به عن حفظه برفع حكمه و تلاوته. و قيل: كان يعجل بالقرآن إذا لقّنه جبرئيل، فقيل: لاتعجل؛ فإنّ جبرئيل

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٧.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٧ ـ ٧٣٨.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٧ ـ ٧٣٨.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٨.

مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكرّرة إلى أن تحفظه ثمّ لاتنساه إلّا ما شاء الله ثمّ تذكره بعد النسيان. أو قال: إلّا ما شاء الله، و الغرض نفي النسيان رأساً. «يعلم الجهر». يعني: انّك تجهر بالقراءة مع قراءة جبرئيل مخافة التفلّت. و الله يعلم جهرك معه و ما في نفسك ممّا يدعوك إلى الجهر. فلاتفعل؛ فأنا أكفيك ما تخافه. أو: [يعلم] ما أسررتم و ما أعلنتم من الأقوال و الأفعال، فينسي من الوحي ما يشاء و يترك محوطاً ما يشاء.(١)

[٨] «وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرىٰ».

«نيسّرك». عطف على «سنقرئك». و قوله: «إنّه يعلم الجهر» اعتراض. و معناه: و نوفّقك للطريقة التي هي أيسر و أسهل. يعني حفظ القرآن بالوحي. و قيل: للشريعة التي هي أيسر الشرائع و أسهلها مأخذاً. و قيل: نوفّقك لعمل الجنّة.(٢)

[٩] «فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرىٰ».

«إن نفعت الذكرى». فإن قلت: كان مأموراً بالذكرى نفعت أو لم تنفع. فما معنى اشتراط النفع؟ قلت: هو على وجهين. أحدهما: انّ رسول الله صلى الله عليه و آله قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم و ماكانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلّا طغياناً وكان يزداد جدّاً في تذكيرهم و حرصاً عليه فقيل: «فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد».(٣) «فذكّر إن نفعت الذكرى». و ذلك بعد إلزام الحجّة بتكرّر التذكير. و الثاني أن يكون ظاهره شرطاً و معناه ذمّاً للمذكّرين و إخباراً عن حالهم و استبعاداً لتأثير الذكرى فيهم و تسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم. فيكون القصد بهذا الشرط استبعاد ذلك و أنّه لن يكون.(٤)

«إن نفعت الذكرى». أي و إن لم تنفع؛ من باب: «سرابيل تقيكم الحرّ»(٥) أي و سرابيل

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٨ ـ ٧٣٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٩.
٣ـ ق (٥٠) / ٤٥.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٩.
٥ـ النحل (١٦) / ٨١.

تقيكم البرد.[١]

[١٠] «سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ».

«سيذّكّر»؛ أي: سيتّعظ بالقرآن من يخاف الله.[٢]

«سيذّكّر»؛ أي: يقبل التذكّر و ينتفع بها «من يخشى» الله. فأمّا هؤلاء فغير خاشعين.[٣]

[١١] «وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى».

«و يتجنّبها»؛ أي: الذكرى و الموعظة. «الأشقى»؛ أي: أشقى العصاة. فإنّ للعاصين درجات في الشقاوة، فأعظمهم من كفر بالله و عبد غيره.[٤]

«الأشقى»؛ أي: الكافر. لأنّه أشقى من الفاسق. أو: الذي هو أشقى الكفرة لتوغّله في عداوة رسول الله. و قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة و عتبة بن ربيعة.[٥]

[١٢ ـ ١٣] «الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرىٰ * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يَحْيىٰ».

«يصلى النار»؛ أي: يلزم النار. «الكبرى»: العظمى. و هي نار جهنّم. و النار الصغرى نار الدنيا. و قيل: النار الكبرى الطبقة السفلى من جهنّم.

«ثمّ لايموت فيها» فيستريح «و لايحيى» حياة ينتفع بها، بل [صارت] حياته وبالاً عليه. و قيل: «و لايحيى»؛ أي: لايجد روح الحياة.[٦]

[١٤ ـ ١٥] «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّٰى * وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّٰى».

«أفلح»؛ أي: فاز «من تزكّى»؛ أي: تطهّر من الشرك. أو: من صار زاكياً بالأعمال الصالحة. و قيل: أعطى زكاة ماله. و قيل: أراد صدقة الفطرة و صلاة العيد. و متى قيل: على

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢١.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢١.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٣٩ ـ ٧٤٠.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢١.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٤٠.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢١.

هذا القول كيف يصحّ ذلك و السورة مكّيّة و لم يكن هناك صلاة عيد و لا زكاة قطّ؟ قلنا: يحتمل أن يكون أوائلها بمكّة و ختمت بالمدينة. «و ذكر اسم ربّه فصلّى»؛ أي: وحّد الله. و قيل: ذكر الله بقلبه عند صلاته فرجا ثوابه و خاف عقابه. و قيل: أن يفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم و يصلّي الصلوات الخمس المكتوبة.(١)

سئل الصادق عليه السلام عن قول الله: «قد أفلح من تزكّى». قال: من أخرج زكاة الفطرة. و قيل: «و ذكر اسم ربّه فصلّى»؟ قال: خرج إلى الجبّانة فصلّى.(٢)

[١٦ ـ ١٧] «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ❁ وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقَىٰ».

«بل تؤثرون». يعني الكفّار. أي: تعملون للدنيا و تتركون العمل للآخرة. و قيل: عامّ في المؤمن و الكافر، بناء على الأعمّ الأغلب في أمر الناس. «و الآخرة»؛ أي: و الدار الآخرة هي الجنّة. «و أبقى»: و أدوم من الدنيا.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «بل تؤثرون الحياة الدنيا» قال: ولايتهم. «و الآخرة خير و أبقى». قال ولاية عليّ عليه السلام.(٤)

[١٨ ـ ١٩] «إِنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ❁ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ».

«إنّ هذا» الذي ذكر من قول الله: «قد أفلح» إلى أربع آيات، لفي الكتب التي أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المصلّي و المتزكّي و إيثار الخلق الأولى على الآخرة. و قيل: معناه أنّ من تزكّى و ذكر اسم ربّه فصلّى، فهو ممدوح في الصحف الأولى، كما هو ممدوح في القرآن. و عن أبي ذرّ قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ فقال: مائة ألف نبيّ و أربعة و عشرون ألفاً. المرسلون منهم ثلاثمائة و ثلاثة عشر. و أربعة منهم عرب: هود و صالح و شعيب و نبيّك. قلت: كم أنزل [الله] من كتاب؟ قال: مائة و أربعة كتب. أنزل منها على آدم عشرة صحف،

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢١ ـ ٧٢٢.
٢ـ الفقيه ١ / ٣٢٣، ح ١٣٧٨.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٢.
٤ـ الكافي ١ / ٤١٨، ح ٣٠.

و على شيث خمسين صحيفة، و على إدريس ثلاثين صحيفة و هو أوّل من خطّ بالقلم، و على إبراهيم عشر صحائف، و التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان. و قيل: إنّ كـتب الله تعالى كلّها أنزلت في شهر رمضان.[١]

عن أبي ذرّ قال: قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم عليه السلام ؟ قال: كانت أمثالاً.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: صحف إبراهيم و موسى هي الألواح.[٣]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٢.

٢ـ نورالثقلين ٥ / ٥٦١، عن كتاب جعفر بن محمّد الدوريستيّ.

٣ـ بصائر الدرجات / ١٥٧، ح ٨.

٨٨.
سورة الغاشية

عن أبي عبدالله عليه السلام: من أدمن قراءة الغاشية في فريضة أو نافلة، غشاه الله برحمته في الدنيا و الآخرة و آتاه الأمن يوم القيامة من عذاب النار.(١)

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، حاسبه الله حساباً يسيراً.(٢)

الغاشية: إذا قرئت على مأكول، أمن فيه من النكد، و على ما يولد، سلّمه الله تعالى.(٣)

[١ ـ ٤] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلىٰ نَاراً حَامِيَةً».

«هل أتاك». خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله. يريد: قد أتاك حديث القيامة. لأنّها تغشى الناس أهوالها بغتة. و قيل: الغاشية النار. «تغشى وجوههم النار».(٤) «خاشعة»: ذليلة بالعذاب الذي يغشاها. و المراد أهل الوجوه. ذكر الوجوه لأنّ الذلّ يظهر فيها. و قيل: المراد بالوجوه الكبراء. تقول: جاءني وجوه بني تميم، يعني ساداتهم. و قيل: عنى بها وجوه الكفّار لأنّها تكبّرت عن عبادة الله. «عاملة ناصبة» فيها. لأنّها لم تعمل لله في الدنيا فأعملها و أنصبها ـ أي: أتعبها ـ في النار بمعالجة السلاسل و الأغلال. قيل: إنّهم يكلّفون ارتقاء جبل من حديد في النار. أو: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في النار يوم القيامة. أو: إنّها عاملة ناصبة في الدنيا يعملون و يتعبون على خلاف ما أمرهم الله، و هم أهل البدع و الآراء

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٠، ح ١.

٢ـ المصباح / ٥٩٨.

٣ـ المصباح / ٦١٤.

٤ـ إبراهيم (١٤) / ٥٠.

الباطلة. «حامية»: قد حميت فهي تتلظّى على أعداء الله. أهل البصرة: «تصلى» بضمّ التاء.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام [قلت:] «هل أتاك حديث الغاشية»؟ قال: يغشاهم القائم عليه السلام بالسيف. قلت: «خاشعة»؟ قال: خاضعة لاتطيق الامتناع. قلت: «عاملة»؟ قال: عملت بغير ما أنزل الله. قلت: «ناصبة»؟ قال: نصبت غير ولاة الأمر. قلت: «ناراً حامية»؟ قال: نار الحرب في الدنيا على عهد القائم [و] في [الآخرة] نار جهنّم.[٢]

و في حديث آخر عنه عليه السلام قال: «الغاشية» الذين يغشون الإمام عليه السلام.[٣]

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: كلّ ناصب ـ و إن تعبّد و اجتهد ـ منسوب إلى هذه الآية: «عاملة ناصبة» ـ الآية.[٤]

[«عاملة ناصبة». و هم»] الذين خالفوا دين الله و صلّوا و صاموا و نصبوا لأميرالمؤمنين عليه السلام. و هو قوله: «عاملة ناصبة» فلاتقبل أعمالهم.[٥]

[٥] «تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ».

«من عين آنية»؛ أي: حارّة قد بلغت إناها و انتهت حرارتها. [قال الحسن:] قد أوقدت عليها جهنّم منذ خلقت فدفعوا إليها عطاشاً.[٦]

«آنية». قال: لها أنين من شدّة حرّها.[٧]

[٦ـ٧] «لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَ لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ».

«ضريع». هو نوع من الشوك و أهل الحجاز يسمّونه الضريع إذا يبس. قال رسول الله صلى الله عليه و آله: الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك أمرّ من الصبر و أنتن من الجيفة و

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٥ ـ ٧٢٦ و ٧٢٤.
٢ـ الكافي ٨ / ٥٠، ح ١٣.
٣ـ الكافي ٨ / ١٧٨، ح ٢٠١.
٤ـ الكافي ٨ / ٢١٣، ح ٢٥٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٨.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٦.
٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٨.

أشدّ حرّاً من النار. قيل: إنّ الله يرسل على أهل النار الجوع حتّى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصّة. «لايسمن»؛ أي: لايدفع جوعاً و لايسمن أحداً. [قاله] ردّاً لقول الكفّار إنّ إبلنا تسمن من الضريع. و كذبوا في ذلك لأنّ الإبل لاترعاه.(١)

«ضريع». قال: عرق أهل النار و ما يخرج من فروج الزواني.(٢)

[٨ ـ ١١] «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً».

«ناعمة»: منعمة في اللذّات ظاهر عليها أثر النعمة و السرور. «لسعيها» في الدنيا «راضية» حين أعطيت الجنّة بعملها. «عالية»: مرتفعة القصور و الدرجات. «لاغية»؛ أي: كلمة ساقطة لا فائدة فيها. أهل البصرة: «لاتسمع» بضمّ التاء و «لاغيةٌ» بالرفع.(٣)

[١٢] «فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ».

«فيها»؛ أي: في تلك الجنّة. «عين جارية». عين اسم جنس. و العيون تجري من كلّ شراب يشتهيه و فيها من اللذّة و المنفعة ما لايكون في الواقفة.(٤)

[١٣ ـ ١٦] «فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَ أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَ نَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَ زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ».

«فيها»؛ أي: في تلك الجنّة «سرر مرفوعة» ألواحها من ذهب مكلّلة بالزبرجد و الدرّ و الياقوت مرتفعة. فإذا أراد أن يجلس عليها، تواضعت له حتّى يجلس عليها، ثمّ يرتفع إلى موضعها. و السرر: جمع سرير و هو مجلس السرور. و قيل: إنّما رفعت ليرى المؤمنون

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٦.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٨.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٦ ـ ٧٢٧ و ٧٢٤.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٧.

بجلوسهم عليها جميع ما حولهم من الملك. «و أكواب موضوعة» على حافة العيون الجارية كلّما أراد المؤمن شربها وجدها مملوّة. و هي الأباريق ليس لها خراطيم و لا عرّى تـتّخذ للشراب. و قيل: هي أواني الشراب من الذهب و الفضّة و الجواهر يتمتّعون بالنظر إليها بين أيديهم و يشربون بها. «و نمارق مصفوفة»؛ أي: وسائد يتّصل بـعضها بـبعض. «و زرابيّ مبثوثة». و هي البسط الفاخرة. و المبثوثة: المنشورة. أو إنّها مفرّقة بالمجالس.(١)

«و نمارق مصفوفة». قال: البسط و الوسائد. «و زرابيّ». قال: كلّ شيء خـلقه الله في الجنّة ، له مثال في الدنيا إلّا الزرابيّ؛ فإنّه لايدرى ما هي.(٢)

«مرفوعة». من رفعة المقدار. و قيل: مخبوءة لهم. من رفع الشيء، إذا خبأه. «و زرابيّ». هي الطنافس التي لها خمل رقيق. جمع زربيّة.(٣)

[١٧] «أَ فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ».

و لمّا نعت الله الجنّة و ما فيها، عجب من ذلك أهل الضلال، فأنزل: «أفلاينظرون إلى الإبل»؛ أي: أفلاينظرون إلى ما أخرج الله من ضروعها من بين فرث و دم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين؟ يعني: فكما صنعت هذا لهم [فكذلك] أصنع لأهل الجنّة في الجنّة. و قيل: معناه: أفلايعتبرون بنظرهم إلى الإبل و ما ركّب الله فيها و انقيادها للولد الصغير و بروكها للحمل ليستدلّوا على توحيد الله بذلك؟ و سئل الحسن [عن هذه الآية و قيل له:] إنّ الفيل أعظم من الإبل. فقال: أمّا الفيل، فالعرب بعيدة العهد بها؛ ثمّ هو خنزير لايركب ظهرها و لايؤكل لحمها و لايحلب درّها. عن عليّ عليه السلام أنّه قرأ: «خلقت» و «رفعت» و «نصبت» و «سطحت» بفتح أوائلها و ضمّ التاء.(٤)

[١٨ ـ ٢٠] «وَ إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَ إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَ إِلَى الْأَرْضِ

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٧.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٨.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٤٤.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٧ ـ ٧٢٨ و ٧٢٤.

كَيْفَ سُطِحَتْ».

«كيف رفعت» فوق الأرض و جعل بينهما الفضاء الذي به قوام الخلق و حياتهم. «نصبت» أوتاداً للأرض و لولاها لمادت بأهلها. «سطحت»؛ أي: بسطت. و لو تفكّروا فيها، لعلموا أنّ لها صانعاً.(١)

[٢١ ـ ٢٢] «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ».

«فذكّر» يا محمّد. أي: عرّفهم بالبيان. «مذكّر» لهم بنعم الله عندهم و ما يجب عليهم في مقابلتها من الشكر. «بمصيطر»؛ أي: لست عليهم بمتسلّط تسلّطاً يمكنك أن تدخل الايمان في قلوبهم و تجبرهم عليه.(٢)

«بمصيطر». عن الكسائيّ بالسين على الأصل، و حمزة بالإشمام.(٣)

[٢٣ ـ ٢٤] «إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ».

«إلّا من تولّى». استثناء منقطع. «تولّى»؛ أي: أعرض عن الذكر. فكل أمره إلى الله. و قيل: معناه: إلّا من تولّى و كفر فلست له بمذكّر لأنّه لايقبل منك. «العذاب الأكبر»: الخلود في النار.(٤)

[٢٥ ـ ٢٦] «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ».

«إيابهم»؛ أي: مصيرهم بعد الموت. فلايهمّنّك أمرهم، و إن آذوك، فإنّ مرجعهم إلينا.

«إيابهم». أبوجعفر بالتشديد.(٥)

قرأ أبوجعفر: «إيّابهم» بالتشديد. و وجهه أن يكون فيعالاً مصدر أيّب فيعل من الإياب؛ أو أن يكون أصله إوّاباً فعّالاً من أوّب، ثمّ قيل إيواباً كديوان في دوّان، ثمّ فعل به ما

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٨.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٢.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٨ ـ ٧٢٩ و ٧٢٥.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٢٩ و ٧٢٤.

فعل بأصل سيّد.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة، وكلنا الله بحساب شيعتنا. فما كان لله، سألنا الله أن يهبه لنا، فهو لهم. و ما كان للآدميّين، سألنا الله أن يعوّضهم بدله، فهو لهم. و ما كان لنا، فهو لهم. ثمّ قرأ: «إنّ إلينا إيابهم» ـ الآيات.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام: إذا كان يوم القيامة، جمع الأوّلين و الآخرين لفصل الخطاب. فيدعى رسول الله فيكسى حلّة ورديّة و يكسى عليّ مثله. ثمّ يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس. فنحن ـ و الله ـ ندخل أهل الجنّة الجنّة و أهل النار النار.[٣]

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٤٥.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٨٨، ح ٤.
٣ـ الكافي ٨ / ١٥٩، ح ١٥٤.

٨٩.
سورة الفجر

عن أبي عبدالله: اقرؤوا سورة الفجر في فرائضكم و نوافلكم. فإنّها سورة الحسينعليه السلام. من قرأها، كان معهعليه السلام يوم القيامة في درجته في الجنّة.[١]

من قرأها إحدى عشرة مرّة على ذكره ثمّ جامع، رزق ولداً تقرّ عينه به.[٢]

عنهصلى الله عليه وآله: من قرأها في ليالي عشر ذيالحجّة، غفر الله له. و من قرأها في سائر الأيّام، كانت له نوراً في القيامة.[٣]

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ الْفَجْرِ * وَ لَيَالٍ عَشْرٍ * وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ».

«و الفجر». أقسم سبحانه بفجر النهار. و قيل: أراد بالفجر النهار كلّه. عن ابنعبّاس. «و ليال عشر». يعني من ذيالحجّة. و روي ذلك مرفوعاً. «و الشفع و الوتر». قيل: الشفع الخلق. لأنّه قال: «و خلقناكم أزواجاً».[٤] و الوتر الله تعالى. و هو مرويّ عنهصلى الله عليه وآله. و قيل: الشفع و الوتر الصلاة؛ منها شفع و منها وتر. و هو مرويّ عنه أيضاً. و قيل: الشفع يوم النحر. و الوتر يوم عرفة. و هو مرويّ أيضاً عنه. و قيل: الشفع يوم التروية. و الوتر يوم عرفة. و روي ذلك عن أبي جعفر و أبي عبداللهعليهما السلام.[٥]

عن أبي عبداللهعليه السلام: الفجر هو القائم. و اللّيالي العشر الأئمّةعليهم السلام من الحسن إلى الحسن. و

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٠، ح ١.
٢ـ المصباح / ٦١٤.
٣ـ المصباح / ٥٩٨.
٤ـ النبأ (٧٨) / ٨.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٥ ـ ٧٣٦.

الشفع أميرالمؤمنين و فاطمة عليهما السلام و الوتر هو الله. و اللّيل دولة حبتر، تسري إلى قيام القائم عليه السلام.(١)

«و ليال عشر». هي عشر ذي‌الحجّة. فإن قلت: فما بالها منكّرة من بين ما أقسم به؟ قلت: لأنّها ليال مخصوصة من بين جنس اللّيالي العشر بعض منها، أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها. و [إن قلت: فهلّا عرّفت بلام العهد لأنّها ليال معلومة معهودة؟ قلت:] لو عرّفت بلام العهد، لم تستقلّ بمعنى الفضيلة التي في التنكير. و لأنّ الأحسن أن يكون اللّامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الإلغاز و التعمية.(٢)

«و الفجر». أقسم سبحانه بفجر النهار و هو انفجار الصبح كلّ يوم. و جواب القسم قوله: «إنّ ربّك لبالمرصاد». و قيل: جوابه محذوف. أي: ليقبضنّ على كلّ ظالم. أو: ليقتصّنّ كلّ مظلوم من ظالمه. أما رأيت كيف فعلنا بعاد و فرعون و ثمود لمّا ظلموا؟ «و الشفع و الوتر». قيل: الشفع عليّ و فاطمة. و الوتر محمّد صلى الله عليه و آله.(٣)

و في حديث آخر: الشفع الحسن و الحسين. و الوتر أميرالمؤمنين عليهم السلام.(٤)

[٤] «وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ».

«و اللّيل». أراد جنس اللّيل إذا مضى بظلامه فيذهب حتّى ينقضي بالضياء. و قيل: إذا يسري: إذا جاء و أقبل إلينا. و قيل: المراد بها ليلة المزدلفة، و خصّها لاجتماع الناس فيها بطاعة الله. و فيها يسري الحاجّ من عرفة إلى مزدلفة.(٥)

«و اللّيل إذا يسر». قال: ليلة الجمعة.(٦)

[٥] «هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ».

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٩٢، ح ١.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٤٦.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٥ ـ ٧٣٦.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٩.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٦ ـ ٧٣٧.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٩.

«هل في ذلك»؛ أي: هل فيما ذكر من الأقسام مقنع لذي عقل و لبّ يعقل القسم و المقسم به. و هذا تعظيم لما وقع القسم به. و المعنى: انّ من كان ذا لبّ، علم أنّ ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه دلائل على توحيد الله توضح عن بدائع حكمته.[١]

و قوله: «لذي حجر». يقول: لذي عقل.[٢]

[٦ ـ ٨] «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ».

ثمّ اعترض بين القسم و جوابه بقوله: «ألم تر كيف» ـ الآية. خطاب للنبيّ ﷺ. و عاد قوم هود. و إرم اسم لقبيلته. قال أبوعبيدة: هما عادان. فالأولى هي إرم؛ و هي التي قال الله فيهم: «و أنّه أهلك عاداً الأولى».[٣] و قيل: هو جدّ عاد و هو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. و قيل: إرم اسم بلد. و قيل: هو دمشق. و قيل: مدينة الإسكندريّة. و قيل: هو لقب عاد و كان يعرف به. و قرأ الحسن: «بعاد إرم» على الإضافة و قال: هو اسم آخر لعاد. و من جعله بلداً فالتقدير: بعاد صاحب إرم. و قوله: «ذات العماد» يعني أنّهم كانوا أهل عمد سيّارة في الربيع فإذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم. و قيل: معناه: ذات الطول و الشدّة. من قولهم: رجل طويل العماد. و هم الذين قالوا: «من أشدّ منّا قوّة».[٤] و قيل: «ذات العماد»؛ أي: ذات الأبنية العظام. و أمّا قصّة إرم ذات العماد، فقال وهب بن منبّه: إنّه خرج عبدالله بن قلابة في طلب إبل له. فبينما هو في صحارى عدن، إذ قد طلع على مدينة عليها حصن و حول الحصن قصور. فلمّا دخلها، إذا هو ببابين عظيمين و البابان مرصّعان بالياقوت الأبيض و الأحمر. [فلمّا رأى ذلك...] و إذا [هو] قصور كلّ قصر فوقه غرفة مبنيّة بالذهب والفضّة و اللّؤلؤ و الياقوت مفروشة باللّآلي و بنادق المسك. [فلمّا رأى الرجل ما رأى... ثمّ نظر إلى الأزقّة] و إذا فيها أشجار مثمرة و أنهار مطّردة يجري ماؤها من قنوات من فضّة. فقال

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٧.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤١٩.
٣ـ النجم (٥٣) / ٥٠.
٤ـ فصّلت (٤١) / ١٥.

الرجل: هذه الجنّة التي وصفها الله في كتابه. فحمل من لؤلؤها و مسكها و لم يستطع أن يقلع من زبرجدها و لا من ياقوتها. فرجع إلى اليمن و اتّصل خبره بمعاوية فأحضره و قصّ عليه القصّة. فبعث إلى كعب الأحبار و قال: هل في الدنيا مدينة من ذهب و فضّة؟ قال: نعم، مدينة بناها شدّاد بن عاد و هي إرم ذات العماد التي في القرآن. و قال: إنّ عاداً الأولى ليس بعاد قوم هود. و إنّما هود و قومه ولد لذلك. و كان عاد له ابنان شدّاد و شديد. فهلك عاد فبقيا و ملكا البلاد و قهرا. و مات شديد و ملك شدّاد وحده و دانت له ملوك أهل الأرض فدعته نفسه إلى بناء مثل الجنّة عتوّاً على الله. فأمر بصنعة المدينة إرم ذات العماد. و أمر على صنعتها مائة قهرمان مع كلّ قهرمان ألف من الأعوان. و كتب إلى كلّ ملك في الدنيا أن يجمع ما في بلده من الجواهر. فلمّا فرغوا من بنائها، جعلوا عليها حصناً و حول الحصن ألف قصر. ثمّ سار الملك إليها في جنده. فلمّا كان منها على مسيرة يوم و ليلة، بعث الله عليهم صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً و سيدخلها رجل في زمانك من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال يخرج في طلب إبل له. و الرجل عند معاوية، فالتفت إليه و قال: هو هذا.[١]

«ذات العماد». إذا كانت إرم صفة للقبيلة، فالمعنى أنّهم كانوا بدويّين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة. و إن كانت صفة للبلدة، فالمعنى ذات أساطين.

«لم يخلق مثلها»: مثل عاد «في البلاد» عظم أجرام و قوّة. كان [طول] الرجل منهم أربعمائة ذراع و كان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحيّ فيهلكهم.[٢]

[٩] «وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ».

«و ثمود»؛ أي: كيف فعل بثمود الذي قطعوا الصخر و بنوها بواد القرى و كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً؟[٣]

«جابوا الصخر بالواد». بنوا ألفاً و سبعمائة مدينة كلّها من الحجارة.[٤]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٧ ـ ٧٣٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٤٧ ـ ٧٤٨.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٨ ـ ٧٣٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٤٨.

[١٠] «وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ».

«و فرعون»: و كيف فعل بفرعون ذي الأوتاد؛ أي: صاحب الجنود الذين كانوا يشيّدون أمره. و قيل: كان يشدّ الرجل بأربعة أوتاد على الأرض إذا أراد تعذيبه.(١)

[١١ ـ ١٢] «الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ».

«طغوا في البلاد»؛ أي: تجبّروا فيها على الأنبياء. «و أكثروا فيها الفساد» من القتل و المعاصي.(٢)

[١٣] «فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ».

«سوط عذاب»؛ أي: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب. و قيل: صبّ عليهم قسط عذاب.(٣)

«سوط عذاب». ذكر السوط إشارة إلى أنّ ما أحلّه بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعدّ لهم في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذّب به.(٤)

[١٤] «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ».

«لبالمرصاد»؛ أي: على طريق العذاب، لايفوته أحد كما لايفوت من هو بالمرصاد. و عن عليّ عليه السلام أنّه قال: المرصاد قنطرة على الصراط لايجوزها عبد بمظلمة أحد.(٥)

«المرصاد»: المكان الذي يترقّب فيه الرصد. من رصده، كالميقات من وقته. و هذا مثل لإرصاد العصاة بالعقاب و أنّهم لايفوتونه.(٦)

[١٥] «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٩.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٩.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٤٨.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٩.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٧٤٨.

«ابتلاه ربّه»: اختبره و امتحنه. «فأكرمه» بالمال «و نعّمه» بالإفضال. «أكرمن»؛ أي: فيفرح و يقول: ربّي أعطاني ذلك لكرامتي عنده.[1]

فإن قلت: فقد قال: «فأكرمه» فأثبت إكرامه، ثمّ أنكر قوله: «ربّي أكرمن» و ذمّه عليه كما ذمّه على قوله: «أهانن». قلت: إنّما ذمّه على قوله: «أكرمن» لأنّه قال على قصد خلاف ما صحّحه الله عليه و أثبته، و هو قصده إلى أنّ الله أعطاه إكراماً له مستحقّاً و مستوجباً على عادة افتخارهم و جلالة أقدارهم عندهم. كقوله: «إنّما أوتيته على علم عندي».[2] و إنّما أعطاه الله على وجه التفضّل من غير استيجاب منه له و لا سابقة ممّا لا يعتدّ الله إلّا به و هو التقوى دون الأنساب التي كانوا يفتخرون بها و يرون استحقاق الكرامة من أجلها.[3]

ابن‌عامر و الكوفيّون: «أكرمن» و «أهانن» بغير ياء في الوقف و الوصل. و وافقهم نافع في الوقف.[4]

[١٦] «وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ».

«و أمّا إذا ما ابتلاه» بالفقر «فقدر عليه رزقه»؛ أي: قتّره عليه. «أهانن»؛ أي: فعل بي ذلك بهواني عليه. أبوجعفر: «فقدّر» بالتشديد.[5]

[١٧] «كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ».

«كلّا»؛ أي: ليس كما ظنّ. فإنّي لا أغني المرء لكرامته عليّ و لا أفقره لمهانته عـندي، ولكن أوسّع و أضيّق على ما تقتضيه الحكمة ابتلاء بالشكر و الصبر. و إنّما الإكرام و الإهانة حقيقة بالطاعة و المعصية. ثمّ بيّن ما يستحقّ عليه الهوان. «لاتكرمون»؛ أي: لاتقطعونهم ممّا أعطاكم الله حتّى تغنوهم عن ذلّ السؤال. و قال عليه السلام: أنا و كافل اليتيم كهاتين [في الجنّة. و

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٩.
٢ـ القصص (٢٨) / ٧٨.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٥.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٣٩ ـ ٧٤٠.

أشار بـ] ـالسبّابة و الوسطى. قيل: كان قدامة بن مظعون في حجر أميّة و كان يدفعه عن حقّه. فيكون المعنى أنّكم لاتكرمونه بإيصال ميراثه إليه. أهل البصرة «تكرمون» و ما بعده بالياء.[1]

[١٨] «وَ لَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ».

«و لاتحاضّون»؛ أي: لاتدعون. و هم الذين غصبوا آل محمّد حقّهم و أكلوا مال أيتامهم و فقرائهم و أبناء سبيلهم.[2]

أهل الكوفة و أبوجعفر: «تحاضّون». و الباقون: «تحضّون». «و لاتحاضّون»؛ أي: لايحضّ بعضكم بعضاً على ذلك. و المعنى: انّ الإهانة على ما فعلتموه من ترك إكرام اليتيم و منع الصدقة عن الفقير لا ما توهّمتموه.[3]

[١٩ ـ ٢٠] «وَ تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً * وَ تُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً».

«التراث»؛ أي: الميراث. وقيل: أموال اليتامى. و كان الرجل يأكل نصيبه و نصيب اليتيم. «أكلاً لمّاً»؛ أي: شديداً يلمّون جميعه إلى الأكل. و قيل: هو أن يأكل نصيبه و نصيب غيره. «جمّاً»: كثيراً شديداً. [قيل: يحبّون كثرة المال و] لايبالون أن يجمعوه من غير وجهه.[4]

[٢١] «كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً».

«كلّا»؛ أي: لاينبغي أن يكون الأمر هكذا. و قيل: معناه: لايفعلون ما أمروا به في اليتيم و المسكين. «دكّت الأرض»؛ أي: كسر كلّ شيء على ظهرها من جبل أو بناء أو شجر حتّى زلزلت و لم يبق عليها شيء يفعل [ذلك] مرّة بعد مرّة. و قيل: دقّت جبالها حتّى استوت.[5]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٤٠ و ٧٣١.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٢٠.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٤٠ و ٧٣١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٤٠.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٤٠.

«دكّت الأرض». قال: هي الزلزلة.(١)

[٢٢] «وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً».

«و جاء ربّك»؛ أي: أمر ربّك. و قيل: و جاء ظهور ربّك لضرورة المعرفة. أي زالت الشبهة و ارتفع الشكّ. «صفّاً صفّاً». يريد صفوف الملائكة و أهل كلّ سماء صفّ على حدة.(٢)

[٢٣] «وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّى لَهُ الذِّكْرَىٰ».

«و جيء يومئذ بجهنّم»؛ أي: أحضرت ليرى أهل الموقف هولها. و عن أبي سعيد الخدريّ قال: لمّا نزلت هذه الآية، تغيّر وجه رسول الله ﷺ فأتي إليه عليّ عليه السلام فقال له: بأمّي و أبي؛ ما الذي حدث؟ قال: أقرأني جبرئيل: «و جيء يومئذ بجهنّم». يجيء سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام. فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع. فلايبقى أحد إلّا و يقول: نفسي نفسي، و إنّ محمّداً يقول: أمّتي أمّتي.(٣)

«يتذكّر الإنسان»؛ أي: يتذكّر ما فرّط فيه. أو: يتّعظ. «و أنّى له الذكرى»؛ أي: منفعة الذكرى. و لابدّ من تقدير المضاف، و إلّا فبين «يتذكّر» و بين «أنّى له الذكرى» تناف و تناقض.(٤)

[٢٤] «يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي».

«قدّمت لحياتي» هذه و هي حياة الآخرة. أو: وقت حياتي في الدنيا. و هذا أبين دليل على أنّ الاختيار كان بأيديهم و أنّهم لم‌يكونوا محجورين عن الطاعات مجبّرين على المعاصي كما يقول أهل الأهواء و البدع. و إلّا فما معنى التحسّر؟(٥)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٢٠.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٤١.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٤١.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٢.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٢.

[٢٥ ـ ٢٦] «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَ لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ».

«لايعذّب». قرئ بالفتح «يعذّب» و «يوثق». و هي قراءة رسول الله ﷺ. و عن أبي‌عمرو أنّه رجع إليها في آخر عمره. و الضمير للإنسان الموصوف. و قيل: هو أبيّ بن خلف. أي: لايعذّب أحد مثل عذابه، و لايوثق بالسلاسل و الأغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره و عناده. أو: لايحمل عذاب الإنسان أحد. كقوله: «و لاتزر وازرة وزر أخرى».[1] و قرئ بالكسر و الضمير لله. أي: لايتولّى عذاب الله أحد. لأنّ الأمر لله وحده في ذلك اليوم. أو للإنسان. أي: لايعذّب أحد من الزبانية مثل ما يعذّبونه.[2]

سلمان الفارسيّ قال: قال لي عمر بن الخطّاب: قل ما شئت. أليس قد عزلها الله عن أهل هذا البيت الذين قد اتّخذتموهم أرباباً؟ قال: قلت: فإنّي أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول و قد سألته عن هذه الآية: «فيومئذ لايعذّب عذابه أحد» فقال إنّك أنت هو. فقال: اسكت أيّها العبد يابن اللّخناء! فقال عليّ عليه السلام: اسكت يا سلمان. و الله لولا أنّه أمرني بالسكوت، لأخبرته بكلّ شيء نزل فيه و في صاحبه. فلمّا رأى عمر أنّي سكتّ قال: إنّك له مطيع.[3]

[٢٧ ـ ٣٠] «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَ ادْخُلِي جَنَّتِي».

«يا أيّتها النفس» على إرادة القول. أي: يقول الله للمؤمن: «يا أيّتها النفس» إمّا أن يكلّمه إكراماً له، أو على لسان ملك. والمطمئنّة: الآمنة التي لايستفزّها خوف و لا حزن و هي النفس المؤمنة. أو المطمئنّة إلى الحقّ. يقال لها ذلك إمّا عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنّة على معنى: ارجعي إلى موعد ربّك «راضية» بما أوتيت «مرضيّة» عند الله. «فادخلي في عبادي»: في جملة عبادي الصالحين و انتظمي في سلكهم. «و ادخلي جنّتي» معهم. و قيل: النفس الروح. و معناه: فادخلي في أجساد عبادي. قيل: نزلت في حمزة بن

١ـ الأنعام (٦) / ١٦٤.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٢.
٣ـ الاحتجاج ٢ / ٨٥.

عبدالمطّلب. و قيل: في خبيب بن عديّ الذي صلبه أهل مكّة و جعلوا وجهه إلى المدينة، فقال: اللّهمّ إن كان لي عندك خير، فحوّل وجهي نحو قبلتك. فحوّل الله وجهه نحوها، فلم يستطع أحد أن يحوّله. و الظاهر العموم.(١)

سدير الصيرفيّ قال: قلت لأبي عبدالله: هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا. إذا أتاه ملك الموت، جزع لذلك، فيقول: يا وليّ الله، لاتجزع. فو الذي بعث محمّداً بالحقّ، لأنا أبرّ بك من الوالد الرحيم. افتح عينك و انظر. فيتمثّل له رسول الله و أميرالمؤمنين و الحسنان و الأئمّة عليهم السلام. فيقول: هؤلاء رفقاؤك. فينظر إليهم ثمّ تنادى نفسه: «يا أيّتها النفس المطمئنّة ارجعي إلى ربّك راضية» بالولاية «مرضيّة» بالثواب. «فادخلي في عبادي». يعني محمّداً و أهل بيته. «و ادخلي جنّتي». فما من شيء أحبّ إليه من انسلال روحه و اللّحوق بالمنادي.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «يا أيّتها النفس المطمئنّة» أنّه الحسين بن عليّ عليهما السلام و هذه السورة تسمّى سورة الحسين عليه السلام.(٣)

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٢ ـ ٧٥٣.

٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٩٦ ـ ٧٩٧، ح ٩.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٩٦، ح ٨.

٩٠.
سورة البلد

عن أبي عبدالله عليه السلام: من كان قراءته في فريضته لا أقسم، كان في الدنيا معروفاً أنّه من الصالحين و كان يوم القيامة من رفقاء النبيّين والشهداء و الصالحين.[١]

و عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة.[٢]

البلد: يسعط من مائها من في خياشيمه ألم. و إذا علّقت على الطفل أوّل ما يولد، أمن من النقص.[٣]

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * لَا أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ * وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ».

أقسم سبحانه بالبلد الحرام و قيّده بحلول الرسول فيه إظهاراً لمزيد فضله. لأنّ شرف المكان بشرف أهله.[٤]

أقسم سبحانه بالبلد الحرام و ما بعده على أنّ الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاقّ و الشدائد. و اعترض بين القسم و المقسم عليه بقوله: «و أنت حلّ بهذا البلد». يعني: و من المكابدة أنّ مثلك على عظم حرمتك يستحلّ بهذا البلد الحرام كما يستحلّ الصيد في غير الحرم. كانوا يحرّمون أن يقتلوا بها صيداً و يستحلّون إخراجك و قتلك فيه. و فيه تثبيت من رسول الله و بعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكّة و تعجيب من حالهم في عداوته. أو سلّى رسول الله بالقسم ببلده على أنّ الإنسان لايخلو من مقاساة الشدائد و اعترض بأن

١ـ ثواب الأعمال / ١٥١، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٤٣.
٣ـ المصباح / ٦١٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٧.

وعده فتح مكّة تتميماً للتسلية فقال: «و أنت حلّ بهذا البلد»؛ يعني: و أنت حلّ [به][١] في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل و الأسر. و ذلك أنّ الله فتح عليه مكّة و أهلها و ما فتحت على أحد قبله و لا أحلّت له فأحلّ ما شاء و حرّم ما شاء. قتل ابن خطل و هـو متعلّق بأستار الكعبة و حرّم دار أبي‌سفيان ثمّ قال: لن تحلّ لأحد بعدي و لم تحلّ لي إلّا ساعة من نهار. فلا يعضد شجرها و لا يختلى خلاها.[٢]

[٣] «وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدَ».

«و والد و ما ولد». يعني رسول الله و من ولده. أقسم ببلده و بمن ولده به. و إنّما نكّر «والد» للإيهام المستقلّ بالمدح و التعجّب. و قيل: هما آدم و ولده، أو كلّ والد و ولده.[٣]

«ما ولد». إيثار ما على من لمعنى التعجّب.[٤]

عن أبي جعفر عليه السلام: «و والد و ما ولد». يعني عليّاً و ما ولد من الأئمّة عليهم السلام.[٥]

[٤] «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ».

«في كبد». أصله من قولك: كبد الرجل كبداً، إذا وجعت كبده. فاتّسع فيه حتّى استعمل في كلّ تعب و مشقّة.[٦]

«في كبد»؛ أي: منتصباً في بطن أمّه. و سائر الدوابّ موضع منخريها في بطن أمّها بطون أيديها و منه الرقعتان مثل الكيّ.[٧]

[٥ ـ ٧] «أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً * أَ يَحْسَبُ أَنْ

١ـ من المصدر. و في النسخة : «أي حلال و هو...[ممحوّة]» بدل «به». و في المجمع: «و قيل: معناه: و أنت محلّ.... و المراد: و أنت حلال لك قتل من رأيت به من الكفّار....»

٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٣ ـ ٧٥٤.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٤.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٧.

٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٩٧ ـ ٧٩٨، ح ١.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٤.

٧ـ علل الشرائع / ٤٩٥، ح ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ».

عن أبي جعفر عليه السلام «أن لن يقدر عليه»: يعني يقتل في قتل ابنة النبيّ. «يقول أهلكت مالاً». يعني الذي جهّز به النبيّ في جيش العسرة. و اللّبد: المجتمع. و في حديث آخر عنه عليه السلام: القائل: «أهلكت مالاً» هو عمرو بن عبدودّ حين عرض عليه عليّ عليه السلام الإسلام و قال: فأين ما أنفقت فيكم مالاً لبداً؟ و كان أنفق في الصدّ عن سبيل الله.(١)

«لبداً»: كثيراً. من تلبّد الشيء، إذا اجتمع.(٢)

«أ يحسب». الضمير لبعض صناديد قريش الذين كانوا يؤذون رسول الله. أي: أ يظنّ أن لن تقوم قيامة و لن يقدر على الانتقام منه؟ يقول يوم القيامة: «أهلكت مالاً لبداً». يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهليّة يسمّونه مكارم و مفاخر. «أن لم يره» حين كان ينفق ما أنفق رياء الناس. يعني يحسب أنّ الله لم يره و لم يطّلع عليه. و قيل: الذي يحسب هو أبوالأشدّ و كان قويّاً في بدنه. و قيل: الوليد بن المغيرة.(٣)

أبوجعفر: «لبّداً» بالتشديد، جمع لابد.(٤)

[٨ ـ ١٠] «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَ لِسَاناً وَ شَفَتَيْنِ * وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ».

عن أبي جعفر عليه السلام «ألم نجعل له عينين» قال: العينان رسول الله. و اللّسان أميرالمؤمنين. و الشفتان الحسن و الحسين عليهما السلام. «و هديناه النجدين» إلى ولايتهم جميعاً و البراءة من أعدائهم.(٥)

«النجدين»: طريقي الخير و الشرّ.(٦)

[١١ ـ ١٣] «فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٢٣ و ٤٢٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٧.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٥.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٤٤.
٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٧٩٨، ح ٤.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٥.

أبان عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «فلا اقتحم العقبة» قال: من أكرمه الله بولايتنا، فقد جاز العقبة. و نحن تلك العقبة التي من اقتحمها نجا. و قوله: «فكّ رقبة» قال: الناس كلّهم عبيد النار غيرك و أصحابك. فإنّ الله فكّ رقابكم من النار بولايتنا أهل البيت.[١]

و قال عليه السلام في حديث آخر: «فكّ رقبة» ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.[٢]

و أمّا المراد بالعقبة، فهو مثل ضربه الله لمجاهدة النفس و الهوى و الشيطان في أعمال الخير و الشرّ. و قيل: إنّها عقبة حقيقة و هي عقبة شديدة في النار دون الجسر. فاقتحموها بطاعة الله. و عنه صلى الله عليه وآله: أمامكم عقبة كؤود لايجوزها المثقلون. و أنا أريد أن أخفّف عنكم لتلك العقبة. و جاء أعرابيّ إلى النبيّ فقال: علّمني عملاً يدخلني الجنّة. قال: أعتق النسمة و فكّ الرقبة. ثمّ قال: عتق الرقبة أن ينفرد بعتقها. و فكّ الرقبة أن تعين في ثمنها.[٣]

ابن‌كثير و أبوعمرو: «فكّ رقبة أو أطعم» على الفعل بالإبدال من اقتحم.[٤]

«فلا اقتحم العقبة»: يعني: لم‌يشكر تلك الأيادي و النعم بالأعمال الصالحة من فكّ الرقاب و إطعام اليتامى و المساكين ثمّ الإيمان الذي هو أصل كلّ طاعة، بل كفر النعم. و المعنى أنّ الإنفاق على هذا الوجه هو النافع عند الله، لا أن يهلك مالاً لبداً في الرياء و الفخار. و الاقتحام: الدخول بشدّة و مشقّة. و القحمة: الشدّة. و جعل الصالحة عقبة و عملها اقتحاماً لما في ذلك من مجاهدة النفس. و عن الحسن: عقبة ـ و الله ـ شديدة مجاهدة الإنسان نفسه و عدوّه الشيطان. و فكّ الرقبة تخليصها من رقّ أو غيره. «و ما أدراك». اعتراض و معناه: انّك لم‌تدرك كنه صعوبتها على النفس و كنه ثوابها عند الله.[٥]

[١٤ ـ ١٦] «أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ».

«مسغبة». المسغبة و المقربة و المتربة، مفعلات من سغب إذا جاع و قرب في النسب

١ـ الكافي ١ / ٤٣٠، ح ٨٨.
٢ـ الكافي ١ / ٤٢٢، ح ٤٩.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٥ ـ ٧٥٦.

ـ يقال: فلان ذو قرابتي و مقربتي ـ و ترب إذا افتقر و معناه: التصق بالتراب. و عنه ﷺ في قوله: «ذا متربة»: الذي مأواه المزابل.[١]

[١٧] «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ».

«ثمّ كان». جاء بثمّ لتراخي الإيمان و تباعده في الرتبة و الفضيلة عن العتق و التصدّق لا في الوقت. لأنّ الإيمان هو السابق على غيره. و المرحمة: الرحمة. أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان و الثبات عليه، أو بالصبر عن المعاصي و على الطاعات و المحن التي يبتلى بها المؤمن، و بأن يكونوا متراحمين متعاطفين، أو بما يؤدّي إلى رحمة الله.[٢]

[١٨ ـ ٢٠] «أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ».

«أصحاب الميمنة»: يؤخذ بهم ناحية اليمين و يأخذون كتبهم بأيمانهم. «أصحاب المشأمة»: يأخذون كتبهم بشمائلهم و يؤخذ بهم ذات الشمال.[٣]

الميمنة و المشأمة: اليمين و الشمال. أو: اليمن و الشؤم. أي: الميامين على أنفسهم و المشائيم عليهنّ. «مؤصدة». من أوصدت الباب، إذا أغلقته.[٤]

أبوعمرو و حمزة و حفص: «مؤصدة» بالهمزة. من آصدته بمعنى أغلقته.[٥]

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٦ ـ ٧٥٧.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٧.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥١.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٥٧.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٨.

٩١.

سورة الشمس

عنه ﷺ: من قرأ الشمس، كأنّما تصدّق بكلّ شيء طلعت عليه الشمس و القمر.[١]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: من أكثر قراءة و الشمس و اللّيل و الضحى و ألم‌نشرح في يومه أو ليلته، لم‌يبق شيء بحضرته إلّا شهد له يوم القيامة حتّى شعره و بشره و لحمه و دمه و عروقه و عصبه و عظامه و جميع ما أقلّت الأرض منه. و يقول الربّ: قبلت شهادتكم لعبدي و أجزتها له. انطلقوا به إلى جناني حتّى يتخيّر منها حيث أحبّ فأعطوه إيّاها.[٢]

الشرب من مائها يسكّن الرجيف و الزحير.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا».

«و الشمس». الواو للقسم. أقسم بالشمس لكثرة الانتفاع بها. «و ضحاها»: هو امتداد ضوئها و انبساطه. و قيل: حرّها. كقوله في طه: «و لاتضحى»[٤]؛ أي: لايصيبك حرّها.[٥]

«و ضحاها». ضوئها إذا أشرقت. و قيل: الضحوة ارتفاع النهار.[٦]

[٢] «وَ الْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا».

«تلاها»: تبعها فأخذ من ضوئها و سار خلفها. قالوا: و ذلك في النصف الأوّل من الشهر

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٢.
٣ـ المصباح / ٦١٤.
٤ـ طه (٢٠) / ١١٩.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٩.

إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءةو خلفها في النور. و قيل: تـلاها ليـلة الهـلال [و هي] أوّل ليلة من الشهر إذا سقطت الشمس رئي القمر عند غيبوبتها.[١]

«تلاها»: تلا طلوعه طلوع الشمس أوّل الشهر أو غروبها ليلة البدر.[٢]

[٣] «وَ النَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا».

«جلّاها»؛ أي: جلّى الظلمة و كشفها. و المقام يدلّ على الظلمة. و قيل: معناه: و النهار إذا أظهر الشمس و أبرزها. سمّى النهار مجلّياً لظهور جرمها فيه.[٣]

«جلّاها»: جلّى الشمس. فإنّها تنجلي إذا انبسط النهار.[٤]

[٤] «وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا».

«يغشاها»؛ أي: يغشى الشمس حتّى تغيب فتظلم الآفاق.[٥]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الشمس رسول الله. به أوضح الله للناس دينهم. «و القمر إذا تلاها». قال: و ذلك أميرالمؤمنين تلا رسول الله و نفثه بالعلم نفثاً. «و اللّيل إذا يـغشاها». قال: ذلك أئمّة الجور الذين استبدّوا بالأمر فغشوا دين الله بالظلم و الجـور. «و النهـار إذا جلّاها». قال: ذاك الإمام يسأل عن دين رسول الله فيجلّيه لمن سأله.[٦]

[٥ ـ ٨] «وَ السَّمَاءِ وَ مَا بَنَاهَا * وَ الْأَرْضِ وَ مَا طَحَاهَا * وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَـا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا».

«و ما بناها». أوثرت ما على مَن لإرادة معنى الوصف. كأنّه قيل: و الشيء القادر الذي بناها و دلّ على وجوده و كمال قدرته بناؤها. و لذلك أفرد ذكره. و كذا الكلام في قوله: «و الأرض و ما طحاها * و نفس و ما سوّاها». و جعل الماءات مصدريّة يخلّ بـنظم قـوله:

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٩.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٩.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٥.
٦ـ الكافي ٨ / ٥٠، ح ١٢.

«فألهمها فجورها» بقوله: «و ما سوّاها» إلّا أن يضمر فيها اسم الله للعلم به. و تنكير «نفس» للتكثير أو للتعظيم.(١)

«و ما بناها»: [و بنائها] مع إحكامها و إتقانها. «و ما طحاها»؛ أي: و طحوها و تسطيحها ليمكن الخلق التصرّف عليها. «و ما سوّاها»: عدّل خلقها. و قيل: سوّاها بالعقل الذي فضّله به على سائر الحيوان. يريد بالنفس الإنس و الجنّ. و قيل: آدم، و من سوّاها الله. «فألهمها»؛ أي: عرّفها طريق الفجور و زهّدها فيه و طريق التقوى و رغّبها فيه. عن أبي عبدالله عليه السلام «فألهمها فجورها و تقواها» قال: بيّن لها ما تأتي و تترك.(٢)

[٩] «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا».

«قد أفلح». جواب القسم. أي: لقد أفلح من زكّى نفسه و طهّرها بصالح الأعمال.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام «قد أفلح من زكّاها» قال: أميرالمؤمنين زكّاه ربّه.(٤)

و أمّا قول من زعم أنّ الضمير في «زكّى» و «دسّى» لله و أنّ تأنيث الراجع إلى من لأنّه في معنى النفس، فمن تعكيس القدريّة الذين يورّكون على الله قدراً هو بريء منه و يحيون لياليهم في تمحّل فاحشة ينسبونها إليه.(٥)

«قد أفلح». جواب القسم. و قيل: استطرد بعض أحوال النفس و الجواب محذوف. أي: ليدمدنّ الله على كفّار مكّة لتكذيبهم كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم.(٦)

[١٠] «وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا».

«دسّاها» الله؛ أي: جعلها ذليلة خسيسة.(٧)

عن أبي عبدالله عليه السلام «وقد خاب من دسّاها» قال: هو الأوّل و الثاني في بيعتهما إيّاه

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩٩.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٥.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٥.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٢٤.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٦٠.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٠٠.
٧ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٥.

حيث مسحا على كفّه.[١]

[١١] «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا».

هم قوم صالح كذّبوه بطغيانهم. و الطغيان الذي حملهم على التكذيب. و قيل: الطغوى اسم العذاب الذي نزل بهم. أي: كذّبت ثمود بعذابها. عن ابن عبّاس.[٢]

الباء في «بطغواها» مثلها في كتبت بالقلم. يعني: فعلت التكذيب بطغيانها. كما تقول: ظلمني بجرأته على الله.[٣]

[١٢ ـ ١٣] «إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَ سُقْيَاهَا».

«إذ انبعث»؛ أي: كان تكذيبها حين انبعث أشقى ثمود للعقر. و معنى انبعث: قام. و الأشقى عاقر الناقة.[٤]

«أشقاها»: قدار بن سالف. و يجوز أن يكونوا جماعة و التوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الجمع و الواحد و المذكّر و المؤنّث. و كان يجوز أن يقال: أشقوها، كما تقول: أفاضلهم. و الضمير في «لهم» يجوز أن يكون للأشقى. و التفضيل في الشقاوة لأنّ من باشر العقر كانت شقاوته أظهر و أبلغ. «ناقة الله». نصب على التحذير. أي: احذروا عقرها «و سقياها» فلاتزووها عنها و لاتستأثروا بها عليها.[٥]

[١٤ ـ ١٥] «فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَ لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا».

«فكذّبوه» فيما حذّرهم من نزول العذاب. «فدمدم»: فأطبق عليهم العذاب. من قولهم: ناقة مدمومة، إذا ألبسها الشحم. «فسوّاها». [الضمير للدمدمة.] أي: فسوّاها بينهم لم يفلت

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٢٤. و قد مضى صدر الرواية ذيل الآية السابقة.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٥.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٦٠.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٥.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٦٠ ـ ٧٦١.

منها صغيرهم و لا كبيرهم. [و في مصاحف أهل] المدينة و الشام: «فلايخاف» بالفاء. و في قراءة النبيّ ﷺ: «و لم يخف». «عقباها»: عاقبتها و تبعتها، كما يخاف كلّ معاقب من الملوك فيبقي بعض الإبقاء. و يجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى: فسوّاها بالأرض أو في الهلاك، و لايخاف عقبى هلاكها.(١)

«فدمدم»: أطبق عليهم العذاب كلّهم لأنّهم رضوا جميعاً [به] و حثّوا عليه و كانوا قد اقترحوا تلك الآية. «فسوّاها»: فسوّى الدمدمة عليهم و عمّهم بها. «و لايخاف». [قيل: أي: لايخاف الذي عقرها] عقبى ما صنع بها، لأنّه كان مكذّباً لصالح. و قيل: معناه: و لايخاف صالح عقوبة ما خوّفهم به من العقوبات لأنّه كان على ثقة من نجاته.(٢)

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٦١.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٦.

٩٢.
سورة اللّيل

من قرأ و اللّيل، أعطاه الله حتّى يرضى و عافاه من العسر و يسّر له اليسر.[١]

اللّيل: يقرأ في أذن المصروع يفيق.[٢]

عن ابن‌عبّاس: انّ رجلاً كان له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي‌عيال. و كان الرجل إذا جاء فدخل الدار [و] صعد النخلة ليأخذ منها التمر، فربما سقطت تمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من النخلة و يأخذ التمر من أيديهم. فإن وجدها [في] فيّ واحدهم، أدخل إصبعه حتّى يخرج التمرة من فيه. فشكا ذلك الرجل إلى النبيّ و أخبره بما يلقى من صاحب النخلة. فقال له النبيّ: اذهب. و لقي رسول الله صاحب النخلة فقال: تعطيني نخلتك [المائلة] التي فرعها في دار فلان و لك بها نخلة في الجنّة؟ فقال له الرجل: إنّ لي نخلاً كثيراً، و ما فيه نخلة أعجب إليّ ثمرة منها. قال: ثمّ ذهب الرجل. فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله: يا رسول الله، أتعطيني ما أعطيته الرجل نخلة في الجنّة إن أنا أخذتها؟ قال: نعم. فذهب الرجل و لقي صاحب النخلة فساومها فقال له: أشعرت أنّ محمّداً أعطاني بها نخلة في الجنّة فقلت له: يعجبني ثمرتها و إنّ لي نخلاً كثيراً فما فيه نخلة أعجب إليّ ثمرة منها. فقال له الآخر: أتريد بيعها؟ فقال: لا، إلّا أن أعطى بها ما لا أظنّه أعطى. فقال: فما مناك؟ قال: أربعون نخلة. فقال الرجل: جئت بعظيم! تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة! ثمّ سكت عنه فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة. فقال له: أشهد إن كنت صادقاً. فمرّ إلى أناس فدعاهم

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٧.

٢ـ المصباح / ٦١٤.

فأشهد له بأربعين نخلة. ثمّ ذهب إلى النبيّ فقال: يا رسول الله، إنّ النخلة قد صارت في ملكي فهي لك. فذهب رسول الله إلى صاحب الدار فقال له: النخلة لك و لعيالك. فأنزل الله: «و اللّيل إذا يغشى». و عن عطاء قال: اسم الرجل أبو الدحداح.(١) (حسن)

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشىٰ * وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلّٰى».

عن أبي جعفر عليه السلام «و اللّيل إذا يغشى» قال: اللّيل في هذا الموضع الثاني غشي أميرالمؤمنين في دولته التي جرت له عليه. و أميرالمؤمنين يصبر في دولتهم حتّى تنقضي. «و النهار إذا تجلّى» قال: النهار القائم عليه السلام. إذا قام غلب دولة الباطل.(٢)

[٣ ـ ١٣] «وَ مَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطىٰ وَ اتَّقىٰ * وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ * وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنىٰ * وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ * وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدّٰى * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدىٰ * وَ إِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولىٰ».

قراءة النبيّ و أميرالمؤمنين و ابن‌مسعود: «و خلق الذكر و الأنثى» بغير ما. و روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام.(٣)

عن الباقر عليه السلام في قوله: «و ما خلق الذكر و الأنثى» قال: الذكر أميرالمؤمنين. و الأنثى فاطمة عليها السلام. «أعطى و اتّقى * و صدّق بالحسنى»؛ أي: بقوته و صام حتّى وفي بنذره و تصدّق بخاتم و هو راكع و آثر الفقراء على نفسه. «و صدّق بالحسنى». و هي الجنّة. و سنيسّره لذلك بأن جعله إماماً في الخير قدوة و أباً للأئمّة.(٤)

و في قوله: «فأمّا من أعطى» قال: من أعطى الخمس «و اتّقى» ولاية الطواغيت. «بالحسنى»: الولاية. فلايريد شيئاً من الخير إلّا تيسّر له. و أمّا من منع الخمس و اتّبع

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٩ ـ ٧٦٠.
٢ـ تفسير القمّيّ / ٤٢٥.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٥٨.
٤ـ مناقب آل أبي‌طالب ٣ / ٣٢٠.

الطواغيت و كذّب بالولاية، فلايريد شيئاً من الشرّ إلّا تيسّر له.[١]

و عنهعليه السلام: الآية نزلت هكذا: «الله خالق الزوجين الذكر و الأنثى». «و لعليّ الآخرة و الأولى». و يدلّ على ذلك ما جاء في الدعاء: سبحان من خلق الدنيا و الآخرة و ما سكن في اللّيل و النهار لمحمّد و آل محمّد.[٢]

[١٤ ـ ٢١] «فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظّٰى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى * وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكّٰى * وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلىٰ * وَ لَسَوْفَ يَرْضىٰ».

عن أبي عبداللهعليه السلام «فأنذرتكم ناراً تلظّى» قال: هو القائمعليه السلام إذا قام بالغضب فيقتل من كلّ ألف تسعمائة و تسعين. «إلّا الأشقى». قال: هو عدوّ آل محمّد. و «الأتقى» أميرالمؤمنين و شيعته.[٣]

«الذي كذّب» بآيات الله «و تولّى»؛ أي: أعرض عن الإيمان. «و سيجنّبها الأتقى»؛ أي: يجعل منها على جانب المبالغ في التقوى. قال القاضي: قوله: «لايصلاها إلّا الأشقى الذي كذّب و تولّى» لايدلّ على أنّه تعالى لايدخل النار إلّا الكافر على ما يقوله الخوارج و بعض المرجئة. و ذلك أنّه نكّر النار المذكورة و لم يعرّفها. و المراد بذلك أنّ ناراً من النيران لايصلاها إلّا من هذه حاله. و النيران دركات. فمن [أين] عرف أنّ [غير] هذه النار لايصلاها قوم آخرون؟ و بعد، فإنّ الظاهر من هذه الآية يوجب أن لايدخل النار إلّا من كذّب و تولّى و جمع بين الأمرين و لابدّ للقوم من القول بخلافه لأنّهم يوجبون النار لمن تولّى عن كثير من الواجبات و إن لم يكذّب. و قيل: إنّ الأتقى و الأشقى المراد بهما التقيّ و الشقيّ. «الذي يؤتي ماله»: ينفقه في سبيل الله. «يتزكّى»: يطلب أن يكون عند الله زكيّاً لايطلب بذلك رياء و لا سمعة. «و ما لأحد عنده من نعمة»؛ أي: و لم يفعل الأتقى ما فعله من إنفاق

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٨٠٩، ح ٧، عن الصادقعليه السلام.

٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٨٠٨ ـ ٨٠٩، ح ٥ و ٦.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٨٠٧ ـ ٨٠٨، ح ١.

المال في سبيل الله ليد أسديت إليه يكافئ عليها. «إلّا ابتغاء»؛ أي: ولكنّه فعل ما فعل يبتغي به رضا الله و ثوابه. و لسوف يعطيه الله من الجزاء و الثواب ما يرضى به. فإنّه يعطيه كلّ ما تمنّى.[١]

«ابتغاء وجه ربّه». مستثنًى من غير جنسه و هو النعمة. أي: ما لأحد عنده نـعمة إلّا ابتغاء وجه ربّه. و يجوز أن يكون «ابتغاء» مفعولاً له على المعنى. لأنّ معنى الكلام: لايؤتي ماله إلّا ابتغاء وجه ربّه لا لمكافأة نعمة.[٢]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٦٥.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٦٤ ـ ٧٦٥.

.٩٣
سورة الضحى

يقرأ على الشيء المنسيّ ذكره يذكره.(١)

عنه ﷺ: من قرأ سورة و الضحى، كان ممّن يرضاه الله و محمّد يشفع له، و له عشر حسنات بعدد كلّ يتيم و سائل.(٢)

قيل: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين و أصحاب الكهف و عن الروح فقال: «سأخبركم غداً» و لم يقل إن شاء الله. فاحتبس عنه الوحي اثناعشر يوماً أو أربعين. [فاغتمّ لشماتة الأعداء، فنزلت السورة تسلية لقلبه.](٣)

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ الضُّحىٰ * وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلىٰ».

«و الضحى». المراد بالضحى وقت الضحى و هو صدر النهار. خصّ بالقسم لأنّها الساعة التي كلّم فيها موسى و ألقي السحرة سجّداً؛ لقوله: «و أن يحشر الناس ضحًى»(٤). و قيل: أراد به النهار. «سجى»: سكن و ركد ظلامه. «ما ودّعك». جواب القسم. أي: ما قطعك قطع المودّع. و التوديع مبالغة في الودع. لأنّ من ودّعك مفارقاً فقد بالغ في تركك. روي أنّ الوحي قد تأخّر عن رسول الله أيّاماً، فقال المشركون: إنّ محمّداً ودّعه ربّه و قلاه. و قيل: إنّ أمّ جميل امرأة أبي‌لهب قالت له: يا محمّد، ما أرى شيطانك إلّا تركك! فنزلت. «و ما قلى»؛ أي:

١ـ المصباح / ٦١٤.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٦٢.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٦٤.
٤ـ طه (٢٠) / ٥٩.

قلاك بحذف المفعول.[١]

[٤] «وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولىٰ».

«و للآخرة خير لك». وجه اتّصاله بما قبله: أنّه لمّا كان في ضمن نفي التوديع و القلى أنّ الله يواصلك بالوحي و أنت حبيبه و لاترى كرامة أعظم من ذلك، أخبره أنّ حاله في الآخرة أعظم من ذلك و هو التقدّم على جميع أنبياء الله و شفاعته العظمى.[٢]

عن ابن‌عبّاس قال: عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو مفتوح على أمّته من بعده بلدة بلدة فسرّ بذلك. فأنزل: «و للآخرة خير لك من الأولى». فأعطاه الله عزّ و جلّ ألف قصر في الجنّة ترابه المسك و في كلّ قصر ما ينبغي من الأزواج و الخدم.[٣]

[٥] «وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ».

عن زيد بن عليّ في قوله: «و لسوف يعطيك»: انّ رضا رسول الله صلى الله عليه وآله إدخال الله أهل بيته و شيعتهم الجنّة.[٤]

«و لسوف يعطيك ربّك». عن ابن الحنفيّة أنّه قال: يا أهل العراق، تزعمون أنّ أرجى آية في كتاب الله عزّوجلّ: «يا عبادي الذين أسرفوا» ـ الآية.[٥] و إنّا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله: «و لسوف يعطيك» ـ الآية. و هي ـ و الله ـ الشفاعة. ليعطيها في أهل لا إله إلّا الله حتّى يقول: ربّ رضيت.[٦]

«و لسوف يعطيك ربّك». موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الظفر يوم بدر و يوم فتح مكّة و دخول الناس أفواجاً في دينه و فتح البلاد في حياته و بعد وفاته و غير ذلك و ما ادّخر له من الثواب الذي لايعلم [كنهه إلّا الله]. و اللّام في «و لسوف» لام الابتداء و المبتدأ

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٦٥ ـ ٧٦٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٦٦.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٨١٠، ح ١.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٨١١، ح ٣.
٥ـ الزمر (٣٩) / ٥٣.
٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٦٥.

محذوف. تقديره: و لأنت سوف يعطيك. فيكون اللّام لتأكيد الجملة. و أمّا الجمع بين حرفي التأكيد و التأخير، فمعناه أنّ العطاء كائن لا محالة و إن تأخّر لما في التأخير من المصلحة.(١)

[٦ـ٨] «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَـآوىٰ * وَ وَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدىٰ * وَ وَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنىٰ».

«ألم يجدك يتيماً». سئل الصادقعليه‌السلام: لم أوتم النبيّ عن أبويه؟ قال: لئـلّايكون لمخـلوق عليه حقّ. روى العيّاشيّ بإسناده عن أبي‌الحسن الرضاعليه‌السلام في قوله: «ألم يجدك يتيماً» قال: فرداً لا مثل لك في المخلوقين فآوى الناس إليك. «و وجدك ضالّاً» في قوم لايعرفون فضلك فهداهم إليك. «و وجدك عائلاً» تعول أقواماً بالعلم فأغناهم بك.(٢)

عن الرضاعليه‌السلام يقول للمأمون في قوله تعالى: «ألم يجدك يتيماً»: يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس. «و وجدك ضالّاً». يعني عند قومك، فهداهم إلى معرفتك. «و وجدك عائلاً فأغنى». يقول: بأن جعل دعاءك مستجاباً.(٣)

«ألم يجدك يتيماً». عدّد عليه نعمه و أياديه و أنّه لم يخله منها من أوّل تربيته [و] ابتداء نشئه، ترشيحاً لما أراد به، ليقيس المترقّب على ما سلف فلايتوقّع إلّا الحسنى و لايضيق صدره و لايقلّ صبره. و «ألم يجدك» من الوجود الذي بمعنى العلم. و ذلك أنّ أباه مات و هو جنين قد أتت عليه ستّة أشهر و ماتت أمّه و هو ابن ثمان سنين فكفله عمّه أبوطالب. و من بدع التفاسير أنّه من قولهم: درّة يتيمة و أنّ المعنى: ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك. «ضالّاً». معناه الضلال عن علم الشريعة و ما طريقه السمع. كقوله: «ماكنت تدري ما الكتاب».(٤) و قيل: ضلّ في صباه في بعض شعاب مكّة فردّه أبوجهل إلى عبدالمطّلب. «فهدى»؛ أي: فهداك و عرّفك القرآن و الشرائع. أو: فأزال ضلالك عن جـدّك و عـمّك. «عائلاً»؛ أي: فقيراً فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم. كما قالعليه‌السلام: جعل رزقي

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٦٦ ـ ٧٦٧.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٦٥ و ٧٦٧.

٣ـ عيون الأخبار ١ / ١٥٨ ـ ١٥٩، ح ١.

٤ـ الشورى (٤٢) / ٥٢.

تحت رمحي.(١)

[٩ ـ ١٠] «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ».

عن أبي‌أوفى قال: كنّا جلوساً عند رسول الله، فأتاه غلام فقال: يتيم، و أخت لي يتيمة، و أمّ لي أرمله. أطعمنا ممّا أطعمك الله. أعطاك الله ممّا عنده حتّى ترضى. قال: ما أحسن ما قلت يا غلام! اذهب يا بلال فأتنا بما عندنا. فجاء بواحدة و عشرين تمرة فقال: يا غلام، لكلّ واحد منكم سبع. فقام معاذ و مسح رأسه و قال: جبر الله يتمك. فقال له رسول الله: رأيتك [و] ما صنعت. قال: رحمته. قال: لايلي أحد منكم يتيماً فأحسن ولايته و يضع يده على رأسه إلّاكتب الله له بكلّ شعرة حسنة و محا عنه بكلّ شعرة سيّئة و رفع له بكلّ شعرة درجة. عن ابن‌عبّاس قال: قال رسول الله: لقد سألت ربّي مسألة وددت أنّي لم‌أسأله. قلت: أي ربّ إنّه كانت أنبياء قبلي منهم من سخّرت له الريح، و منهم من كان يحيي الموتى، و منهم و منهم. فقال: ألم‌أجدك يتيماً فآويتك؟ قال: قلت: بلى. قال: ألم‌أجدك ضالّاً فهديتك؟ قال: قلت: بلى أي ربّ. قال: ألم‌أشرح لك صدرك و وضعت عنك وزرك؟ قال: قلت: بلى أي ربّ. و المعنى: ألم‌نوسّع قلبك بالنبوّة و العلم حتّى قمت بأداء الرسالة و صبرت على المكاره و اطمأننت إلى الايمان فلم‌تضق به ذرعاً؟ فشرح سبحانه صدره بأن ملأه علماً و حكمة و رزقه حفظ [القرآن و] شرائع الإسلام.(٢)

«فلاتقهر»؛ أي: لاتغلبه على ماله و حقّه لضعفه.(٣)

[١١] «وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ».

«فحدّث». التحديث بنعمة الله شكرها و إشاعتها. و المعنى: انّك كنت يتيماً و ضالّاً و عائلاً فآواك الله و هداك و أغناك. و مهما يكن من شيء فلاتنس نعمة الله عليك في هذه

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٦٧ ـ ٧٦٨.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٦٧ و ٧٧٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٦٨.

الثلاث. و اقتد بالله فتعطّف على اليتيم و آوه فقد ذقت اليتم و رأيت كيف فعل الله بك. و ترحّم على السائل بالإحسان إليه و لاتزجره عن بابك، كما رحمك ربّك فأغناك بعد الفقر. و حدّث بنعمة الله كلّها. و يدخل تحته هدايته الضلّال و تعليمه الشرائع و القرآن مقتدياً بالله في أن هداه من الضلال.[١]

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٦٩.

٩٤.
سورة الانشراح

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطي من الأجر كمن لقي النبيّ مغتمّاً ففرّج عنه.[١]

شرب مائها يفتّت الحصاة و يفتح المثانة و ينفع من البرودة. و قراءتها على الصدر و الفؤاد، يسكّن ألمها.[٢]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ».

«ألم نشرح لك صدرك» بذهاب الشواغل الذي تصدّك عن إدراك الحقّ. عن ابن عبّاس: قيل: يا رسول الله، أ ينشرح [الصدر]؟ قال: نعم، و علامته التجافي عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود و الإعداد للموت قبل نزوله. و معنى الاستفهام التقرير.[٣]

«ألم نشرح لك صدرك» بعليّ عليه السلام فجعلناه وصيّك؟[٤]

[٢] «وَ وَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ».

«و وضعنا عنك وزرك»؛ أي: حططنا عنك وزرك. «الذي أنقض ظهرك»؛ أي: أثقله حتّى سمع له نقيض؛ أي: صوت. يعني: لو كان حملاً، لسمع نقيض ظهرك. و قيل: المراد تخفيف أعباء النبوّة التي يثقل الظهر من القيام بأمرها. سهّل الله ذلك عليه حتّى تيسّر له. و قيل: معناه: أزحنا عنك همومك التي أثقلتك من أذى الكفّار. و قيل: معناه: عصمناك عن احتمال

١ـ المصباح / ٥٩٩.
٢ـ المصباح / ٦١٥.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧٠.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٢٨.

الوزر. فإنّ المقصود من الوضع أن لايكون ثقل. و قال علم الهدى: لايمتنع أن يكون الوزر في الآية إنّما أراد به غمّه بما كان عليه قومه من الشرك و أنّه و أصحابه مقهور بينهم و مستضعف. فلمّا أعلى [الله] كلمته و شرح صدره، خاطبه بهذا الخطاب تذكيراً له بموقع النعمة ليقابله بالشكر. و إعلاء الكلمة، و إن كان بالمدينة و هذه السورة مكّيّة، لكن يجوز أن يراد بلفظ الماضي هنا الاستقبال، أو يكون وعداً له أنّه سيفعل به هذا.(١)

«و وضعنا عنك وزرك». قال: بعليّ الحرب. «الذي أنقض ظهرك»؛ أي: أثقله.(٢)

[٤] «وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ».

«و رفعنا لك ذكرك»؛ يعني: قرنّا ذكرك بذكرنا، فلاأذكر إلّا و تذكر معي. يعني في الأذان و الإقامة و التشهّد و الخطبة.(٣)

«و رفعنا لك ذكرك»: تذكر إذا ذكرت بالشهادة.(٤)

[٥ ـ ٦] «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً».

«إنّ مع العسر يسراً». وعده الرخاء بعد الشدّة. و ذلك أنّه كان بمكّة ذا شدّة. أي: مع الفقر سعة. و قيل: معناه: انّ مع الشدّة التي أنت فيها من مزاولة المشركين يسراً و رخاء بأن يظهرك الله عليهم حتّى ينقادوا للحقّ الذي جئتهم به طوعاً أو كرهاً. ثمّ كرّر ذلك. و عن ابن‌عبّاس قال: يقول الله: خلقت عسراً واحداً و خلقت يسرين. فلن يغلب عسر يسرين. قال الفرّاء: إنّ العرب تقول: إذ ذكرت نكرة و أعدتها نكرة مثلها، صارتا اثنتين. كقولك: كسبت درهماً و أنفقت درهماً. و إذا أعدتها معرفة، تكون عينها. و قيل: إنّ الله بعث نبيّه و هو مقلّ و كانت قريش تعيّره بذلك، فظنّ أنّهم إنّما يكذّبوه لفقره، فوعده الله الغنى ليزيل عنه الغمّ و أنجز له وعده بفتح البلاد. ثمّ ابتدأ فضلاً آخر فقال ثانياً: «إنّ مع العسر يسراً».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧٠ ـ ٧٧١.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٢٨.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧١.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٢٨.

فهو وعد لجميع المؤمنين. يعني بذلك أنّ مع العسر في الدنيا للمؤمن يسراً في الآخرة، و ربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا و هو ما ذكر في الآية الأولى و يسر الآخرة و هو ما ذكر في الآية الثانية. و هذا الذي ذهب إليه المرتضى لأنّ الأصل تغاير الكلامين.[١]

«إنّ مع العسر يسراً». إن قلت: إنّ مع للصحبة. فما معنى اصطحاب العسر و اليسر؟ قلت: أراد أنّ الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب، فقرّب اليسر المترقّب حتّى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية و تقوية القلوب. و أمّا تنكير «يسراً» فللتعظيم.[٢]

[٧] «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ».

«فإذا فرغت» من الصلاة المكتوبة «فانصب» إلى ربّك في الدعاء. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و هو من النصب بمعنى التعب. أي: لاتشتغل بالراحة. و قال الصادق عليه السلام: هو الدعاء في دبر الصلوات و أنت جالس.[٣]

«فإذا فرغت» من حجّة الوداع «فانصب» أميرالمؤمنين[٤] وصيّك و أعلمهم فضله علانية. فقال:[٥] من كنت مولاه، فعليّ مولاه ـ الحديث.

و من البدع ما روي عن بعض الرافضة أنّه قرأ: «فإذا فرغت فانصب» ـ بكسر الصاد ـ أي: فانصب عليّاً للإمامة. و لو صحّ هذا للرافضيّ، لصحّ للناصبيّ أن يقرأ هكذا و يجعله أمراً من النصب الذي هو بغض عليّ و عداوته.[٦]

أقول: لايخفى أنّ هذا الرجل كان مضمراً لهذه الكلمة الخبيثة و لم‌يتمكّن من إظهارها لعدم مناسبة المقام، و الآن انتهز الفرصة. و إلّا فالرافضيّ ذكر القراءة و روى بمضمونها

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧١ ـ ٧٧٢. ٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٧١ ـ ٧٧٢.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧٢.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٢٨. و ما يأتي بعده في المتن لايوجد فيه.

٥ـ في النسخة زيادة: «عليه». ٦ـ الكشّاف ٤ / ٧٧٢.

حديثاً عن أئمّته الطاهرين الصادقين عندك و عند غيرك؛ أمّا الناصبيّ فلايقول ما علّمته أنت إلّا عن نصب و تشد[١] و تعليم شيطان كأمثالك.

[٨] «وَ إِلىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ».

«و إلى ربّك فارغب»؛ أي: فارفع حوائجك إلى ربّك. و قيل: تضرّع إليه راهباً من النار، راغباً إلى الجنّة.[٢]

١ـ هكذا في النسخة.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧٣.

٩٥.
سورة التين

من قرأها على طعام، جعل فيه الشفاء.(١)

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطاه الله خصلتين: العافية و اليقين، ما دام حيّاً. فإذا مات، أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأها صيام يوم.(٢)

و عن الصادق عليه السلام: من قرأها في الصلاة، أعطي [من] الجنّة حيث يرضى.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ».

«و التين». أراد التين الذي يؤكل و الزيتون الذي يعصر منه الزيت. و إنّما أقسم بالتين لأنّه فاكهة خالصة من شوائب التنغيص و فيه أعظم العبر، لأنّه على مقدار اللّقمة. و أكلها -كما روي عنه صلى الله عليه وآله- يقطع البواسير. و أمّا الزيتون، فإنّه [يعتصر منه الزيت الذي] يدور في أكثر الأطعمة. و قيل: التين الجبل الذي عليه دمشق. و الزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس. سمّيا بهما لأنّهما منابتهما. و قيل: التين مسجد دمشق. و الزيتون بيت المقدس. و قيل: التين المسجد الحرام. و الزيتون المسجد الأقصى.(٤)

[٢] «وَ طُورِ سِينِينَ».

سينين و سيناء واحد. و قيل: إنّ سينين معناه المبارك. فهو جبل الخير الكثير. و قيل:

١ـ المصباح / ٦١٤.
٢ـ المصباح / ٥٩٩.
٣ـ المصباح / ٥٩٩.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧٥.

معناه: كثير النبات و الشجر. و قيل: إنّ كلّ جبل فيه شجر مثمر فهو سينين و سيناء بلغة النبط.[١]

[٣] «وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ».

«البلد الأمين». يعني مكّة يأمن فيه الخائف. فالأمين يعني المؤمن؛ يؤمن من يدخل فيه.[٢]

عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام عنه صلى الله عليه و آله: انّ التين المدينة، و الزيتون بيت المقدس، و طور سينين الكوفة، و البلد الأمين مكّة.[٣]

[٤ ـ ٦] «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ».

«لقد خلقنا». جواب القسم. و أراد بالإنسان الجنس، آدم و ذرّيّته. «في أحسن تقويم»: في أحسن صورة. وقيل: منتصب القامة. «أسفل سافلين»: إلى الخرف و أرذل العمر و نقصان العقل في زمان الشيخوخة. و قيل: معناه: إلى النار. لأنّ بعضها أسفل من بعض. فيكون المراد الكفّار. «إلّا الذين آمنوا». فإنّهم لايردون النار. و على الأوّل إنّ المؤمن لايرد إلى الخرف و إن عمّر طويلاً. قال إبراهيم: إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل، كتب له ما كان يعمل. و هو قوله: «فلهم أجر غير ممنون»؛ أي: غير منقوص أو غير مقطوع.[٤]

[٧] «فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ».

«فما يكذّبك» أيّها الانسان بعد هذه الحجج «بالدين» الذي هو الجزاء و الحساب؟ أي: ما يحملك على تكذيب المعاد؟ فإنّ الذي قدر على خلقك شابّاً و ردّك إلى أرذل العمر، يقدر

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧٥.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧٥.
٣ـ الخصال / ٢٢٥، ح ٥٨.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧٥ ـ ٧٧٦.

على بعثك للجزاء. و قيل: إنّ الخطاب للنبيّ. أي: فمن يكذّبك ـ أيّها الرسول ـ بعد هذه الدلائل بالدين الذي هو الإسلام؟ أي: لا شيء يكذّبك.(١)

[٨] «أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ».

«بأحكم الحاكمين». فإذا كان أحكمهم، فكيف يترك جزاء الخلائق على أعمالهم؟ و قيل: إنّه يحكم بينك ـ يا محمّد ـ و بين أهل التكذيب بك.(٢)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧٦ ـ ٧٧٧.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٧٧.

۹٦.
سورة العلق

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ في يومه أو ليلته اقرأ باسم ربّك، ثمّ مات في يومه أو ليلته، مات شهيداً و بعثه الله شهيداً و أحياه شهيداً، و كان كمن ضرب بسيفه في سبيل الله عزّ و جلّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله.(۱)

عن الرضا عليه السلام: أوّل سورة نزلت اقرأ باسم ربّك. و آخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله و الفتح.(۲)

[۱ ـ ۲] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ».

«اقرأ باسم ربّك». أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقرأ باسم ربّه و أن يدعوه بأسمائه الحسنى. و في تعظيم الاسم تعظيم المسمّى. و الباء هنا زائدة. أي: اقرأ اسم ربّك. و أكثر المفسّرين على أنّ هذه السورة أوّل ما نزل من القرآن. و قيل: فاتحة الكتاب. «الذي خلق». أي جميع المخلوقات. ثمّ خصّ الإنسان بالذكر تشريفاً له فقال: «خلق الإنسان من علق». أراد به جنس بني آدم خلقهم من دم جامد بعد النطفة. و قيل: معناه: خلق آدم من طين يعلق باليد. و الأوّل أصحّ.(۳)

«باسم ربّك». [محلّه] النصب على الحال. أي: اقرأ مفتتحاً باسم ربّك قل: بسم الله، ثمّ

۱ـ ثواب الأعمال / ۱۵۱، ح ۱.
۲ـ عيون الأخبار ۲ / ۵ ـ ٦، ح ۱۲.
۳ـ مجمع البيان ۱۰ / ۷۸۰ ـ ۷۸۱.

اقرأ: «خلق». «خلق الإنسان». يجوز أن يراد: الذي خلق [الإنسان، فقيل: «الذي خلق»] مبهماً ثمّ فسّره بقوله: «خلق الإنسان» تفخيماً لخلق الإنسان.(١)

عن أبي جعفرعليه السلام قال: نزل جبرئيل فقال: يا محمّد «اقرأ باسم ربّك الذي خلق». يعني: خلق نورك القديم قبل الأشياء. «خلق الإنسان من علق». يعني خلقك من نطفة و شقّ منك عليّاً.(٢)

[٣] «اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ».

ثمّ أكّد الأمر بالإعادة فقال: «اقرأ». و قيل: أمره في الأوّل بالقراءة لنفسه و في الثاني بالقراءة للتبليغ. فليس بتكرار. و معناه: اقرأ القرآن و ربّك الأكرم الأعظم كرماً.(٣)

[٤ ـ ٥] «الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ».

«علّم بالقلم»؛ أي: علّم الكاتب أن يكتب بالقلم ما لم يعلم من الشرائع و الأحكام و أنواع الهدايات.(٤)

«علّم بالقلم». يعني علّم عليّ بن أبي طالب. يعني علّمه من الكتابة ما لم يعلموا قبل ذلك.(٥)

[٦ ـ ٧] «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ».

«كلّا إنّ الإنسان». ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه و إن لم يذكر لدلالة الكلام عليه.(٦)

«كلّا»؛ أي: حقّاً «إنّ الإنسان ليطغى»؛ أي: يتجاوز حدّه و يستكبر على ربّه. «أن راه»؛

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٧٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٣٠.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٨١.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٨١.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٣٠، عن الباقرعليه السلام. و فيه: «علّم الإنسان ما لم يعلم يعني علّم عليّاً ما لم يعلم قبل ذلك» بدل: «يعني علّمه من الكتابة...».
٦ـ الكشّاف ٤ / ٧٧٧.

أي: لأن رأى نفسه مستغنية عن ربّه بعشيرته و أمواله. و قيل: إنّما نزلت في أبي‌جهل بن هشام من هنا إلى آخر السورة.(١)

[٨] «إِنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الرُّجْعىٰ».

«الرجعى»؛ أي: مرجع كلّ أحد. فهذا الطاغي كيف يعصي ربّه و هو قادر على إهلاكه و على مجازاته إذا رجع إليه.(٢)

«إنّ إلى ربّك». واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديداً له من عاقبة الطغيان. روي أنّ أباجهل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: أ تزعم أنّ من استغنى طغى؟ فاجعل لنا جبال مكّة فضّة و ذهباً لعلّنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا و نتّبع دينك. فنزل جبرئيل فقال: إن شئت فعلنا ذلك، ثمّ إن لم يؤمنوا، فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة. فكفّ رسول الله صلى الله عليه وآله عن الدعاء إبقاء عليهم.(٣)

[٩ ـ ١٤] «أَ رَأَيْتَ الَّذِي يَنْهىٰ * عَبْداً إِذَا صَلّىٰ * أَ رَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدىٰ * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوىٰ * أَ رَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّىٰ * أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرىٰ».

«ينهى عبداً إذا صلّى». قال: كان الوليد بن المغيرة لينهى الناس عن الصلاة و أن يطاع الله.(٤)

«أرأيت الذي ينهى * عبداً إذا صلّى». تقرير للنبيّ صلى الله عليه وآله و إعلام له بما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة. فقد روي أنّ أباجهل قال: هل يعفّر محمّد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فبالذي يحلف به أبوجهل، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته! فقيل له: ها هو ذلك يصلّي. فانطلق ليطأ على رقبته. فجاءه ثمّ نكص على عقبيه. فقالوا: ما لك؟ قال: إنّ بيني و بينه خندقاً من نار و هولاً و أجنحة. قال نبيّ الله صلى الله عليه وآله: لو دنا منّي، لاختطفته الملائكة عضواً

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٨٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٨٢.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٧٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٣٠.

عضواً. فأنزل الله سبحانه: «أرأيت الذي ينهى» ـ الآية. و المعنى: أرأيت ـ يا محمّد ـ من يمنع عن الصلاة ماذا يكون جزاؤه و ما الذي يستحقّه من العذاب؟ فحذف لدلالة الكلام عليه. و الآية عامّة في كلّ من ينهى عن الصلاة. «أرأيت إن كان على الهدى». كرّر هذه اللّفظة للتأكيد في التعجّب. يعني: أرأيت إن كان العبد المنهيّ و هو محمّد ﷺ. «أو أمر بالتقوى». يعني بالإخلاص و التوحيد. و هاهنا حذف أيضاً. أي: كيف يكون حال من ينهاه عن الصلاة و يزجره عنها؟ «أرأيت إن كذّب» أبوجهل «و تولّى» عن الايمان و أعرض عن قبوله و الإصغاء إليه. «بأنّ الله يرى»؛ أي: يرى ما يفعله و يعلم ما يصنعه. و التقدير: أرأيت الذي فعل هذا الفعل ما الذي يستحقّ بذلك من الله تعالى من العقاب؟[١]

«أرأيت الذي ينهى عبداً»؛ أي: أخبرني عن من ينهى بعض عباد الله عن صلاته، إن كان [ذلك] الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله، أو كان آمراً بالمعروف و التقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد، و كذلك أخبرني إن كان على التكذيب للحقّ و التولّي عن الدين الصحيح كما نقول نحن «ألم يعلم بأنّ الله يرى» و يطّلع على أحواله من هداه و ضلاله فيجازيه على حسب ذلك؟ و هذا وعيد.[٢]

[١٥ ـ ١٦] «كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ».

«كلّا». ردع لأبي‌جهل و خسء له عن نهيه عن عبادة الله و أمره بعبادة اللّات. «لئن لم ينته» عمّا هو فيه «لنسفعاً بالناصية»: لنأخذنّ بناصيته و لنسحبنّه بها إلى النار. و السفع: القبض على الشيء و جذبه بشدّة. «ناصية كاذبة». بدل من الناصية. [و جاز بدلها عن المعرفة و هي نكرة] لأنّها نكرة موصوفة. و وصفها بالكذب و الخطاء على الإسناد المجازيّ و هما في الحقيقة لصاحبها.[٣]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٨٢.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٧٧ ـ ٧٧٨.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٧٨.

[١٧ ـ ١٨] «فَلْيَدْعُ نادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ».

و النادي: المجلس الذي ينتدي فيه القوم؛ أي: يجتمعون. و المراد أهل النادي. روي أنّ أباجهل مرّ برسول الله صلّى الله عليه و آله و هو يصلّي فقال: ألم أنهك؟ فأغلظ له رسول الله صلّى الله عليه و آله. فقال: أتهدّدني و أنا أكثر أهل الوادي نادياً؟ فنزلت: «سندع الزبانية». من الزبن و هو الدفع. و المراد بهم ملائكة العذاب. و عنه صلّى الله عليه و آله: لو دعا ناديه، لأخذته الزبانية عياناً.[١]

و قوله: «فليدع ناديه» قال: لمّا مات أبوطالب نادى أبوجهل و الوليد: هلمّوا و اقتلوا محمّداً. فقد مات الذي كان ناصره. فقال الله: « فليدع ناديه * سندع الزبانية». قال: كما دعا إلى قتل محمّد رسول الله صلّى الله عليه و آله نحن أيضاً ندع الزبانية.[٢]

«سندع الزبانية». قيل: إنّه إخبار بأنّه يدعو الزبانية دعا ناديه أو لم يدع. و صدق سبحانه في ذلك فقتل يوم بدر. يعني أباجهل.[٣]

[١٩] «كَلّا لا تُطِعْهُ وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ».

«كلّا». ردع لأبي‌جهل. «لاتطعه»؛ أي: اثبت على ما أنت عليه من عصيانه ـ كقوله: «فلاتطع المكذّبين»[٤] ـ و دم على سجودك. يريد الصلاة. «و اقترب»: و تقرّب إلى ربّك. و في الحديث: أقرب ما يكون العبد إلى ربّه إذا سجد.[٥]

و قد روي أنّه يقول في سجدة العزائم: لا إله إلّا الله إيماناً و تصديقاً. لا إله إلّا الله عبوديّة و رقّاً. سجدت لك يا ربّ تعبّداً و رقّاً لا مستنكفاً و لا مستكبراً؛ بل أنا عبد ذليل خائف مستجير. ثمّ يرفع رأسه ثمّ يكبّر.[٦]

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٧٨ ـ ٧٧٩.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٣١.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٨٣.
٤ـ القلم (٦٨) / ٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٧٩.
٦ـ الفقيه ١ / ١٣٤، ح ٦٢٨.

.٩٧
سورة القدر

عن أبي جعفرعليه السلام: من قرأ إنّا أنزلناه فجهر بها صوته، كان كالشاهر سيفه في سبيل الله عزّ و جلّ. و من قرأها سرّاً، كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله. و من قرأها عشر مرّات، محا الله عنه ألف ذنب من ذنوبه. و من قرأها عشر مرّات، مرّت له على محق ألف ذنب من ذنوبه.[١]

و عن أبي عبداللهعليه السلام: من قرأ إنّا أنزلناه في فريضة من فرائض الله، نادى مناد: يا عبد الله، غفر الله لك ما مضى. فاستأنف العمل.[٢]

قال الرضاعليه السلام: ما من عبد زار قبر مؤمن فقرأ عندها إنّا أنزلناه سبع مرّات، إلّا غفر الله له و لصاحب القبر.[٣]

عن أبي عبداللهعليه السلام: من قرأ إنّا أنزلناه اثنتين و ثلاثين مرّة في إناء جديد و رشّ [به] ثوبه الجديد إذا لبسه، لم يزل يأكل في سعة ما بقي [منه سلك].[٤]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ».

«أنزلناه»؛ أي: القرآن. قال ابن عبّاس: أنزل الله القرآن جملة واحدة في اللّوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثمّ نزل تدريجاً في ثلاث و عشرين سنة. و قيل: معناه: ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر. سمّيت ليلة القدر لأنّ الله يقضي و يقدّر فيها جميع أمور السنة. أو لأنّها

١ـ الكافي ٢ / ٦٢١، ح ٦.
٢ـ ثواب الأعمال / ١٥٢، ح ٢.
٣ـ الفقيه ١ / ١١٥، ح ٥٤١.
٤ـ الكافي ٦ / ٤٥٩، ح ٤.

ليلة القدر؛ أي: الخطر و الشرف. من قولهم: رجل له قدر. أو لأنّ من لم يكن له قدر، إذا أحياها صار ذا قدر. أو لأنّ الأرض تضيق فيها بالملائكة. من قوله: «و من قدر عليه رزقه»[١].[٢]

[٢] «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ».

«و ما أدراك» ـ يا محمّد ـ خطر ليلة القدر؟ و هذا حثّ على العبادة فيها.[٣]

[٣] «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

«خير من ألف شهر»؛ أي: قيام ليلة القدر و العمل فيها خير من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر. و عن ابن عبّاس قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب من ذلك رسول الله ﷺ عجباً شديداً و تمنّى أن يكون ذلك في أمّته، فقال: يا ربّ أمّتي أقصر أعماراً و أقلّ الناس عملاً. فأعطاه الله ليلة القدر و قال: «خير من ألف شهر» الذي حمل الإسرائيليّ السلاح في سبيل الله لك و لأمّتك من بعدك إلى يوم القيامة في كلّ رمضان.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام: «خير من ألف شهر» تملكها بنو أميّة ليس فيها ليلة القدر.[٥]

[٤ ـ ٥] «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ».

«و الروح». يعني جبرئيل. ينزلون إلى الأرض ليسمعوا الثناء على الله و قراءة القرآن. و قيل: ليسلّموا على المسلمين. «بإذن ربّهم»؛ أي: بأمره. «من كلّ أمر»؛ أي: بكلّ أمر من الخير و البركة و الرزق و الأجل إلى مثلها من العام القابل. فعلى هذا يكون الوقف هنا تامّاً، ثمّ

١ـ الطلاق (٦٥) / ٧.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٨٦.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٨٩.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٨٩.
٥ـ انظر: مقدّمة الصحيفة الكاملة السجّادية.

قال: «سلام هي»؛ أي: هذه اللّيلة سلامة من الشرور و البلايا و آفات الشيطان. و قيل: معناه: سلام على أولياء الله و أهل طاعته. فكلّما لقيهم الملائكة في هذه اللّيلة سلّموا عليهم من الله تعالى. و قيل: إنّ تمام الكلام عند قوله: «بإذن ربّهم» ثمّ ابتدأ فقال: «من كلّ أمر سلام»؛ أي: بكلّ أمر فيه سلامة و بركة، ثمّ قال: «هي حتّى مطلع الفجر»؛ أي: السلامة و البركة تمتدّ إلى وقت طلوع الفجر. الكسائيّ و خلف: «مطلع» بكسر اللّام.[١]

عنه صلى الله عليه وآله: إذا كان ليلة القدر، يأمر الله تعالى جبرئيل فيهبط في كبكبة من الملائكة و معهم لواء أخضر، فيركز اللّواء على ظهر الكعبة و يبثّ الملائكة يسلّمون على كلّ قاعد و قائم و مصلّ وذاكر و يصافحونهم و يؤمّنون على دعائهم حتّى يطلع الفجر. و إذا طلع نادى جبرئيل عليه السلام: معاشر الملائكة، الرحيل الرحيل. فيقولون: يا جبرئيل، ما صنع الله تعالى في حوائج المؤمنين؟ فيقول: إنّ الله نظر إليهم فعفا عنهم و غفر لهم إلّا أربعة: مدمن الخمر، و عاقّ لوالديه، و قاطع رحم، و مشاحن.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: التقدير في ليلة تسعة عشر. و الإبرام في ليلة إحدى و عشرين. و الإمضاء في ليلة ثلاث و عشرين.[٣]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٠ و ٧٨٥.

٢ـ نور الثقلين ٥ / ٦١٤، ح ١٣، عن كتاب جعفر بن محمّد الدوريستيّ.

٣ـ الكافي ١ / ١٥٧.

٩٨.
سورة البيّنة

عن أبي جعفرعليه السلام: من قرأ سورة لم يكن، كان بريئاً من الشرك و أدخل في دين محمّد و بعثه الله مؤمناً و حاسبه حساباً يسيراً.[١]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ».

«من أهل الكتاب»: اليهود و النصارى. «و المشركين»: عبدة الأوثان من العرب و غيرهم. «منفكّين»: منفصلين و زائلين. و قيل: لم يكونوا منتهين عن كفرهم بالله و عبادتهم غير الله. «حتّى تأتيهم». اللّفظ لفظ المستقبل و المعنى على الماضي. و قوله: «البيّنة» يريد به محمّداًصلى الله عليه وآله. أخبر تعالى أنّهم لم ينتهوا عن كفرهم و شركهم بالله حتى أتاهم محمّدصلى الله عليه وآله فبيّن لهم ضلالهم و دعاهم إلى الايمان.[٢]

عن أبي جعفرعليه السلام في قوله عزّ و جلّ: «لم يكن الذين كفروا» قال: هم مكذّبو الشيعة. لأنّ الكتاب هو الآيات و أهل الكتاب الشيعة. و قوله: «و المشركين» يعني المرجئة. «حتّى تأتيهم البيّنة». قال: يتّضح لهم الحقّ.[٣]

أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال: دفع إليّ أبوالحسنعليه السلام مصحفاً و قال: انظر[٤] فيه.

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩١.

٢ـ مجمع البيان ١٠/ ٧٩٣.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٨٢٩، ح ١.

٤ـ المصدر: لاتنظر.

ففتحته فقرأت فيه: «لم يكن الذين كفروا» فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم و أسماء آبائهم. قال: فبعث إليّ: ابعث إليّ بالمصحف.[١]

«لم يكن الذين كفروا». كان الكفّار من الفريقين أهل الكتاب و عبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله: لاننفكّ ممّا نحن عليه من ديننا و لانتركه حتّى يبعث النبيّ الموعود الذي هو مكتوب في التوراة و الإنجيل. و هو محمّد صلى الله عليه وآله. فحكى الله ما كانوا يقولونه ثمّ قال: «و ما تفرّق الذين». يعني أنّهم كانوا يعدون الاتّفاق على الحقّ إذا جاءهم الرسول ثمّ ما فرّقهم عن الحقّ و لا أقرّهم على الكفر إلّا مجيء الرسول. فذكّرهم ما كانوا يقولونه توبيخاً و إلزاماً.[٢]

[٢ ـ ٣] «رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ».

«رسول من الله»: جبرئيل عليه السلام. و هو التالي للصحف المطهّرة. و يجوز أن يراد النبيّ صلى الله عليه وآله.[٣]

«رسول من الله». بيان للبيّنة و تفسير لها. أي: رسول من قبل الله. «صحفاً مطهّرة» من السماء لايمسّها إلّا الملائكة المطهّرون. و هو محمّد أتاهم بالقرآن و دعاهم إلى الإيمان. «فيها»؛ أي: في تلك الصحف. «كتب قيّمة»: عادلة تبين الحقّ من الباطل. و قيل: مطهّرة من الكذب و الزور. و يعني بالصحف ما يتضمّنه الصحف من المكتوب فيها. و يدلّ على ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب. و قيل: معناه: في القرآن كتب قيّمة؛ بمعنى أنّه يشتمل على أنواع العلوم كلّ نوع كتاب.[٤]

«رسول من الله». يعني محمّداً صلى الله عليه وآله. «يتلو صحفاً» يدلّ على أولي الأمر من بعده و هم الأئمّة عليهم السلام. «فيها كتب قيّمة»؛ أي: عندهم الحقّ المبين.[٥]

١ـ الكافي ٢ / ٦٣١، ح ١٦.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٨٢.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٨٢.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٣ ـ ٧٩٤.

٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٨٢٩ ـ ٨٣٠، ح ١، عن الباقر عليه السلام.

[٤ ـ ٥] «وَ مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَ ذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ».

«و ما تفرّق الذين أوتوا الكتاب». يعني: و ما اختلف هؤلاء في أمر محمّد إلّا من بعد ما جاءتهم البشارة في كتبهم و على ألسنة رسلهم فكانت الحجّة قائمة عليهم. فكذلك لا يترك المشركون من غير حجّة تقوم عليهم. و قيل: معناه: لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمّد صلى الله عليه و آله حتّى بعثه الله. فلمّا بعثه، تفرّقوا في أمره فآمن به بعض و كفر آخرون. ثمّ بيّن سبحانه ما أمروا به في كتبهم فقال: «و ما أمروا إلّا ليعبدوا الله»؛ أي: لم يأمرهم إلّا بأن يعبدوا الله وحده، فهذا ما لا يختلف فيه ملّة. «حنفاء»: مائلين عن جمع الأديان إلى دين الإسلام. «و يقيموا الصلاة»؛ أي: يداوموا عليها و يخرجوا ما فرض عليهم في أموالهم. «و ذلك» الذي قدّم ذكره «دين القيّمة»؛ أي: دين الكتب القيّمة التي تقدّم ذكرها. و قيل: دين الملّة القيّمة. و استدلّ بهذه الآية على وجوب النيّة في الطهارة، إذ أمر سبحانه بالعبادة على وجه الإخلاص و إنّ العبادة لا تقبل إلّا بالنيّة و القربة و الطهارة عبادة فلا تجزي إلّا بالنيّة.(١)

«الذين أوتوا الكتاب». يعني مكذّبو الشيعة. «ما جاءتهم البيّنة»؛ أي: من بعد ما جاءهم الحقّ. «و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة». الصلاة و الزكاة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.(٢)

[٦ ـ ٨] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ».

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٤.

٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٨٣٠، عن الباقر عليه السلام.

«شرّ البريّة»؛ أي: الخليقة. «رضي الله عنهم» بما قدّموه من الطاعات «و رضوا عنه» بما جازاهم من الثواب. و ذلك الرضا و الثواب لمن خشي ربّه فترك معاصيه و عمل طاعاته. و عن عليّ عليه السلام قال: قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و أنا مسنده إلى صدري فقال: يا عليّ، ألم تسمع قول الله تعالى: «إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة»؟ هم شيعتك. و موعدي و موعدكم الحوض إذا اجتمع الأمم للحساب يدعون غرّاً محجّلين. و عن ابن عبّاس في قوله: «أولئك هم خير البريّة» قال: نزلت في عليّ و أهل بيته.(١)

جابر قال: كنّا عند النبيّ صلى الله عليه و آله فأقبل عليّ بن أبي طالب. فقال: قد أتاكم أخي. إنّه أوّلكم إيماناً، و أوفاكم بعهد الله، و أقومكم بأمر الله، و أعدلكم في الرعيّة، و أقسمكم بالسويّة، و أعظمكم عند الله مزيّة. فنزلت: «إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة». قال: فكان أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله إذا أقبل عليّ عليه السلام قالوا: جاء خير البريّة.(٢)

و عنه صلى الله عليه و آله: ما من هدهد إلّا و في جناحه مكتوب بالسريانيّة: آل محمّد خير البريّة.(٣)

و قال عليّ عليه السلام لميثم التمّار: أحبب حبيب آل محمّد و إن كان فاسقاً زانياً. و أبغض مبغض آل محمّد و إن كان صوّاماً قوّاماً. فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و هو يقول: «الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة». [ثمّ التفت إليّ و قال: هم ـ و الله ـ أنت و شيعتك يا عليّ....](٤)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٥.
٢ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٢٥٧.
٣ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٣٦٠.
٤ـ أمالي الطوسيّ ٢ / ١٩ ـ ٢٠.

.٩٩
سورة الزلزال

و عن أبي عبدالله عليه السلام: لاتملّوا من قراءة إذا زلزلت الأرض. فإنّ من كانت قراءته في نوافله، لم يصبه الله بزلزلة أبداً و لا صاعقة و لا آفة من آفات الدنيا، و إذا مات أمر به [إلى] الجنّة.(١)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا».

خوّف الله سبحانه عباده أهوال يوم القيامة فقال: «إذا زلزلت الأرض زلزالها»؛ أي: حرّكت الأرض تحريكاً شديداً لقيام الساعة زلزالها الذي كتب عليها. و يمكن أن يكون إنّما أضافها إلى الأرض لأنّها تعمّ جميع الأرض بخلاف الزلزال المعهود فيكون في قوله: «زلزالها» تنبيه على شدّتها.(٢)

«زلزالها». إن قلت: ما معنى زلزالها بالإضافة؟ قلت: معناه: زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة و مشيّة الله. و هو الزلزال الشديد الذي ليس بعده. و نحوه قولك: أهن الفاسق إهانته؛ أي: ما يستوجبه من الإهانة. أو: زلزالها كلّه و جميع ما هو ممكن منه.(٣)

[٢] «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا».

«أثقالها»؛ أي: موتاها. تخرجها أحياء للجزاء. و قيل: معناه: لفظت ما فيها من الكنوز

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٦.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٨.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٨٣.

و المعادن فتلقيها على ظهرها ليراها أهل الموقف. و الفائدة في ذلك أن تتحسّر العصاة إذا رأوها لأنّهم عصوا الله فيها ثمّ تركوها لاتغني عنهم شيئاً. و أيضاً فإنّها تكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم.[١]

[٣] «وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا».

«و قال الإنسان ما لها»: و يقول الإنسان متعجّباً: ما للأرض تتزلزل؟ و قيل: المراد بالإنسان الكافر. لأنّ المؤمن معترف بها لا يسأل عنها.[٢]

و ذلك عند النفخة الثانية حين تلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع؛ كما يقولون: «من بعثنا من مرقدنا»[٣].[٤]

[٤ ـ ٥] «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحىٰ لَهَا».

«تحدّث أخبارها»؛ أي تخبر بما عمل عليها. و عنه صلى الله عليه وآله: أخبارها أن تشهد على كلّ عبد و أمة بما عمل على ظهرها؛ يقول: عملت عليّ كذا و كذا يوم كذا و كذا. فيجوز أن يكون أحدث الله الكلام فيها. «بأنّ ربّك أوحى لها»؛ أي: ألهمها و عرّفها بأن تحدّث أخبارها. و قيل: بأن تلقي الكنوز و الأموات على ظهرها. و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حافظوا على الوضوء. و خير أعمالكم الصلاة. و تحفّظوا من الأرض. فإنّها أمّكم و ليس أحد يعمل فيها خيراً أو شرّاً إلّا و هي مخبرة به.[٥]

و تحديث الأرض مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللّسان. و قيل: ينطقها الله على الحقيقة و تخبر بما عمل عليها من خير و شرّ. فإن قلت: «إذا» و «يومئذ» ما ناصبها؟ قلت: يومئذ بدل من إذا و ناصبها «تحدّث». و يجوز أن

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٨.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٨.
٣ـ يس (٣٦) / ٥٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٨٣ ـ ٧٨٤.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٨ ـ ٧٩٩.

ينتصب إذا بمضمر و يومئذ بتحدّث. فإن قلت: أين مفعولا تحدّث؟ قلت: قد حذف أوّلهما، و الثاني «أخبارها». أي: تحدّث الخلق أخبارها. إلّا أنّ المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيماً لليوم. فإن قلت: بم تعلّقت الباء في قوله: «بأنّ ربّك»؟ قلت: بتحدّث. و معناه: تحدّث أخبارها بسبب إيماء ربّك لها و أمره إيّاها بالتحديث. [و يجوز أن يقال:] «بأنّ ربّك» بدل من أخبارها. و «أوحى لها» بمعنى أوحى إليها.(١)

و كان عليّ عليه السلام إذا فرغ بيت المال، صلّى فيه ركعتين و يقول: اشهدي أنّي ملأتك بحقّ و فرّغتك بحقّ.(٢)

تميم بن حاتم قال: كنّا مع عليّ عليه السلام حيث توجّهنا إلى البصرة. فبينما نحن نزول إذ اضطربت الأرض فضربها عليّ عليه السلام بيده الشريفة و قال لها: ما لك؟ ثمّ أقبل علينا بوجهه الكريم ثمّ قال لنا: أما إنّها لو كانت الزلزلة التي ذكرها الله عزّوجلّ في كتابه العزيز، لأجابتني ولكنّها ليست بتلك.(٣)

و عن فاطمة عليها السلام قالت: أصاب الناس زلزلة على عهد أبي‌بكر و عمر و فزع الناس إليهما فوجدوهما قدخرجا إلى عليّ عليه السلام. فوقف الناس على بابه و خرج غير مكترث لما هم فيه فمضى مع الناس إلى تلعة فقعدوا عليها و هم ينظرون إلى حيطان المدينة ترتجّ فقال عليه السلام: كأنّه قد هالكم ما ترون؟ قالوا: نعم؛ لأنّا لم نر مثلها قطّ. فحرّك شفتيه و ضرب الأرض بيده الشريفة و قال لها: اسكني. فسكنت بإذن الله و تعجّبوا. فقال: أنا الرجل الذي قال الله: «و قال الإنسان ما لها». أنا الإنسان الذي يقول لها فتحدّثني أخبارها.(٤)

[٦] «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ».

«يصدر الناس»؛ أي: يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض «أشتاتاً»: متفرّقين أهل الإيمان على حدة، وأهل كلّ دين على حدة. كقوله: «يوم يقوم الساعة يومئذ

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٨٤.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ١٤٧.
٣ـ علل الشرائع / ٥٥٥، ح ٥.
٤ـ علل الشرائع / ٥٥٦، ح ٨.

يتفرّقون».[١] «ليروا أعمالهم»؛ أي: جزاء أعمالهم. و المعنى أنّهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من الجنّة و النار.[٢]

«يصدر الناس أشتاتاً». قال: يجيئون أشتاتاً مؤمنين و كافرين و منافقين. «ليروا أعمالهم». قال: يقفوا على ما عملوه.[٣]

«أشتاتاً»: بيض الوجوه آمنين و سود الوجوه فزعين. أو: يصدرون عن الموقف أشتاتاً تتفرّق بهم طريقا الجنّة و النار.[٤]

[٧ ـ ٨] «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ».

قال جارالله: إنّ حسنات الكافر محبطة بالكفر، و سيّئات المؤمن مكفّرة باجتناب الكبائر. فما معنى الجزاء لمثاقيل الذرّ من الخير و الشرّ؟ و أجاب على مذهبه بأنّ المعنى: فمن يعمل من فريق السعداء مثقال ذرّة خيراً يره. و من يعمل من فريق الأشقياء مثقال ذرّة شرّاً يره. و ذلك أنّ الحكم جاء بعد قوله: «يصدر الناس أشتاتاً». و الأولى في جوابه ما روي عن ابن‌عبّاس رضي الله عنه: ليس من مؤمن [و لا كافر] عمل خيراً أو شرّاً إلّا أراه الله إيّاه. فأمّا المؤمن، فيغفر له سيّئاته و يثاب بحسناته. و أمّا الكافر، فتردّ حسناته و يعذّب بسيّئاته. و قيل: إنّ حسنات الكافر و إن كانت محبطة بكفره، لكنّ الموازنة معتبرة فتقدّر تلك الحسنات و انحبطت من عقاب كفره. و كذا القول في الجانب الآخر. و عن محمّد بن كعب: معناه: فمن يعمل مثقال ذرّة من خير و هو كافر، فإنّه يرى ثواب ذلك في الدنيا في نفسه أو أهله أو ماله و يلقى الآخرة و ليس له فيها خير. و من يعمل مثقال ذرّة من شرّ و هو مؤمن، فإنّه يرى عقوبة ذلك في الدنيا في نفسه أو أهله أو ماله حتّى يلقى الآخرة و ليس له فيها شرّ. و هذا مرويّ عن ابن‌عبّاس أيضاً.[٥]

١ـ الروم (٣٠) / ١٤.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٩.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٣٣.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٨٤.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ٣٠ / ١٤٨.

الذرّة: النملة الصغيرة. و قيل: الذرّ ما يرى في شعاع الشمس من الهباء.[١]

عن الكسائيّ: «خيراً يُره» و «شرّاً يُره» بضمّ الياء فيهما. و هو رواية أبان عن عاصم.[٢]

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٨٥.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٧٩٧.

١٠٠.
سورة العاديات

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة و العاديات و أدمن قراءتها، بعثه الله عزّ و جلّ مع أميرالمؤمنين عليه السلام يوم القيامة و كان في رفقائه.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت هذه السورة في أهل وادي اليابس. و ذلك أنّهم اجتمعوا اثني عشر ألف فارس و تعاقدوا على أن [لايتخلّف رجل عن رجل... حتّى] يموتوا كلّهم على حلف واحد، أو[٢] يقتلوا محمّداً صلى الله عليه وآله و عليّاً عليه السلام، فأخبره جبرئيل عليه السلام بما تعاقدوا عليه و أمره أن يبعث أبابكر إليهم في أربعة آلاف فارس. فأخبر أصحابه بما تعاقد عليه القوم و قال لهم[٣]: انّ الله أمرني أن أسيّر إليهم أبابكر في أربعة آلاف فارس. فانهضوا بعددكم فتهيّؤوا. و أمر أبابكر أن يعرض عليهم الإسلام، فإن تابعوا و إلّا قاتلهم و سبى ذراريهم و أخذ أموالهم. فمضى أبوبكر حتّى إذا بلغ الوادي اليابس، نزل قريباً منهم. فخرج إليهم من أهل الوادي مائتا رجل مدجّجين بالسلاح فقالوا: من أين أقبلتم؟ فقال لهم أبوبكر: أنا صاحب رسول الله. أمرني أن أعرض عليكم الإسلام و إلّا فالحرب. قالوا له: ما و اللّات و العزّى، لولا رحم ماسّة، لقتلناك و أصحابك. ارجعوا. إنّما نريد صاحبكم بعينه و أخاه عليّاً. فقال أبوبكر لأصحابه: القوم أكثر منكم. فارجعوا نعلم رسول الله صلى الله عليه وآله بحال القوم. فقال له أصحابه: خالفت ـ و الله ـ رسول الله. فاتّق الله و واقع القوم. فلم يقتل. فلمّا رجع قال له النبيّ:

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٢ ـ ١٥٣، ح ١.

٢ـ في النسخة: «على أن» بدل «أو».

٣ـ في النسخة: «أمرهم» بدل «قال لهم».

خالفت أمري و كنت لي ـ و الله ـ عاصياً. فصعد المنبر و أعلم الناس أنّ أبابكر خالفه. ثمّ قال: إنّ الله أمرني أن أبعث إليهم عمر مكانه في أربعة آلاف فارس. فقال له: يا عمر، سر على اسم الله و لاتعمل كما عمل أبوبكر أخوك. فإنّه عصى الله و عصاني. فلمّا أشرف على الوادي، خرج إليه مائتا فارس و قالوا له ما قالوا لأبي‌بكر، فرجع هارباً منهم. فلمّا رجع إليه قال له: يا عمر، عصيت الله في عرشه و خالفت قولي. ثمّ قال: إنّ جبرئيل أمرني أن أبعث عليّاً في هؤلاء المسلمين و أخبرني أنّ الله يفتح عليه و على أصحابه. فدعا عليّاً و أوصاه بما أوصاهما. فلمّا أشرفوا على الوادي، نزلوا، فأخرجوا إليهم مائتي رجل شاكين بالسلاح. فخرج إليهم عليّ في نفر من أصحابه و قال: أنا عليّ بن أبي‌طالب. أدعوكم إلى الإيمان. فقالوا له: إيّاك أردنا. فاستعدّ للحرب غداً. فلمّا انشقّ عمود الصبح، غار عليهم بأصحابه، فلم‌يعلموا حتّى وطأتهم الخيل؛ فقتل مقاتليهم و سبى ذراريهم و خرّب ديارهم و أقبل بالأسارى و الأموال. فاستقبله النبيّ ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة. و ما غنم المسلمون مثلها قطّ. فنزلت هذه السورة: «و العاديات ضبحاً».[١]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحاً».

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: العاديات الإبل من عرفة إلى المزدلفة، و من المزدلفة إلى منى.[٢]

«و العاديات». أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحاً؛ و هو صوت أنفاسها عند العدو. و نصبه بفعله المحذوف.[٣]

[٢] «فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً».

«فالموريات قدحاً»: فالّتي توري النار. و الإيراء: إخراج النار. يقال: قدح الزند

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٣٤ ـ ٤٣٨.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٠٣. و فيه: و روي أيضاً أنّها إبل الحاجّ تعدو من عرفة إلى....

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١٥.

فأورى. و ذلك من حوافرها.[١]

[٣] «فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً».

«فالمغيرات» يغير أهلها على العدوّ «صبحاً»؛ أي: في وقته.[٢]

«فالمغيرات صبحاً». قيل: يريد الإبل ترتفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى. و السنّة أن لاترتفع بركبانها حتّى تصبح. و الإغارة: سرعة السير.[٣]

[٤] «فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً».

«فأثرن به»: فهيّجن بذلك الوقت «نقعاً»: غباراً أو صياحاً.[٤]

و قوله: «فأثرن» عطف على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه. لأنّ المعنى: و اللّاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن.[٥]

[٥] «فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً».

«فوسطن به»؛ أي: توسّطن بذلك الوقت أو بالعدو أو بالنقع؛ أي: ملتبسات به «جمعاً» من جموع الأعداء.[٦]

[٦] «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ».

«إنّ الإنسان». جواب القسم. «لكنود»: كفور.[٧]

«إنّ الإنسان لربّه لكنود»؛ أي: كفور. و هما اللّذان أمرا و أشارا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أن يدع الطريق بما حسداه. و قد كان عليه السلام أخذ بهم على غير طريقتهما فعلما أنّه يظفر بالقوم.

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١٥.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١٥.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٠٤.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١٥.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٨٨.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١٥.

٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١٥.

فقال عمرو بن العاص لأبي‌بكر: إنّ عليّاً غلام حدث لا علم له بالطريق. و هذا الطـريق مسبع. فمشيا إليه و قالا: يا أبا الحسن، إنّ هذا الطريق مسبع. فلو رجعت إلى الطريق. فقال لهما: اسمعا و أطيعا. فأنا أعلم بما أصنع.[١]

[٧ـ٨] «وَ إِنَّهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ».

«و إنّه على ذلك»؛ أي: و إنّ الإنسان على كنوده «لشهيد»: يشهد على نفسه لظهور أثره عليه. أو: إنّ الله على كنوده لشهيد. فيكون وعيداً. «لحبّ الخير»؛ أي: المال. من قوله: «إن ترك خيراً».[٢] «لشديد»: لبخيل. أو: لقويّ مبالغ فيه.[٣]

[٩ـ١١] «أَ فَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ».

«إذا بعثر»: بعث «ما في القبور» من الموتى. «و حصّل»؛ أي: جمع محصّلاً في الصحف. أو: ميّز ما في الصدور من خير أو شرّ. و تخصيصه لأنّه الأصل. «يومئذ». و هو يوم القيامة. «لخبير»: عالم بما أعلنوا و ما أسرّوا فيجازيهم.[٤]

«و حصّل ما في الصدور» عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت الآيتان فيهما خاصّة. كانا يضمران ضمير السوء و يعملان به فأخبر الله خبرهما و فعالهما.[٥]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٣٩. و قد روى القمّيّ عن أبي عبدالله عليه السلام فيما ذكره المصنّف ملخّصاً: «فخرج عليّ عليه السلام ... فسار بهم سيراً غير سير فلان و فلان....»

٢ـ البقرة (٢) / ١٨٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١٥.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٩.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٣٩.

١٠١.
سورة القارعة

عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ و أكثر قراءة القارعة، آمنه الله عزّ و جلّ من فتنة الدجّال أن يؤمن به، و من قيح جهنّم يوم القيامة إن شاء الله.(١)

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الْـقَارِعَةُ * مَـا الْـقَارِعَةُ * وَ مَـا أَدْرَاكَ مَـا الْقَارِعَةُ».

«القارعة»: اسم من أسماء القيامة لأنّها تقرع القلوب بالفزع. و القارعة في الأصل: البليّة التي تقرع القلوب بشدّة. «ما القارعة». تعظيم لشأنها و معناه: و أيّ شيء القارعة؟ [«و ما أدراك ما القارعة».] يقول: يا محمّد، لاتعلم حقيقة أمرها و كنه وصفها على سبيل التفصيل.(٢)

[٤ ـ ٥] «يَوْمَ يَكُـونُ النَّـاسُ كَـالْفَرَاشِ الْمَـبْثُوثِ * وَ تَكُـونُ الْجِـبَالُ كَـالْعِهْنِ الْمَـنْفُوشِ».

«كالفراش». شبّه الناس عند البعث بما يتهافت في النار. و هو الطائر الذي يتساقط في النار و السراج. و ذلك أنّ الفراش إذا ثار لم يتوجّه إلى جهة واحدة، و كذلك الناس يفزعون عند البعث فيختلفون في المقاصد. من باب قوله تعالى: «كأنّهم جراد منتشر».(٣) «كالعهن».

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٣، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٠٨.
٣ـ القمر (٥٤) / ٧.

و هو الصوف المصبوغ المندوف. أي: إنّها تزول عن أماكنها و تصير خفيفة السير.[١]

شبّه الجبال بالعهن ـ و هو الصوف المصبّغ ألواناً ـ لأنّها ألوان، و بالمنفوش [منه] لتفرّق أجزائها.[٢]

[٦ ـ ٧] «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ».

«ثقلت موازينه»: رجحت حسناته و كثرت خيراته. «راضية»: ذات رضاً يرضاها صاحبها.[٣]

الموازين: جمع موزون، و هو العمل الذي له وزن و خطر عند الله، أو جمع ميزان و ثقلها رجحانها.[٤]

[٨ ـ ١١] «وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَ مَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ».

«خفّت موازينه»: قلّت طاعاته. و قد تقدّم الكلام في حقيقة الوزن في الأعراف. حمزة و يعقوب: «ما هي» في الوصل. و الباقون: «ما هيه» وقفاً و وصلاً.[٥]

قيل لأبي عبدالله عليه السلام: أو ليس توزن الأعمال؟ قال: لا. لأنّ الأعمال ليست أجساماً. و إنّما هي صفة ما عملوا. و إنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء و لا يعرف ثقلها و خفّتها. قيل: فما معنى الميزان؟ قال: العدل. و قوله: «فمن ثقلت موازينه»؛ أي: رجح عمله.[٦]

«فأمّه هاوية». من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة: هوت أمّه. لأنّه إذا هوى ـ أي: سقط و هلك ـ فقد هوت أمّه ثكلاً و حزناً. كأنّه قال: و أمّا من قلّت حسناته، فقد هلك. و قيل: هاوية من أسماء النار و كأنّها النار العميقة لهويّ أهل النار فيها مهوًى بعيداً. كما روي:

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٠٨.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٠.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٠٨.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٠.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٠٨ و ٨٠٧.

٦ـ الاحتجاج / ٢٤٤.

يهوي فيها سبعين خريفاً. أي: فمأواه النار. و قيل للمأوى أمّ على التشبيه. فإنّ الأمّ مأوى الولد. و قيل: «فأمّه هاوية»: فأمّ رأسه هاوية في قعر جهنّم. لأنّه يطرح فيها منكوساً. «هيه». ضمير الداهية التي دلّ عليها قوله: «فأمّه هاوية» في التفسير الأوّل. أو ضمير هاوية. و الهاء للسكت. و إذا وصل القارئ حذفها. و قيل: حقّه أن لايدرج لئلّايسقطها الإدراج لأنّها ثابتة بالمصحف. و قد أجيز إثباتها مع الوصل.[١]

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٠ ـ ٧٩١.

١٠٢.
سورة التكاثر

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأ التكاثر عند النوم، وقاه الله ضغطة القبر.[١]

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم الله عليه في الدنيا و كان كمن قرأ ألف آية.[٢]

و عن الصادق عليه السلام: من قرأها في فريضة، كان له ثواب مائة شهيد ـ الخبر.[٣]

التكاثر: نافعة للصداع إذا قرئت عليه.[٤]

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ».

«ألهاكم»؛ أي: شغلكم «التكاثر»: التباري في الكثرة و التباهي بها بأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، و هؤلاء: نحن أكثر. روي أنّ بني عبدمناف و بني سهم تفاخروا أيّهم أكثر عدداً، فكثرهم بنو عبدمناف. فقالت بنو سهم: إنّ البغي أهلكنا في الجاهليّة. فعادّونا بالأحياء و الأموات. فكثرهم بنو سهم. و المعنى: انّكم تكاثرتم بالأحياء حتّى إذا استوعبتم عددهم، صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات. عبّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكّماً بهم. و قيل: كانوا يزورون المقابر فيقولون: هذا قبر فلان و هذا قبر فلان، عند تفاخرهم. و المعنى: ألهاكم ذلك ـ و هو ما لايعنيكم و لايجدي عليكم في دنياكم و آخرتكم ـ عمّا يعنيكم من أمر الدين. أو أراد: ألهاكم التكاثر بالأموال و الأولاد إلى أن متّم و قبرتم، منفقين أعماركم في

١ـ الكافي ٢ / ٦٢٣، ح ١٤. و فيه: «وقي فتنة القبر».
٢ـ المصباح / ٦٠٠ ـ ٦٠١.
٣ـ المصباح / ٦٠١.
٤ـ المصباح / ٦١٦.

طلب الدنيا و التهالك عليها حتّى أن أتاكم الموت، عمّا هو أولى بكم من العمل لآخرتكم. و زيارة القبور عبارة عن الموت.[١]

عنه عليه السلام «ألهاكم التكاثر» قال: تكاثر الأموال جمعها من حقّها و من غير حقّها و شدّها في الأوعية. «حتّى زرتم المقابر»: حتّى دخلتم قبوركم.[٢]

[٣ ـ ٥] «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ».

«كلّا». ردع و تنبيه على أنّه لاينبغي للناظر لنفسه أن يكون الدنيا جميع همّه و لايهتمّ بدينه. «سوف تعلمون». إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم. و التكرير تأكيد للردع و الإنذار عليهم. و «ثمّ» دلالة على أنّ الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل و أشدّ. و المعنى: سوف تعلمون الخطاء فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من الأهوال. و إنّ هذا التنبيه نصيحة لكم. ثمّ كرّر التنبيه و قال: «لو تعلمون» محذوف الجواب. يعني: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين، لفعلتم ما لايوصف ولكنّكم ضلّال جهلة.[٣]

«كلّا سوف تعلمون» لو دخلتم قبوركم. «ثم كلّا سوف تعلمون» لو خرجتم من قبوركم إلى محشركم. «علم اليقين». قال: ذلك حين يؤتى بالصراط فينتصب بين جسري جهنّم.[٤]

[٦ ـ ٧] «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ».

«لترونّ الجحيم». بيّن لهم ما أنذرهم منه. و في إيضاح الشيء بعد إبهامه تفخيم و تعظيم. و هو جواب قسم محذوف. و القسم لتأكيد الوعيد و أنّ ما أوعدوا به ممّا لا مدخل فيه للريب. و كرّره معطوفاً بثمّ تغليظاً في التهديد. «عين اليقين»؛ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين.[٥]

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٩١ ـ ٧٩٢.
٢ـ روضة الواعظين / ٤٩٣.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٢.
٤ـ روضة الواعظين / ٤٩٣، عن النبيّ المكرّم صلى الله عليه وآله.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٢.

[٨] «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ».

«عن النعيم». و هو نعيم من استهلك همّته على استيفاء اللّذّات و لم‌يعش إلّا ليقطع أوقاته باللّهو و الطرب لايعبأ بالعلم و العمل و لايحمل نفسه مشاقّهما. فأمّا من تمتّع بأوقات الله و تقوّى بها على العلم و العمل و كان ناهضاً بالشكر، فهو من ذلك بمعزل.(١)

قال رسول الله: كلّ نعيم مسؤول عنه صاحبه إلّا ما كان في غزو أو حجّ.(٢)

سأل أبوحنيفة أباعبدالله عليه السلام عن قوله: «لتسألنّ يومئذ عن النعيم» فقال له: ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام و الماء البارد. فقال: لئن أوقفك الله بين يديه يوم القيامة حتّى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها أو شربة شربتها، ليطولنّ وقوفك بين يديه! قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: نحن أهل البيت الذين أنعم الله بنا على العباد و بنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين و بنا هداهم الله الإسلام. و هو النعيم الذي لاينقطع. و الله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم به عليهم و هو النبيّ و عترته.(٣)

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٣. ٢ـ الفقيه ٢ / ٢٢١، ح ٢٢٣١.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٨١٣، عن العيّاشيّ.

١٠٣.
سورة العصر

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ و العصر في نوافله، بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنّه قريراً عينه حتّى يدخل الجنّة.(١)

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ الْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ».

عن أبي عبدالله في قوله: «و العصر» قال: عصر خروج القائم عليه السلام. «الإنسان». هم أعداؤنا.(٢)

«و العصر». أقسم بصلاة العصر لفضلها. لأنّها الصلاة الوسطى، و لأنّ التكليف في أدائها أشقّ لتهافت الناس في تجاراتهم آخر النهار. و الإنسان للجنس. و الخسر: الخسران. و المعنى: انّ الناس في خسران من تجاراتهم إلّا الصالحين وحدهم؛ لأنّهم اشتروا الآخرة بالدنيا.(٣)

«و تواصوا»؛ أي: وصّى بعضهم بعضاً باتّباع الحقّ و اجتناب الباطل. قيل: الحقّ هو القرآن. و قيل: هو أن يقولوا عند الموت لمخالفيهم: لاتموتنّ إلّا و أنتم مسلمون. «و تواصوا»؛ أي: وصّى بعضهم بعضاً بالصبر على المشاقّ في طاعة الله. فإنّ هؤلاء ليسوا في خسر بل في الربح يرجون الثواب باكتساب الطاعات.(٤)

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٣، ح ١.
٢ـ كمال الدين / ٦٥٦، ح ١.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٣ ـ ٧٩٤.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٨١٥.

١٠٤.
سورة الهمزة

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ ويل لكلّ في فريضة من فرائضه، بعّد الله عنه الفقر و جلب عليه الرزق و يدفع عنه ميتة السوء.[١]

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بالنبيّ و أصحابه.[٢]

الهمزة: تقرأ على العين الموجعة تبرأ بإذن الله.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: و أمّا العقرب، فكان رجلاً همّازاً لمّازاً[٤] لايسلم من لسانه أحد، فمسخه الله عقرباً.[٥]

عنه صلى الله عليه وآله: رأيت [ليلة] الإسراء قوماً يقطع اللّحوم من جنوبهم ثمّ يلقمونه و يقال لهم: كلوا ما كنتم تأكلون من لحم أخيكم! فقلت: يا جبرئيل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمّازون من أمّتك اللمّازون.[٦]

الهمز: الكسر. اللّمز: الطعن. و المراد الكسر من أعراض الناس و اغتيابهم و الطعن

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٤، ح ١.
٢ـ المصباح / ٦٠١.
٣ـ المصباح / ٦١٦.
٤ـ توجد هاهنا في النسخة كلمة غير مقروءة و ليس في المصدر: «لايسلم من لسانه أحد».
٥ـ الخصال / ٤٩٣، ح ١.
٦ـ عوالي اللآلي ١ / ٢٦٤، ح ٥٥.

فيهم. و بناء فعلة يدلّ على أنّ ذلك عادة منه. قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة و اغـتيابه لرسول الله، لكنّه يتناول كلّ من باشر ذلك القبيح.[١]

«همزة». قال: الذي يغمز الناس و يستحقر الفقراء. و قوله: «لمزة» [الذي] يلوي عنقه و رأسه و يغضب إذا رأى فقيراً.[٢]

[٢ ـ ٣] «الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَ عَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ».

«الذي جمع». ابن‌عامر و حمزة: «جمّع» بالتشديد.[٣]

«و عدّده». قال: أعدّه و وضعه.[٤]

«الذي جمع». بدل من «كلّ». «و عدّده»: جعله عدّة لحوادث الدهر. «أخـلده»؛ أي: طوّل المال أمله و منّاه الأمانيّ البعيدة حتّى أصبح لطول أمله يحسب أنّ المال تركه خالداً في الدنيا لايموت. أو: يعمل من تشييد البنيان و عمارة الأرض عمل من يظنّ أنّ ماله أبقاه حيّاً. و هو تعريض بالعمل الصالح و أنّه الذي أخلد صاحبه في النعيم.[٥]

[٤] «كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ».

«كلّا». ردع له عن حسبانه. «لينبذنّ» هو و ماله «في الحطمة»؛ أي: في النار التي من شأنها أن تحطم كلّ ما يلقى فيها.[٦]

«الحطمة»: اسم من أسماء جهنّم.[٧]

[٥ ـ ٧] «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ».

«تطّلع على الأفئدة»: تدخل أجوافهم حتّى تطّلع على أفئدتهم و هي أوساط القلوب.

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٤ ـ ٧٩٥.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٤١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٢١.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٤١.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٥.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٦.

٧ـ مجمع البيان ١٠ / ٨١٨.

يجوز أن يختصّ الأفئدة لأنّها مواطن الكفر و العقائد الفاسدة. و معنى اطّلاع النار عليها أنّها تغلبها و تشتمل عليها.(١)

[«تطّلع على الأفئدة». قيل: معناه أنّ هذه النار] تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا.(٢)

[٨ ـ ٩] «إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ».

«مؤصدة»: مطبقة مغلقة. «في عمد ممدّدة». المعنى أنّه يؤكّد يأسهم من الخروج و تيقّنهم بحبس الأبد فتؤصد عليهم الأبواب [و تمدّد على الأبواب] العمد استيثاقاً في استيثاق. و يجوز أن يكون المعنى: انّها عليهم مؤصدة موثقين في عمد ممدّدة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللّصوص.(٣) و المقاطر: خشبة فيها خروق تدخل فيها أرجل المحبوسين.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الكفّار و المشركين يعيّرون أهل التوحيد في النار يقولون: ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً. و ما نحن و أنتم إلّا سواء. قال: فيأنف لهم الربّ فيقول للملائكة: اشفعوا. فيشفعون لمن شاء الله. ثمّ يقول للنبيّين: اشفعوا. فيشفعون لمن شاء الله. و يقول الله الرحمن الرحيم(٤): اخرجوا برحمتي. فيخرجون كما يخرج الفراش. ثمّ مدّت العمد و أوصدت عليهم و كان ـ و الله ـ الخلود.(٥)

«في عمد». الكوفيّون. [غير حفص]: «عُمُد» بضمّتين.(٦)

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٦.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٨١٨.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٦.

٤ـ المصدر: «يقول الله: أنا أرحم الراحمين».

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٨١٩.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٢٢.

١٠٥.
سورة الفيل

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ في فرائضه ألم تر، شهد له يوم القيامة كلّ سهل و جبل و مدر بأنّه كان من المصلّين و ينادي له يوم القيامة مناد: صدقتم على عبدي. قبلت شهادتكم له و عليه. أدخلوه الجنّة و لاتحاسبوه. فهو ممّن أحبّه الله و أحبّ عمله.[١]

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، عافاه الله أيّام حياته من القذف و المسخ.[٢]

الفيل: من قرأها في الحرب، قوي على القتال. و إذا قرئت بين العسكرين، انهزم الباغي منهما. و إذا علّقت على الرماح التي تصادم، كسرت ما تصدمه.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: لاتجمع [بين] سورتين في ركعة واحدة إلّا الضحى و ألم‌نشرح و ألم‌تر و لإيلاف. و هما سورة واحدة.[٤]

عنه صلى الله عليه و آله: و أمّا الفيل فكان رجلاً لوطيّاً لايدع رطباً و لا يابساً.[٥]

عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: كان أبوطالب يضرب عن رسول الله. إلى أن قال: فقال أبوطالب: يابن أخي، إلى الناس كافّة أرسلت أم إلى قومك خاصّة؟ قال: بل إلى الناس كافّة العربيّ و العجميّ. لأدعونّ إلى هذا الأمر الأبيض و الأسود و فارس و الروم. فتحيّرت قريش و استكبرت و قالت: أما تسمع قول ابن أخيك؟ و الله لو سمعت بهذا فارس و الروم، لقلعت الكعبة حجراً حجراً. فأنزل الله في هذا ألم‌تر كيف.[٦]

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٤، ح ١.
٢ـ المصباح / ٦٠١.
٣ـ المصباح / ٦١٦.
٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٢٧.
٥ـ الخصال / ٤٩٤، ح ٢.
٦ـ روضة الواعظين / ٥٤.

روي: انّ أبرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشيّ بنى كنيسة بصنعاء و سمّاه القلّيس و أراد أن يصرف إليها الحاجّ. فخرج رجل من كنانة فتغوّط فيها ليلاً فأغضبه ذلك. و قيل: أجّجت رفقة من العرب ناراً فحملتها الريح فأحرقتها، فحلف ليهدمنّ الكعبة. فخرج بالحبشة و معه محمود فيل عظيم معه ألف فيل. فرماهم الله بالعذاب.(١)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ».

و قوله: «ألم تر» معناه: انّك رأيت آثار فعل الله بالحبشة ـ لأنّه كان عند أمّ هانئ من ذلك الحجر نحو قفيز كالجزع اليمانيّ مكتوب على كلّ واحدة اسم من يقع عليه ـ و سمعت الأخبار به متواترة فقام [لك] مقام المشاهدة. و «كيف» نصب بفَعَل ربّك لا بألم تر لما في كيف من معنى الاستفهام.(٢)

[٢] «أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ».

«في تضليل». [يعني أنّهم كادوا البيت أوّلاً] ببناء القلّيس و أرادوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاجّ إليه فضلّل كيدهم بإيقاع الحريق فيه، و كادوه ثانياً بإرادة هدمه فضلّل بإرسال الطير عليهم.(٣)

[٣] «وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ».

«أبابيل»: جمع إبالة و هي الحزمة الكبيرة. شبّهت الحزقة ـ أي: الجماعة ـ من الطير في تضامّها بالإبالة. و قيل: أبابيل لا واحد لها.(٤)

[٤] «تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ».

«سجّيل». كأنّه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفّار، كما أنّ سجّيناً علم لديوان

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٧.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٩ و ٧٩٧.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٩.

أعمالهم. كأنّه قيل: بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوّن. و اشتقاقه من الإسجال ـ و هو الإرسال ـ لأنّ العذاب موصوف بذلك. و عن ابن‌عبّاس: من طين مطبوخ كما يـطبخ الآجر. و قيل: معرّب سنگ گل.(١)

[٥] «فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ».

«كعصف مأكول». شبّهوا بورق الزرع إذا أكل ـ أي: وقع فيه الأكال، و هو أن يأكله الدود ـ أو بتبن أكلته الدوابّ و راثته، ولكنّه جاء على ما عليه آداب القرآن. كقوله: «كانا يأكلان الطعام».(٢) أو أريد أكل حبّه فبقي صفراً منه.(٣)

١ـ الكشّاف ٤ / ٧٩٩ ـ ٨٠٠.
٢ـ المائدة (٥) / ٧٥.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٨٠٠.

١٠٦.
سورة لإيلاف

عن أبي عبدالله عليه السلام: من أكثر قراءة لإيلاف، بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنّة حتّى يقعد على موائد النور يوم القيامة.[١]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ».

[اللّام يتعلّق بقوله:] «كعصف مأكول». أي: جعلناهم كعصف مأكول «لإيلاف قريش» [أي: لتألف قريش] بمكّة و يمكنهم المقام بها، أو ليؤلف قريشاً، فإنّهم هابوا [من أبرهة] لمّا قصدها و هربوا منه فأهلكناه لترجع قريش إلى مكّة و يألفوا بها و يولد محمّد صلى الله عليه وآله.[٢]

«لإيلاف». ابن عامر: «لإلاف» بغير ياء بعد الهمزة.[٣]

«لإيلاف قريش». متعلّق بقوله: «فليعبدوا». أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين. و قيل: هو متعلّق بما قبله. أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش. و هما في مصحف أبيّ سورة واحدة بلا فصل. و المعنى أنّه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيّبوهم و يحترموهم زيادة احترام حتّى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلايجترئ أحد عليهم. وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن و في الصيف إلى الشام فيمتارون و يتجرون. و كانوا في رحلتيهم آمنين لأنّهم أهل حرم الله و ولاة بيته

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٤، ح ٢.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٢٨ ـ ٨٢٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٢٤.

فلايتعرّض لهم و الناس غيرهم يغار عليهم. و الإيلاف من قولك: آلفت المكان، إذ ألفته، فأنا مؤلف. و قريش ولد النضربن كنانة سمّوا بتصغير القرش و هو دابّة عظيمة في البحر تعبث بالسفن و لاتطاق إلّا بالنار و التصغير للتعظيم.(١)

[٢] «إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ».

«إيلافهم رحلة الشتاء». أطلق الإيلاف ثمّ أبدل عنه المقيّد بالرحلتين تفخيماً لأمر الإيلاف و تذكيراً لعظيم النعمة فيه. و نصب الرحلة بـإيلافهم مفعولاً به كما نصب «يتيماً»(٢) بإطعام.(٣)

[٣ ـ ٤] «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ».

و التنكير في «جوع» و «خوف» لشدّتها. يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلها، و آمنهم من خوف عظيم و هو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطّف في بلدهم و مسايرهم. و قيل: كانوا قد أصابتهم شدّة حتى أكلوا الجيف و العظام المحرقة و آمنهم من خوف الجذام فلايصيبهم ببلدهم. و قيل: ذلك كلّه بدعاء إبراهيم.(٤)

١ـ الكشّاف / ٨٠١ ـ ٨٠٢.

٢ـ البلد (٩٠) / ١٥.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٨٠٢.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٨٠٣.

١٠٧.
سورة الماعون

عن أبي جعفرعليه السلام: من قرأ سورة أرأيت في فرائضه و نوافله، قبل الله عزّ و جلّ صلاته و صيامه و لم يحاسب بما كان منه في الحياة الدنيا.[١]

[١ ـ ٧] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * أَ رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَ لَا يَحُضُّ عَلىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ».

«أرأيت» يا محمّد «الذي يكذّب بالدين»؛ أي: بالجزاء والحساب و ينكر البعث مع وضوح الأمر. قيل: نزلت في أبي‌سفيان بن حرب. و كان ينحر في كلّ أسبوعين جزورين، فأتاه يتيم و سأله شيئاً فقرعه بعصاه. «يدعّ اليتيم»؛ أي: من صفة هـذا الذي [يكـذّب بالدين أنّه يدفع اليتيم عنفاً].[٢] «لايحضّ على طعام المسكين»؛ أي: لايطعمه و لايأمـر بإطعامه.[٣]

«أرأيت الذى». قال: نزلت في أبي‌جهل و كفّار قريش. «يدعّ اليتيم»؛ أي: يدفعه عن حقّه. «و لايحضّ»؛ أي: لايرغّب.[٤]

عن أبي‌الحسن‌عليه السلام في قوله: «يكذّب بالدين» قال: بولاية أميرالمؤمنين‌عليه السلام.[٥]

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٤، ح ١.

٢ـ في النسخة «يدعّ اليتيم أنّه» بدل ما بين المعقوفتين.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٣٣ ـ ٨٣٤.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٤٤.

٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٨٥٥، ح ١.

«أ رأيت الذي يكذّب»؛ أي: هل عرفت الذي يكذّب بالجزاء من هـو؟ إن لم تـعرفه، «فذلك الذي» يكذّب بالجزاء، هو الذي «يدعّ اليتيم»؛ أي: يدفعه عنيفاً بجفوة «و لا يحضّ»: و لا يبعث أهله على بذل طعام المسكين. جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف و الإقدام على إيذاء الضعيف. يعني أنّه لو آمن بالجزاء لخشي الله و لم يقدم على ذلك. فحين أقدم عليه [علم] أنّه مكذّب ثمّ وصل به قوله: «فويل للمصلّين». كأنّه قال: فإذا كان الأمر كذلك، فويل للمصلّين الذين يسهون عن الصلاة قلّة مبالاة بهـا حـتّى تـفوتهم أو لا يـصلّونها كالسلف ولكن ينقرونها نقراً من غير خشوع و إخبات. و المعنى: انّ هؤلاء أحقّ بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الديـن عـلماً عـلى أنّهـم مكـذّبون بـالبعث. و عـن ابن‌عبّاس[1]: الحمد لله على أن لم يقل: في صلاتهم. «يراؤون». فإن قلت: ما معنى المـراءاة قلت: هي مفاعلة من الإراءة لأنّ المرائي يري الناس عمله و هم يـرونه الثـناء عـليه و الإعجاب به.[2]

«عن صلاتهم ساهون». قيل: يريد المنافقين الذين لا يرجون ثواباً إن صلّوا و لا يخافون عقاباً إن تركوا فهم عنها غافلون حتّى يذهب وقتها، فإذا كانوا مع المؤمنين صلّوها رياء و إذا لم يكونوا معهم لم يصلّوا. و هذا قوله: «الذين هم يراؤون». عن عليّ عليه السلام. «الماعون». هو الزكاة المفروضة. عن عليّ عليه السلام. و قيل: هو ما يتعاوره الناس بينهم من الدلو و الفأس و ما لا يمنع كالماء و الملح. روي ذلك مرفوعاً.[3]

عن أبي عبدالله عليه السلام: الماعون هو القرض يقرضه و المتاع يعيره و المعروف يصنعه. فقيل له: إنّ لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً كسروه و أفسدوه. فعلينا جناح أن نمنعهم؟ فـقال: لا. ليس عليكم جناح أن تمنعوهم إذا كانوا كذلك.[4]

نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يمنع أحد الماعون جاره و قال: من منع الماعون جاره، منعه الله خيره يوم القيامة و وكله إلى نفسه. و من وكله إلى نفسه، ما أسوأ حاله.[5]

١ـ المصدر و المجمع: عن أنس.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٨٠٤ ـ ٨٠٥.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٣٤.
٤ـ الكافي ٣ / ٤٩٨، ح ٨.
٥ـ الفقيه ٤ / ٨، ح ١.

۱۰۸.
سورة الكوثر

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ إنّا أعطيناك في فرائضه و نوافله، سقاه الله من الكوثر يوم القيامة و كان محدّثه عند رسول الله صلى الله عليه و آله في أصل طوبى.[۱]

[۱] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: الكوثر نهر في الجنّة أعطاه الله نبيّه عوضاً من ابنه. فيه قداح عدد نجوم السماء فيه شعبتان ينصبّان من الجنّة أحدهما من تسنيم و الآخر من معين. على حافتيه الزعفران و حصاه اللّؤلو. و هو الكوثر.[۲]

و عنه صلى الله عليه و آله: أعطاني الكوثر و أعطى عليّاً السلسبيل.[۳]

و عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الرجل للرجل: جزاك الله خيراً، ما يعني به؟ قال: إنّ الخير نهر في الجنّة مخرجه عن الكوثر من تحت ساق العرش.[٤]

«الكوثر»: فوعل من الكثرة، و هو الخير الكثير. و المراد به النبوّة و الكتاب و كثرة الأصحاب و النسل و الذرّيّة. أعطاه الله سبحانه الخير الكثير في الدنيا و وعده الخير الكثير في الآخرة.[٥]

۱ـ ثواب الأعمال / ۱۵۵.

۲ـ الخصال / ٦۲٤.

۳ـ الخصال / ۲۹۳، ح ٥۷.

٤ـ معاني الأخبار / ۱۸۲، ح ۱.

٥ـ مجمع البيان ۱۰ / ۸۳٥ ـ ۸۳۷.

[٢] «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ».

«فصلّ لربّك». أمره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة بأن قال: فصلّ صلاة العيد. لأنّه عقّبها بالنحر. أي: و انحر هديك و أضحيّتك. و قيل: معناه: فصلّ لربّك صلاة الغداة المفروضة بجمع. و انحر البدن بمنى.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «فصلّ لربّك و انحر»: هو رفع يديك حذاء وجهك.(٢)

و عن أبي جعفر عليه السلام: النحر الاعتدال في القيام أن يقيم صلبه و نحره.(٣)

[٣] «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

«هو الأبتر». معناه: انّ مبغضك هو المنقطع عن الخير. و هو العاص بن وائل. و قيل: معناه: انّه لا ولد له على الحقيقة و إنّ من ينسب إليه ليس بولد له. و هو جواب لقول قريش: انّ محمّداً لا عقب له يموت فنستريح منه و يدرس دينه إذ لا يقوم مقامه من يدعو إليه فينقطع أمره.(٤)

و عن أبي الحسن عليه السلام: و أمّا أنت يا عمرو بن العاص الشانئ اللّعين الأبتر. فإنّما أنت كلب أوّل أمرك. [إنّ] أمّك لبغيّة. و إنّك ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبوسفيان و الوليد بن المغيرة و عثمان بن الحارث و النضر بن الحارث و العاص بن وائل كلّهم يزعم أنّك ابنه، فغلبهم عليك ألأمهم حسباً. ثمّ قمت خطيباً و قلت: أنا شانئ محمّد. و قال العاص بن وائل: إنّ محمّداً رجل أبتر لا ولد له. فلو مات، انقطع ذكره. فأنزل الله تعالى: «إنّ شانئك هو الأبتر». و كانت أمّك تمشي إلى عبد قيس لطلب البغية، تأتيهم في دورهم و رحالهم و بطون أوديتهم.(٥)

قيل: دخل رسول الله صلى الله عليه و آله المسجد و فيه عمرو بن العاص و الحكم بن العاص. فقال

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٣٧.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٣٧.

٣ـ الكافي ٣ / ٣٣٦، ح ٩.

٤ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٣٨.

٥ـ الاحتجاج / ٢٧٦.

عمرو: يا أبا الأبتر. و كان الرجل في الجاهليّة إذا لم يكن له ولد، سمّي أبتر. ثمّ قال عمرو: إنّي لأشنأ محمّداً. أي: أبغضه. فأنزل الله: «إنّا أعطيناك الكوثر» ـ السورة. يعني أنّ مبغضك عمرو بن العاص هو الأبتر. يعني لا دين له [و لا نسب].(١)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٤٥.

١٠٩.

سورة الكافرون

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ يا أيّها الكافرون و قل هو الله أحد في فريضة من الفرائض، غفر الله له و لوالديه و ما ولد، و إن كان شقيّاً، محي من ديوان الأشقياء و أثبت في ديوان السعداء و أحياه الله سعيداً و أماته شهيداً و بعثه شهيداً.[١]

[١ ـ ٦] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَ لَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُّمْ * وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ».

روي: انّ رهطاً من قريش قالوا: يا محمّد، هلمّ فاتّبع ديننا و نتّبع دينك؛ تعبد إلهنا سنة و نعبد إلهك سنة. فقال: معاذ الله أن أشرك بالله غيره. فنزلت. فغدا إلى المسجد الحرام فقرأها عليهم فأيسوا. «لا أعبد». أريد به العبادة فيما يستقبل. لأنّ لا لا تدخل إلّا على مضارع في معنى الاستقبال. و المعنى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه منّي من عبادة آلهتكم. و لا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي. «و لا أنا عابد»؛ أي: و ما كنت قطّ عابداً فيما سلف «ما عبدتم» فيه. يعني: لم تعهد منّي عبادة صنم في الجاهليّة، فكيف ترجى منّي في الإسلام؟ «و لا أنتم عابدون ما أعبد»: ما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته. «لكم دينكم و لي دين»؛ أي: لكم شرككم و لي توحيدى. إنّي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحقّ و النجاة.

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٥، ح ١.

فإذا لم تقبلوا منّي، فدعوني كفافاً و لاتدعوني إلى الشرك.[١]

«قل يا أيّها الكافرون» ـ السورة. قال: سأل أبوشاكر أباجعفر الأحول عن التكرار الواقع في هذه السورة و قال: إنّ الحكيم لايتكلّم بمثله. فلم يكن عند أبي جعفر الأحول جواب، فسأل أباعبدالله عليه السلام في المدينة، فقال: كان سبب نزولها و تكرارها أنّ قريشاً قالت لرسول الله صلى الله عليه و آله: تعبد إلهنا سنة و نعبد إلهك سنة. و تعبد إلهنا سنة و نعبد إلهك سنة. فأجابهم الله بمثل ما قالوا فقال فيما قالوا تعبد إلهنا سنة: «قل يا أيّها الكافرون * لاأعبد ما تعبدون» و فيما قالوا نعبد إلهك سنة: «و لا أنتم عابدون ما أعبد» و فيما قالوا تعبد إلهنا سنة: «و لا أنا عابد ما عبدتم» و فيما قالوا و نعبد إلهك سنة: «و لا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم و لي دين». فرجع الأحول إلى أبي شاكر فأخبره بذلك، فقال أبوشاكر: هذا حملته الإبل من الحجاز. و كان عليه السلام إذا فرغ من قراءتها يقول: ديني الإسلام.[٢]

«و لي دين». نافع و ابن كثير و حفص عن عاصم: «و لي» بفتح الياء، و الباقون بالسكون.[٣]

١ـ الكشّاف ٤ / ٨٠٨ ـ ٨٠٩.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٤٠.

١١٠.
سورة النصر

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة النصر في نافلة أو فريضة، نصره الله على جميع أعدائه و جاء يوم القيامة و معه كتاب ينطق قد أخرجه الله من جوف قبره فيه أمان من حبس جهنّم و من النار و من زفير جهنّم. فلايمرّ على شيء يوم القيامة إلّا بشّره و أخبره بكلّ خير حتّى يدخل الجنّة و يفتح له في الدنيا من أسباب الخير ما لم يخطر على باله.(١)

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَ الْفَتْحُ * وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً».

«إذا جاء». مفعوله محذوف. أي: إذا جاءك. و جواب إذا محذوف ـ أي: حضر أجلك ـ أو الفاء في قوله: «فسبّح». يعني: إذا جاءك النصر على قريش بفتح مكّة. و هذه البشارة له بالفتح قبل وقوعه. «أفواجاً»: جماعة جماعة. و ذلك أنّه لمّا فتح مكّة قالت العرب: أما إذا ظفر محمّد بأهل الحرم ـ و قد أجارهم الله من أصحاب الفيل ـ فليس لكم به يدان. فكانوا يدخلون في دين الله جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً. «فسبّح بحمد ربّك»؛ أي: نزّهه عمّا لايليق به. و الاستغفار هنا للانقطاع إلى الله لا من جهة الذنب. قال ابن‌عبّاس: لمّا نزلت هذه السورة، قال صلى الله عليه و آله: نعيت إلى نفسي. فإنّها مقبوضة في هذه السنة. و كذلك قاله العبّاس و ابنه. و ذلك لأنّ تقديره: فسبّح بحمد ربّك فإنّك [حينئذ] لاحق بالله،

١ـ ثواب الأعمال / ١٥٥، ح ١.

أو لأنّه سبحانه أمره بتجديد التوحيد و استدراك الفائت و الاستغفار و ذلك لازم عند الانتقال من هذه الدار. و كان كثيراً بعدها يقول: سبحانك اللّهمّ و بحمدك. اللّهمّ اغفر لي. إنّك أنت التوّاب الرحيم.[١]

لمّا صالح رسول الله ﷺ قريشاً عام الحديبية، كان في اشتراطهم أنّه من أحبّ أن يدخل في عهد رسول الله دخل فيه. فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ و دخلت بنوبكر في عهد قريش. و كان بين القبيلتين شرّ قديم. ثمّ وقعت فيما بعد [بين] بني‌بكر و خزاعة مقاتلة و رفدت قريش بني‌بكر بالسلاح و قاتل معهم من قريش من قاتل باللّيل مستخفياً. و كان ممّن أعان بني‌بكر على خزاعة بنفسه عكرمة بن أبي‌جهل. فركب عمرو بن سالم الخزاعيّ و قدم المدينة و أنشد شعراً متضمّن الشكاية من قريش و نقضها العهد. و قال رسول الله ﷺ: لا نصرت إن لم أنصركم. ثمّ قام إلى فتح مكّة.[٢]

عن جابر بن عبدالله أنّه بكى ذات يوم فقيل له في ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: دخل الناس في دين الله أفواجاً و سيخرجون منه أفواجاً.[٣]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٤٣ ـ ٨٤٤.
٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٤٥.
٣ـ جوامع الجامع / ٥٥٥.

١١١.

سورة أبي‌لهب

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ».

عن ابن‌عبّاس: لمّا نزل قوله سبحانه: «و أنذر عشيرتك الأقربين»[١] صعد رسول الله ﷺ على الصفا و قال: يا صباحاه! فأقبلت إليه قريش فقالوا: ما لك؟ قال: أرأيتكم إن أخبرتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسيكم، ما كنتم تصدّقوني؟ قالوا: بلى. قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبولهب: تبّاً لك! لهذا دعوتنا جميعاً؟ فأنزل الله عزّ و جلّ: «تبّت يدا أبي‌لهب و تبّ»؛ أي: خسرت يداه وخسر هو. و قال: خسرت يداه، لأنّ أكثر الأعمال يكون باليد. فالمراد: خسر عمله و خسر نفسه بالوقوع في النار. و قال الفرّاء: الأوّل دعاء. و الثاني خبر. فكأنّه قال: أهلكه الله و قد هلك. و أبولهب عمّ النبيّ ﷺ وكان شديد العداوة له. قال طارق المحاربيّ: كنت في سوق ذي‌المجاز و إذا [أنا] بشابّ يقول: أيّها الناس، قولوا: لا إله إلّا الله، تفلحوا، و رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه يقول: إنّه كذّاب فلاتصدّقوه. فسألت فقالوا: هذا محمّد. و هذا عمّه أبولهب. و ذكر الله كنيته لأنّها كانت أغلب عليه. و قيل: بل كنيته اسمه؛ سمّي به لحسنه و كانت وجنتاه كأنّهما يلتهبان.[٢]

«تبّت يدا أبي‌لهب»؛ أي: خسرت، لمّا اجتمع مع قريش في دارالندوة و بايعهم على قتل رسول الله ﷺ و كان كثير المال. و كان اسم أبي‌لهب عبدمناف فكنّاه الله لأنّ منافاً صنم

١ـ الشعراء (٢٦) / ٢١٤.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٥١ ـ ٨٥٢.

يعبدونه.(١)

التباب: الهلاك. أي: هلكت يداه. لأنّه فيما يروى أخذ الحجر ليرمي به رسول اللهﷺ. «و تبّ»: و هلك كلّه. فإن قلت: لم كنّاه و التكنية تكرمة؟ قلت: لأنّه مشتهر بالكنية دون الاسم. و يؤيّده قراءة من قرأ: «يدا أبولهب». كما قيل: عليّ بن أبوطالب و معاوية بن أبوسفيان لئلّايغيّر منه شيء فيشكل على السامع.(٢)

[٢] «مَا أَغْنىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ».

«ما أغنى عنه»؛ أي: لم يدفع عنه عذاب الله ماله و ما كسبه. و قيل: معناه: أيّ شيء أغنى عنه ماله و ما كسب؟ يعني ولده. لأنّ ولد الرجل من كسبه. و ذلك أنّه لمّا أنذر بالنار قال: إن كان ما يقول محمّد حقّاً، فأنا أفتدي بمالي.(٣)

«و ما كسب» من أرباح أمواله.(٤)

[٣] «سَيَصْلىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ».

«سيصلى ناراً»؛ أي: سيدخل ناراً «ذات لهب»؛ أي: ذات قوّة و اشتعال تلتهب عليه و هي نار جهنّم.(٥)

[٤] «وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ».

«و امرأته». و هي أمّ جميل أخت أبي‌سفيان. «حمّالة الحطب». كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول اللهﷺ إذا خرج إلى الصلاة ليعقره و كان كالحرير تحت قدميه. و قيل: إنّها كانت تمشي بالنميمة، فسمّيت النميمة حطباً. «و امرأته حمّالة الحطب». عاصم بنصب «حمّالة» على الذمّ، و الباقون بالرفع على الوصفيّة.(٦)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٤٨.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٨١٣ ـ ٨١٤.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٥٢.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٨١٤.

٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٥٢.

٦ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٥٢ و ٨٥٠.

«حمّالة الحطب». قال: كانت أمّ جميل تنمّ على رسول الله ﷺ و تنقل أحاديثه إلى الكفّار. «حمّالة الحطب»؛ أي: احتطبت على رسول الله ﷺ.(١)

[٥] «فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ».

«حبل من مسد»؛ أي: في عنقها حبل من ليف. [و إنّما وصفها بهذه الصفة] تحقيراً لها. و قيل: حبل في جهنّم يكون له خشونة اللّيف و حرارة النار و ثقل الحديد، يجعل في عنقها زيادة في عذابها. و قيل: كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت: لأنفقنّها في عداوة محمّد، فيكون عذاباً في عنقها يوم القيامة. فإن قلت: هل يلزم أبالهب الإيمان بعد هذه السورة مع أنّه لو آمن كان فيه تكذيب قوله: «سيصلى ناراً»؟ قلت: تكليف الإيمان ثابت عليه. و إنّما توعّده الله بشرط أن لا يؤمن. كما قال سبحانه في فرعون: «الآن و قد عصيت قبل»؟(٢) فدلّ على أنّه لو تاب قبل ذلك الوقت، كان مقبول التوبة.(٣)

«في جيدها»؛ أي: في عنقها «حبل من مسد»؛ أي: من نار.(٤)

«من مسد». المسد: الذي فتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف كان أو غيره. أي: إنّها تحمل تلك الحزمة من الشوك التي كانت تلقيها في طريق النبيّ ﷺ و تربطها في جيدها كما يفعله الحطّابون، تحقيراً لها و تصويراً [لها] بصورة بعض الحطّابات لتغضب هي و بعلها من ذلك. و يحتمل أن يكون معناه: انّ حالها يكون في نار جهنّم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك. فلاتزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقّوم و في جيدها حبل ممّا مسد من سلاسل النار كما يعذّب كلّ مجرم بما يجانس حاله في جرمه.(٥)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٤٨.

٢ـ يونس (١٠) / ٩١.

٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٥٢ ـ ٨٥٣.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٤٨.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٨١٥ ـ ٨١٧.

۱۱۲.
سورة الإخلاص

[۱] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ اليهود سألوا النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: انسب لنا ربّك. فمكث ثلاثاً لايجيبهم فنزلت السورة. و المعنى: قل ـ يا محمّد ـ: الذي سألتم عن نسبته «أحد»؛ أي: واحد في صفة ذاته لايشركه في وجوب صفاته أحد. و قيل: الأحد: الذي لايتجزّى و لاينقسم في ذاته و لا [في] معنى صفاته. و لفظ هو اسم مكنًّى مشار إلى غائب. فالهاء تنبيه عن معنىً ثابت و الواو إشارة إلى الغائب عن الحواسّ. لأنّ الكفّار أشاروا إلى آلهتهم بهذا المشار فيه إلى الحاضر المدرك. «أحد الله الصمد». أبوعمرو بغير تنوين الدال من أحد.(۱)

[۲] «اللهُ الصَّمَدُ».

عن الحسين عليه السلام: الصمد الذي لا جوف له و الذي لاينام و الذي لم يزل و لايزال.(۲)

و قال الباقر عليه السلام: هو السيّد المطاع الذي ليس فوقه آمر و ناه.(۳)

و عن الحسين عليه السلام: انّ الله فسّره بقوله: «لم يلد و لم يولد» ـ السورة.(٤)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: لو وجدت لعلمي حملة، لنشرت التوحيد و الإسلام و الايمان و الدين و الشرائع من الصمد.(٥)

۱ـ مجمع البيان ۱۰ / ۸۵۹ ـ ۸۶۰ و ۸۵٦.

۲ـ التوحيد / ۹۰، ح ۳.

۳ـ التوحيد / ۹۰، ح ۳.

٤ـ التوحيد / ۹۰ ـ ۹۱، ح ٥.

٥ـ مجمع البيان ۱۰ / ۸٦۲.

[٣] «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ».

«لم يلد» فيدلّ على حاجته. فإنّ الإنسان يشتهي الولد لحاجته. «و لم يولد» فيدلّ على حدوثه.(١)

[٤] «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ».

«كفواً أحد»: عديلاً و مثيلاً. نافع و حمزة: «كفؤاً» ساكنة الفاء مهموزة. و حفص مضمومة الفاء مفتوحة الواو. و الباقون بالهمزة و ضمّ الفاء.(٢)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل بدر بليلة فقلت: علّمني شيئاً أنتصر به على الأعداء. فقال: قل: يا هو، يا من لا إله إلّا هو.(٣) فلمّا أصبحت، قصصتها على رسول الله صلى الله عليه و آله فقال لي: يا عليّ، علّمت الاسم الأعظم. فكان على لساني يوم بدر ـ الحديث.(٤)

عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعليّ بن أبي طالب: إنّما مثلك مثل قل هو الله أحد. فإنّ من قرأها مرّة، فكأنّما قرأ ثلث القرآن. و من قرأها مرّتين، فكأنّما قرأ ثلثي القرآن. و من قرأها ثلاث مرّات، فكأنّما قرأ القرآن كلّه. و كذلك أنت. من أحبّك بقلبه كان له ثلث ثواب العباد. و من أحبّك بقلبه و لسانه، كان له ثلثا ثواب العباد. و من أحبّك بقلبه و لسانه و يده، كان له ثواب العباد أجمع.(٥)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٦٢.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٦٢ و ٨٥٦.

٣ـ المصدر و المجمع ١٠ / ٨٦٠: يا من لا هو إلّا هو.

٤ـ التوحيد / ٨٩، ح ٢.

٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٨٦١ ـ ٨٦٢، ح ٤.

١١٣.
سورة الفلق

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ».

«قل» يا محمّد. و المراد جميع أمّته. «أعوذ»؛ أي: أعتصم. «بربّ الفلق»؛ أي: الصبح؛ لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام. «من شرّ ما خلق»؛ أي: من أهل الشرّ منهم. «غاسق إذا وقب»؛ أي: اللّيل إذا دخل ظلامه. فيكون المراد ما يحدث باللّيل. و قيل: معنى الغاسق كلّ هاجم بضرره.[١]

«بربّ الفلق». الفلق جبّ في جهنّم يتعوّذ أهل النار من شدّة حرّه. سأل الله أن يأذن له أن يتنفّس، فأذن له. فلمّا تنفّس، أحرق جهنّم. و في ذلك الجبّ صندوق من نار يتعوّذ منه أهل الجبّ. و في ذلك الجبّ ستّة من الأوّلين: ابن آدم قاتل أخيه و نمرود و فرعون و السامريّ و الذي هوّد اليهود و الذي نصّر النصارى؛ و ستّة من الآخرين: الأوّل و الثاني و الثالث و الرابع و صاحب الخوارج و ابن ملجم. «إذا وقب». قال: الذي يلقى في الجبّ يقب فيه.[٢]

[٤ ـ ٥] «وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ».

«النفّاثات»؛ أي: النساء الساحرات اللّاتي ينفثن في العقد لإيهامهم أنّهم يمرضون و

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٦٥ ـ ٨٦٦.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٤٩.

يصحّون و يفعلون أشياء من الضرر و النفع و عامّة الناس يصدّقونهم. و قيل: المراد مـن النفّاثات اللّاتي يمكرن بالرجال و يردّدنهم إلى رأيهنّ.[١]

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٦٦.

١١٤.
سورة الناس

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَـلِكِ النَّـاسِ * إِلٰـهِ النَّاسِ».

«بربّ الناس»؛ أي: خالقهم و مدبّرهم. «ملك الناس»: سيّدهم و القادر عليهم. و إنّما خصّ سبحانه الناس و إن كان ربّاً لجميع الخلائق، لأنّ في النـاس عـظماء، و لأنّـه أمـر بالاستعاذة من شرّهم، و لأنّ في الناس ملوكاً فذكر أنّه ملّكهم، و في الناس من يعبد غيره فذكر أنّه المستحقّ للعبادة. قال جامع العلوم البصير: ليس قوله: «النـاس» تكـراراً. لأنّ المراد بالأوّل الأجنّة، و لهذا قال: «بربّ الناس» لأنّه يربّيهم. و المراد بالثاني الأطـفال، و لذلك قال: [«ملك الناس» لأنّه يملكهم. و المراد بالثالث البالغون المكلّفون، و لذلك قال:] «إله الناس» لأنّهم يعبدونه. و المراد بالرابع العـلماء لأنّ الشـيطان يـوسوس إليهـم، لأنّ الوسوسة يقع في قلب العالم. كما قال: «فوسوس إليه الشيطان»[١].[٢]

[٤ ـ ٦] «مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَـنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ».

«من شرّ الوسواس»؛ أي: ذي الوسواس و هو الشيطان. كما جاء في الأثر أنّه يوسوس فإذا ذكر العبد ربّه خنس. ثمّ وصفه بقوله: «الذي يوسوس في صدور الناس» أي بالكلام

١ـ طه (٢٠) / ١٢٠.

٢ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٦٨ ـ ٨٦٩.

الخفيّ الذي يصل مفهومه إلى قلوبهم من غير سماع. ثمّ ذكر أنّ هذا الشيطان الذي يوسوس «من الجنّة» و هم الشياطين. و عطف قوله: «و الناس» على الوسواس، و المعنى: مـن شرّ الوسواس و من شرّ الناس. كأنّه أمر أن يستعيذ من شرّ الجنّ و الإنس و [على فرض عطف الناس على الجنّة،] في وسواس الإنس وجهان: أحدهما أنّه وسوسة الإنسان نفسه. و الثاني أنّه إغواء من يغويه من الناس. فشيطان الجنّ يوسوس و شيطان الإنس يأتي علانية و يري أنّه ينصح و قصده الشرّ.(١)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: ما من مؤمن إلّا و لقلبه أذنان؛ أذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، و أذن ينفث فيها الملك. فيؤيّد الله المؤمن بالملك. و ذلك قوله: «و أيّدهم بروح منه»(٢).(٣)

و عنه عليه السلام: من أكل حبّة من الرمّان، أمرضت شيطان الوسواس أربعين يوماً.(٤)

و عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم. فإذا ذكر الله خنس، و إذا نسي التقم قلبه.(٥)

١ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٦٩.
٢ـ المجادلة (٥٨) / ٢٢.
٣ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٧٠.
٤ـ الكافي ٦ / ٣٥٣، ح ٨.
٥ـ مجمع البيان ١٠ / ٨٦٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين. و سلام على عباده الذين اصطفى محمّد و آله المعصومين.

و بعد: فإنّ المذنب الجاني قليل البضاعة كثير الإضاعة، نعمة الله الحسينيّ الجزائريّ ـ وفّقه الله تعالى لجميع مراضيه و جعل مستقبل أحواله خيراً من ماضيه ـ يقول:

قد كان دار في خلدي بأعوام سابقة أن أكتب على هامش القرآن ما يحتاج إليه كما ترى، و عاقني عنه بعض العوائق شفعاً لما أردنا تأليفه من شروح كتب الحديث. ثمّ وفّق الله سبحانه لما أردنا كما أردنا، فجاء على منوال عجيب و طور غريب لم يسبقنا إليه أحد من الأوّلين و لا صنّفه أحد من المتأخّرين. و من حمل مثل هذا القرآن معه، استغنى عن جملة التفاسير و كتب القراءة و ما ألّفه أصحابنا المتأخّرون رضوان الله عليهم من التفسير بأحاديث أهل البيت عليهم السلام. و قد أخذنا صفوة ما في الكتب و إلّا فكتابة الحواشي يسهل على أكثر الممارسين.

و وسمنا هذه الحواشي بعقود المرجان لحواشي القرآن. و قد كنّا قبل هذا كتبنا على هامش نهج البلاغة حواشي مثل هذا و أخذنا لباب مافي الشروح مع ما سنح لنا و صار كتاباً قريب التناول لمتعاطيه. و كتبنا قبله حواشي على هامش الصحيفة السجّاديّة مختصراً من شرحنا عليها مبيّناً فيه ما يتعلّق بالألفاظ و المعاني.

و كان الفراغ من هذه الحواشي بعد الفراغ من صلاة الجمعة سادس عشر شهر ربيع الثاني أحد شهور عام الثاني بعد المائه و الألف الهجريّة ـ على مشرّفها و آله ألف صلاة و تحيّة ـ في دار المؤمنين شوشتر في دارنا الواقعة بجوار الجامع الأعظم، و المرجّو ممّن نظر فيه و انتفع بحواشيه أن يجرينا على صفحات خاطره في مظانّ إجاباته. و الحمد لله. و صلّى الله على محمّد و آله الطاهرين.

كتبت نقيصة هذا المصحف الشريف المحشّى بحاشية عقود المرجان من مؤلّفات جدّي العلّامة الأوّاه السيّد نعمة الله من أوّله و آخره متناً على يد العالم الفاضل عمّي الكامل المتّقي السيّد محمّد تقيّ بن علي أصغر الموسويّ و حاشيةً على يد الأحقر ابن أحمد الموسويّ محمّد تقيّ الموسويّ حكيم في ١٩ جمادى الثانية ١٣٧٥ الهجريّ مطابق ١٣٣٤/١١/١٢ شمسى.